المجتمع اليهودى

زكى شنوده

الناشر
مكتبة الخانجى بالقاهرة

المجتمع اليهودي

تأليف

زكي شنوده

الباب الاول

أصل اليهود وبلادهم

الفصل الأول

اصل اليهود

١ ـ السلالة اليهودية

الجد الأول لليهود ـ كما أوردت التوراة نسبه ـ هو ابراهيم ابن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح ابن أرفكشاد بن سام • ومن ثم فهو وذريته من الجنس السامى • وقد نشأ قبل الميلاد بنحو ألفى عام ، فى عائلة وثنية كانت تقيم بمدينة « أور الكلدانيين » الذين كانت دولتهم فى موضع دولة العراق الحالية •

وقد ذكرت التوراة أن ابراهيم كان آراميا ، اذ جاء فى سفر التكوين « وقال ابراهيم لعبده كبير بيته •• لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم ، بل الى أرضى والى عشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى اسحق •• فقام وذهب الى آرام النهرين ، الى مدينة ناحور •• وكان اسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة ، رفقة بنت بتوئيل الآرامى » (التكوين ٢٤ : ٢ و ٣ و ١٠ ، ٢٥ : ٢٠) • وجاء فى سفر

التثنية « متى أتيت الى الأرض التى يعطيك الرب الهك نصيبا ٠٠ تصرخ وتقول أمام الرب الهك : آراميا تائها كان أبى ، فانحدر الى مصر وتغرب هناك فى نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة » ٠ (التثنية ٢٦ : ١و٥) ٠ وكانت بلاد الآراميين تشمل الرقعة التى تقع بين جبال طوروس شمالا الى دمشق ، والمنطقة التى تليها جنوبا ، وبين وادى الفرات شرقا الى جبال لبنان غربا ، وقد استمدت اسمها من « آرام » أحد أبناء نوح ، وهى المعروفة اليوم باسم سوريا ٠

فلما نزح ابراهيم الى أرض كنعان التى نسميها اليوم فلسطين ، لقبه الكنعانيون بالعبرانى ، اذ جاء فى سفر التكوين « فأتى من نجا (فى الحرب مع الكنعانيين) وأخبر أبرام العبرانى ٠٠ وكانوا أصحاب عهد مع أبرام » (التكوين ١٤ : ١٤) ٠ وربما كان ذلك نسبة الى جده عابر ، أو ربما كان ذلك لأنه عبر نهر الفرات الى أرض كنعان ٠ وقد ظل اليهود بعد ذلك معروفين بالعبرانيين ، اذ جاء فى سفر التكوين عن يوسف حين كان فى مصر وراودته زوجة سيده عن نفسه فرفض ٠٠ « أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة أنظروا قد جاء الينا برجل عبرانى ليداعبنا ٠٠ حتى جاء سيده الى بيته ، فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل الى العبد العبرانى الذى جئت به الينا ليداعبنى » (التكوين ٣٩ : ١٤ ـ ١٧) ٠ ثم جاء أن يوسف قال لرئيس السقاة وهو فى السجن « تذكرنى لفرعون وتخرجنى من هذا البيت ، لأنى قد سرقت من أرض العبرانيين » (التكوين ٤٠ : ١٤ و ١٥) ٠ وفعلا ذكره رئيس السقاة لفرعون قائلا « كان هناك غلام عبرانى » (التكوين ٤١ : ١٢) ٠ كما جاء فى سفر التكوين أن « المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين » (التكوين ٤٣ : ٣٢) ٠

وقد ظل اليهود معروفين فى مصر بالعبرانيين طوال المدة التى قضوها بها ، وهى اربعمائة وثلاثون سنة ، اذ جاء فى سفر الخروج أنه فى أواخر هذه المدة ٠٠ « كلم ملك مصر قابلتى العبرانيات ٠٠ وقال حينما تولدان العبرانيات ٠٠ ان كان ابنا فاقتلاه ٠٠ فقالت القابلتان لفرعون ان النساء العبرانيات لسن كالمصريات ٠٠ » (الخروج ١ : ١٥ ـ ١٩) ٠ وبعد ولادة موسى خبأته أمه فى سفط ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر ٠٠ « فنزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل ٠٠ فرأت السفط بين الحلفاء ٠٠٠ ولما فتحته ورأت الولد ، واذا هو صبى يبكى ، فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين » (الخروج : ٥و٦) ٠ كما جاء فى هذا السفر « وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج الى اخوته ٠٠ فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من اخوته ٠٠ فقتل المصرى وطمره فى الرمل ٠ ثم خرج فى اليوم الثانى واذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك ؟ » (الخروج ٢ : ١١ ـ ١٣) ٠ وجاء فيه أن الله أمر موسى أن يدخل مع شيوخ قومه الى فرعون ويقولوا له « الرب اله العبرانيين التقانا ٠ فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا » (الخروج ٣ : ١٨) ٠ ثم بعد الخروج من مصر ظل لقب العبرانيين لاحقا باليهود فى كل أسفار التوراة ، اذ جاء فى سفر التثنية ٠٠ « اذا بيع لك أخوك العبرانى أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ، ففى السنة السابعة تطلقه حرا من عندك » (التثنية ١٥ : ١٢) ٠ وجاء فى سفر صموئيل « فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف ، فقالوا ما هو صوت هذا الهتاف العظيم فى محلة العبرانيين ؟ » (صموئيل الأول ٤ : ٦) ٠ وجاء فيه « فسمع الفلسطينيون وضرب شاول بالبوق فى جميع الأرض قائلا ليسمع العبرانيون » (صموئيل الأول ١٣ : ٣) ٠ وجاء فيه « لأن الفلسطينيين قالوا

لئلا يعمل العبرانيون سيفا أو رمحا » (صموئيـل الأول ١٣ : ١٩) • وجاء فيه « وعبر داود ورجاله •• فقـال رؤسـاء الفلسطينيين ما هؤلاء العبرانيون » (صموئيل الأول ٢٩ : ٢ و ٣) • وجاء فى سفر ارميا « قطع الملك صدقيا عهدا مـع كل الشعب الذين فى أورشليم لينادوا بالعتق ، أن يطلق كل واحد عبده ، وكل واحد أمته العبرانى والعبرانية حرين » (ارميـا ٣٤ : ٩) • وجاء فيه « فى نهاية سبع سنين تطلقون كل واحد أخاه العبرانى الذى بيع لك وخدمك ست سنين : فتطلقه حرا من عندك » (ارميا ٣٤ : ١٤) • وقد أصبح لقب العبرانيين مع مرور الزمن يدل على اليهود الذين من سلالة ابراهيم ، والذين يتكلمون باللغة العبرانية ، تمييزا لهم عن الوثنيين الذين وان كانوا قد اعتنقوا اليهودية فانهم لم يكونوا من تلك السلالة ، ولم تكن اللغة العبرانية هى لغتهم الأصلية •

وحين انحصر اليهود فى بنى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم أصبحوا معروفين ببنى يعقوب • ثم حين أصبح اسـم أبيهم اسرائيل أصبحوا معروفين ببنى اسرائيل ، أو الاسرائيليين • فقد جاء فى سفر التكوين « فخرج حمور أبو شكيم الى يعقـوب ليتكلم معه • وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا •• وتكلم حمور معهم قائلا شكيم ابنى قد تعلقت نفسه بابنتكم ، أعطوه اياها زوجة •• فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمـور أباه بمكر » (التكوين ٣٤ : ٦ ــ ١٣) • ثم جاء فى هذا السفر « وظهر الله ليعقوب •• وقال له •• لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بـل يكون اسمك اسرائيل » (التكوين ٣٥ : ٩و١٠) • ثم جاء أنه بعد أن استدعى يوسف أباه اسرائيل وكل ذويه ليقيمـوا فى مصر •• « سمع الخبر فى بيت فرعون وقيل جاء اخوة يوسف •• فقال فرعون ليوسف قل لاخوتك •• خـذوا لكم من أرض

مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعـــالوا ٠٠ ففعل بنو اسرائيل هـــكذا » (التــكوين ٤٥ : ١٦ : ٢١) ـ « وحمل بنو اسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونســـاءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لحمله » (التكوين ٤٦ : ٥) ٠ وقد ظل اليهود بعد ذلك يفضلون لقب الاسرائيليين أو بنى اسرائيل على لقب العبرانيين ، لأن اللقب الأول كان يقترن بالاسم الذى أطلقه الله على أبيهم يعقوب ، كما يقترن بالوعد الذى منحه اياه بأن يبارك أبناءه ويمنحهم أرض كنعـــان ويجعلهم له شـــعبا مختارا ، فى حين أن اللقب الثانى ـ على الرغم من أنه يدل على أصلهم الأول ـ كان يقترن بغربتهم ومذلتهم منذ أن خرج جدهم ابراهيم من مسقط رأسه فى أرض الكلدانيين الى أن وقعـــوا جميعا تحت عبودية المصريين مئات السنين ٠ ولذلك يتردد لقب الاسرائيليين وبنى اسرائيل فى كل أسفار التوراة بعـــد ذلك مقرونا بزهو اليهود وفخارهم ، باعتبارهم شعب الله المختار ، كما يزعمون ٠

أما لقب اليهود فقد جاء نسبة الى يهوذا أحد أبناء يعقـــوب ورأس السبط الذى أصبح معروفا باسمه ٠ وكان هـــذا اللقب قاصرا على أبناء هذا السبط دون أبناء الأحد عشر سبطا الأخرى٠ بيد أنه حين انقسمت مملكة اسرائيل فى عهد الملك رحبعام بن سليمان ، لم يبق لهذا الملك الا سبطا يهوذا وبنيامين ، فأصـــبح ملكا على هذين السبطين وحدهما ، وأطلق على مملكته اســـم « مملكة يهوذا » ، فى حين أصبح يربعام بن نباط ملكا على بقيـــة الأسباط واحتفظ بالاسم الأول للمملكة حين كانت متحدة وهـــو « مملكة يهوذا » ، فى حين أصبح يربعان بن نباط ملكا على بقية هم المعروفين باليهود دون رعايا مملكة اسرائيـــل ٠ اذ جاء فى سفر الملوك « ٠٠ آحاز بن يوثام ملك يهوذا ٠٠ لم يعمل المستقيم

فى عينى الرب ٠٠ حينئذ صعد رصين ملك آرام وفقح بن رمليا ملك اسرائيل الى أورشليم للمحاربة ٠ فى ذلك الوقت أرجع رصين ملك آرام آيلة للآراميين وطرد اليهود من آيلة ٠٠ وأرسل آحاز رسلا الى تغلث فلأسر ملك أشور قائلا ٠٠ اصعد وخلصنى من يد ملك آرام ومن يد اسرائيل » (الملوك الثانى ١٦ : ١-٧)
٠٠ ثم لم يلبث مدلول لقب اليهود أن تغير مرة أخرى ، اذ أغار ملوك آشور وبابل على مملكتى يهوذا واسرائيل وساقوا أهلهما جميعا من بلادهم الى بلاد آشور وبابل ، فظلوا هناك عبيدا فى السبى حتى بسط دارا ملك الفرس سلطانه على تلك البلاد فسمح لمن يشاء من أولئك المسبيين أن يعودوا الى فلسطين ٠ فعاد عدد منهم ، وكان أغلب العائدين من سبط يهوذا ٠ ومن ثم أصبح لقب اليهود يطلق على هؤلاء العائدين ٠ اذ جاء فى سفر عزرا أن العائدين شرعوا يرممون أورشليم ويبنون أسوارها فمنعهم من ذلك السكان الذين كان الأشوريون والبابليون قد جاءوا بهم وأسكنوهم هناك ٠ وكتبوا شكوى الى « أرتحتشتا » ملك الفرس يقولون فيها « ان اليهود الذين صعدوا من عندك الينا قد أتوا الى أورشليم وهم يبنون المدينة العاصية الرديئة » (عزرا ٤ : ١٢) ٠ وجاء فى هذا السفر « فتنبأ النبيان حجى النبى وزكريا بن عدو لليهود الذين فى يهوذا وأورشليم » (عزرا ٥ : ١) ٠ وجاء فيه « أمر كورش الملك من جهة بيت الله فى أورشليم ٠٠ قد صدر منى أمر بما تعملون مع شيوخ اليهود هؤلاء فى بناء بيت الله هذا » (عزرا ٦ : ٣ و ٨) ٠ وقد استمر لقب اليهود منذ ذلك الحين يطلق على كل المعتنقين للدين اليهودى فى فلسطين سواء أكانوا من أصل عبرانى أو غير عبرانى ، وسواء أكانوا يتكلمون اللغة العبرانية أو يتكلمون لغة غيرها ، وسواء أكانوا يهودا فى الأصل أو وثنيين ٠ ثم لم يلبث هذا اللقب بعد ذلك أن أصبح يشمل كل المعتنقين للدين

اليهودى المشتتين فى كل أنحاء الأرض ، مهما كان أصلهم ومهما كانت لغتهم ومهما كانت جنسيتهم . بيد أن اليهود الذين من أصل عبراني ويتكلمون اللغة العبرانية ظلوا يعتقدون دائما أنهم أشرف عنصرا وأسمى منزلة من اليهود الذين من أصل غير عبراني ويتكلمون لغة غير عبرانية . ولذلك يفضلون أن يلقبوا أنفسهم باللقب الذى هو موضع فخارهم ، وهو لقب الاسرائيليين ، ويعتبرون أن لقب اليهود مقترن بما لقوه فى السبى وبعد السبى من هوان وخضوع للأمم الأخرى ، ومن خراب بعد ذلك قضى على أمتهم وشرد البقية الباقية منهم فى كل أنحاء الأرض ، فهم يهيمون فيها على وجوههم. غرباء تائهين محتقرين .

٢ ـ اختلاط السلالة اليهودية بالسلالات الوثنية

وقد كان من العوامل التى أثرت فى اليهود الأوائل وسلالتهم. تأثيرا عظيما ، اختلاطهم بعدد كبير من الشعوب والسلالات الوثنية التى أقامت معهم أو أحاطت بهم أو سيطرت عليهم طوال تاريخهم ، واتخاذهم زوجات من تلك الشعوب والسلالات امتزج فى أبنائهن الدم اليهودى بدم كثير من الأجناس الأخرى . ومن ثم امتزجت فى أولئك الأبناء الذين كانوا يمثلون الأمة اليهودية عناصر عديدة من طبائع تلك الأجناس وأديانها وأخلاقها وتقاليدها وعاداتها . ومن ثم لم يكن الدم اليهودى فى أغلب مراحل تاريخ الأمة اليهودية دما خالصا ، بل كان خليطا ، وكان أسوأ خليط .

ففيما عدا الآباء الثلاثة الأوائل لليهود وهم ابراهيم واسحق

ويعقوب الذين اتخذوا زوجات آراميات من جنسهم ، نجد أسفار التوراة زاخرة بعد عهد أولئك الثلاثة بأخبار زواج اليهود من نساء الأمم الوثنية المختلفة ٠ فقد تزوج ابراهيم من أخته سارة ، اذ جاء فى سفر التكوين « وقال ابراهيم عن سارة ٠٠ هى أختى ابنة أبى ، غير أنها ليست ابنة أمى فصارت لى زوجة » (التكوين ٢٠ : ٢و١٢) ٠ وتزوج اسحق من رفقة ابنة ابن عمه بتوئيل بن ناحور الآرامى ، اذ جاء فى سفر التكوين « وكان اسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة ، رفقة بنت بتوئيل الآرامى » (التكوين ١٥ : ٢٠) ٠ وتزوج يعقوب من ليئة وراحيل ابنتى خاله لابان الآرامى (التكوين ٢٨ ـ ٣١) ٠

فاذا انتقلنا بعد ذلك من يعقوب ـ الذى هو اسرائيل ـ الى أبنائه ، نجد أن ابنه يهوذا تزوج من امرأة كنعانية وثنية ، اذ جاء فى سفر التكوين « ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعانى اسمه شوع فأخذها ودخل عليها ، فحبلت وولدت ابنا ودعا اسمه عيرا ، ثم حبلت أيضا وولدت ابنا ودعا اسمه أونان ، ثم عادت فولدت أيضا ابنا ودعت اسمه شيله ٠٠ » ٠٠ (التكوين ٣٨ : ٢ ـ ٥) ٠ وتزوج يوسف من امرأة مصرية هى ابنة كاهن أون التى هى عين شمس ، اذ جاء فى سفر التكوين « ودعا فرعون اسم يوسف صفنات فعنيح ، وأعطاه أسنات بنت فوطى فارع كاهن أون زوجة ٠٠ وولد ليوسف ابنان ٠٠ ولدتهما له أسنات ٠٠ودعا اسم البكر منسى ٠٠ ودعا اسم الثانى أفرايم » (التكوين ١ : ٤٥ و ٥٠ ـ ٥٢) ٠ وقد كان كل من منسى وأفرايم رأس سبط من أسباط اليهود الاثنى عشر ٠ ولم تذكر لنا التوراة شيئا عن زواج أبناء يعقوب الباقين ٠ بيد أن الراجح أن أغلبهم تزوج من نساء غير يهوديات ٠ كما أن الراجح أن اليهود طوال

اقامتهم في مصر لمدة اربعمائة وثلاثين عاما قد اختلطوا بالمصريين، وتزوجوا من بناتهم وعبدوا معبوداتهم ، حتى اذا ظهر موسى، ليتزعمهم ويخرجهم من مصر ، نجد أنه تزوج من امرأة مديانية وثنية تدعى صفورة ، اذ جاء في سفر الخروج ، وكان لكاهن مديان سبع بنات .. فأعطى موسى صفورة ابنته » (الخروج ٢ : ١٦ و ٢١) . وكان المديانيون وثنيين يقيمون في أرض مديان التي كانت تمتد من خليج العقبة الى أرض موآب .

وقد حذر الله اليهود مرارا — منذ أن كانوا في صحراء سيناء من أن يتزوجوا من الوثنيين . ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج اذ قال لهم « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين، واليبوسيين .. احترز من أن .. تأخذ من بناتهم لبنيك فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن » (الخروج ٣٤ : ١١ — ١٦) . وقال لهم « متى أتى بك الرب الهك الى الأرض التي أنت داخل اليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك .. لا تصاهرهم . بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك ، لأنه يرد ابنك من ورائي ليعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعا » (التثنيه ٧ : ١ —) . وجاء في سفر يشوع « اذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب الباقين معكم ، وصاهرتموهم ودخلتم اليهم وهم اليكم ، فاعلموا يقينا أن الرب الهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم وشوكا في أعينكم حتى تبيدوا » (يشوع ٢٣ : ١٢ و ١٣) . ولذلك فان مريم أخت موسى وهارون أخاه راحا يعيبان عليه أنه تزوج من امرأة كوشية ، أي حبشية ، اذ جاء في سفر العدد « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها ، لأنه كان

قد اتخذ امرأة كوشية » (العدد ١٢ : ١) وعلى ذلك فان اليهود ما بلغوا في رحلتهم أرض موآب حتى تزوجوا من بنات الموآبيين الوثنيين ، اذ جاء فى سفر العدد « وأقام اسرائيـــل فى شطيم ، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب ، فدعون الشعب الى ذبائح آلهتهن ، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن ، وتعلق اسرائيل ببعل فغور • فحمى غضب الرب على اسرائيل ، فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس » (العـــدد ٢٥ : ١ ـ ٤) • وقد حارب موسى المديانيين وأوصى اليهود قائلا « اقتلوا كل ذكر من الأطفال • وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها • لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيات •• وكان النهب فضلة الغنيمة •• من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر •• اثنين وثلاثين ألفا » (العدد ٣١ : ١٧ و ١٨ و ٣٢ و ٣٥) • وهكذا نجد أن اليهود أسروا اثنتين وثلاثين ألفا من المديانيات الأبكار الوثنيات واتخذوهن لأنفسهم • وقد وردت فى سفر التثنية قاعدة الشريعة بالنسبة لزواج اليهود من السبايا ، اذ جـــاء فيه « إذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب الهك الى يدك وسبيت منهم سبيا ورأيت فى السبى امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة ، فحين تدخلها الى بيتك تحلق رأسها وتقلم أظفارها وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد فى بيتك وتبكى أباها وأمهـــا شهرا من الزمان • ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة » (التثنية ٢١ : ١٠ ـ ١٣) • وقد اغتصب اليهـــود أرض كنعان من الشعوب الوثنية التى كانت تملكها ، وهى التى وردت فى التوراة باســـم الحثيين والأموريين والكنعـــانيين والفرزيين والجرجاشيين والحويين واليبوسيين •• وكان الحثيون من آسيا الصغرى حيث كانت لهم دولة عظيمة السطوة • أمـــا الأموريون فقد نزحوا من جنوب غربى آسيا وأقاموا فى سوريا

وفلسطين . وقد استولوا فى وقت من الأوقات على بابل . وكان من ملوكهم حمورابى • وأما الكنعانيون فهم نسل كنعــان بن حام ، وقد وفدوا من شواطىء الخليج الفارسى واحتلوا بعــض أراضى سوريا وفلسطين ، وأما الفرزيون والجرجاشيون والحويون واليبوسيون ، فكانوا معدودين من الكنعانيين ، وان كان ثمـة اختلاف فى العنصر يميز كل شعب منهم من حيث النشأة والديانة والتقاليد ، كما احتل الساحل الغربى شعب يسمى بالفلسطينيين وهم قوم من أصل يونانى نزحوا الى فلسطين من جزيرة كريت ، وقد اتخذت البلاد فيما بعد اسمها من اسمهم • بيد أن اليهود لم يستطيعوا القضاء على هذه الشعوب قضاء تاما ، اذ جاء فى سفر القضاة مثلا « وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادى لأن لهم مركبات حديد •• وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون مع بنى بنيامين فى أورشليم الى هذا اليوم •• ولم يطرد منسى أهل بيت شان وقراها ولا أهل تعنك وقراها ولا سكان دور وقراها ولا سكان يلبعام وقراها ولا سكان مجدو وقراها ، فعزم الكنعانيون على السكن فى تلك الأرض •• وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين فى جازر فسكن الكنعانيون فى وسطه فى جازر •• زبولون لم يطرد سكان قطرون ولا سكان نهلول فسكن الكنعانيون فى وســطه •• ولم يطرد اشير سكان عكو ولا سكان صيدون وأحلب وأكزيب وحلبة وأفيق ورحوب • فسكن الاشيريون فى وسط الكنعانيين سـكان الارض لأنهم لم يطردوهم • ونفتالى لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة ، بل سكن فى وسط الكنعانيين سكان الأرض •• وحصر الأموريون بنى دان فى الجبــل لأنهم لم يدعـــوهم ينزلون الى الوادى ، فعزم الأموريون على السكن فى جبل حارس فى أيلون وفى شعلبيم •• وكان تخم الأموريين من عقبة عقربيم من سالع فصاعدا » (القضاة ١ : ١٩ ـ ٣٦) •• « فهؤلاء هم

الأمم الــذين تركهم الرب ليمتحن بهم اسرائيل : أقطــاب الفلسطينيين الخمسة ، وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون الى مدخل حماة » (القضاة ٣ : ١ ــ ٣) ٠ وقد كان من نتيجة ذلك أن اليهود اختلطوا بهذه الشعوب الوثنية التى ظلت تعيش بينهم ، وصاهروها فزوجـوا بنيهم من بناتها وزوجوا بناتهم من بنيها ، كما صاهروا الشعوب الوثنية القريبة منهم ولا سيما المديانيين والأدوميين والموآبيين والعمونيين ٠ وكان الأثر المباشر لذلك أن اليهود الذين تزوجوا وثنيات عبدوا آلهة أولئك الوثنيات ، وأن اليهــوديات اللاتى تزوجن وثنيين عبدوا آلهة أولئك الوثنيين ، ومن ثم جاء فى سفر القضاة » فسكن بنو اسرائيل فى وســـط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء ، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم ، فعمــل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب ونســوا الرب الههم وعبدوا البعليم والسوارى » (القضاة ٣ : ٥ ــ ٧) ٠

وطوال عهد حكام اليهود الأولين والمعروفين فى التوراة بالقضاة ظل اليهود يصاهرون الوثنيين ٠ وكان القضاة أنفسهم يفعلون ذلك ، اذ جاء فى سفر القضاة « ومات يفتاح الجلعادى ٠٠ وقضى بعده لاسرائيل أبصان من بيت لحم وكان له ثلاثون ابنا وثلاثون ابنة أرسلهن الى الخارج وأتى من الخارج بثلاثين ابنة لبنيه » (القضاة ١٢ : ٧ ــ ٩) ٠ وقد تزوج شمشون أحد قضاة اليهود من احدى بنات الفلسطينيين ، اذ جاء فى سفر القضاة « ونزل شمشون الى تمنة ورأى امرأة فى تمنة من بنات الفلسطينيين ، فصعد وأخبر أباه وأمه وقال قد رأيت امرأة فى تمنة من بنات الفلسطينيين ، فالآن خذاها لى امرأة ٠ فقال له أبوه وأمه أليس فى بنات اخوتك وفى كل شعبى امــرأة حتى أنك ذاهب لتأخــذ امــرأة من الفلسطينيين الغلف ؟ فقال شمشون لأبيه اياها خذ لى زوجة ٠٠

فنزل شمشون وأبوه وأمه الى تمنه » (القضاة ١٤ : ١ ــ ٥) ٠ كما أحب شمشون بعد ذلك امرأة فلسطينية أخرى اسمها دليلة، وقد خانته وسلمته للفلسطينيين فاستعبدوه وأذلوه ، اذ جـــاء في سفر القضاة « وكان بعـــد ذلك انه أحب امرأة في وادى سورق اسمها دليلة ، فصعد اليها أقطـــاب الفلسطينيين وقالوا لها تملقيه وأنظرى بماذا قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه لكى نوثقه لاذلاله ٠٠ ولمـا رأت دليلة أنه قد أخبرها بكل ما بقلبه أرسلت فدعت أقطـاب الفلسطينيين فأخـــذه ٠٠ الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا بـه الى غزة وأوثقوه بســـلاسل نحاس ، وكان يطحن في بيت السجن » (القضاة ١٦ : ٤ ــ ٢١) ٠ ومن أمثـلة زواج اليهـــود من الشعوب الأخرى الوثنية فى عهـــد القضاة ماورد في سفر راعوث ، اذ تزوج رجـــلان يهوديان من امرأتين موآبيتين وثنيتين ، فقد جـاء في هذا السفر « حــدث في أيام حكم القضاة أنه صـــار جوع فى الأرض ، فذهب رجل من بيت لحم يهوذا ليتغرب فى بلاد موآب هـو ومرأته وابناه ، واسم الرجل أبيمالك واسم امرأته نعمي واسما ابنيه محلون وكليون ٠٠ ومات أبيمالك رجل نعمي وبقيت هى وابناها ،فأخذا لهما امرأتين موآبيتين اسم احداهما عرفة واسم الأخرى راعوث » (راعوث ١ : ١ ــ ٤) ٠ وكانت راعوث هـــذه هى جـــدة الملك داود ، أشهر ملوك اليهود ٠

وقد ازداد زواج اليهود من الأجنبيات الوثنيات فى عهـــد ملوك اليهود ، وكان قدوتهم في ذلك هم ملوكهم ، اذ جـــاء فى سفر الملوك « وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخـــذ بنت فرعون وأتى بها الى مدينة داود ٠٠ وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موآبيات وعمونيـــات وأدوميات وصيدونيات وحثيـــات من الأمم الذين قـــال عنهم الرب لبنى

اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لايدخلون اليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ٠ وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى ٠٠ وكان فى زمان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهه أخرى ٠٠ فذهب سليمان وراء عشتورت الهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ٠٠ حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين ٠٠ ولمولك رجس بنى عمون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن » (الملوك الأول ٣ : ١ ، ١١ : ١ ـ ٨) ٠ وقد أنجب سليمان ابنه رحبعام الذى خلفه فى الملك من امرأة عمونية ، اذ جاء فى سفر الملوك « واما رحبعام بن سليمان فملك فى يهوذا ٠٠ واسم أمه نعمة العمونية » (الملوك الأول ١٤ : ٢١) ٠ وجاء فى هذا السفر « ملك آخاب بن عمرى على اسرائيل فى السامرة ٠٠ وعمل آخاب بن عمرى الشر فى عينى الرب أكثر من جميع الذين قبله ٠٠ وكأنه كان أمرا زهيدا سلوكه فى خطايا يربعام بن نباط حتى اتخذ ايزابيل ابنة أثبعل ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له » (الملوك الأول ١٦ : ٢٩ ـ ٣١)٠ وكانت ايزابيل الصيدونية الوثنية هذه هى أم يهورام ملك اسرائيل (الملوك الثانى ٣ : ١ و ٢) وقد تزوج يهورام ملك يهوذا من ابنة ايزابيل (الملوك الثانى ٨ : ١٦ ـ ١٨) ٠ وكان أخزيا ملك يهوذا هو ابن عثليا ابنة ايزابيل (الملوك الثانى ٨ : ٢٥ ـ ٢٧) ٠

ثم جاء الأشوريون والبابليون وساقوا أغلب اليهود أسرى فى السبى وشتتوهم فى كل أنحاء البلاد الأشورية والبابلية ٠ وقد هرب عدد منهم الى مصر ، وبقى عدد ضئيل من الفقراء المعدمين فى السامرة ٠ ومن ثم اختلط اليهود المسبيون بالأشوريين والبابليين وعاشوا بينهم وتزوجوا منهم ، واختلط الذين هربوا

الى مصر بالمصريين وتزوجوا منهم ، واما الذين بقوا فى السامرة فاختلطوا بالشعوب الوثنية التى جـاء بها ملك أشـور لتقيم في السامرة بدل اليهود الذين سباهم ، وتزوجوا من نساء تلك الشعوب وعبدوا آلهتها ، اذ جـاء فى سفر الملوك « وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحمـاة وسفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضا عن بنى اسرائيل • فامتلكوا السـامرة وسكنوا فى مدنها ، وكان فى ابتداء سكنهم هناك أنهم لم يتقوا الرب فأرسل الرب عليهم السباع فكانت تقتل منهم ، فكلموا ملك أشور قائلين ان الأمم الذين سبيتهم وأسكنتهم فى مدن السامرة لايعرفون قضاء اله الأرض فأرسل عليهم السـباع فهى تقتلهم لأنهم لا يعرفون قضاء اله الارض فأمر مـلك أشـور قائـلا ابعثوا الى هنـاك واحدا من الكهنة الذين سبيتموهم من هنـاك فيذهب ويسكن هناك ويعلمهم قضاء اله الأرض ، فأتى واحـد من الكهنة الذين سبوهم من السـامرة ، وسكن فى بيت ايل وعلمهم كيف يتقون الرب ، فكانت كل أمـة تعمل آلهتهـا ، ووضعوها فى بيوت المرتفعات التى عملها السامريون ، كل أمة فى مدنها التى سكنت فيها • فعمل أهـل بابل سكوت بنوت • وأهل كوث عملوا نرجل وأهل حماة عملوا أشـيما والعويون عملوا نبحز وترتاق والسفروايميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملـك وعنملك الهى سفروايم •• كانوا يتقون الـرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين سبوهم من بينهم • الى هـذا اليوم يعملون كعاداتهم الأولى • لايتقون الرب ولا يعملون حسب فرائضهم وعوائدهم ولا حسب الشريعة والوصية التى أمر بها الرب بنى يعقوب الذى جعل اسمه اسرائيل وقطع الرب معهم عهـدا وأمرهم قائـلا لا تتقوا آلهة أخرى ولاتسجدوا لهـا ولاتعبدوها •• فلم يسمعوا بل عملوا حسب عادتهم الأولى ••

فكما عمل آباؤهم هكذا هم عاملون الى هـــذا اليوم » (الملوك الثاني ١٧ : ٢٤ ـ ٤٠) ٠

وحين سمح قورش ملك الفرس لليهود بأن يعودوا الى بلادهم لم يقبل العودة منهم الا عدد قليل يكاد يقتصر على بعض أبناء سبط يهوذا وسبط بنيامين وبعض الكهنة والـــلاويين ، وكان تمدادهم كما جاء في سفر عزرا اثنين واربعـين ألفا وثلاثمائة وستون شخصا (عزرا ٢ : ٦٤) ٠ في حين أن عـــدد اليهود كان في آخر تعداد أجراه المــلك داود هــو مليون وخمسمائة وسبعون ألف رجل صالح للحرب ٠ ولم يكن يدخل في هــــذا العدد أبناء سبطي لاوى وبنيامين ، كما لم يكن يدخل فيه النساء والأطفال والشـــيوخ (أخبار الأيام الاول ٢١ : ٥و٦) ٠ ومن ثم كان العدد الاجمالي لليهود في ذلك الحين يبلغ نحو الثـلاثة ملايين ، أى أن الذين قبلوا العودة من بابل وأشور الى فلسطين لم يزد على نحو واحـد ونصف في المائة من عـدد الذين رفضوا العودة لأنهم تزوجوا من بنات البابليين والأشوريين واستقر بهم المقام في بلاد زوجاتهم ٠ وحتى الذين عـــادوا الى فلسطين من اليهود استمروا بعد ذلك يتزوجون من بنات الشـعوب الأخرى الوثنية ، اذ يقول عزرا الذى تزعم اليهود العائدين « تقدم الى الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب اسرائيل والكهنة واللاويون من شـــعوب الأراضى حسب رجاســـاتهم من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوســـيين والعمونيـين والموآبيـين والمصريـين والأموريين ، لأنهم اتخذوا من بناتهم لانفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الاراضى ، وكانت يد الرؤساء والولاة في هذه الخيانة أولا ٠٠ فوجد بين بنى الكهنة من اتخذ نســاء غريبة » (عزرا ٩ : ١ و ٢ ، ١٠ : ١٨) ٠ ويقول نحميا الذى تزعم اليهود بعد ذلك « في تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء اشدوديات وعمونيات وموآبيات ، ونصـف كلام

بنيهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب ٠٠ وكان واحد من بنى يوياداع ابن الياشيب الكاهن العظيم صهرا لسنبلط الحورونى » (نحميا ١٣ : ٢٣ و ٢٤ و ٢٨) ٠

ثم حين خضع اليهود بعد ذلك لليونان اختلطوا بهم وعشق كثيرون منهم ديانتهم واتبعوا عاداتهم وتقاليدهم ، ولابد أنهم كذلك صاهروهم ، اذ جاء فى سفر المكابيين « كتب الملك أنطيوخوس الى مملكته كلها بأن يكونوا جميعهم شعبا واحدا ويتركوا كل واحد سنته ، فأذعنت الأمم بأسرها لكلام الملك ، وكثيرون من اسرائيل ارتضوا دينه وذبحوا للأصنام ٠٠ وأنفذ الملك كتبا على أيدى رسل الى أورشليم ومدن يهوذا ان يتبعوا سنن الاجانب ٠٠ حتى ينسوا الشريعة ويغيروا جميع الأحكام٠٠ فانضم اليهم كثيرون من الشعب » (المكابيين الأول ١ : ٤٣ـ٥٦) وجاء فيه « وكان أنه بعد وفاة سيليوكوس واستيلاء أنطيوخوس الملقب بالشهير على الملك طمع ياسون أخو أدونيا فى الكهنوت الأعظم ٠٠ فأجابه الملك الى ذلك ، فتقلد الرئاسة وما لبث أن حرض شعبه الى عادات الأمم ٠٠ وأبطل رسوم الشريعة وأدخل سننا تخالف الشريعة ٠٠ فتمكن الميل الى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الأجانب بشدة فجور ياسون الذى هو كافر لا كاهن أعظم ، حتى أن الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح واستهانوا بالهيكل ٠٠ وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ، ويتنافسون بمفاخرة اليونان » (المكابيين الثانى : ٧ ـ ١١)٠ وهكذا اختلط دم اليهود فى كل عصورهم بدم الشعوب الاخرى من كل جنس ، وعبدوا الآلهة الوثنية لتلك الشعوب ، على الرغم من تشدقهم الدائم بأنهم « أبناء ابراهيم » (يوحنا ٨ : ٣٩) ، وبأنهم « الزرع المقدس » (عزرا ٩ : ٢) ، وبأنهم « شعب الله المختار » (اشعياء ٤٣ : ٢٠) ٠

٣ ـ أسباط اليهود

وعلى الرغم من أن اليهود كانوا في الأصل من نسل رجل واحد وهو ابراهيم ، وكانوا فى كل أطوار تاريخهم يبدون للشعوب الأخرى فى هيئة شعب واحد ، الا أنهم ظلوا منذ عهد أبيهم المباشر يعقوب الذى هو اسرائيل منقسمين فيما بينهم الى اثنى عشر سبطا • والسبط كلمة عبرانية معناها جماعة تحت رئاسة رجل واحد • وكان كل سبط من أسباط اليهود يمثل نسل واحد من أبناء يعقوب الاثنى عشر • وكان هؤلاء الأبناء هم رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون ودان ونفتالى وجاد وأشير ويوسف وبنيامين • وكان يوسف قد أنجب ولدين فى مصر هما أفرايم ومنسى ، فاعتبرهما يعقوب ولديه ، وأصبح لكل منهما سبط على اسمه معدود من أسباط اليهود • ومن ثم لم يكن هناك سبط باسم يوسف أبيهما • كما أن الله أوصى بأن يكون سبط لاوى مخصصا للخدمة الدينية ، فلم يكن معدودا من الأسباط الاثنى عشر حين قام يشوع بتقسيم الأرض التى استولى عليها فى بلاد فلسطين ، وانما انتشر هذا السبط فى كل أنصبة الأسباط الأخرى لاداء الخدمة الدينية بين جميع الاسباط • وقد ظل كل سبط من أسباط اليهود منذ عهد يعقوب متميزا عن غيره من الأسباط كأنه قبيلة مستقلة ، وله رؤساؤه وعصبيته وتقاليده المميزة له ، وقد استمر ذلك طوال اقامة اليهود فى مصر ، ثم خلال رحلتهم فى صحراء سيناء ، ثم حين اغتصبوا أرض فلسطين ، واقتسموها بينهم حسب أسباطهم ، ثم فى عهد القضاة وفى عهد الملوك وفى عهد السبى • وكان الانفصال بين الأسباط قويا واضحا على الدوام فلم تبدأ تضعف حدته الا منذ عودة اليهود الى فلسطين من السبى حتى خراب مملكتهم فى منتصف القرن الأول الميلادى ، وان كان الانتساب الى الاسباط ظل قائما فى انساب اليهود حتى نهاية تاريخهم •

ويبدو التمييز بين الأسباط في التوراة منذ خروج اليهود من مصر بزعامة موسى ، اذ ورد في سفر الخروج بيان بأسماء « رؤساء بيوت آبائهم » (الخروج ٦ : ١٤ ـ ٢٧) . ثم جاء في هذا السفر « فكتب موسى جميع أقوال الرب ، وبكر في الصباح وبني مذبحا في أسفل الجبل واثنى عشر عمودا لأسباط اسرائيل الاثنى عشر » (الخروج ٢٤ : ٤) . وجاء فيه حين وصف الله لموسى كيفية صناعة ملابس رئيس الكهنة قوله « وتصنع صدرة قضاء .. وترصع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة . صف عقيق أحمر ، وياقوت أصفر وزمرد . الصف الأول . والصف الثاني بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث عين الهر ويشم وجمشت . والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب . وتكون الحجارة على أسماء بني اسرائيل ، اثنى عشر على أسمائهم .. تكون للاثنى عشر سبطا » (الخروج ٢٨ : ١٥ ـ ٢١) ، وجاء فيه « كلم الرب موسى في برية سيناء .. في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر .. احصوا كل جماعة بني اسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم .. تحسبهم أنت وهارون .. ويكون معكما رجل لكل سبط . رجل هو رأس لبيت آبائه . وهذه أسماء الرجال الذين يقفون معكما : لرأوبين اليصور .. لشمعون شلوميئيل .. ليهوذا نحشون .. ليساكر نثنائيل .. لزبولون آلياب .. لأفرايم آليشع .. لمنسى جمليئيل .. لبنيامين أبيدف ... لدان أخيعزر .. لأشير فجعيئيل .. لجاد الياساف .. لنفتالى أخيرع .. هؤلاء هم مشاهير الجماعة رؤساء أسباط آبائهم .. وينزل بنو اسرائيل كل منهم في محلته وكل عند رايته بأجنادهم » (العدد ١ : ١ ـ ١٧) . ثم ورد بعد ذلك تعداد كل سبط من الأسباط مستقلا عن غيره ، ماعدا سبط لاوى فقد جاء عنه « أما اللاويون حسب سبط آبائهم فلم يعدوا بينهم ، اذ كلم الرب

موسى قائلا « أما سبط لاوى فــلا تحسبه ولا تعــده بين بنى اسرائيل ٠٠ بل وكل اللاويين على مسكن الشــهادة وعلى جميع أمتعته ٠٠ فيحفظ اللاويون شعائر مسكن الشهادة » (العدد ١ : ٢٠ ـ ٥٣) ٠ وقد حدد الله لكل سبط من أسباط اليهود مكانا معينا يقيم فيه عند اقامتهم ، وترتيبا معينا يلتزمه عند رحيلهم ، وراية معينة تميزه عن غيره من الأسباط ، اذ جاء في سفر العدد « وكلم الرب موسى وهارون قائلا ينزل بنواسرائيل كل عند رايته بأعلام لبيوت آبائهم ٠ قبالة خيمة الاجتماع حـولها ينزلون ٠ فالنازلون الى الشرق نحو الشروق راية محلة يهوذا ٠٠ والنازلون معه سبط يساكر ٠٠ وسبط زبولون ٠٠ يرتحلون أولا ٠٠٠ وراية محلة رأوبين الى اليمين ٠٠ والنازلون من سبط شمعون ٠٠ وسبط جاد ٠٠ يرتحلون ثانية ٠٠ ثم ترتحل خيمة الاجتماع ٠ محلة اللاويين في وسط المحلات ٠ كما ينزلون كذلك يرتحلون ٠ كل في موضعه براياتهم ٠٠ راية محلة أفرايم حسب أجنــادهم الى الغرب ٠٠ ومعه سبط منسى ٠٠ وسبط بنيامين ٠٠ يرتحلون ثالثة ٠٠ راية محلة دان الى الشمال ٠ والنازلون معه ســبط أشير ٠٠ وسبط نفتالى ٠٠ يرتحلون أخيرا براياتهم ٠٠ ففعل بنواسرائيل حسب كل ما أمر به الرب موسى ٠ هــكذا نزلوا براياتهم وهكذا ارتحلوا كل حسب عشــائره مع بيت آبائه » (العدد ٢ : ١ ـ ٣٤) ٠ كما جاء في سفر العدد « ثم كلم الرب موسى قائلا أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان ٠٠ رجلا واحدا لكل سبط من آبائه ترسلهم ٠ كل واحد رئيس فيهم » (العــدد ١٣ : ١ و ٢) ٠ وحين استولى اليهود على فلسطين تم تقسيمهــا بالقرعة بين أسباطهم فنال كل سبط نصيبه حسب تعداده ، اذ جاء في سفر العدد « ثم كلم الرب موسى قائلا » لهؤلاء تقســم الأرض نصيبا على عدد الأسماء ٠ الكثير تكثر له نصيبه والقليل تقلل له نصيبه ٠٠ كل واحد (من الأسباط) حسب المعدودين

منه » (العدد ٢٦ : ٥٢ ـ ٥٤) ـ « وكلم الرب موسى قائـلا « هذه أسماء الرجلين اللذين يقسمان لكم الأرض : العازار الكاهن ويشوع بن نون ورئيسا واحدا من كل سبط » (العدد ٣٤ : ١٦ ـ ١٨) · وقد أمر الله بأن يحتفظ كل سبط بنصيب « فلا يتحول نصيب لبنى اسرائيل من سبط الى سبط ، بل يـلازم بنواسرائيل كل واحد نصيب سـبط آبائه · وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها لكى يرث بنواسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بنى اسرائيل كل واحد نصيبه » (العدد ٣٦ : ٧ ـ ٩) · ويتضح لنا من ذلك مدى استقلال كل سبط من أسباط اليهود عن الأسباط الأخرى وانفصاله عنها بصورة ثابتة لا يجوز أن تتغير ، وكأنها قبائل متباينة الأجناس ، أو ولايات تتمتع كل منها باستقلالها الذاتى · وحين عبر اليهود نهر الأردن لاغتصاب أرض فلسطين بقيادة يشوع بن نون كانوا يراعون تمثيل الأسـباط فى كل خطوة يخطونها ·· ومن ذلك أنه جـاء فى سفر يشوع « وكان لما انتهى جميع الشعب من عبور الأردن أن الرب كلم يشـوع قائلا انتخبوا من الشعب اثنى عشر رجلا · رجلا واحدا من كل سبط وأمروهم قائلين احملوا من وسط الأردن ، من موقف أرجل الكهنة راسخة اثنى عشر حجرا وعبروها معكم ·· فتكون هذه الحجارة تذكارا لبنى اسرائيل الى الدهر » (يشوع ٤ : ١ ـ ٧) وحين خالف أحد اليهود أمر الله فيما يتعلق بالغنائم التى أخذوها من مدينة عاى ، جاء فى سفر يشوع « قال الرب ليشوع ·· فى وسطك حرام يـا اسرائيل ·· فتتقدمون فى الغـد بأسباطكم ويكون أن السبط الذى يأخذه الرب يتقدم بعشائره ، والعشيرة التى يأخذها الرب تتقدم ببيوتها ، والبيت الذى يأخذه الرب يتقدم برجاله · ويكون المأخوذ بالحرام يحرق بالنار » (يشوع ٧ : ١٠ و ١٤ و ١٥) ·

وحين كان اليهود يخرجون للحرب ، لم يكن لهم جيش واحد ، وانما كان كل سبط يرسل عددا من رجاله للقتال ، اذ جـــاء في سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلا انتقم نقمة لبني اسرائيل من المديانيين ، فكلم موسى الشعب قائلا جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا على مديان •• ألفا واحدا من كل سبط من جميع أسباط اسرائيل ترسلون للحرب » (العدد ٣١ : ١ ـ ٤) • وربما انفرد سبط واحد ، أو تحالف اثنان أو أكثر من الأسباط دون الباقين في محاربة الشعوب الأخرى • ومن ذلك ماورد في سفر القضاة ، اذ جاء فيه « وكان بعد موت يشوع أن بني اسرائيل سألوا الرب قائلين من منا يصعد الى الكنعانيين أولا لمحاربتهم ، فقال الرب (سبط) يهوذا يصعد •• فقال يهوذا لشمعون (أى لســـبط شمعون) أخيه اصعد معي في قرعتي لكى تحارب الكنعانيين ، فأصعد أنا أيضا معك في قرعتــك ، فذهب شمعون معــه » • (القضاة ١ : ١ ــ ٣) • وجاء فيه « وحارب بنويهوذا أورشليم وأخذوها وحرموها بحد السيف •• وبعــد ذلك نزل بنويهوذا لمحاربة الكنعانيين » (القضاة ١ : ٨ و ٩) • وجاء فيه « وصعد بيت يوسف أيضا الى بيت ايل •• فضربوا المدينة بحد السيف » (القضاة ١ : ٢٢ و ٢٥) وجاء فيه « ودعـــا باراق (سبط) زبولون و (سبط) نفتالى الى قادش وصـعد معــه عشرة آلاف رجل •• فـــأذل الله في ذلك اليوم يابين ملك كنعان أمـــام بنياسرائيل » (القضاة ٤ : ١٠ و ٢٣) • وجاء فيه « واجتمع جميع المديانيين والعمالقة وبنى المشرق معا •• ولبس روح الرب جدعون •• وأرسل رسلا الى جميع (سبط) منسى •• وأرسل رسلا الى (سبط) أشير و (سبط) زبولون و (سبط) نفتالى فصعدوا للقائهم » (القضاة ٦ : ٣٣ ــ ٣٥) •

وكان يحدث أن تنشب الحرب بين بعض أســـباط اليهود

وبعضها الآخر ، أو بين ســـبط وســـبط · ومن ذلك ما ورد فى التوراة من أن سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسى كان نصيبهم من الأرض يقع شرقى الأردن ، فبنوا لانفسهم مذبحا مستقلا غير المذبح الذى أقامه سائر اليهود فى شيلوه ، ومن ثم جـاء فى ســـفر يشوع « ولمـا سمع بنواسرائيل اجتمعت كـل جماعة بنى اسرائيل فى شيلوه لكى يصـــعدوا اليهم للحرب ». (يشوع ٢٢ : ١٢) · وجاء فى سفر القضاة « واجتمع رجال (سبط) أفرايم ·· وقالوا ليفتاح لمـــاذا عبرت لمحاربة بنى عمون ولم تدعنا للذهاب معك ؟ نحرق بيتك عليك بالنار ··· وجمع يفتاح كل رجال جلعاد وحارب (سبط) أفرايم · فضرب رجال جلعاد أفرايم ·· فسقط فى ذلك الوقت من أفرايم اثنان وأربعون ألفا » (القضاة ١٢ : ١ ــ ٦) · وقد حدث ان رجال سبط بنيامين ارتكبوا أمرا أغضب كل أســباط اليهود الأخرى ، فأعلنت كلها الحرب على سبط بنيامين ، وأبادت رجاله جميعا ، فلم يفلت منهم الا ستمائة رجل ، اذ جاء فى سفر القضاة « فخرج جميع بنى اسرائيل واجتمعت الجماعة كرجل واحد من دان الى بئرسبع ·· فخرج بنو بنيامين من جبعة وأهلكوا من اسرائيل فى ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل ·· وتشـــدد الشعب رجال اسرائيل وعادوا فأصطفوا للحرب فخرج بنيامين للقائهم من جبعة فى اليوم الثانى وأهلك من بنى اسرائيل أيضا ثمانية عشر ألف رجل ·· وصـــعد بنو اسرائيل على بنى بنيامين فى اليوم الثالث ·· وأهلك بنو اسرائيل من بنيامين فى ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف رجل ومائة رجـــل ·· وهرب رجـــال بنيامين برعدة ·· فحاوطوا بنيامين ·· فسقط من بنيامين ثمانية عشر ألف رجـــل ·· فداروا وهربوا الى البرية الى صخرة رمون ، فالتقطوا منهم فى السكك خمسة آلاف رجل وشدوا وراءهم الى جدعون وقتلوا منهم ألفى رجـــل · وكان جميع الساقطين من

بنيامين خمسة وعشرين ألف رجل ·· ودار وهرب الى البرية الى صخرة رمون ستمائة رجل ·· ورجع رجال بني اسرائيل الى بني بنيامين وضربوهم بحد السيف من المدينة بأسرها » (القضاة ٢٠ : ١ ـ ٤٨) ·

ثم لم تلبث أسباط اليهود فى عهد الملوك أن انقسمت على بعضها فتكونت من سبطى يهوذا وبنيامين مملكة « يهوذا » وتكونت من باقى الأسباط « مملكة اسرائيل » ، وكانت الحرب لا تفتأ تنشب بين المملكتين · وربما تحالفت احداهما ضد الأخرى مع احدى الممالك الوثنية ، اذ جاء فى سفر الملوك « لما سمع جميع اسرائيل بأن يربعام قد رجع أرسلوا فدعوه الى الجماعة وملكوه على جميع اسرائيل · لم يتبع بيت داود الاسبط يهوذا وحده · ولما جاء رحبعام الى أورشليم جمع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين مائة وثمانين ألف مختار محارب ليحاربوا بيت اسرائيل ويردوا المملكة لرحبعام بن سليمان » (الملوك الأول ١٢ : ٢٠ و ٢١) وجاء فيه « وكانت حرب بين آسا (ملك يهوذا) وبعشا ملك اسرائيل كل أيامهما · وصعد بعشا ملك اسرائيل على يهوذا وبنى الرامة لكى لا يدع أحدا يخرج أو يدخل الى آسا ملك يهوذا · وأخذ آسا جميع الفضة والذهب الباقية فى خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك ودفعها ليد عبيده وأرسلهم الملك آسا الى بنهدد ·· ملك آرام الساكن فى دمشق قائلا ··· هوذا قد أرسلت لك هدية من فضة وذهب فتعال أنقض عهدك مع بعشا ملك اسرائيل ·· فسمع بنهدد للملك آسا وأرسل رؤساء الجيوش التى له على مدن اسرائيل » (الملوك الأول ١٥ : ١٦ ـ ٢٠) · وجاء فيه « أرسل أمصيا (ملك يهوذا) رسلا الى يهواش ابن يهواحاز بن ياهو ملك اسرائيل قائلا هلم نتراء مواجهة ·· فصعد يهواش ملك اسرائيل وتراءيا مواجهة هو وأمصيا ملك يهوذا فى بيت شمس التى ليهوذا ، فانهزم يهوذا أمام اسرائيل

وهربوا كل واحد الى خيمته . وأما أمصيا ملك يهوذا ابن يهواش بن أخزيا فأمسكه يهواش ملك اسرائيل في بيت شمس وجاء الى أورشليم وهدم سور أورشليم من باب أفرايم الى باب الزاوية .. وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن بيت الملك والرهناء ورجع الى السامرة » (الملوك الثاني ١٤ : ٨ ـ ١٤) . وجاء فيه « صعد رصين ملك آرام وفقح بن رمليا ملك اسرائيل الى أورشليم للمحاربة ، فحاصروا آحاز (ملك يهوذا) .. وأرسل آحاز رسلا الى تغلت فلأسر ملك أشور قائلا أنا عبدك وابنك . اصعد خلصنى من يد ملك آرام ومن يد ملك اسرائيل .. فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن بيت الملك وأرسلها الى ملك أشور هدية ، فسمع له ملك أشور » (الملوك الثانى ١٦ : ٥ ـ ٩) .

وهكذا يتبين لنا من كل ما سلف أن اليهود على الرغم من أنهم كانوا على الدوام يزعمون أنهم شعب واحد ، ويلقبون أنفسهم جميعا ببنى اسرائيل ، ويتظاهرون بعبادة الله ، ظلوا طوال تاريخهم أسباطا منفصلة فى أملاكها وفى أخلاقها وفى تقاليدها وفى عباداتها حين كانت تعبد الآلهة الوثنية . بل لقد كانت لاتفتا العداوات والحروب والمعارك تنشب بين أسباطهم . ولم يكونوا يتورعون فى هذا السبيل عن أن يتحالف بعضهم ضد بعض مع الممالك الأخرى الأجنبية ، ومن ثم فقد كان اليهود فى كل أطوارهم شعبا مفككا مفتتا تمزقه الخلافات والمشاحنات وتطحنه العداوات والحروب .

ونورد فيما يلى كلمة موجزة عن كل سبط من أسباط اليهود ، تتضح منها ملامحه وخصائصه وأماكن اقامته وبعض الأحداث الهامة التى انفرد بها عن بقية الأسباط :

١ ـ سبط رأوبين :

كان سبط رأوبين هو سلالة رأوبين بكر يعقوب الذى أنجبه من زوجته ليئة ، وكان هذا السبط ينقسم الى أربع عشائر تنتسب الى أولاد رأوبين الأربعة : حنوك ، وفلو ، وحصرون ، وكرمى ، وكان عدد الرجال الصالحين للحرب من هذا السبط في التعداد الذى أجراه موسى في السنة الثانية بعد الخروج من مصر ٥٠٠ر٤٦ رجل . وكان عددهم فى الاحصاء الثاني الذى أجراه موسى فى السنة الثامنة والثلاثين من الخروج ٧٣٠ر٤٣ رجل . وكان نصيب سبط رأوبين من الأرض التى اغتصبها اليهود يقع شرقى الأردن والبحر الميت . وكان حده الشمالى يمتد من وادى حسبان الى حدود نصيب سبط جاد ، وحده الجنوبى وادى أرنون المسمى اليوم وادى الموجب ، وحده الشرقى كان يمتد الى الصحراء ، وحده الغربى نهر الاردن . وكانت هذه الرقعة من الأرض قد اغتصبها اليهود من الموآبيين ، وتشمل جبال موآب وجلعاد والغور وسهل البلقاء . وكانت تقع فى نصيب سبط رأوبين أربع عشرة مدينة هامة ، منها ميدبا وحشبون وديبون وباموت بعل وبيت بعل معون وبيت فغور وياصر ويهصة وقديموت وميفعة .

٢ ـ سبط شمعون :

وكان سبط شمعون هو سلالة شمعون بن يعقوب من زوجته ليئة . وكان يعقوب قد غضب عليه وتنبأ بأن نسله سيكون مشتتا بين كل أسباط اليهود . وحين بارك موسى الأسباط قبل موته لم يبارك سبط شمعون . وكان هذا السبط ينقسم الى خمس عشائر تنتسب الى أولاد شمعون الخمسة : نموئيل ، ويابين ، وياكين ، وزارح ، وشاؤل . وكان عدد الرجال الصالحين للحرب من هذا السبط فى التعداد الأول ٣٠٠ر٥٩ رجل ، وفى التعداد

الثانى ٢٢٫٢٠٠ رجل • ومن ثم أصبح أصغر الأسباط عددا ، ولم يحصلوا من الأرض المغتصبة الا على جزء من نصيب سبط يهوذا يشتمل على تسعة عشر مدينة أكثرها على شاطىء البحر جنوبى نصيب سبط دان • ثم لم يلبث سبط يهوذا أن استولى منه على بعض هذه المدن كحرمة وبئرسبع وصقلغ • وقد استطاع سبط شمعون أن يستولى فى عهد الملك حزقيا على بعض المواقع فى جبل سعير • ولم يشتهر أحد من أبناء هذا السبط خلال التاريخ المسجل فى التوراة الا يهوديت التى وردت سيرتها فى سفر يهوديت •

٣ ــ سبط جاد :

وكان سبط جاد هو سلالة جاد ابن يعقوب من زلفة جارية زوجته ليئة • وكان هذا السبط ينقسم الى سبع عشائر تنتسب الى أولاد جاد السبعة : صفون ، وحجى ، وشونى ، وأزنى ، وعيرى ، وأرود ، وأرئيل • وكان عدد الرجال الصالحين للحرب من هذا السبط فى التعداد الأول ٤٥٫٦٥٠ رجل ، وفى التعداد الثانى ٤٠٫٥٠٠ رجل ، وكان نصيب سبط جاد من الأرض المغتصبة شرقى الأردن ، وحده الشمالى نصيب نصف سبط منسى ، والجنوبى نصيب سبط رأوبين • ويشتمل هذا النصيب على الجزء الجنوبى من جبل جلعاد الممتد من اليبوق الى حشبون ، ومن حشبون الى ربة عمون شرقى وادى الاردن • كما يشتمل فى الوادى على الشاطىء الشرقى من بيت نمرة بالقرب من الطرف الشمالى للبحر الميت الى بحيرة جنيسارت التى هى بحيرة طبرية أو بحر الجليل • وقد اشتهر من هذا السبط واحد من أعظم أنبياء اليهود وهو ايليا التشبى •

٤ ـ سبط يهوذا :

وكان سبط يهوذا هو سلالة يهوذا ابن يعقوب من زوجتـــه لينة • وكان نهذا السبط ينقسم الى خمس عشائر تنسب الى : شـــيلة ، وغارص ، وزارح ، وحصرون ، وحـامول •• وكان عدد الرجال الصالحين للحرب من هـــذا السبط فى التعـــداد الأول ٧٤٠٦٠٠ر رجل ، وفى التعداد الثانى ٧٦٠٥٠٠ر رجل ، فكان أكثر الأسباط عددا وأعظمها قوة وسطوة • وكان نصيب سبط يهوذا من الأرض المغتصبة يمتد من البحر الميت شرقا الى البحر المتوسط غربا ، ومن بيت حجلة الى الجنوب الشرقى من أريحا وعين شمس وقرب بيت غســـيا الى يمين روجل ووادى بن هنوم ومياه نفتوح وقرية يعاريم وبيت شمس وثمنة وعقرون وبينيئيل ، وهى يبنة الحالية جنوبى يافا • أمـــا الحـــد الجنوبى فكان يمتد من بحر لوط الى نهر العريش • بين أن سبط يهوذا لم يتمكن من افلاك كثير من المدن الواقعة فى هـــذه المنطقة ، كغزة ، وأشدود وعقرون وأشقلون وغيرها ، لأنهـــا بقيت فى أيدى الفلسطينيين • كما أن سبط شمعون أخذ جزءا من هـــذه المنطقة التى كانت من نصيب سبط يهوذا • وقد كان الملك داود من سبط يهوذا وحين أنشقت المملكة بعد موت ابنه سليمان ظل خلفاؤه ملوكا على مملكة يهوذا ، حتى قضى البابليون عليها • وكانت مملكة يهوذا قائمة على بقعة تشمتل على نصيب ســـبط يهوذا والجزء الأكبر من أنصبة سبط بنيامين الى الشمال الشرقى ، وسبط وان ا لى الشمال الغربى ، وسبط شمعون الى الجنوب • وكانت عاصمتها أورشليم •

٥ ـ سبط يساكر :

وكان سبط يساكر هو سلالة يساكرا بن يعقوب من زوجته لينة • وكان هذا السبط ينقسم الى أربع عشـــائر تنسب الى :

تولاع ، وفوة ، وياشوب وشمرون • وكان عدد الرجال الصالحين للحرب من هذا السبط في التعداد الاول ٥٤٫٤٠٠ رجل ، وفي التعداد الثاني ٦٤٫٣٠٠ رجل • وكان سبط يساكر من الارض يشتمل على سهل يزرعيل ويمتد من جبل الكرمل الى الاردن ، ومن جبل تابور الى عين جينم • وكان يحده من الشمال نصيب سبط زبولون ، ومن الجنوب نصيب سبط منسى ، ومن الشرق جبال جلعاد • وكان في هذا النصيب ست عشرة مدينة ، منها مجدون ويزرعيل وشونم وبيت شان وعين دور وأفيق وتعنك • وكان شعب يساكر يشتغل بالزراعة • وكان اثنان من ملوك اسرائيل من هذا السبط وهما « بعشا » و « ايلة » •

٦ ـ سبط زبولون :

وكان سبط زبولون هو سلالة زبولون ابن يعقوب من زوجته ليئة • وكان هذا السبط ينقسم الى ثلاث عشائر تنتسب الى سارد وأيلون وياحليئيل • وكان عدد الرجال الصالحين للحرب من هذا السبط في التعداد الأول ٥٧٫٤٠٠ رجل • وفي التعداد الثاني ٦٠٫٥٠٠ رجل • وكان نصيب سبط زبولون يقع شمالي فلسطين الى الغرب من بحر الجليل • وكان في في حدوده جبل تابور • ولم يشتهر من هذا السبط سوى أحد قضاة اليهود وهو أيلون الزبولوني • وقد أبقى هذا السبط في نصيبه من الارض على سكانها الاصليين الوثنيين واختلط بهم وعبد آلهتهم • ولم يكن له شأن يذكر في الاحداث التي مرت باليهود في مختلف العصور •

٧ ـ سبط أفرايم :

وكان سبط أفرايم هو سلالة أفرايم بن يوسف بن يعقوب •

وكان هذا السبط ينقسم الى أربع عشائر تنتسب الى : شوتالح . وباكر ، وتاحن ، وعيران • وكان عدد الرجال الصالحين للحرب من هذا السبط في التعداد الأول ٤٠٫٥٠٠ رجل • وفي التعداد الثاني ٣٢٫٥٠٠ رجل • وكان نصيب سبط أفرايم يقع في القسم الأوسط من فلسطين الغربية ويحده من الشمال نصيب سبط منسى ، ومن الجنوب نصيب سبطي دان وبنيامين ، ومن الشرق نهر الاردن ، ومن الغرب البحر الابيض المتوسط • وكان من أهم المدن الواقعة في هذه المنطقة شكيم التي ظلت بعض الوقت عاصمة مملكة اسرائيل ، وشيلوه التي أقيمت فيها خيمة الاجتماع ، وكانت مركز العبادة الدينية لليهود في عهد القضاة ، وبيت ايل التي أصبحت مركزا دينيا في مملكة اسرائيل • ونظرا لارتفاع منطقة أفرايم كانت تسمى احيانا « جبل أفريم » • وقد كان لسبط أفرايم دور بارز في تاريخ اليهود ، ولاسيما في حربهم ضد الكنعانيين ، ولذلك استخدم بعض الانبياء اسمه للدلالة على مملكة اسرائيل كلها • ومن أشهر رجال هذا السبط صموئيل النبي ، والملك يربعام أول ملوك مملكة اسرائيل بعد انشقاقها على بيت يهوذا •

٨ ـ سبط منسى :

وكان سبط منسى هو سلالة منسى بن يوسف بن يعقوب • وكان هذا السبط ينقسم الى ثماني عشائر تنتسب الى : ماكير ، وجلعاد ، وايعزر ، وحالق ، واسريئيل ، وشكم ، وشميداع ، وحافر • وكان عدد الرجال الصالحين للحرب من هذا السبط في التعداد الاول ٣٢٫٢٠٠ رجل ، وفي التعداد الثاني ٥٢٫٧٠٠ رجل • وكان نصيب سبط منسى ينقسم الى قسمين يقع أحدهما شرقي الاردن وكان يمتد من منتصف جلعاد الى باشان وأرجوب ، أي من محنايم الى حرمون ، ومن الاردن وبحر

الجليل الى البرية السورية ، ويقع القسم الثانى غربى الاردن ، وكان يمتد من البحر المتوسط الى الاردن ومن حدود سبطى أشير ويساكر شمالا الى حدود سبط أفرايم جنوبا • وكانت لسبط منسى بعض القرى داخل أرض سبطى يساكر وأشير • وقد امتزج أبناء هذا السبط المقيمين شرقى الاردن بالشعوب الوثنية وعبدوا آلهتها • وقد اشتهر من أبناء هذا السبط جدعون الذى كان أحد قضاة اليهود •

٩ ـ سبط بنيامين :

وكان سبط بنيامين هو سلالة بنيامين ابن يعقوب من زوجته راحيل ، وكان هذا السبط ينقسم الى سبع عشائر تنتسب الى : بالع ، وأشيل ، وأحيرام ، وشفوفام ، وحوفام ، وأرد ، ونعمان• وكان عدد الرجال الصالحين للقتال من هذا السبط فى التعداد الأول ٣٥ر٤٠٠ رجل ، وفى التعداد الثانى ٤٥ر٦٠٠ رجل • وكان نصيب سبط بنيامين المنطقة الواقعة بين نصيب سبط أفرايم وسبط يهوذا ، وكان من مدنها ورشليم وخمس وعشرين مدينة أخرى • وقد حدث فى عهد القضاة ـ كما سبق أن رأينا ـ أن اتحدت جميع أسباط اليهود ضد سبط بنيامين وأفنت رجاله جميعا ، فلم يفلت من الموت الا ستمائة رجل ، بيد أن هذا السبط لم يلبث أن استعاد كيانه • وقد اختير بعد ذلك منه أول ملوك اليهود وهو شاول • ثم حين انقسمت المملكة بعد موت سليمان كان سبط بنيامين هو الوحيد الذى ظل مع سبط يهوذا فى مملكة يهوذا ، فى حين انفصلت عنه العشرة الاسباط الباقية وأقامت مملكة اسرائيل •

١٠ ـ سبط دان :

وكان سبط دان هو سلالة دان ابن يعقوب من بلهة جارية

تنتسب الى شوحام بن دان • وكان عـــدد الرجـال الصالحين للحرب من هـــذا السبط فى التعداد الاول ٦٢ر٧٠٠ رجل وفى التعداد الثانى ٦٤ر٤٠٠ رجل • وكان نصيب سبط دان يقع بين نصيب سبطى يهوذا وأفرايم من ناحية وبين نصيب ســبط بنيامين وشاطىء البحر من الناحية الاخرى • وكان هـذا النصيب أصغر أنصبة الاسباط جميعا ، ولذلك كانوا لا يفتأون يحاولون توسيع أرضهم • وقد جـــاء فى سفر القضاة أنهم استطاعوا أن يضموا اليهم منطقة تسمى لايش بعد أن قتلوا أهلهـــا الاصليين وبنوا فيها مدينة « دان » التى كانت تقع فى سفح جبل حرمون عند منابع الاردن ، فى الطرف الشمالى من بـلاد اليهود . ولذلك تتردد فى التوراة عبارة « من دان الى بئر سبع » أى من أقصى شمال البلاد الى أقصى جنوبها • وقـــد اشتهر من سبط دان شمشون الذى كان أحـــد قضاة اليهود •

١١ ــ سبط أشير :

وكان سبط أشير هو سلالة أشير ابن يعقوب من زلفـــة جـــارية زوجته ليئة • وكان هـــذا السبط ينقسم الى خمس عشائر ، تنتسب الى : يمنة ، ويشـــوى ، وبريعة ، وحابر ، وملكيئيل وكان عـــدد الرجال الصالحين للحرب من هـــذا السبط فى التعداد الأول ٤١ر٥٠٠ رجل . وفى التعداد الثانى ٥٣ر٤٠٠ رجل • وكان نصيب سبط أشير يمتد حـــده الغربى على ساحل البحر الابيض المتوسط من « دور » جنوبى الكرمل الى حدود « صيدون » وكان حـــده الشرقى يجاور نصيب سبطى زبولون ونفتالى ، وحـــده الشمالى يجاور بلاد فينيقية . وحده الجنوبى يجاور القسم الغربى من نصيب سبط منسى • بيد أن هـــذا السبط لم يستطع طرد الكنعانيين من المدن الساحلية

مثل عكا وصور وصيدون ، كما ظل جزء كبير من نصيبه فى قبضة الفينيقيين ·

١٢ ـ سبط نفتالى :

وكان سبط نفتالى هو سلالة نفتالى ابن يعقوب من بلهة جارية زوجته راحيل · وكان هـذا السبط ينقسم الى أربع عشـائر تنتسب الى : يا حصيئيل ، وجونى ، ويصير ، وشليم · وكان عدد الرجال الصالحين للحرب من هذا السبط فى التعداد الاول ٥٣٫٤٠٠ رجل ، وفى التعداد الثانى ٤٥٫٤٠٠ رجل · وكان نصيب سبط نفتالى يقع فى القسم الشمالى من فلسطين ، ويحده من الشرق نهر الاردن وبحر الجليل ، ومن الغرب نصيب سبط آشير ، ومن الجنوب نصيب سبط زبولون · وكان من مدن هذه المنطقة حاصور والرامة وقادش وأذرعى ، وبيت عناه ومجدل ايل وبيت شمس والصديم ورصين وحمة ورقه وكناره وأدامه وعين حاصور ويرأون وحوريم · ولم يستطع سبط نفتالى طرد الكنعانيين من أرضه ، ولذلك تأثر بدياناتهم الوثنية · وقـد تعرض لغارات كثيرة ولا سيما من الآراميين والاشوريين · ومن أشهر رجال هذا السبط باراق الذى كان أحد قضاة اليهود ·

* * *

أما سبط اللاويين فغير معدود من الاسـاط الاثنى عشر لليهود ، وهو سلالة لاوى ابن يعقوب من زوجته ليئة · وكان هذا السبط ينقسم الى ثلاث عشائر تنتسب الى : جرشون وقهات ومرارى · وكان عدد الذكور منهم من ابن شهر فصاعدا فى التعداد الاول ٢٢٫٢٧٣ نفسا ، وفى التعداد الثانى ٢٣٫٠٠٠ نفسا · وقد خصص الله اللاويين لخدمة المقدس ، وهو خيمة الاجتماع ، ثم هيكل أورشليم ، لأنه عندما أقام اليهود لهم عجلا ذهبيا وعبدوه فى صحراء سيناء عقب خروجهم من مصر ، لم يعد

بمحض ارادته الى عبادة الله الا اللاويون . ومن بين اللاويين خصص الله هارون وذريته ليكونوا كهنـــة يقومون بالطقوس الدينية ، بحيث لا يجوز ذلك لغيرهم . وأما باقى اللاويين فكان لهم واجبات أخرى فى خدمة خيمة الاجتماع والهيكل . فكان من واجباتهم أن يحملوا خيمة الاجتماع من مكان الى مكان حين كان اليهود فى صحراء سيناء . كما كان من واجباتهم مساعــدة الكهنة فى الخدمة والترتيل والترنيم وحراسة الاقداس . وكان منهم في زمن داود القضاة والكتبة . ولما كان الله قـــد خصص اللاويين للخدمة الدينية بين اليهود جميعا ، فقد كان نصيبهم من الأملاك المغتصبة ثمانية وأربعين مدينة موزعة فى أنصبة جميع الاسباط .

* * *

ومما سلف يتبين لنا أن اليهود هم نسل يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الــذى كان من الجنس الســامى ، وكان ينتسب الى الآراميين الذين كانوا يقيمون فى المنطقة التى نسميها اليوم سوريا . كما يتبين لنــا ان اليهود خالطوا الشعوب الوثنيــة التى عاشت معهم أو أحاطت بهم أو سيطرت عليهم خلال عصورهم المختلفة ، وقد صاهروا هذه الشعوب وخلطوا دمهم بدمها ، وتخلقوا بأخلاقها وتمثلوا بعاداتها وتقاليدها . وأخيرا يتبين لنا أنهم على الرغم من أنهم كانوا ظاهرين أمام العــالم بمظهر الأمة الواحدة ، الا أنهم ظلوا منذ نشأتهم حتى اندثــار أمتهم أسباطا متعددة منفصلا كل منها عن الآخر انفصالا تاما ، تتفق فيما بينها بعض الوقت وتختلف أغلب الوقت . بل تنشب الحروب أحيانا بين بعضها والبعض الآخر ، كأنها شعوب مختلفةالمنشــأ متعددة الاجناس . وقد كانت هذه هى الحقيقة فى الواقع ، فلم يكن اليهود الا بعض قبائل البدو التى تنتشر فى الصحراوات وتشتغل بالرعى ، أو تشـــتغل بالزراعة اذا اتيح لهــا بعض

الاستقرار • ومن ثم لم يكن لليهود من مظاهر الدول ذات الحضارة أى نصيب•وحتى حين كانوا يتخذون لهم قاضـــيا يقضى بينهم ويقودهم فى حروبهم ، كانت سيطرة القاضى لا تتعدى واحـدا من الاسباط أو عـددا قليلا منها • وحين كانوا يتخذون لهم ملكا ، لم يكن فى الواقع يتعدى دوره من حيث مكانته وسلطته دور شيخ قبيلة بدوية واحدة ، أو زعيم عـــدد من القبـــائل التى تضمها رقعة واحدة من الارض • ولم تـــكن لهم أرض يمكن اعتبارها مملوكة لهم كما تمتلك أى دولة أرضها ، وانما كانوا منـذ البداية يغتصبون الارض اغتصـابا من أصـحابها الاصليين ، ومن ثم كان اصحابها لا يفتأون يستردونها بين الحين والحين • وهـكذا ظل حال اليهود على الدوام فيما اغتصبوا من الاراضى ، فهم على الـدوام قلقون مزعزعون مذعورون ذعـــر اللصوص السارقين على أنفسهم وعلى ما سرقوا ، حتى سقطت دولتهم فى منتصف القرن الاول الميلادى الى لابد •

الفصل الثانى

بلاد اليهود

١ ـ حدود الارض التى اغتصبها اليهود وطبيعتها :

حين اغتصب اليهود بعض الاراضى من الشعوب القاطنة فى المنطقة التى نسميها اليوم فلسطين ، كانت الرقعة التى استولوا عليها ــ بقيادة موسى ثم بقيادة يشوع بن نون ــ تشمل الارض الممتدة من جبل حرمون ، المسمى اليوم جبل الشيخ ، الى قادش برنيع ووادى العريش جنوبا ، ومن الصحراء شرقا الى البحر الابيض المتوسط غربا ، باستثناء أرض الموآبيين وأرض الفلسطينيين • وكان أولئك الفلسطينيون شعبا من أصل يونانى استوطنوا جزيرة كريت ثم نزحوا منها الى الساحل الغربى لآسيا ، وكانوا شديدى البأس فلم يستطع اليهود أن يجلوهم عن أراضيهم •

وكانت التوراة قد حددت لليهود الارض التى يستولون عليها ، اذ جاء فى سفر العدد « انكم داخلون الى أرض كنعان • هذه هى الارض التى تقع لكم نصيبا : أرض كنعان بتخومها • تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين حتى جانب أدوم • ويكون لكم تخم الجنوب من طرف بحر الملح الى الشرق ، ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقربيم ويعبر الى صين ، وتكون مخارجه

من جنوب قادش برنيع ويخرج الى حصر أدار ويعبر الى عصمون . ثم يدور التخم من عصمون الى وادى مصر وتكون مخارجه عند البحر . وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخما . هكذا يكون لكم تخم الغرب . وهـــذا يكون لكم تخم الشمال . من البحر الكبير ترسمون لكم الى جبل هور . ومن جبل هور ترسمون الى مدخل حماة . وتكون مخارج التخم الى صدد ، ثم يخرج التخم الى زفرون ، وتكون مخارجه عند حصرعينان . وهـــذا يكون لكم تخم الشمال . وترسمون لكم تخما الى الشرق من حصرعينان الى شفام . وينحدر التخم من شفام الى ربلة شرقى عين . ثم ينحدر التخم ويمس جانب بحر كنارة الى الشرق . ثم ينحدر التخم الى الاردن ، وتكون مخارجه عند بحر الملح . هـــذه تكون لكم الارض بتخومها حواليها » (العدد ٢٤ : ١ ــ ١٢) . بيد أن هذا الوصف الذى أوردته التوراة للارض التى على اليهود أن يحتلوها لا يتضمن حدودا محددة ، فكانت حدود الارض بين اليهود والشعوب المجاورة لا تفتأ تتغير جيلا بعد جيل .

وليست هذه المنطقة كلها الا رقعـــة ضئيلة مستطيلة من الارض ، لا يزيد طولها فى أقصى اتساعها عن مـــائة وخمسين ميلا ، ولا يزيد عرضها عن مسافة تتراوح بين خمسة وعشرين ميلا وثمانين ميلا . وتنقسم من حيث طبيعتها الى خمسة أقسام متوازية تمتد من الشمال الى الجنوب .

(١) فالقسم الاول هو السهل المتاخم للبحر الابيض المتوسط ، وهو أرض خصبة مستوية لا يعترضها سوى جبل الكرمل . وكانت البقعة الواقعة بين الكرمل ونهر العوجة الذى يصب فى البحر شمالى يافا تسمى سهل شارون . وأما البقعة الواقعة جنوبى يافا فهى التى كان يحتلها الفلسطينيون .

(٢) والقسم الثانى هو سلسلة طويلة من التلال التى تقع

بين السهل الشمالى المتاخم لجبال الكرمل ، وبين سلسلة الجبال الوسطى •

(٣) والقسم الثالث هو سلسلة الجبال الوسطى الممتدة من جبال لبنان • وكانت قمم هذه الجبال تنحدر جنوبى نهر الليطانى انحدارا سريعا نحو نجد يمتد جنوبا حتى يبلغ الطرف الشمالى من بحيرة طبرية • فكانت هذه هى منطقة الجليل الأعلى ، وهى تشتمل على جبال وتلال متفاوتة الارتفاع • وأما الجليل الاسفل فكان على شكل مثلث يحده من الشرق نهر الاردن وبحيرة طبرية التى كانت تسمى أيضا بحر الجليل ، ويقع الى الجنوب الغربى منه مرج ابن عامر حيث ترتفع سلســـلة من القمم الممتدة من الشرق الى الغرب يتخللها عـــدد من الوديان •

(٤) والقسم الرابع هو غور الاردن وهو يمتد من سفح جبل حرمون الغربى الى قرب حاصبيا فى لبنان حتى البحر الميت . وترتفع على جانبيه جبال شاهقة •

(٥) والقسم الخامس هو سلسلة الجبال الشرقية التى تمتد من الاجرف المطلة على غور الاردن حتى بادية الشام ، ويشطرها نهر الزرقا شطرين ، كما يشق اليرموك القسم الشمالى منهـــا جنوبى بحيرة طبرية •

وكانت هذه الارض التى اغتصبها اليهود فى جملتها بقعـــة خصبة ترويها الانهار والآبار والامطار . وتزخر بأشجار العنب والتين والزيتون وغيرها من أشجار الفاكهة ، التى تنمو بغير مجهود كبير ، وتعطى من ثمارها على مدار العـــام القـــدر الوفير • كما تصلح هذه الارض لرعى الماشية ولزراعة القمح والشعير • وتربتها غنية بالمعادن • ومن ثم لا يرد ذكرها فى التوارة الا قيل عنها انها « أرض تفيض لبنا وعسلا » • ومن

ذلك ما جاء في سفر الخروج اذ يقول « فقال الرب انى رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر ·· فنزلت لانقذهم من ايدى المصريين وأصعدهم من تلك الارض الى أرض جيدة وواسعة ، الى ارض تفيض لبنا وعسلا » (الخروج ٣ : ٧ و ٨) · وجاء فى سفر العدد « ثم كلم الرب موسى قائلا أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى اسرائيل ·· فأرسلهم موسى ·· وقال لهم ·· أنظروا الارض ما هى ؟ ··· أجيدة أم رديئة ؟ ··· أسمينة أم هزيلة ؟ ··· وتشددوا وخذوا من ثمر الارض ··· فصعدوا وتجسسوا الارض من برية صين الى رحوب فى مدخل حماة ··· وأتوا الى وادى أشكول وقطفوا من هناك زرجونه بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة بين اثنين مع شىء من الرمان والتين ··· فساروا حتى أتوا الى موسى وهارون وكل جماعة بنى اسرائيل ·· وقالوا قد ذهبنا الى الارض التى أرسلتنا اليها ، وحقا انها تفيض لبنا وعسلا ، وهذا ثمرها » (العدد ١٣ : ١ ـ ٢٧)·وجاء فى سفر التثنية «لأن الرب الهك آت بك الى أرض جيدة ، أرض أنهار من عيون وغمار تنبع من البقاع والجبال · أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان · أرض زيتون زيت وعسل : أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ولا يعوزك فيها شىء ··· أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاسا · فمتى أكلت وشبعت تبارك الرب الهك لاجل الارض الجيدة التى أعطاك » (التثنية ٨ : ٧ ـ ١٠) · وجاء فيه «لأن الارض التى أنت داخل اليها لكى تمتلكها ليست مثل أرض مصر التى خرجت منها حيث كنت تزرع زرعك وتسقيه برجلك كبستان بقول · بل الارض التى أنتم عابرون اليها لكى تمتلكوها هى أرض جبال وبقاع · من مطر السماء تشرب ماء · أرض يعتنى بها الرب الهك · عينا الرب الهك عليها دائما من أول السنة الى آخرها » (التثنية ١١ : ١٠ ـ ١٢) · وجاء فيه «لأنى أدخلهم الارض التى اقسمت لآبائهم ، الفائضة لبنا وعسلا ،

فيأكلون ويشبعون ويسمنون ، ثم يلتفتون الى آلهة أخرى ويعبدونها ويزدرون بي وينكثون عهدى » (التثنية ٣١ : ٢٠) • وجاء فى سفر ارميا « أيها السيد الرب •• أخرجت شعبك اسرائيل من أرض مصر •• وأعطيتهم هذه الارض التى حلفت لآبائهم أن تعطيهم اياها ، أرضا تفيض لبنا وعسلا ، فأتوا وامتلكوها ولم يسمعوا لصوتك ولا ساروا فى شريعتك » (ارميا ٣٢ : ١٧ و ٢١ ـ ٢٣) • وجاء فى سفر حزقيال « هكذا قال السيد الرب فى يوم اخترت اسرائيل •• فى ذلك اليوم رفعت لهم يدى لاخرجهم من أرض مصر الى الارض التى تجسستها لهم ، تفيض لبنا وعسلا ، هى فخر كل الاراضى •• فتمرد على بيت اسرائيل •• لم يسلكوا فى فرائضى ورفضوا أحكامى • • لأن قلبهم ذهب وراء أصنامهم » (حزقيال ٢٠ : ٥ ـ ١٦) •

وكانت هذه الرقعة التى احتلها اليهود تقع فى موقع متوسط بين بلاد كانت تقوم فيها امبراطوريات ضخمة ، ولا سيما الامبراطورية المصرية فى الجنوب ، والامبراطوريات الاشورية والبابلية والفارسية فى الشمال وفى الشرق ، مما جعلها مركزا تجاريا هاما من ناحية ، وجعلها ساحة للحروب والمعارك التى كانت لا تفتأ تنشب بين الدول القوية المحيطة بها من الناحية الاخرى •

ويختلف المناخ فى هذه البلاد حسب طبيعة أقسامها المختلفة ، فبينما تكسو الثلوج قمة جبل حرمون طوال السنة ، ومن ثم تشتد البرودة هناك ، نجد أن مناخ غور الاردن يشبه فى حرارته مناخ المناطق الاستوائية • كما أنه فى الموضع الواحد قد تشتد البرودة فى فصل من فصول السنة ، وتشتد الحرارة فى فصل آخر ، كما يحدث فى أورشليم وأريحا مثلا ، اذ تشتد البرودة فيهما شتاء وتشتد الحرارة صيفا •

٢ ـ الجبال والتلال والبرارى :

وأرض هذه البلاد كثيرة الجبال والتلال التى تخترقها فى مختلف أنحائها ، وتتشعب فى كل جهاتها ، حتى لقد كان اليهود يسمون البلاد كلها « جبال اسرائيل » (حزقيال ٣٦ : ١) • بيد أن هذه الجبال والتلال صالحة كلها للزراعة من قننها الى أوطأ سفوحها • ومن أشهر جبال هذه البلاد : جبل الزيتون ، وجبل صهيون ، وجبل المريا ، وجبل جرزيم ، وجبل تابور ، وجبل جلبوع ، وجبل جلعاد ، وجبل حرمون ، وجبل الكرمل :

(١) فجبل الزيتون هو الذى يشرف على أورشليم من ناحيتها الشرقية ، ويفصله عنها وادى قدرون ، ولذلك أشارت اليه التوارة بأنه « الجبل الذى تجاه أورشليم » (الملوك الأول ١١ : ٧) وبأنه « الجبل الذى على شرقى المدينة » (الخروج ١١ : ٢٣) ، كما قيل عنه « الجبل » فقط لشهرته بين سائر الجبال (نحميا ٨ : ١٥) • ولهذا الجبل ست قمم • فهو فى الواقع سلسلة من الجبال • وكانت تكسوه فى العهد القديم أشجار الزيتون التى اتخذ منها اسمه • كما كانت تنتشر فيه أشجار التين والنخيل والسنديان • وكانت تقع شرقيه بالقرب من أورشليم قريتا بيت فاجى وبيت عنيا ، كما كان يقع غربيه فى مواجهة أورشليم بستان جثسيمانى • وبالقرب من جثسيمانى كان يمتد طريق يتفرع الى أربعة فروع ، منها فرع يتجه الى بيت عنيا وأريحا ، وفرع يتجه عبر القمة الى بيت فاجى وبيت عنيا ، وفرعان آخران يسيران فى تعاريج كثيرة نحو القمة •

(٢) وجبل صهيون هو الرابية التى كانت تقوم عليها أورشليم ، وقد ظل هذا الجبل فى يد اليبوسيين الذين كانوا يقيمون عليه حصنا عظيما يحتمون به ، فلم يستطع اليهود انتزاعه

منهم قرابة خمسة قرون ، حتى جـــاء الملك داود وهزمهم واحتل الحصن وسماه مدينة داود ، ثم نقل اليه تابوت العهد ، فأصبح الجبل كله مقدسا عند اليهود • ثم جاء سليمان فبنى الهيكل على جبل المريا ونقل التابوت اليه ، فأصبح اسم صهيون المقـدس يشمل جبل المريا كذلك • بل انه أصبح ـ كما ورد فى بعض نصوص التوراة ـ يشمل أورشليم كلها ، اذ جاء في سفر اشعياء « قال الرب من أجل أن بنـــات صهيون يتشـــامخن ويمشـين ممدودات الأعنـاق وغامزات بعيونهن وخـاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن ، يصلع الرب هامة بنــات صهيون ويعرى الرب عورتهن » (اشعياء ٣ : ١٦ و ١٧) • ثم أصبح اســم صهيون يشمل أمة اليهود كلها ، اذ جـــاء فى المزامير « يرتد الى الوراء كل مبغضى صهيون » (المزمور ١٢٩ : ٥) • وجـاء فى سفر اشعياء « ارتعد فى صهيون الخطاة • أخذت الرعدة المنافقين » (اشعياء ٣٣ : ١٤) •

(٣) وجبل المريا هو احدى الروابى التى أقيمت عليهـا أورشليم • وقد اشترى الملك داود فى تلك الرابية حقلا من رجل يسمى أرونة أو أرنان لبناء الهيكل عليه • ثم أقام ابنه سليمان الهيكل فى ذلك المكان •

(٤) وجبل جرزيم هو طود صخرى شـــاهق يرتفع جنوبى الوادى الذى تقع فيه مدينة شكيم المسماة اليوم نابلس ، ويقابله شمالى ذلك الوادى جبل عيبال • ومن أهم المعالم التى كانت فى جبل جرزيم بئر يعقوب التى كانت تقع عند سفحه ، والهيكل الذى بناه السامريون فوقه •

(٥) وجبل تابور ، أو طابور ، هـــو المسمى اليوم جبـل الطور ، وهو يشرف على الارض التى كانت تسمى مرج بن عامر فى منطقة الجليل ، ويقع على بعد نحو ستة أميال جنوب شرقى

الناصرة ، وكان من الارتفاع بحيث يمكن للواقف على قمتــه أن يرى بحيرة طبرية والبحر الابيض المتوسط وجبال حوران وجلعاد وجلبوع والكرمل ٠

(٦) وجبل جلبوع هو المسمى اليوم جبل فتوع ، وهــو سلسلة من الجبال المرتفعة التي تقع في القسم الاوســط من فلسطين الغربية ، ويبلغ طولها ثمانية أميال وعرضها من ثلاثة الى خمسة أميال وتتخللها الاودية العميقة الضيقــة ٠ وهي تنحدر ناحية الغرب انحدارا تدريجيا ، بينما تنحدر ناحيتي الشرق والجنوب انحدارا شديدا ، وتحيط في مجموعها بوادي يزرعيل من شماليه ٠ ومن أعلى جبل جلبوع تنحدر مســاقط المياه بين حوض نهر قيشون ووادي نهر الاردن ٠

(٧) وجبل جلعاد يقع غربي الاردن ، ويشرف على وادي يزرعيل ٠ وكان هذا الجبل من نصيب سبط نفتالي ، وبه نهر يسمى نهر جلعود ، وكانت تقع بالقرب منه بلـدة عين حرود المسماة اليوم عين جلعود ٠

(٨) وجبل حرمون هو المسمى اليوم جبل الشيخ ، وكان اليهود يسمونه أحيانا حبل سيئون ، وهو أكثر جبال فلسطين ارتفاعا ، ويتــألف من الطرف الشرقي لسلسلة جبل لبنـــان الشرقي ، وبه يوجــد المنبع الرئيسي لنهــر الاردن ٠ ويمكن للواقف عند قمته أن يشــاهد لبنان ، والسهل المحيط بدمشق ، وجزءا كبيرا من فلسطين ، بما في ذلك بحر الجليل وبحيرة حولة وجبل الكرمل وجبال الجليل الاعلى ، وسهول الجليــل الاسفل ٠ ونظرا لان لهذا الجبل ثلاث قمم شاهقة كانوا أحيانا يعتبرونه مجموعة جبال ، ويسمونه « جبال حرمون » ٠ وهذه القمم تظل مغطاة بالثلوج طوال العام ٠

(٩) وجبل الكرمل هو سلسلة جبال تمتد نحو خمسة عشر ميلا ، وتتصل بسلسلة تقل عنها ارتفاعا فى القسم الجبلى من أواسط فلسطين ، وتنتهى بجرف ينحدر الى البحر الأبيض المتوسط ، ويمر بالقرب من جبل الكرمل نهر قيشون • وقد اقترن اسم هذاالجبل بأنبياء اليهود ، اذ كانوا يقصدونه ويقيمون فيه ولا سيما ايليا وأليشع •

وأما البرارى فهى مساحات من الارض الخربة غير الصالحة للزراعة ، أو من الارض غير المحروثة التى لا تصلح الا لأن تكون مراعى للماشية • ومن أشهر البرارى التى ذكرتها التوراة برية اليهودية التى كانت تقع بين جبال اليهودية والبحر الميت ، وبرية عين جدى ، وبرية أريحا ، وبرية زيف ، وبرية بئر سبع ، وبرية جبعون ، وبرية بيت أون ، وبرية معون • وأما الموضع المقفر فكان اليهود يسمونه « العربة » ، وكانوا يقصدون به على الاخص المنحدر الذى يجرى فيه نهر الاردن ، وتتسع فيه بحيرة طبرية والبحر الميت • وكانوا فى أحيان أخرى يقصدون به المنطقة التى بين البحر الميت والبحر الاحمر ، أو يقصدون به من شمال البحر الميت الى خليج العقبة على امتداد مائة ميل •

٣ ـ الوديان والسهول :

ويتخلل هذه الارض الجبلية التى تتميز بها فلسطين كثير من الوديان والسهول المنخفضة نسبيا • ومن أشهر الوديان والسهول التى وردت فى التوراة : وادى قدرون ، ووادى هنوم ، وسهل يزرعيل :

(١) فوادى قدرون يبدأ على مسافة ميل ونصف الى الشمال الغربى من أورشليم ، ويتمد الى الجنوب الشرقى حتى يصل

الى زاوية السور الشمالية الشرقية ، ثم ينحدر شرقى المدينة ليمر بين سورها من الجانب الغربى وجبل الزيتون وتل المعصية من الجانب الشرقى ، وهو يسمى كذلك « وادى يهوشافاط » ٠

(٢) وادى هنوم ، ويسمى أيضا وادى بن هنوم ، أو وادى بنى هنوم ، وهو يمر الى الجنوب والغرب من أورشليم ، وكان هو الحد الفاصل بين نصيب سبط يهوذا ونصيب سبط بنيامين ، وكان اليهود يعبدون فيه الاله الوثنى مولوك ويقدمون فيه ابناءهم للنار ضحية لهذا الاله ٠ ثم أبطل الملك يوشيا هذه العبادة وجعل الوادى مخصصا لقمامة أورشليم ٠ واذ كانت النار لا تفتأ تتصاعد من هذه القمامة لاحراقها شبهه اليهود بالجحيم ، ومن اسمه بالعبرية « جى هنوم » أخذت كلمة « جهنم » ويسمى هذا الوادى اليوم وادى الربابة ٠

(٣) سهل يزرعيل ، وهو يمتد من ساحل البحر الابيض المتوسط الى نهر الاردن ، ومن جبل الكرمل وجبال السامرة الى جبال الجليل ، وطوله من الغرب الى الشرق نحو خمسة وعشرين ميلا ، ومن الجنوب الى الشمال نحو اثنى عشر ميلا ٠

٤ ـ البحار والبحيرات وموارد المياه :

تطل الرقعة التى اغتصبها اليهود على البحر الابيض المتوسط غربا ، كما تطل من الجهات الاخرى على البحر الميت وبحيرة طبرية المسماة بحر الجليل ٠ وكانت موارد المياه فيها هى الامطار والآبار ومياه نهر الاردن وفروعه ٠

وكان البحر الابيض المتوسط يسمى عند اليهود « البحر الغربى » أو « البحر الكبير » أو « البحر العظيم » ، كما كان

يسمى « بحر فلسطين » • وكان الساحل المطل على هـــذا البحر يمتد من صيدون شمالا الى يافا جنوبا •

أما البحر الميت فكانوا يسمونه « بحر الملح » ، أو « بحر العربة » ، أو « بحر سدوم » ، أو « البحر الشرقى » ، أو « عمق السديم » ، وهو يسمى اليوم « بحر لوط » ، ويقع فى آعمق جزء من الغور الممتد من خليج العقبة الى الحولة • وهو مستطيل الشكل ، ويبلغ طوله ســـــتة وأربعين ميلا ، ويبلغ أقصى عرض له نحو عشرة أميال ، وهو محوط بالجبال العالية ، ويصب فيــه نهر الاردن ونهر الموجب ونهر الزرقاء ، وعــــدد من الاودية الاخرى التى تنهمر مياهها فى الشـــتاء ، كوادى كرك ووادى نميرة ووادى سدية ووادى زويرة ووادى غوير ووادى النار • وفى مياهه نســـبة كبيرة من الملح ، وينقذف القار من قاعــه عند حدوث الزلازل ، ومن ثم لا يمكن ان يعيش فيه أى نوع من الكائنات الحية وشواطئه قاحلة جرداء • ويبعد البحر الميت ستة عشر ميـــلا عن أورشليم ، ويمكن رؤيته بوضوح من جبـــل الزيتون •

وأما بحيرة طبرية • فكانت تسمى « بحيرة جنيسارت » ، كما كانت تسمى « بحر كنارة » أو « بحر طبرية » أو « بحر الجليل » • وهى بحيرة عذبة تستمد مياهها من نهر الاردن الذى يتصل بطرفها الشمالى ثم يواصل سيره من طرفها الجنوبى • ويبلغ طول هذه البحيرة اثنى عشر ميلا ونصف ، ويبلغ أقصى عرض لها سبعة أميال ونصف • وتبلغ مساحتها نحو مائة ميل مربع ، وينخفض مستواها نحو سبعمائة قدم تحت سطح البحر ، مما يجعلها معرضة على الدوام لزوابع مفاجئة تتعذر معها الملاحة فيها • وكانت تمخر عبابها أربعة آلاف سفينة • وهذه البحيرة محوطة بالتلال والهضاب فيما عدا ســـهول البطيحة التى تقع

شماليها ، وسهول طبرية والغوير التى تقع جنوبيها • وكانت تقع غربيها رقعة هلالية من الارض تسمى سهول جنيسارت ، وهى تمتد نحو أربعة أميال فى محاذاة شواطئها ، وبعرض أكثر من ميل ، ولذلك سميت البحيرة أحيانا باسم هذه الارض فدعيت « بحيرة جنيسارت » • وتقع بحيرة طبرية غربى منطقة الجليل ، ويقع فى الشمال الغربى منها جبل حرمون • وكانت تصل شواطىء البحيرة بالمناطق المحيطة بها أربعة طرق رئيسية : فالطريق الاول يؤدى غربا الى وادى الاردن ، والطريق الثانى يعبر قنطرة جنوب البحيرة ويخترق البرية الى قرب أريحا ، والطريق الثالث يجتاز «سيفوريس» عاصمة الجليل وينتهى الى عكا على ساحل البحر الابيض المتوسط ، والطريق الرابع يمر بجبال زبولون والناصرة ووادى ازدارئيليون الى السامرة فأورشليم •

والارض التى احتلها اليهود تعتمد الى حد كبير على الامطار التى لا تنقطع عنها قط ولا سيما فى فصل الربيع الذى تشتد فيه غزارتها ، فكانوا يخزنونها فى صهاريج ويوزعونها فى شبكة من القنوات ، فيروون بها حقول القمح والاذرة والشعير ، كما يروون بها بساتين الكروم والتين والزيتون والتمر على منحدرات الجبال والتلال ، فلم تكن تنقطع عنها الامطار على مدار العام ، ومن ثم لم يكن ينقطع عنها الخصب أبدا • وقد جاء عن ذلك فى سفر التثنية « الارض التى أنتم عابرون اليها لكى تمتلكوها هى أرض جبال وبقاع • من مطر السماء تشرب ماء •• عينا الرب الهك عليها دائما من أول السنة الى آخرها •• فاذا سمعتم لوصاياى التى أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب الهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم ، أعطى مطر أرضكم فى حينه المبكر والمتأخر ، فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك ، وأعطى لبهائمك عشبا فى حقلك فتأكل أنت وتشبع » (التثنية ١١ : ١١ ــ ١٥) •

٦

وكانوا يعتمدون كذلك الى حد كبير على الآبار والعيون فى رى الارض ، ولا سيما عند انقطاع الأمطار ، وقد جـاء عن ذلك فى سفر التثنية « لان الرب الهك آت بك الى أرض جيدة ، أرض أنهار من عيون وغمار تنبع فى البقاع والجبال » (التثنية ٨ : ٧) • ومن أشهر الآبار والعيون فى تلك المنطقة « بئر سبع » التى حفرها ابراهيم ومكث عندها مدة طويلة ، ثم عـاد اليها اسحق وجددها ، وقد انشئت بعد ذلك حولهـا مدينة اتخذت اسمها وهى مدينة « بئر سبع » التى تقع فى الحد الجنوبى من أرض كنعان • كما ان من اشـهر الآبار التى ورد ذكرها فى التوراة « بئر يعقوب » التى تقع فى قطعة أرض كان يعقوب قد اشتراها ونصب فيها خيمته بالقرب من شكيم عند سفح جبـل جرزيم ، على مقربة من الطريق المؤدى من أورشليم الى الجليل • و « بئر لحى رؤى » وهى عين ماء كانت تقع بالقرب من جرار بين يارد وقادش • و « عين جدى » ، وهى نبع فياض تنحدر مياهه من علو شاهق على جبل صخرى على الشـاطىء الغربى للبحر الميت ، وعلى بعد خمسة وثلاثين ميلامن أورشليم ، وقـد أقيمت حول هـذه العين مدينة تحمل اسمها وهى مدينة عين جدى • و « عين روجل » وهى نبع بالقرب من وادى ابن هنوم ، المجاور لاورشليم ، و « عـين شمس » وهى نبع كان يقع على بعد ثلاثة أميال شرقى أورشليم فى الطريق بينها وبين أريحا • وقد اقيمت حول هـذه العين بلدة تحمل اسمها هى بلدة عين شمس ، و « عين نون » وهى مجموعة ينابيع كانت تنبثق بالقرب من مدينة ساليم فى وادى الاردن • وربما استخدموا اسم البركة للدلالة على العين أو النبع • ومن أشهر البرك الواردة فى التوراة بركة حبرون (صموئيل الثـانى ٤ : ١٢) وبركة السامرة (الملوك الاول ٢٢ : ٣٨) وبركة سليمان (الجامعة ٢ : ٦) وبركة الملك (نحيما ٢ : ١٤) والبركة العليا (الملوك الثانى ١٨ : ١٧) والبركة السفلى (اشعياء ٢٢ : ٩) والبركة العتيقة

(اشعياء ٢٢ : ١١) كما اشتهرت فيما بعد بركة بيت حسدا (يوحنا ٥ : ٢) وبركة سلوام (يوحنا ٩ : ٧) .

أما نهر الاردن فهو أهم أنهار فلسطين ، وله أربعة منابع هي : المنبع الشرقي في بانياس التي كانت تسمى قيصرية فيلبس ، وهو يتفجر من كهف في صخرة عالية ، والمنبع الاوسط في تل القاضي التي كانت تسمى « دان » وهو أكبر المنابع جميعا . والمنبع الشمالي الذي تتجمع مياهه أسفل حصبيا ، والمنبع الغربي وهو نهر براغيث .. وتتفرع من الاردن انهار صغيرة أخرى هي نهر الحاصباني . ونهر اللدان ونهر بانياس . وتختلط مياه براغيث بمياه الحاصباني ، كما تختلط مياه بانياس بمياه اللدان . ويتكون من هذه النهيرات الاربعة نهران ، ثم يختلط هذان بدورهما معا في بقعة المستنقعات على بعد خمسة أميال شمالي بحيرة الحولة ليتكون منها نهر الاردن . وبعد أن يمر هذا النهر في بحيرة الحولة التي طولها أربعة أميال تقريبا يجرى النهر الى مسافة عشرة أميال ونصف ، ثم يصب في بحيرة طبرية التي يبلغ طولها اثنى عشر ميلا ونصف ميل ، ثم يواصل النهر مسيرته من الطرف الجنوبي لبحيرة طبرية في طريق متعرج حتى يصب في الطرف الشمالي للبحر الميت الذي يبعد عن بحيرة طبرية خمسة وستين ميلا . ويصب في نهر الاردن أثناء سيره عدد من النهيرات : فمن الشرق يصب فيه نهر اليرموك ، ونهر الزرقا ، ومن الغرب تصب فيه المياه المتجمعة من بعض الوديان ، ومنها « وادى البيرة » الذى يصل الى الناصرة ، و « وادى الجلود » الذى يسير في « وادى يزرعيل » ، ثم في « وادى فرة » ، ثم عبر شكيم ، ثم يسير في « وادى نديمة » الى عاى ، و « وادى القلت » وهو يسير الى أورشليم . وتوجد أماكن ضحلة في النهر يمكن منها عبوره ، وهى تكثر في الشمال وتصل جنوبا الى « مخاضة يبوق » التى

عبرها يعقوب (التكوين ٣٢ : ٢٢) . وتفيض مياه الاردن في بعض فصول السنة بسبب ذوبان الثلوج التي على قمة جبل حرمون .

٥ ـ الطرق التي كانت تربط بلاد اليهود بالبلاد الاخرى :

كان ثمة عـــدد كبير من الطرق التي تشق المنطقـة التي احتلها اليهود ، وتربطها بالبلاد الأخرى المحيطة بها :

ومن أهم هـــذه الطرق طريق كان يأتي من أقصى الشمال محاذيا ساحل البحر الابيض المتوسط حتى غزة . وهنـــاك كان يلتقي بطريق آخر يأتي من البلاد العربية مخترقا ســـهل الفلسطينيين حتى أشدود ، ثم يتفرع هنـاك الى طريقين يسير أحدهما في موازاة الساحل بالقرب من يافا ، ويسير ثانيهما الى عقرون ، ثم يجتاز الجبال متفرعا بينها الى ثـــلاثة طرق فرعية : أولها يمر بالقرب من تل كيمون ويتجه شمالا مارا بعكا وصور وصيدا ، وثانيهما يجتــاز الجبال نحو مجدو ، ثم يخترق مرج ابن عامر والجليل الاسفل نحو ســـهل جنيسارت ، متجها الى الشمال في محاذاة نهر الاردن ، وثالثها يمر في سهل دوثان الى عين جنيم المسماة جنين .

كما كان من أهم الطرق في هـــذه المنطقة طريق يمتد من مرج ابن عامر الى مصر عبر المنطقة الجبلية ، مارا بالســـامرة وشكيم وبيت ايل وأورشليم وبيت لحم وحبرون وبئر سبع ، وهناك يتفرع الى عدة فروع : أولها يتجـــه غربا نحو طريق ساحل البحر الابيض المتوسط ، وثانيها يستمر نحو رحوبوت ، ثم يجتاز الصحراء نحو مصر ، وثالثها طريق يتجه من تـــل الحصن الى أدومية ، منحدرا في وادى الاردن الى أريحا ، ثـــم محاذيا الساحل الغربي للبحر الميت الى عين جدى ، حيث كان

ينضم الى طريق آخر قادم من أورشليم وبيت لحم ، ثم يتجه نحو أدومية وأيلة الى خليج العقبة ، وهناك ينضم الى طريق القوافل القادمة من مصر الى جنوبى البلاد العربية ٠

وكان ثمة طرق عديدة أخرى أقل من الطريقين السابقين أهمية ٠ منها طريق يجيء من دمشق محاذيا نهر الاردن ومتجها جنوبا على امتداد حافة الصحراء الى البلاد العربية ٠ وطريق يجيء من نابلس الى وادى فارعة ، فمخاضة الاردن عند اسفل مصب نهر الزرقاء ، ومن هناك عبر جلعاد الى ربة عمون المسماة اليوم عمان ٠ وطريق يجيء من مخاضة أريحا عند حشبون المسماة اليوم حسبان ٠ وطريق يجيء محاذيا الشاطيء الغربى للاردن ثم يجتاز الجليل الى عكا ثم الى دمشق ، .وطريق يجيء من سهل شارون ونهر العوجة عند رأس العين ثم يتصل بالطريق الآتى من السامرة الى أورشليم ٠ وطريق يجيء من ميناء يافا متجها الى أورشليم ومارا بالقرب من وادى أيلون وبيت حورون ٠ وطريق يصل أشدود بأورشليم مارا بوادى طابور وبيت شمس ٠

٦ ـ أقسام فلسطين فى أواخر عهد الامة اليهودية :

وفى أواخر عهد الامة اليهودية قبل خراب أورشليم واندثار هذه الامة ، كانت فلسطين تنقسم الى خمسة أقسام ادارية ٠ اذ كانت منطقة التلال الواقعة بين شاطيء البحر الابيض ووادى الاردن تنقسم الى قسمين يفصلهما سهل يزرعيل : فكان القسم الجنوبى المكون من التلال الكلسية هو أرض اليهودية ٠ وكان القسم الشمالى الذى تنتشر فيه الحدائق والحقول هو أرض الجليل ٠ وعلى الشاطيء الغربى كانت تقع السامرة ، وفى جنوب شرقى الجليل كانت تقع ديكابوليس ، أى العشر المدن ، وتتلوها من الجنوب بيرية :

١ ـ اليهودية :

وقد كانت اليهودية هى هم هـــذه الاقسام ، لأن عاصمتها كانت هى المدينة المقدسة عند اليهود ، وهى أورشليم التى كان بها الهيكل • وكانت اليهودية هى القسم الجنوبى من فلسطين الذى سكنه اليهود العائدون من السبى • واذ كان أغلبهم من سبط يهوذا سميت المنطقة التى سكنوها « بلاد يهوذا » (عزرا ٥ : ٨) أو « يهوذا » فقط (نحيما ١١ : ٢) • ثم أصبح اسمها « اليهودية » • وكانت ـ فى أواخر عهـد أمة اليهود حين كانوا خاضعين للرومان ـ تمتد حدودها الشمالية من يافا على ساحل البحر الابيض المتوسط الى موضع من نهر الاردن يبعد عشرة أميال شمالى البحر الميت • وتمتد حدودها الجنوبية من موضع يبعد سبعة أميال جنوب غربى غزة الى بئر سبع ، ثم الى الطرف الجنوبى من البحر الميت • وكانت اليهودية أرضـا قاحلة من الحجر الجيرى ، فلم تكن ميزتها الا أن بها أورشليم • وكانت تفصل بين جبـــال اليهودية والبحر الميت أرض جرداء كانــوا يسمونها برية اليهودية • وكانت أهم مدن اليهودية وقراها هى :

(١) أورشليم ، وقد ظلت عاصمة بلاد اليهود منذ عهـــد الملك داود ، قبل المسيح بنحو ألف عام ، الى خرابها على يـــد الرومان سنة ٧٠ ميلادية • وقـد كان اسمها فى الاصل «ساليم» (المزمور ٧٦ : ٢) أو « شاليم » (التكوين ١٤ : ٨) • وكان لهـا أسماء أخرى وردت فى التوراة ، منها « يبوس » (القضاة ٩ : ١٠ و ١١) و « أريئيل » (اشعياء ٢٩ : ١) و « مدينة الله » (المزمور ٤٦ : ٤) و « مدينة القدس » (اشعياء ٤٨ : ٢) و « المدينة المقدسة » (متى ٤ : ٥) • وربما أشير اليها فقط باسم « المدينة » (المزمور ٧٢ : ١٦) • وقد ورد اسم أورشليم فى نقش مصرى قديم يرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد••

كما ورد اسمها في بعض لوحات تل العمارنة ، وقــد كانت مرسلة من ملك أورشليم الى اخناتون فرعون مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وقــد ورد نطقها في هــذه اللوحات « أوروساليم » أو « أورسالمو » • وتقع هذه المدينة على مسافة أربعة عشر ميــلا غربي الطرف الشمالي للبحر الميت ، وعلى مسافة ثلاثة وثلاثين ميلا جنوب شرقي يافا الواقعة على البحر الابيض المتوسط ، وعلى مسافة ثلاثة وثلاثين ميلا جنوب غربي دمشق • وقد بنيت أورشليم على خمسة تلال يتكون منهــا نتوء صخري في وسط أرض يهوذا ، وكانت حين كان يحتلها اليبوسيون قبل استيلاء اليهود عليها تقوم على التــل الجنوبي الشرقي وحــده ، وهو الذي استولى عليه الملك داود وسماه « مدينة داود » أو « صهيون » أو « جبل صهيون » ، ثم امتدت مبانيها الى التلال الاربعة الأخرى • وقــد أقيم الهيكل على التل الشرقي الاوسط الذي تسميه التوراة « أرض المريا » (التكوين ٢٢ : ٢) أو « جبل المريا » (أخبار الايام الثاني ٣ : ١) • كما أقام سليمان لنفســه في أورشليم قصرا عظيما • وتحيط الجبال بأورشليم من ثلاثة جوانب : فالى الشمال الشرقي منهــا جبل سكوبس ، والى الشرق جبل الزيتون ، والى الجنوب جبــل دير أبو طور المسمى جبل المشورة الشريرة • ويقع وادي قدرون شرقي المدينة ، بينها وبين جبل الزيتون ، وهو يسمى كذلك وادي يهوشافاط • ويقع وادي الميس غربي المدينة ، وهو يتجه شرقا الى بركة السلطان ، ويسير الى جنوب المدينة ، ويسمى هــذا الجزء منه وادي الربابة ، وهو الذي كان معروفا بوادي ابن هنوم ، أو باللغــة العبرانية « جي هنوم » (يشوع ١٨ : ١٦) وقد اشتق منه ـ كماسبق أن رأينا ـ اسم « جهنم » التي تعني الجحيم • ويوجد بين التلال الشرقية والتلال الغربية في المدينة واد كان يسمى ـ كما ذكر يوسيفوس ـ « وادي تيروبيون » • ويتصل وادي ابن هنوم بوادي يهوشافاط جنوب شرقي المدينة .

ويتكون منهما وادى النار ، الذى يسير فى الجنوب الشرقى الى البحر الميت • وتوجد فى منطقة أورشليم بضعة ينابيع ، أشهرها نبع جيحون فى وادى قدرون شرقى التل الجنوبى الشرقى . وبئر أيوب التى تسمى كذلك « عين روجل » فى وادى ابن هنوم ، وبركة بيت حسدا التى تقع شمالى الهيكل ، ومجموعة ينابيع غربى الهيكل . وبركة الحمرا فى الطرف الجنوبى من التل الجنوبى الشرقى ، و « عين سلوان » التى كانت تسمى أيضا « بركة سلوام » ، كما كانت تسمى « شيلوه » ، وهى تقع الى الشمال قليلا من بركة الحمرا ، وبركة اسرائيل الكبيرة . وبركة بيت حسدا ، الواقعتان خارج الباب الشرقى لأورشليم • وكان يحيط بأورشليم سوران ضخمان ، يرتفع أحدهما حول الهيكل وصهيون ، وقد أقامه الملك داود . والثانى يكتنف القسم الاسفل من المدينة ، وقد بناه الملك حزقيا • كما أن ثمة سورا ثالثا يحيط بالمدينة من الشمال • وكانت ترتفع فى الشمال الغربى من المدينة قلعة شامخة تضم قصر هيرودس الكبير • وكان للمدينة عدة أبواب هى باب أفرايم وهو الباب الشمالى ، وباب الضأن وهو الباب الشرقى وكان يفضى الى جبل الزيتون ، وباب الوادى وهو الباب الغربى لاورشليم •

(٢) بيت لحم ، وكانت من قبل تسمى « أفراتة » أو « بيت لحم أفراته » • وكانت تبعد ستة أميال الى الجنوب من أورشليم • وهى محوطة بتلال تكسوها الاشجار الخضراء • وعلى الرغم من انها كانت قرية صغيرة . فقد كان لها لدى اليهود أهمية خاصة ، اذ كان فيها قبر راحيل زوجة يعقوب . وكان يقطن فيها نعمى وبوعز وراعوث أسلاف داود • كما كانت هى مسقط رأس داود• ولذلك كانت تسمى كذلك مدينة داود (لوقا ٢ : ١١) •

(٣) أريحا وتقع على مسافة خمسة أميال غربى نهر الاردن

وعلى مسافة سبعة عشر ميلا شمال شرقى أورشليم ، وهى من أقدم مدن العالم • وكانت هى أول مدينة هاجمها اليهود غربى الاردن بقيادة يشوع بن نون • وقد بنى هيردوس الكبير لنفسه قصرا كبيرا على هيئة قلعة فى أريحا ، وقد مات فى هذا القصر •

(٤) بيت عنيا ، وهى قرية كانت تقع فوق أكمة صخرية فى الجنوب الشرقى من جبل الزيتون على بعد ميلين تقريبا من شمال شرقى أورشليم ، وعلى بعد خمسة عشر ميلاً من أريحا ، وتسمى اليوم « العازرية » •

(٥) بيت فاجى ، وهى قرية كانت تقع فى الجنوب الشرقى من جبل الزيتون ، وكانت منخفضة فى موقعها عن بيت عنيا ، ومتصلة بها من الجهة الغربية •

(٦) الرامة ، وهى قرية مبنية على هضبة عالية على بعد خمسة أميال شمالى أورشليم على طريق بيت الله • وقد بناها بعشا ملك اسرائيل وحصنها لكى لا يدع أحدا من شعبه يخرج أو يدخل الى ملك يهوذا •

(٧) أفرايم ، وكانت تسمى كذلك « أفيرمة » ، وهى مدينة كانت تقع على مسافة أربعة أميال شمال شرقى بيت أيل ، وتقع فى مكانها اليوم بلدة الطيبة •

(٨) بيت صور ، وهى مدينة كانت تقع فى جبال يهوذا على مسافة أربعة أميال شمالى حبرون ، وقد بناها الملك رحبعام ، ولا زالت تحتفظ باسمها الى اليوم •

(٩) حبرون وهى مدينة قديمة كانت تدعى فى الاصل قرية

أربع • وكانت موجودة فى زمن ابراهيم ، وقد أقام بعض الوقت بجوارها تحت بلوطات ممرا • وقد ماتت زوجته سارة هنـــاك فاشترى من الحثيين مغارة المكفيلة ودفنها فيها ، كما دفن فيها ابراهيم بعد ذلك • كما أقام اسحق ويعقوب بعـض الوقت فى حبرون ودفنا بها فى مغارة المكفيلة كذلك (التكوين ٣٥ ق ٢٧ ، ٣٧ : ١٤) • وتسمى حبرون اليوم مدينة الخليل نسـبة الى ابراهيم الذى كان معروفا بأنه « خليل الله » • وهى تقع عـلى مسافة تسعة عشر ميلا الى الجنوب الغربى من أورشليم • وعـلى مسافة ثلاثة عشر ميلا الى الجنوب الغربى من بيت الحم •

(١٠) ساليم ، وهى قرية كانت تقع فى وادى الأردن بالقرب من عين نون على مسافة أربعة أميال شرقى أورشليم وعلى مسافة ثمانية أميال من مدينة سيكتوبوليس احدى المدن العشر الواقعة شرقى الأردن •

(١١) سوخار ، وهى قرية كانت تقع على مسافة نصف ميـل شمالى بئر يعقوب ، والراجح أن فى مكانها اليوم قهوية عسكر •

(١٢) شكيم ، وهى مدينة قديمة تسمى اليوم « نابلس » ، وتقع فى الوادى الذى يقوم شماليه جبل عيبال ويقوم جنوبيـه جبل جرزيم • وقد أقام ابراهيم خيمته بعض الوقت بالقـرب منها حين كان يسكنها الكنعانيون ، وجاء اليها يعقوب حين كان يسكنها الحويون واشترى فيها قطعة أرض أقام بها خيمته ، وفيها مقبرة يوسف • وقد أصبحت شكيم عاصمة اسرائيل فى عهد الملك يربعام ، ثم بعد سقوط اسرائيل أصبحت مركزا للسـامريين • وهى على مسافة نحو اثنين وثلاثين ميلا شمالى أورشليم ، ونحـو ستة أميال جنوب شرقى السامرة •

(١٣) عماوس أو عمواس ، وهى قرية كانت على مسافه سبعة أميال من أورشليم ، وفى مكانها اليوم بلدة قبيبة ٠

(١٤) عين نون أو عينون ، وهى قرية كانت تقع فى وادى الأردن بالقرب من ساليم على مسافة نحو ثمانية أميال من مدينة سيكتوبوليس احدى المدن العشر الواقعة شرقى الأردن ٠

(١٥) قيصرية ، وهى مدينة كبيرة تقع على مسافة نحو سبعة وأربعين ميلا الى الشمال الغربى من أورشليم ، وعلى مسافة نحو أربعة وأربعين ميلا جنوبى عكا ، وكان اسمها الأصلى برج ستراتو ، ثم بنى هيرودس الكبير حول هذا البرج مدينة سماها قيصرية اكراما لأغسطس قيصر ، وكان بها هيكل لعبادة قيصر ، وهى لا تزال محتفظة بهذا الاسم الى اليوم ٠

(١٦) يافا ، وهى من أقدم مدن العالم ، وتقع فوق ربوة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وهى على مسافة خمسة وثلاثين ميلا شمال غربى أورشليم ٠ وقد ذكرها تحتمس الثالث فرعون مصر ضمن فتوحاته التى سجلها فى لوحات تل العمارنة ٠ وحين اغتصب اليهود أرض كنعان كانت يافا فى يد الفلسطينيين فعجزوا عن اغتصابها منهم ، ومن ثم ظلت مدينة فلسطينية حتى تمكن الملك داود من الاستيلاء عليها ضمن الساحل البحرى الذى كان يسمى سهل شارون ٠ وقد استخدمها سليمان فى استيراد الخشب من لبنان لبناء الهيكل ٠ ولا زالت يافا محتفظة باسمها هذا حتى اليوم ٠

(١٧) غزة ، وكانت هى أبعد مدن الفلسطينيين جنوبا ،وهى بالقرب من شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وبها يمر الطريق الساحلى الرئيسى الممتد من شمال فلسطين الى جنوبها ، وهى

واحدة من أقدم عشر مدن فى العالم • وقد فشل اليهود منـــذ البداية فى الاستيلاء عليها من الفلسطينيين . مع أنها كانت تقع فى نصيب سبط يهوذا • كما فشلوا فى الاستيلاء منهم على أربع مدن أخرى وهى أشقلون وأشدود وعقرون وجت • وقد تمكن سمعان المكابى من احتلال غزة فى القرن الثانى قبـــل الميلاد ، ولكن الرومان لم يلبثوا أن انتزعوها وضموها الى ولاية سوريا عام ٦٢ قبل الميلاد •

٢ ـ الجليـــل :

والجليل هو القسم الشمالى من فلسطين ، وقد كان يســكنه الكنعانيون ثم اغتصبه اليهود • وكانت تدخل فيه مدينة قادش. كما كانت تدخل فيه عشر مدن وهبها الملك سليمان لحيرام ملك صور • وقد ظل الجليل مأهولا بالوثنيين حتى نهاية عهد الأمــة اليهودية • كما كان يقيم فيه عدد كبير من المتهودين ، وهـــم الوثنيون الذين اعتنقوا الدين اليهودى • ولذلك كان اليهــود المتعصبون ينعتونه بجليل الأمم ، بمعنى جليل الوثنيين (متى ٤ : ١٥) ، ويعتبرون سكانه ملعونين لأنهم يجهلون الشريعة • وقد امتد اسم الجليل حتى شمل كل منطقة يزرعيل • وقد كان الجليل جزءا من مملكة هيرودس الكبير ، وبعد موته آلت الى ابنه هيرودس أنتيباس • وكان الجليل أرضا ناضرة زاخرة بالكروم والبساتين ، ومكتظة بالمدن العامرة بالسكان • وكان الجليـــل ينقسم الى قسمين هما الجليل الأعلى والجليل الأســـفل . فكان الجليل الاعلى يحده من الشمال صور ومن الجنوب السامرة ومن الغرب فينيقية ومن الشرق الأردن • وكان الجليل الأسفل يقــع جنوبى الجليل الاعلى ويمتد من بحيرة طبرية الى قرب بطولمايس المسماة اليوم عكا على البحر الابيض المتوسط ، وكانت هـــذه المنطقة جبلية ولكنها عظيمة الخصوبة آهلة بالسكان • وكانت

تقوم فيها جبال الكرمل وجلبوع وتابور ، وتقع شرقيها بحيرة طبرية المسماة بحر الجليل ٠ .وكانت عاصمة الجليل سيفوريس ٠ ويقول يوسيفوس أن هذه المنطقة كانت تشتمل على ماتتين وأربعين مدينة وقرية أخرى منها :

(١) الناصرة ، وهى مدينة كانت تقوم على جبل مرتفع تطل قمته على جبل حرمون من الشمال ، وجبل الكرمل من الغرب وجبل طابور من الشرق ، كما تطل على مرج ابن عامر ٠ وتبعد الناصرة أربعة عشر ميلا الى الغرب من بحيرة طبرية ، وتسعة عشر ميلا شرقى عكا ، وستة وثمانين ميلا الى الشمال من أورشليم ، وهى أكبر مدن الجليل ٠

(٢) كفر ناحوم ، وهى مدينة كانت تقع على الشاطىء الشمالى الغربى لبحيرة طبرية فى أرض سبطى زبولون ونفتالى ، وكانت مدينة كبيرة ذات أبنية فاخرة ٠ وكانت مركزا تجاريا هاما ٠ وكان عدد سكانها عشرين ألفا ، وكانوا خليطاً من اليهود الأصليين ويهود الشتات والوثنيين ٠ ويقع فى مكانها اليوم « تل حوم » الذى يبعد نحو ميلين ونصف على الجنوب الغربى من مصب الأردن ٠

(٣) كورازين وهى مدينة كانت تقع بالقرب من بحيرة طبرية على مسافة نحو ميلين من كفر ناحوم فى الطريق بين أورشليم ودمشق ٠ والراجح أنها تقوم مكانها اليوم « كرازة » التى تقع شمالى تل حوم ٠

(٤) صور ، وهى مدينة فينيقية قديمة جدا ترجع نشأتها كما يقول هيرودوت الى نحو عام ٢٧٥٠ قبل الميلاد ٠ وقد عجز اليهود عن احتلالها ، ولم يسع الملك داود الا أن يرتبط برباط الصداقة مع حيرام الذى كان ملكها فى عهده ، وكذلك فعل

ابنه سليمان ، وقد أرسل اليها بعض المواد لبناء هيكل أورشليم • وقد أعاد هيرودس الكبير بناء صور بعد أن كانت قد تهدمت •

(٥) صيدا أو صيدون ، وهى مدينة فينيقية قديمة مبنية على جانب من رأس شمالى يمتد من ساحل عرضه نحو ميلين بين جبال لبنان والبحر المتوسط على بعد اثنين وعشرين ميلا شمالى صور ، وهى من أقدم مدن العالم واسمها مأخوذ من اسم صيدون ابن كنعان بن حام بن نوح • وكانت قريبة من نصيب سبط زبولون ، وتعتبر حدا لنصيب سبط أشير • الا أن اليهود لم يمتلكوها • وقد أغار أهلها الفينيقيون مرارا على اليهود ونهبوهم وأخذوا منهم أسرى وباعوهم فى أسواق العبيد • أما مدينة صيدا الحالية فتقوم على المنعطف الشمالى الغربى من رأس صغير يمتد فى البحر ، وبها كثير من آثار صيدا القديمة •

(٦) طبرية ، وهى مدينة كبيرة تقع على شاطىء بحيرة طبرية الغربى ، وقد بناها هيرودس أنتيباس لتكون عاصمة الجليل ، وأطلق عليها اسم الامبراطور الرومانى طيباريوس تقربا اليه ، وبنى على التلال المحيطة بها قصورا فاخرة لا تزال آثارها باقية حتى اليوم • ويقول يوسيفوس ان المدينة اذ أقيمت على موضع تكثر فيه القبور القديمة ، اعتبرها اليهود نجسة ، فجاء اليها هيرودس بطائفة من العبيد والأجانب الوثنيين وأسكنهم فيها • ولا تزال هذه المدينة باقية الى اليوم على الضفة الغربية من بحيرة طبرية ، على مسافة نحو اثنى عشر ميلا من مدخل نهر الأردن ، ونحو ستة أميال من مخرجه •

(٧) مجدل ، وهى مدينة تقع جنوبى طبرية على الشاطىء الغربى من بحيرة طبرية ، وتنتسب اليها مريم المجدلية • وكان يقع الى الجنوب منها وادى جنيسارت ، وكان جنة عامرة بالكرم والتين والزيتون والنخيل •

(٨) دلمانوثة ، وكانت تقع على الشاطىء الغربى من بحيرة طبرية بالقرب من مجدل .

(٩) قانا الجليل وهى مدينة كانت تقع على مسافة ثمانيــة أميال شمالى الناصرة ، وتقع فى الشمال الشرقى منها كفر ناحوم، كما تقع فى الجنوب الشرقى منها مجدل وطبرية .

(١٠) قيصرية فيلبس وهى مدينة تقع على هضبة مثلثـــة عند سفح جبل حرمون ، ويفصلها عن هذا الجبل وادى خشبة ، على مسافة عشرين ميلا شمالى بحيرة طبرية ، وخمسة وأربعــين ميلا الى الجنوب الغربى من دمشق . وكان اسمها القديم بعل جاد، ثم سماها اليونان « بانيون » على اسم الههم « بان » ، ثم أصبح اسمها « بانياس » ، وقد أعطاها الامبراطور الرومانى أغسطس الى هيرودس الكبير ، ثم انتقلت الى ابنه فيلبس وسميت «قيصرية فيلبس» تمييزا لهـــا عن قيصرية الكبيرة التى على شـــاطىء البحـــر .

(١١) بطولمايس وهى المسماة اليوم عكا ، وتقع شمالى حيفا على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وكانت قديما تدعى « عكو » (القضاة ١ : ٣١) .

٣ ـ الســامرة :

ويقع اقليم السامرة فى وسط فلســـطين ، بين الجليل فى الشمال ، واليهودية فى الجنوب ، وهى تمتد الى الأردن شرقا ، ولكنها لا تصل الى ساحل البحر الأبيض غربا ، وانما كان حدها الغربى يقف عند أنتيباتروس . وتبلغ مساحة اقليم السامرة نحو ألف ميل مربع ، وهى غنية بمروجها ورياضها ومراعيهـــا

وقد اختلطت عقائد أهلها بالكثير من العقائد الوثنية ، ولذلك لم يكن اليهود يخالطونهم أو يتعـــاملون معهم ، وانما كانـــوا يتجنبونهم ويحتقرونهم ٠

وعاصمة اقليم السامرة هى مدينة السامرة ، وهى تقع فوق رابية تتوسط واديا خصيبا على مسافة خمسة أميال ونصف تقريبا شمال غربى شكيم ٠ وكانت فى البداية عاصمة مملكة الاسباط العشرة المسماة مملكة اسرائيل ، وكانت فى موقع مرتفع ومحصنة ببرج عظيم فى الجنوب الغربى منها . وكان حولها سور عرضه خمسة أقدام ولذلك سميت « شوميرون » أى « مكان المراقبة » (الملوك الأول ١٦ : ٢٤) ، كما سميت أحيانا بسبب تحصينها « جبل السامرة » (عاموس ٤ : ١ ، ٦ : ١) ٠ وقد هدمها يوحنا هركانس ، ثم أعاد هيرودس الكبير بناءها وسماها سيباسطة ، وهو الاسم المؤنث من سيباسطوس الذى هو الاســم اليونانى لأغسطس قيصر ، ولا يزال يوجد فى مـــكانها قـــرية تسمى « سبسطية » ٠

٤ ــ العشر المدن :

وهى اقليم كان يضم عشر مدن متحالفة يقع أكثرها شرقى الأردن ، وتمتد شمالا الى دمشق وجنوبا الى نهر البابون عنــد لحد الشمالى لبيرية ٠ وكانت تسمى باليونانية « ديكابوليس » ٠ وبعد أن استولى عليها الاسكندر الأكبر نزح اليها عدد كبير من المهاجرين اليونان ، ولذلك كانت تغلب عليها الصبغة اليونانية ٠ وهذه المدن هى (دمشق) و (هيبوس) و (رافانا) و (بيللا) و (ديون) و (سيكتوبوليس) المسماة اليوم بيسان و (جدرة) المســماة اليــوم أم قيس و (قنانا) المســماة اليوم قنــوات ، و (جيراسا) المسماة اليوم الجرش ، و (فيلادلفيا) التى كانت تسمى ربة عمون ، والمسماة اليوم عمان ٠

وكانت منطقة العشر المدن من أجمل مناطق فلسطين . وكانت تزدهر فيها التجارة بسبب موقعها الجغرافى ، والطرق العديدة التى تمر بها ، ولا سيما الطريق الرئيسى الذى كان يأتى من دمشق ويمتد الى أقصى شبه الجزيرة العربية ٠

٥ - بيرية :

وكانت تقع كذلك شرقى الأردن ، وتمتد فى قلب اقليم العشر المدن شمالا الى مساحة كبيرة من شاطىء البحر الميت جنوبا ، وكان يسكنها كالعشر المدن عدد كبير من الوثنيين ٠

* * *

وكان هناك اقليم يسمى باليونانية « تراخونيتس » أى « الأرض الصخرية » ، وذلك لوعورته وكثرة صخوره ، وكان يقع جنوبى دمشق وشرقى الأردن ، ويشتمل على الصخور البركانية المسماة اليوم « اللجاة » مع جزء من جبل الدروز ٠ وقد أخذ هيرودس الكبير هذا الاقليم من الامبراطور أغسطس ، ثم آل الى ابنه فيلبس مع ايطورية ٠

كما كان هناك منطقة جولان الواقعة بين حرمون واليرموك ، وبها مدينة جولان التى كانت فى باشان ، وكانت ضمن أملاك نصف سبط منسى شرقى الأردن ، وقد سميت هذه المنطقة فيما بعد جولانيتس ، وهى المسماة حتى اليوم جولان أو الجولان ٠

* * *

هذه هى أقسام فلسطين وأهم مدنها وقراها قبل مجىء السيد المسيح ، ومنها يتضح أنه لم يكن مأهولا باليهود وحدهم الا أورشليم ومنطقة ضيقة حولها فى اقليم اليهودية ٠ وأما باقى هذا الاقليم والأقاليم الأخرى فقد كانت مأهولة بخليط من اليهود والمتهودين والوثنيين ٠ بل أن جزءا كبيرا من هذه

الأقاليم كان مأهولا بالوثنيين وحدهم • وحتى اليهود الذين من أصل عبراني ، كان أغلبهم قد أهملوا الديانة والتقاليد اليهودية وعاشوا على مقتضى الديانات والتقاليد اليونانية والرومانية • فلم يكن ثمة الا عددا ضئيل منهم يحتفظون بشريعة موسى ويحافظون عليها • ومع ذلك فقد كان احتفاظ أغلبهم بها شكليا فحسب ، وكانت محافظتهم عليها راجعة الى عصبيتهم الجامدة وتعصبهم الأعمى ، لا الى ايمانهم وتقواهم • وكان هؤلاء هم اليهود الذين ظهر بينهم السيد المسيح •

البـاب الثانى

ديانة اليهود

الفصل الأول

أنبياء اليهود

١ ـ رسالة الانبياء

كان اليهود قبل مجيء السيد المسيح يشبهون الليل الحالك الظلام ، بسبب آثامهم وشرورهم وسواد قلوبهم وتمردهم على ربهم وعبادتهم الأوثان وسلوكهم مسلك الوثنيين فى أفكارهم وأفعالهم وعاداتهم وفى كل شئون حياتهم • بيد أن الله كان يرسل فى ظلام هذا الليل بين الفينة والفينة نجما يستمد نوره من نور الله ليهدى أولئك القوم الذين أعمت المفاسد أبصارهم وبصائرهم ، عساهم أن يرجعوا عن غيهم ويثوبوا الى رشدهم ويتوبوا عن خطاياهم • غير أن نجما بعد نجم ظهر ثم مضى والظلام باق لا يزول ، حالك شديد الحلكة ، أسود شديد السواد• وكانت تلك النجوم هى الأنبياء الذين كان الله يرسلهم الى اليهود حين كانوا يوغلون فى العناد والابتعاد عنه ويستغلون رحمته ومغفرته للناس فيتمردون عليه تمرد العبيد الأدنياء الأنجاس •

وقد اختار الله أنبياءه من القوم الاتقياء الانقياء القلب المتسامين بأرواحهم عن دنايا الجسد الانسانى الدنس • ثم نفخ فيهم من روحه القدوس ، فمنحهم القوة والقدرة على الاتصال به ورؤية عظمته والاستماع الى كلمته ومعرفة مشيئته ، ثم تعريف الناس بهذه المشيئة ، مدعمة بالبراهين على أن الله هو الذى

أرسلهم لهذه الغاية وأنهم صادقون فى رسالتهم · ومن هـــذه البراهين التنبؤ بالغيب الذى يستمدون العلم به من العلم الالهى، والقيام بالمعجزات التى لا يستطيع القيام بها الا الله وحـده · فكانت أقوال الأنبياء وأعمالهم ونبوءاتهم ومعجزاتهم هى المرآة الصادقة لمشيئة الله ، وهى المصدر الصحيح لشريعـة الله التى تتضمن أوامره وأحكامه ووصاياه ·

لقد اشتد الخوف باليهود واستبد بهم الرعب حين ظهر الله لهم فى لهيب النار حين كانوا فى سيناء ، لأن طبيعتهم النجسـة لا يسعها الا أن تفزع أمام الله الطاهر القدوس ، ولذلك فان الله بدلا من أن يعلن لهم مشيئته بنفسه على مدى الأجيال ، وعد بأن يرسل نبيا ينوب عنه فى اعلان مشيئته حين يرتأى ذلك ، اذ قال موسى النبى فى سفر التثنية « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون · حسب كل مـا طلبت من الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب الهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت · قال لى الرب قد أحسنوا فى كل ما تكلموا · أقيم لكم نبيا من وسـط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمكم بكل ما أوصيه به · ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » (التثنية ١٨ : ١٥ ــ ١٩) ·

والله هو الذى يختار الأنبياء ·· فكلمة « نبى » نفســها كلمة عبرانية تعنى « المدعو » ، أى الذى اختاره الله ودعـاه للخدمة التى كرسه لها · وحين يختار الله نبيا ينفث فيــه من روحه ، اذ قال موسى النبى « ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذا جعل الرب روحه عليهم » (العدد ١١ : ٢٩) · واذ كان من مظاهر الاختيار الالهى لشخص كى يؤدى عملا مقدسا يكلفه به أن يتم مسح الشخص بالزيت المقدس ، كان الله يسمى أنبياءه

ممسوحين أو مسحاء أى مختارين منـــه ، وقد أوصى قائـــلا « لا تمسوا مسحائى ولا تؤذوا أنبيائى » (اخبار الأيام الأول ١٦ : ٢٢) . وقد يمسح الله نبيا بواسطة نبى آخر . اذ قال الله لايليا النبى « اذهب .. وامسح اليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك » (الملوك الأول ١٩ : ١٦) . كما كان الله يكلف الانبياء بمسح الملوك ، اذ جاء فى سفر صموئيـــل « والرب كشف اذن صموئيل قبل مجىء شاول بيوم قائلا غــدا فى مثل الآن أرسل اليك رجلا من أرض بنيامين فامسحه رئيسا لشعبى » (صموئيل الأول ٩ : ١٥ و ١٦) . وجاء فيه « فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على اسرائيل ؟ امـــلأ قرنك دهنا وتعـال أرســـلك الى يسى البيتلحمى لأنى قد رأيت لى فى بنيه ملكا .. وعبر يسى بنيه السبعة أمام صموئيل فقال صموئيل ليسى الرب لم يختــر هؤلاء .. فقال بقى بعــد الصغير وهوذا يرعى الغنم . فقــال صموئيل ليسى ارسل وائت به .. فأرسل وأتى به .. فقال الرب قم امسحه لأن هذا هو ، فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط اخوته وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا » (صموئيل الأول ١٦ : ١ ــ ١٣) . وجاء فى سفر الملوك « دعا أليشع النبى واحدا من بنى الأنبياء وقال له شد حقويك وخــذ قنينة الدهن هذه بيدك واذهب الى راموت جلعاد .. فانظر هنــاك ياهو بن يهوشافاط .. ثم خذ قنينة الدهن وصب على رأســه وقل هكذا قال الرب قد مسحتك ملكا على اسرائيــل » (الملوك الثانى ٩: ١ ــ ٣) .

وحين كان الله يختار نبيا له ، كان يأتمنه عـــلى أسراره ويكشف له عن مشيئته ، اذ جاء فى سفر عاموس « ان السـيد الرب لا يصنع أمرا الا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء » (عاموس ٣ : ٧) . ومثال ذلك ما فعله الله مع ابراهيم حين أراد الله أن

يهلك مدينة سدوم ، اذ جاء فى سفر التكوين « فقال الرب هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله ؟ » (التكوين ١٨ : ١٧)

والله يوحى الى النبى الرسالة التى يريده أن يبلغهـــا الى الناس ، أو حسب تعبير التوراة يتكلم به ، أو يجعل كلمته فى فمه أو على لسانه ، اذ قال الله لموسى النبى « اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به » (الخروج ٤ : ١٢) • وقال له « أليس هارون اللاوى أخاك ؟ •• فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصـــنعان » (الخروج ٤ : ١٢) • وقال داود النبى « روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسانى » (صموئيل الثانى ٢٣ : ٢) • وقال ميخا النبى « حى هو الرب ان ما يقوله الرب به أتكلم » (الملوك الأول ٢٢ : ١٤) • وقال اشعياء النبى « ما سمعته من رب الجنود اله اسرائيل أخبرتكم به » (اشعياء ٢١ : ١٠) • وقال ارميـــا النبى « مد الرب يده ولمس فمى وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك » (ارميا ١ : ٩) •

وقد يحدث أن يكون النبى مجرد وســـيط لتبليغ رســالة من الله بحروفها وبحذافيرها ، بحيث لا يكون له أى دخـــل فى صياغتها ، حتى ليحدث أنه هـــو ذاته لا يكون مدركا لمعناها ، ولا سيما اذا كانت الرسالة تتضمن عبارات رمزية أو نبوءات عن المستقبل البعيد • ومن ذلك ما حدث لدانيال النبى بعد أن تلقى وحيـــا من اللـــه بنبوءة زاخرة بالرموز الغامضة ، اذ تملكته حيرة عظيمة فى تفسيرها وقال « أما أنا دانيال فأفكارى أفزعتنى كثيرا •• وحفظت الامر فى قلبى » (دانيال ٧ : ٢٨) وقال فى موضع آخر « وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى اذا بشبه انسان واقف قبالتى •• فنادى وقال يا جبرائيل فهم هـــذا الرجل الرؤيا » (دانيال ٨ : ١٥ و ١٦) • وقال

فى موضع ثالث « أنا دانيال ٠٠ اذ كنت على جانب النهر العظيم وهـــو دجلة رفعت عينى ونظرت فاذا برجل ٠٠ وجهـه كمنظر البرق وعيناه كمصباحى نار ٠٠ فرأيت أنا دانيـــال الرؤيا وحـــدى والرجال الذين كانوا معى لم يروا الرؤيا ٠٠ ولم تبق فى قوة ٠٠ ولمـا سمعت صوت كلامـه كنت مســبخا على وجهى ٠٠ واذا بيد لمستنى وأقامتنى مرتجفا ٠٠ وقال لى ٠٠ لا تخف يادانيال ٠٠ جئت لافهمك ما يصيب شعبك فى الايام الأخيرة ، لأن الرؤيا الى أيام بعد » (دانيال ١٠ : ٢ ـ ١٤) ٠ وقـد ظـل اليهود لا يفهمون أكثر النبوءات التى أوحى اللـه بها الى أنبيائهم ولا سيما بصدد المسيح الذى كان الله قد وعدهم بمجيئه ليخلصهم ، لانهم لو فهموها على حقيقتها ما كانوا أعلنوا الحرب عليه حين جـــاء وما كانوا أمسكوه وقتلوه ٠

وحين يوحى الله برسالة الى أحـــد أنبيائه ويطلب اليـــه أن يبلغها للناس ، يجد النبى نفســه مدفوعا بقوة قاهرة الى تبليغ هـــذه الرسالة مهما منعه الناس من ذلك ومهما هددوه واضطهدوه كى يغلق فمـــه ، وفى ذلك يقول أرميـــا النبى « قد اقنعتنى يـــارب فاقتنعت وألححت على فغلبت ٠ صرت للضحك كل النهار ٠ كل واحد استهزأ بى لأنى كلما تكلمت صرخت ٠ ناديت ظلم واغتصاب ٠ لأن كلمة الرب صارت لى للعار وللسخرية كل النهار ٠ فقلت لا أذكره ولا أنطق بعـــد باسمه ٠ فكان فى قلبى كنار محرقة محصورة فى عظامى ، فمللت من الامســـاك ولم أستطع » (ارميا ٢٠ : ٧ ـ ٩)

ولابد أن يكون النبى فى حالة روحية سامية جـــدا ليكون مهيأ لأن يتلقى وحى الله ٠ وهو لا يصل الى هذه الحالة الروحية الا بالصلاة والصوم والتقشف والانسحاق أمـــام الله والانطلاق هائما فى الجبـــال والبرارى أياما كثيرة ٠ وفى ذلك يقـــول

دانيال النبى « فوجهت وجهى الى اللـــه السيد طالبا بالصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد وصليت الى الرب الهى ٠٠ وبينما أنـــا أتكلم وأصلى وأعترف بخطيتى وخطيـــة شـعبى اسرائيل ٠٠ اذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء ٠٠٠ لمسنى ٠٠٠ وقال يـا دانيـال انى خرجت الآن لأعلمك الفهم » (دانيال ٩ : ٣ و ٢٠ و ٢١) ٠ كما قال فى موضع آخر « أنا دانيال كنت نائما ثلاثة أســابيع أيام ، لم آكل طعاما شهيا ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر ولم أدهن ، حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام ٠ وفى اليوم الرابع والعشرين من الشهر الاول ، اذ كنت على جانب النهر العظيم وهو دجلة ٠٠ فرأيت أنا دانيال الرؤيا » (دانيال ١٠ : ٢ ـ ٧) ٠ وربما كان يحتاج النبى كى يصل الى الحالة الروحية التى تهيؤه للوحى الى بعض المؤثرات التى تسـمو بالـروح كالموسيقى ٠ اذ جـاء فى سفر الملوك « فقال يهوشافاط (ملك يهوذا) أليس هنـا نبى للرب فنسأل الرب به ؟ فأجاب واحـد من عبيد ملـك اسرائيل وقال هنا أليشع بن شافاط٠٠فنزل اليه ملك اسرائيل ، ويهوشافاط ، وملك أدوم ٠٠ فقال أليشع ٠٠ والآن فأتونى بعواد ٠٠ ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب » (الملوك الثانى ٣ : ١١ ـ ١٥) ٠

وقد كان وحى الله الى الانبياء بوسائل كثيرة أهمها المخاطبة المباشرة ، والرؤيا فى اليقظة ، والحلم أثنـاء الليل ٠ وقـد وردت هذه الوسائل الثلاث فى قول الله « ان كان منكم نبى للرب فبالرؤيا استعلن له فى الحلم ٠ أما عبدى موسى فليس هكذا ، بل هو أمين فى كل بيتى ٠ فما الى فم وعيانا أتكلم معه » (العدد ١٢ : ٦ ـ ٨) :

أمـا وسيلة المخاطبة المباشرة فان أمثلتها تملأ أســفار

التوراة من بدايتها الى نهايتها ، اذ خاطب الله معظم الانبيـــاء بكلام مباشر سمعوه بآذانهم أو تلتوه بالوحى فنقلوه كما هـــو كأنهم سمعوه بآذانهم . فقد جـــاء فى سفر التكوين « قـال الله لابراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى » (التكوين ١٧ : ٩) . وجـــاء فيه « كان فى الارض جوع فذهب اسحق الى أبيمالك ملك الفلسطينيين .. وظهر له الرب وقال لا تنزل الى مصر . أسكن فى الارض التى أقول لك » (التكوين ٢٦ : ١ و ٢) . وجـــاء فيه « قال الله ليعقوب قم اصعد الى بيت ايل وأقم هناك واصنع هنـــاك مذبحا لله » (التكوين ٣٥ : ١) . وجـــاء فى سفر الخروج « قال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل يهوه اله آبائكم ، اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم » (الخروج ٣ : ١٥) . وجـــاء فى سفر يشوع « وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشـــوع بن نون خادم موسى قائلا .. قم أعبر هذا الاردن أنت وكل هـــذا الشعب » (يشوع ١ : ١ و ٢) . وعلى هـــذا المنوال خاطب الله كل الانبياء الذين ذكرتهم التوراة ولا سيما صموئيل وداود واشعياء وارميا وحزقيال ودانيال وغيرهم .

وأما وسيلة الرؤيا التى يعلن الله فيها ارادته لأنبيائه أثناء يقظتهم عن طريق صور حقيقية أو رمزية ، فأمثلتها تملأ أسفار التوراة كذلك ، وأشهرها رؤى اشعياء وحزقيال ودانيال : اذ جاء فى سفر اشـعياء « رؤيا اشعياء بن آموص التى رآها على يهوذا وأورشليم فى أيام عزيا ويوثام وآحـــاز وحزقيا ملوك يهوذا » (اشعياء ١ : ١) . وجـــاء فيه « الأمور التى رآهـا اشعياء بن آموص من جهـة يهـــوذا وأورشليم » (اشـــعياء ٢ : ١) وجـــاء فيه « فى سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسى عالى ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل » (اشعياء

٦ : ١) ٠ وجـــاء فى سفر حزقيال « كان فى الســـنة الثلاثين
فى الشهر الرابع فى الخامس من الشهر وأنا بين المسبيين عند
نهر خابور أن السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله » (حزقيال
١ : ١) ٠ وجـــاء فيه « وكان فى السنة السادسة فى الشهر
السادس فى الخامس من الشهر وأناجالسفى بيتى ومشـــايخ
يهوذا جالسون أمامى أن يد السيد الرب وقعت على هنـــاك
فنظرت واذا شبه كمنظر نار من منظر حقويه الى تحت ٠٠٠
ومـــد شبه يد وأخذنى بناصية رأسى ورفعنى روح بين الارض
والسماء ، وأتى بى فى رؤى الله » (حزقيال ٨ : ١ ــ ٣) ٠
وجاء فيه « فى السنة الخامسة والعشرين من سبينا ، فى رأس
السنة فى العاشر من الشهر فى السنة الرابعة عشرة ٠ بعدما
خربت المدينة ، فى نفس ذلك اليوم كانت على يد الرب وأتى بى
الى هناك ٠ فى رؤى الله أتى بى الى أرض اسرائيل » (حزقيال
٤٠ : ١ و ٢) ٠ وجـــاء فى سفر دانيال « فى السنة الثالثـة
من ملك بيلشاصر الملك ظهرت لى أنا دانيال رؤيا بعد التى ظهرت
لى فى الابتداء » (دانيال ٨ : ١) وجاء فيه « وكان لما رأيت أنا
دانيال الرؤيا وطلبت المعنى اذا بشبه انسان واقف قبالتى »
(دانيال ٨ : ١٥) ٠ وجـــاء فيه « حينئذ لدانيال كشف السر
فى رؤيا » (دانيال ٢ : ١٩) ٠ ولمـــا كانت الرؤيا من وسائل
النبوة ، كان اليهود يسمون النبىأحيانا « الرائى » ، اذ جـــاء
فى سفر صموئيل « سابقا فى اسرائيل هكذا كان يقول الرجـل
عند ذهابه يســـأل الله هلم نذهب الى الرائى ، لأن النبى اليوم
كان يدعى سابقا الرائى » (صموئيل الأول ٩ : ٩) ٠ وجـــاء
فيه « ولمـــا قام داود صباحا كان كلام الرب الى جـــاد النبى
رائى داود » (صموئيل الثانى ٢٤ : ١١) ٠ وجـــاء فى سفر
أخبار الأيام « وأمور داود الملك الاولى والاخيرة هى مكتوبة فى
أخبار صموئيل الرائى وأخبار ناثان النبى وأخبار جاد الرائى »
(أخبار الايام الاول ٢٩ : ٢٩) ٠

وأما وسيلة الاحلام فهى كوسيلة الرؤيا ولكنها لا تتم فى اليقظة وانما أثناء النوم • ومن أمثلة الاحلام النبوية ما ورد فى سفر التكوين اذ جاء به « فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران وصادف مكانا وبات هنـــاك لأن الشمس كانت قد غابت • وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأســـه فاضطجع فى ذلك المكان ، ورأى حلما واذا سلم منصوب على الارض ورأسها يمس السماء ، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها •• » (التكوين ٢٨ : ١٠ ــ ١٢) • ويقول يعقوب « قال لى ملاك الله فى حـــلم يايعقوب فقلت ها أنذا فقال •• أنا اله بيت ايل •• قم اخرج من هذه الارض وارجع الى أرض ميلادك » (التكوين ٣١ : ١١ ــ ١٣) وجـــاء فى سفر الملوك « فى جبعون تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلا وقال الله اســـأل ماذا أعطيك » (الملوك الأول ٣ : ٥) وكما أعطى الله الانبياء أحلاما يعلن لهم فيها مشيئته بعبارات ومناظر صريحة واضحـــة أو رمزية غامضة ، أعطى بعضهم كذلك موهبة يستطيعون بهـــا تفسير الاحلام التى تتراءى لهم أو للآخرين • ومن أشهر أنبياء التوارة الذين أعطاهم الله هـــذه الموهبة يوسف بن يعقوب ، ودانيال النبى • اذ استطاع يوسف وهو مسجون فى مصر أن يفسر حلمين غريبين لساقى فرعون وخبازه ، كما استطاع أن يفسر حلما غريبا لفرعون ذاته (التكوين ٤١ : ١ ــ ٣٦) • واستطاع دانيال أن يفسر حلما لنبوخذ نصر ملك بابل (دانيال ٢ : ١ ــ ٤٩) واستطاع أن يفسر حلما لبيلشاصر ملك بابل (دانيال ٧ : ١ ــ ١٢) •

وقد وهب الله الانبياء القدرة على صـــنع المعجزات التى لا يمكن الا لله وحده أن يصنعها ، ليؤمن الناس بأن الله هـــو الذى أرسلهم ، وأن كلامهم هو كلام الله وأعمالهم هى أعماله فيطيعونهم ويعملون بكلامهم ويأخذون العبرة من أعمالهم • وقد

كانت أغلب أعمال موسى النبى معجزات صنعها بأمر الله وقدرته ومنها المعجزات التى صنعها أمام فرعون كى يسمح لليهود بأن يخرجوا من مصر • (الخروج ٣ ـ ١٢) ، ومنها معجزة شق مياه البحر الاحمر نصفين ليعبر اليهود على الارض اليابسة التى انشقت المياه عنها (الخروج ١٤ : ١٥ ـ ١٩) ومعجزة انزال المن والسلوى فى صحراء سيناء (الخروج ١٦ : ١٣ ـ ٢٥) ومعجزة تفجير المياه من الصخرة فى حوريب (الخروج ١٧ : ١ ـ ٧) • وقد صنع ايليا النبى كثيرا من المعجزات ومنها اعادة الحياة الى طفل بعد أن مات (الملوك الأول ١٧ : ١٧ ـ ٢٤) وانزال المطر بعد انقطاعه (الملوك الأول ١٨ : ٤١ ـ ٤٢) • كما صنع أليشع النبى كثيرا من المعجزات كذلك • ومنها اعادة الحياة الى طفل بعد موته (الملوك الثانى ٤ : ٣٢ ـ ٣٧) وشفاء رجل مصاب بالبرص (الملوك الثانى ٥ : ١٠ ـ ٢٧) • واصابة جنود الآراميين بالعمى ثم شفائهم (الملوك الثانى ٦ : ١٨) وغير ذلك من المعجزات التى صنعها أولئك الأنبياء وغيرهم بقوة الله اثباتا لاختيار الله لهم أنبياء ورسلا له •

ويدخل فى باب المعجزات التى وهب الله الانبياء القدرة على اتيانها علمهم بالخفايا الماضية والحاضرة ، وتنبؤهم بالحوادث التى ستقع فى المستقبل القريب أو البعيد • وذلك أنه لما كان الله غير محدود بزمان ، وانما هو موجود فى الماضى والحاضر والمستقبل معا ، فانه عالم بكل أحداث الماضى والحاضر والمستقبل معا كذلك ، وقد منح أنبياءه قبسا من علمه الشامل هذا ، فهم يستطيعون بوحيه والهامه ـ لحكمة يرمى اليها ـ أن يحيطوا بأحداث الماضى والحاضر التى لا يحيط بها غيرهم من الناس ، كما أنهم يستطيعون أن يحيطوا بأحداث المستقبل التى لا يعلمها الا الله وحده ، ويشاهدوها على حقيقتها أو

فى رموز تدل عليها • وقد تنبــأ كل أنبياء التوارة بالاحداث الخفية والمستقبلة وذكروها على أن الله هو الذى ذكرها لهم • ومثـــال ذلك مـــا ورد فى سفر التكوين اذ جـــاء به « ودعـــا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لانبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام » (التكوين ٤٩ : ١) • وجاء فى سفر التثنية « أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا خذوا كتـــاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون هنـــاك شاهدا عليكم • لانى عارف انكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لانكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم » (التثنية ٣١ : ٢٤ ــ ٢٩) • وجـــاء فى سفر صموئيل « فقال الرب لصموئيل هوذا أنا فاعل أمرا فى اسرائيل كل من سمع به تطن أذناه • فى ذلك اليوم أقيم على عالى كل ما تكلمت به على بيته •• وقد أخبرته بأنى أقضى على بيته الى الابد من أجل الشر الذى يعلم أن بنيه قد اوجبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يردعهم » (صموئيل الأول ٣ : ١١ ــ ١٣) • وجـــاء فى سفر الملوك « واذا برجـــل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب الى بيت ايل ويربعام (ملك اسرائيل) واقف لدى المذبح لكى يوقد ، فنادى •• هكذا قال الرب هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا •• » (الملوك الاول ١٣ : ١ و ٢) • وجـــاء فيه « مرض أبيا بن يربعام ، فقال يربعام لامرأته •• اذهبى الى شيلوه • هوذا هنـــاك أخيا النبى •• هو يخبرك ماذا يكون الغلام •• ففعلت امرأة يربعام هكذا •• فلما سمع أخيا حس رجليها وهى داخلة فى البـــاب قال •• اذهبى قولى ليربعام هكذا قال الرب اله اسرائيل •• ها أنذا جالب شرا على بيت يربعام •• وأنت فقومى وانطلقى الى بيتك وعند دخول رجليك الى المدينة بموت الولد •• ولمـــا وصلت الى عتبة الباب مـــات الغـــلام » (الملوك الأول ١٤ : ١ ــ ١٧) • وجـــاء فيه « سقط أخزيا من الكوة التى على

عليته التى فى السامرة فمرض وأرسل رسـلا وقال لهم اذهبوا اسألوا بعـل زبوب اله عقرون ان كنت أبرأ من هـذا المرض • فقال ملاك الرب لايليا التشبى قم اصعد للقاء رسل ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد فى اسرائيل اله تذهبون لتسألوا بعل زبوب اله عقرون ؟ فلذلك هكذا قال الرب ان السرير الذى صعدت عليه لا تنزل عنه بـل موتا تموت ••• فمات حسب كلام الرب الذى تكلم به ايليا » (الملوك الثانى ١ : ٢ ـ ١٧) وجاء فى سفر أخبار الايام « كان لمـا سكن داود فى بيته قال داود لناثان النبى هاأنذا ساكن فى بيت من أرز وتابوت عهد الرب تحت شققه •• وفى تلك الليلة كان كلام الله الى ناثان قائـلا اذهب وقل لداود عبدى •• أنت لا تبنى لى بيتا للسكن •• انى أقيم بعدك نسلك الذى يكون من بنيك •• هو يبنى لى بيتا » (أخبار الايام الأول ١٧ : ١ ـ ١٢) • وقد زخر سفر المزامير الذى كتب داود النبى معظمه بالنبوءات ولا سيما عن مجىء السيد المسيح وحياته على الارض وموته وقيامته • وأما الاسفار النبوية التى تستغرق معظم التوراة فكل نصوصها نبوءات عن المستقبل القريب والبعيد وما سيحل بأمة اليهود وأمم العالم الأخرى ، وهى أسفار الانبياء اشعياء وارميا وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعـوبديا ويونان وميخـا وناحـوم وحبقوق وصفنيا وحجى وذكريا وملاخى • ومن ثم فان هـذه الاسفار زاخرة بمثل هـذه العبارات : « وحى من جهة بابل رآه اشعياء ابن آموص» (اشعياء ١٣ : ١) ـ « وحى من جهـة موآب » (اشعياء ١٥ : ١) ـ «وحى من جهة دمشق» (اشعياء ١٧ : ١) ـ « وحى من جهة مصر » (اشعياء ١٩ : ١) ـ « الكلام الذى صار الى ارميا عن شعب يهوذا » (ارميا ٢٥ : ١) ـ « الكلمة التى صارت الى ارميا من جهـة كل اليهود السـاكنين فى أرض مصر » (ارميا ٤٣ : ١) ـ « وكان الى كلام الرب قائلا يا بن آدم تنبـأ على أنبيـاء اسرائيـل » (حزقيـال ١٣ : ١) ـ

« وكان الى كلام الرب قائلا يابن آدم اجعل وجهك نحو أورشليم ٠٠ وتنبأ على أرض اسرائيل » (حزقيال ٢١ : ١) ٠ ـ « وكان الى كلام الرب قائلا يا ابن ادم اجعل وجهك نحو بنى عمون وتنبأ عليهم » (حزقيال ٢٥ : ١) ـ « كان الى كلام الرب قائلا يا ابن آدم اجعل وجهك نحو فرعون ملك مصر وتنبأ عليه وعلى مصر كلها » (حزقيال ٢٩ : ١ و ٢) ـ « أقوال عاموس ٠٠ التى رآها عن اسرائيل » (عاموس ١ : ١) ـ « هكذا قال السيد الرب عن آدوم » (عوبديا ١ : ١) ـ « قول الرب الذى صار الى ميخا ٠٠ على السامرة وأورشليم » (ميخا ١ : ١) ـ « وحى على نينوى » (ناحوم ١ : ١) ـ « الوحى الذى رآه حبقوق النبى » (حبقوق ١ : ١) ـ « كلمة الرب التى صارت الى صفنيا » (صفنيا ١ : ١) ـ « وحى كلمة الرب لاسرائيل على يد ملاخى » (ملاخى ١ : ١) وقد تحقق أكثر النبوءات التى تنبأ بها أولئك الانبياء ولا سيما فيما يتعلق بظهور المسيح وسقوط الامة اليهودية ، وفيما يتعلق بالبلاد الاخرى التى انصبت عليها هذه النبوءات ولا سيما الامبراطوريات المصرية والبابلية والاشورية والفارسية واليونانية والرومانية ، والشعوب الآرامية والموآبية والعمونية والأدومية وأهل صور وصيدا وأشدود وغزه ، وغيرها من بلاد العالم القديم ٠ وأما باقى النبوءات التى تتعلق بالمستقبل البعيد وبنهاية العالم ويوم الدينونة ، فان صدقها يدل عليه صدق النبوءات التى تحققت بالفعل ٠ وقد كان يبلغ أحيانا من وضوح النبوءات التى يضعها الله فى أفواه الانبياء أنها تحدد تواريخ الاحداث المستقبلة تحديدا دقيقا ، بل تصرح بأسماء الاشخاص الذين سيكون لهم شأن فى هذه الاحداث ٠ ومن ذلك أن ميخا تنبأ بسبى البابليين لليهود قبل حدوث ذلك بنحو مائة وخمسين عاما ، وكان ذلك فى زمان لم يكن ثمة فيه أى عداوة بين البابليين واليهود ، بل لم تكن

بابل نفسها قد أصبحت دولة مستقلة بعد . كما أن ارميا النبى حدد تاريخ عودة اليهود من السبى قبل عودتهم بسبعين عاما . وقد صرح اشعياء النبى باسم الملك الذى سيأمر بعودتهم وهو « قورش » ، وكان ذلك قبل ظهور « قورش » فعلا بأكثر من مائة عام . وقد تنبأ دانيال النبى بسلسلة من الاحداث التاريخية الكبرى التى ستقع فى المستقبل ، ذاكرا اياها حسب ترتيب وقوعها ، ولا سيما سقوط الملك بلشاصر ملك البابليين. ثم قيام قورش ملك الفرس ثم خلفاؤه قمبيز ثم دارا ثم اكسركسيس . ثم ظهور الاسكندر الاكبر عاهل اليونان وفتوحاته الشاسعة ثم موته المفاجىء وتقسيم مملكته ، والصراع بين مملكتى البطالمة والسيليوكيين ، ثم قيام الامبراطورية الرومانية ثم سقوطها . وقد تحققت هذه النبوءات بحذافيرها ، كما تحققت كل النبوءات عن مصر وبابل وسوريا وفلسطين وآرام وموآب وصور وصيدا وغيرها من الأمم والبلاد .

والرسالة الاساسية للانبياء هى تبليغ ارادة الله للبشر ، وتلقينهم تعاليمه ، وتبصيرهم بأوامره وأحكامه ووصاياه ، وتحذيرهم من الابتعاد عن الله أو التمرد عليه أو عبادة الآلهة الوثنية من دونه ، أو الانغماس فى الشرور والشهوات والخطايا والآثام ، ناسبين هذا التعليم كله لا الى أنفسهم بل الى الله ، اذ جاء فى سفر التكوين « ابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الارض ، لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا » (التكوين ١٨ : ١٨ و ١٩) . وجاء فى سفر الخروج « فقال الرب لموسى .. اذهب اهد الشعب الى حيث كلمتك » (الخروج ٣٢ : ٣٣ و ٣٤) — « فدعاهم موسى .. فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه فى جبل سيناء » (الخروج ٣٤ : ٣١ و ٣٢) — « وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع

حتى يخرج · ثم يخرج ويكلم بنى اسرائيل بما يوحى » (الخروج ٣٤ : ٣٤) · وجـــاء فى سفر العدد « فكلم موسى بنى اسرائيل حسب كل ما أمر به الرب » (العدد ٢٩ : ٤٠) · وجـــاء فى سفر التثنية قول موسى لليهود « قـد علمتكم فرائض وأحكاما كما أمرنى الرب الهى لكى تعملوا هكذا فى الارض التى أنتم داخلون اليها » (التثنية ٤ : ٥) ـ « وأياى أمر الرب فى ذلك الوقت أن أعلمكم فرائض وأحكاما لكى تعملوها فى الارض التى أنتم عابرون اليها لتمتلكوها » (التثنية ٤ : ١٤) ـ « ولكن ان لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع هـــذه اللعنات وتدركك ·· يجعلك الرب منهزما أمـــام أعدائك ·· ولا تنجح فى طرقك بل لا تكون الا مظلوما مغصوبا كل الايام ·· وتكون دهشا ومثـــلا وهزأة فى جميع الشعوب الـذين يسوقك الرب اليهم » (التثنية ٢٨ : ١٥ ـ ٣٧) ـ « لئلا يكون فيكم رجـــل أو امرأة أو عشيرة أو سبط قلبه اليوم منصرف عن الرب الهنا لكى يذهب ليعبد آلهة تلك الامم » (التثنية ٢٩ : ١٨) ـ « قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر · بما انى أوصيتك أن تحب الرب الهك وتسلك فى طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكى تحيـــا وتنمو ويباركك الرب الهك ·· فان انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها فانى انبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون · أشهد عليكم اليوم السماء والارض · قد جعلت قدامك الحياة والموت والبركة واللعنة ، فاختر الحياة لكى تحيـــا أنت ونسلك » (التثنية ٣٠ : ١٥ ـ ١٩) ـ « فذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع اسرائيل » (التثنية ٣١ : ١) · وعلى هـــذا المنوال فعل جميع الانبياء ·

وكان اليهود ولا سيما ملوكهم ، حين يقعون فى الضائقات أو يخوضون الحروب يلجأون الى الانبياء ليعلموا منهم وحى اللـــه

فيما يقعون فيه من ضائقات أو يخوضون من حروب • ومن ذلك ما ورد فى سفر الملوك اذ جـــاء به « خرج الملك يهورام (ملك اسرائيل) •• وذهب وأرسل الى يهوشافاط ملك يهوذا يقول قد عصى على ملك موآب فهل تذهب معى الى موآب للحرب فقـال أصعد •• فقال يهوشافاط أليس هنـــا نبى للرب فنسأل الرب بـه ؟ فأجاب واحـــد من عبيد ملك اسرائيل وقال هنـا أليشع ابن شـــافاط •• فنزل اليه ملك اسرائيل ويهوشـــافاط •• فقال هكذا قال الرب •• ذلك يسير فى عينى الرب فيدفع موآب الى أيديكم » (الملوك الثانى ٣ : ٦ ـ ١٨) •

وكما كان يوجد أنبياء من الرجال عند اليهود كانت توجـد عندهم كذلك نبيات من النساء •• وأشهر أولئك النبيات اللواتى ورد ذكرهن فى التوراة مريم أخت موسى وهارون التى جـــاء عنها فى سفر الخروج « فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص » (الخروج ١٥ : ٢٠) • ودبورة التى جـــاء عنها فى سفر القضاة : « ودبورة امرأة نبية زوجـة لفيدوت هى قاضية اسرائيل فى ذلك الوقت » (القضاة ٤ : ٤) وخلـــدة التى جـــاء عنها فى سفر الملوك « فذهب حلقيا الكاهن وأخيقام وعكبور وشافان وعسايا الى خلدة النبية امرأة شلوم » (الملوك الثانى ٢٢ : ١٤) • وكانوا يعتبرون زوجات الانبياء نبيات أحيانا ، دون أن تكون لهن أية موهبة نبوية •

بيد أن اليهود كانوا لا يستمعون الى أنبيائهم ولا يطيعونهم ولا يطيعون الله الذى أرسلهم ، ومن ثم قال الله لهم فى استياء وغضب « لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة ، بـــل انما أوصيتهم بهذا الامر قائلا اسمعوا صوتى فأكون لكم الها وأنتم تكونون لى شعبا وسيروا

فى كل الطريق الذى أوصيكم به ليحسن اليكم فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل ساروا فى مشورات وعناد قلبهم الشرير وأعطوا القفـــا لا الوجــه · فمن اليوم الذى خرج فيه آباؤكم من أرض مصر الى هـــذا اليوم أرسلت اليكم عبيدى الانبياء مبكرا كل يوم ومرسلا فلم يسمعوا لى ولم يميلوا أذنهم بل صلبوا رقابهم · أساءوا أكثر من آبائهم · فتكلمهم بكل هذه الكلمات ولا يسمعون لك وتدعوهم ولا يجيبونك ·· فتقول لهم هـــذه هى الأمة التى لم تسمع لصوت الرب الهنـــا ولم تقبل تأديبـــا » (ارميا ٧ : ٢٢ ــ ٢٨) · وقال ارميا النبى لليهود « صارت كلمة الرب الى فعلمتكم مبكرا ومكلما فلم تسمعوا · وقد أرســل الرب اليكم كل عبيده الانبياء مبكرا ومرسلا فلم تسمعوا ولم تميلوا أذنكم للسمع ، قائلين ارجعوا كل واحد عن طريقه الردى وعن شر أعمالكم واسكنوا فى الارض التى أعطاكم الرب ·· ولا تسلكوا وراء آلهة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها ولا تغيظونى بعمـــل أيديكم فلا أسىء اليكم · فلم تسمعوا لى يقول الرب لتغيظونى بعمل أيديكم » (ارميا ٢٥ : ٣ ــ ٧) · بل ان اليهود كانوا يطاردون أنبياءهم ويضطهدونهم ويقتلونهم · ومن ثم يقول لهم ارميا النبى « أكل سيفكم أنبياءكم » (ارميا ٢ : ٣٠) ·

ولم يفهم اليهود رسالة الانبياء على أنهم مختارون من الله لتبليغ مشيئته ، وانمـــا اعتبروا الانبياء كمـــا كان يعتبرهم معـــاصروهم من الوثنيين طائفة من المشعوذين الذين يتلقنون علــــوم التنجيم والعرافة وقراءة الغيب ومعرفة الطـــالع فى مدارس مخصصة لذلك يسمى أساتذتها « آباء » أو « سادة » ويسمى تلاميذها « بنى الانبياء » · وكانت أشهر هذه المدارس فى أريحا والجلجال وبيت ايل ، وكان أولئك المدعوون بالانبياء يتخذون التنبؤ حرفة لهم وبضاعة يعرضونها على كل من يطلبها ويتقاضون عنها أجرا · وعن هؤلاء جـــاء فى سفر صموئيل

« بعد ذلك تأتى الى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين ، ويكون عند مجيئك الى هناك الى المدينة انك تصادف زمرة من الانبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناى وعودوهم يتنبأون » (صموئيل الأول ١٠ : ٥) . وجـــاء فى سفر الملوك « فقـــال ايليا لاليشع امكث هنـــا لأن الرب أرسلنى الى بيت ايل . فقال أليشع حى هو الرب وحية هى نفسك أن لا أتركك ، ونزلا الى بيت ايل ، فخرج بنو الانبياء الذين فى بيت ايل الى أليشع وقالوا له أتعلم انه اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك ؟ فقال نعم انى أعلم فاصمتوا . ثم قال له ايليا يا أليشع امكث هنـــا لأن الرب قد أرسلنى الى أريحا ، فقال حى هـــو الرب وحية هى نفسك انى لا أتركك ، وأتيا الى اريحا ، فتقدم بنو الانبياء الذين فى اريحا الى أليشع وقالوا له أتعلم أنه اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك ؟ فقال نعم انى أعلم فاصمتوا . ثم قال له ايليا امكث هنـــا لأن الرب قد أرسلنى الى الاردن . فقـــال حى هو الرب وحية هى نفسك انى لا أتركك وانطلقا كلاهما . فذهب خمسون رجلا من بنى الانبيـــاء ووقفوا قبالتهمـــا من بعيد .. » (الملوك الثانى ٢ : ٢ ـ ٧) ـ « وقال بنو الانبياء لاليشع هوذا الوضع الذى نحن مقيدون فيه أمامك ضيق علينا ، فلنذهب الى الاردن » (الملوك الثانى ٦ : ١ و ٢) . ولذلك كان عدد الانبياء كثيرا جدا بهـــذا المفهوم فى المجتمع اليهودى . يدل على ذلك ما ورد فى أسفار التوارة اذ جـــاء فى سفر الملوك « وكان حينما قطعت ايزابيل أنبياء الرب أن عوبديا أخـــذ مائة نبى وخبأهم خمسين رجلا فى مغارة وعالهم بخبز وماء » (الملوك الأول ١٨ : ٤) . وجـــاء فى سفر أخبار الايام « فجمع ملك اسرائيل الانبياء أربعمائة رجل وقال لهم أنذهب الى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع ؟ فقالوا اصعد فيدفعها الله ليد الملك » (الأخبار الثانى ٨ : ٥) . ولمـــا كان أغلب هؤلاء الانبياء

الكثيرى العدد غير مرسلين من الله فقد كانت نبوءاتهم كاذبة وقد نعتهم الله بأنهم أنبياء كذبة وأشرار وحذر الناس منهم ومن نبوءاتهم ، اذ جـــاء في سفر التثنية « اذا قام في وسطك نبى أو حالم حلما وأعطاك آيـــة وأعجوبة ولو حدثت الآيـــة والاعجوبة التي كلمك عنها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب الهكم يمتحنكم لكى يعلم هـــل تحبون الرب الهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم ‥ وذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب الهكم » (التثنية ١٣ : ١ ــ ٥) وجـــاء فيه قول الله « وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم اوصه أن يتكلم بـــه أو الذى يتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبى . وان قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب . فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه » (التثنية ١٨ : ٢٠ ــ ٢٢) . وجـــاء فى سفر الملوك « وكان ملك اسرائيل ويهو شافاط ملك يهوذا جالسين كل واحد على كرسيه ‥ وجميع الانبياء يتنبأون أمامهما . وعمل صدقيا ابن كنعنة لنفسه قرنى حديد وقال هكذا قال الرب بهذه تنطح الآراميين حتى يفنوا . وتنبأ جميع الانبياء هكذا قائلين اصعد الى راموت جلعاد وافلح فيدفعها الرب ليد الملك ‥ فقـــــال ميخا ‥ هوذا قد جعل الرب روح كذب فى جميع أفواه أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر » (الملوك الاول ٢٢ : ١٠ ــ ٢٣) . وجاء فى سفر اشعياء « والشعب لم يرجع الى ضاربه ولم يطلب رب الجنود . فيقطع الرب من اسرائيل الرأس والذنب ‥. الشيخ والمعتبر هو الرأس والنبى الذى يعلم بالكذب هو الذنب. وصار مرشدو هـــذا الشعب مضلين ‥ لاجـل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه ولا يرحم يتاماه وأرامله لأن كل واحـد منهم منافق وفاعل شر » (اشعياء ٩ : ١٣ ــ ١٧) . وجـــاء فى

سفر ارميا « لأنهم من صغيرهم الى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبى الى الكاهن ، كل واحد يعمل بالكذب ·· لم يعرفوا الخجل ، لذلك يسقطون بين الساقطين » (ارميا ٦ : ١٣ و ١٤) ·

وجـــاء فيه « فقلت آه أيها السيد الرب · هوذا الانبياء يقولون لهم لا ترون سيفا ولا يكون لكم جوع بل سلاما ثابتا أعطيكم فى هـــذا الموضع · فقال الرب لى بالكذب تنبـأ الانبياء باسمى · لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم · برؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم » (ارميا ١٤ : ١٣ و ١٤) ·

وجـاء فيه « الانبياء والكهنة تنجسوا جميعا · بـل فى بيتى وجدت شرهم يقول الرب · لذلك يكون طريقهم لكم كمزالق فى ظلام دامس فيطردون ويسقطون فيهـا لأنى أجلب عليهم شرا سنة عقابهم يقول الرب · وقد رأيت فى أنبياء السامرة حماقة · تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبى اسرائيل · وفى أنبياء أورشـليم رأيت ما يقشعر منه · يفسقون ويسلكون بالكذب ويشـددون أيادى فاعلى الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره ··· لذلك هكذا قارب رب الجنود عن الانبياء · ها أنذا أطعمهم أفسنتينا وأسقيهم ماء العلقم لأنه من عنـد أنبياء أورشـــليم خرج نفاق فى كل الارض · هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الانبياء الذين يتنبأون لكم ، فانهم يجعلونكم باطـلا · يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب ·· لم أرسل الانبياء بل هم جروا · لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا · ولو وقفوا فى مجلس لاخبروا شعبى بكلامى وردوهم عن طريقهم الردىء وعن شر أعمالهم ·· قد سمعت ما قالته الانبياء الذين تنبأوا باسمى بالكذب قائلين حلمت حلمت · حتى متى يوجد فى قلب الانبياء المتنبئين بالكذب · بـل هـم أنبياء خداع قلبهم ·· الذين يفكرون أن ينسوا شعبى اسمى بأحلامهم التى يقصونها الرجـــل عن صاحبه كما نسى آباؤهم اسمى لاجل البعل · النبى الذى معه حلم فليقص حلما والذى معـــه كلمتى فليتكلم بكلمتى بالحق · ماللتبن مع الحنطة يقول

الرب ٠٠ لذلك هاأنذا على الانبياء يقول الرب الذين يسرقون كلمتى بعضهم من بعض ٠ هاأنذا على الانبياء يقول الرب الذين يأخذون لسانهم ويقولون قال ٠ هاأنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة يقول الرب الذين يقصونها ويضـــلون شعبى بأكاذيبهم ومفاخراتهم وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم ٠٠ واذا سألك هـــذا الشعب أو نبى أو كاهن قائلا ما وحى الرب فقل لهم أى وحى ؟ انى أرفضكم ٠٠ فالنبى أو الكاهن أو الشعب الذى يقول وحى الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته ٠ هـــكذا تقولون الرجل لصاحبه والرجل لاخيه بماذا أجاب الرب وماذا تكلم به الرب ٠ أما وحى الرب فلا تذكروه بعد لان كلمة كل انسان تكون وحيه ، اذ قد حرفتم كلام الاله الحى رب الجنود الهنا ٠ هـكذا تقول للنبى بماذا أجابك الرب وماذا تكلم به الرب ٠ واذا كنتم تقولون وحى الرب فلذلك هـــكذا قال الرب من أجل قولكم هـذه الكلمة وحى الرب وقد أرسلت اليكم قائلا لا تقولوا وحى الرب ٠ لذلك ها أنذا أنساكم نسيانا وأرفضكم من أمام وجهى أنتم والمدينة التى أعطيتكم وآباءكم اياها وأجعل عليكم عـــارا أبديا وخزيا أبديا » (ارميا ٢٣ : ١١ ـ ٤٠) ٠ وجـــاء فيه « وقد أرسل الرب اليكم كل عبيده الانبياء مبكرا ومرسلا فلم تسمعوا ولم تميلوا أذنكم للسعى ، قائلين أرجعوا كل واحـــد عن طريقه الردىء وعن شر أعمـــالكم ٠٠ ولا تسلكوا وراء آلهـــة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها ولا تغيظونى بعمل أيديكم فلا أسىء اليكم فلم تسمعوا لى يقول الرب » (ارميا ٢٥ : ٤ ـ ٧) ٠ وجـــاء فيه « فقال ارميا النبى لحنانيا النبى اسمع ياحنانيا ٠ ان الرب لم يرسلك وأنت قد جعلت هـــذا الشعب يتكل على الكذب ٠ لذلك هكذا قال الرب ٠ هاأنذا طاردك من وجـــه الارض ٠ هذه السنة تموت لانك تكلمت بعصيان على الرب ٠ فمات حنانيا النبى فى تلك السنة » (ارميا ٢٨ : ١٥ ـ ١٧) ٠ وجـــاء فيه « هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل عن آخاب بن قولايا وعن

صدقيا بن معسيا اللذين يتنبآن لكم باسمى بالكذب • هاأنذا أدفعهما ليد نبوخذراصر ملك بابل فيقتلهما أمام عيونكم • وتؤخذ منهما لعنة لكل سبى يهوذا الذين فى بابل فيقال يجعلك الرب مثل صدقيا ومثل آخاب اللذين كلاهما ملك بابل بالنار • من أجل أنهما عملا قبيحا فى اسرائيل وزنيا بنساء أصحابها وتكلما باسمى كلاما كاذبا لم أوصهما به وأنا العارف والشاهد يقول الرب » (ارميا ٢٩ : ٢١ ـ ٢٣) • وجاء فى سفر حزقيال « وكان الى كلام الرب قائلا يا ابن آدم تنبأ على أنبياء اسرائيل الذين يتنبأون وقل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب • هكذا قال السيد الرب • ويل للانبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئا • أنبياؤك يا اسرائيل صاروا كالثعالب فى الخرب •• رأوا باطلا وعرافة كاذبة • القائلون وحى الرب والرب لم يرسلهم •• لذلك هكذا قال السيد الرب ، لأنكم تكلمتم بالباطل ورأيتم كذبا فلذلك ها أنا عليكم يقول السيد الرب ، وتكون يدى على الانبياء الذين يرون الباطل والذين يعرفون بالكذب • فى مجلس شعبى لا يكونون ••• من أجل أنهم أضلوا شعبى ••• وأنت يا ابن آدم فاجعل وجهك ضد بنات شعبك اللواتى يتنبأن من تلقاء ذواتهن وتنبأ عليهن وقل هكذا السيد الرب •• أفتصطدن نفوس شعبى وتستحيين أنفسكن وتنجسنني عند شعبى لاجل حفنة شعير ولاجل فتات من الخبز لاماتة نفوس لا ينبغى أن تموت واستحياء نفوس لا ينبغى أن تحيا بكذبكن على شعبى السامعين للكذب •• فلذلك •• أنقذ شعبى من أيديكن فتعلمن أنى أنا الرب » (حزقيال ١٣ : ١ ـ ٢٣) • وجاء فى سفر ميخا « هكذا قا لالرب على الانبياء الذين يضلون شعبى •• تكون لكم ليلة بلا رؤيا • ظلام لكم بدون عرافة • وتغيب الشمس عن الانبياء ويظلم عليهم النهار فيخزى الراؤون ويخجل العرافون •• لأنه ليس جواب من الله » (ميخا ٣ : ٥ ـ ٧) •

وقد يوحى الله بمشيئته لأنبياء من غير اليهود لحكمة يرمى اليها ، وتكون نبوءاتهم فى هذه الحالة صادقة على الرغم من أنهم وثنيون • ومن هؤلاء أبيمالك وبلعام بن بعور ، فقـد جاء فى سفر التكوين « وانتقل ابراهيم من هناك الى أرض الجنـوب وسكن بين قادش وشور وتغرب فى جرار • وقال ابراهيم عن سارة امرأته هى أختى فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله الى أبيمالك فى حلم الله وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فانها متزوجة ببعل • ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب اليها ، فقال يا سيد أأمة بارة تقتل ؟ ألم يقل هو لى أنها أختى وهى أيضا نفسها قالت هو أخى ؟ بسلامة قلبى ونقـاوة يدى فعلت هذا • فقال له الله فى الحلم أنا أيضـا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا ، وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطىء الى • لذلك لم أدعك تمسها • فالآن رد امرأة الرجـل » (التكوين ٢٠ : ١ ـ ٧) وجاء فى سفر العدد « ولما رأى بالاق بن صفور جميع ما فعل اسرائيل بالأموريين فزع موآب من الشعب جدا •• فأرسل رسلا الى بلعام بن بعور •• ليدعوه قائلا •• تعال والعن لى هذا الشعب •• لأنى عرفت أن الذى تباركه مبـارك والذى تلعنه ملعون •• فانطلق شيوخ موآب وشيوخ مـديان وحلوان العرافة فى أيديهم وأتوا الى بلعام وكلموه بكلام بالاق • فقال لهم بيتوا هنا الليلة فأرد عليكم جوابا كمـا يكلمنى الرب •• فأتى الله الى بلعام وقال من هم هؤلاء الرجال الذين عندك • فقال بلعام لله بالاق بن صفور ملك موآب قد أرسل الى يقـول هو ذا الشعب الخارج من مصر قد غشى وجه الارض تعال الآن العن لى اياه لعلى أقدر أن أحاربه وأطرده • فقال الله لبلعام لا تذهب ولا تلعن الشعب •• فقام بلعام صباحا وقال لرؤسـاء بالاق انطلقوا الى أرضكم لأن الرب أبى أن يسمح لى بالذهاب معكم •• فقام رؤساء موآب وأتوا الى بالاق وقالوا أبى بلعام أن يأتى معنا • فعاد بالاق وأرسل أيضا رؤساء أكثر وأعظم من أولئك ••

فأجاب بلعام وقال لعبيد بالاق ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهبا لا أقدر أن أتجاوز قول الرب الهى لأعمل صغيرا أو كبيرا ٠٠ كيف ألعن من لم يلعنه الله وكيف أشتم من لم يشتمه الرب ؟ ٠٠ الذى يضعه الرب فى فمى آحرص أن أتكلم به ٠٠ الذى يتكلمه الرب اياه أتكلم ٠٠ ثم نطق بمثله وقال : وحى بلعام بن بعور ٠ وحى الرجل المفتوح العينين ٠ وحى الذى يسمع أقوال الله ويعرف معرفة العلى ٠ الذى يرى رؤيا القدير ساقطا وهو مكشوف العينين » (العدد ٢٢ ـ ٢٤) ٠

وكان من اليهود عدد كبير يدعون أنهم أنبياء مرسلون ولكن لا من الله الحق ، بل من الآلهة الوثنية ، ومنهم الثمانمائة والخمسون نبيا الذين أشير اليهم فى سفر الملوك اذ جاء به « ولما رأى آخاب (ملك اسرائيل) ايليا قال له آخاب أأنت هو مكدر اسرائيل ؟ فقال لم أكدر اسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم ٠ فالآن أرسل واجمع الى كل اسرائيل الى جبل الكرمل وأنبياء البعل الاربعمائة والخمسين وأنبياء السوارى الاربعمائة الذين يأكلون على مائدة ايزابيل (زوجة آخاب) ، فأرسل آخاب الى جميع بنى اسرائيل وجميع الأنبياء الى جبل الكرمل ، فتقدم ايليا الى جميع الشعب وقال حتى متى تعرجون بين الفرقتين ؟ ان كان الرب هو الله فاتبعوه ، وان كان البعل فاتبعوه ٠ ثم قال ايليا للشعب أنا بقيت نبيا للرب وحدى وأنبياء البعل اربعمائة وخمسون رجلا » (الملوك الأول ٨ : ١٧ ـ ٢٢) ٠

٢ ـ أشهر أنبياء اليهود

وقد ظهر بين اليهود أنبياء كثيرون أرسلهم الله ليوبخوهم على شرورهم التى ارتكبوها ويحضوهم على العودة الى طريق الله التى تنكبوها ، ويحثوهم على العمل بشريعته التى أنكروها

وتنكروا لها ، وينبئوهم بما أعده الله من خلاص للذين يؤمنون به ويتقونه ، ومن هلاك للذين يكفرون به ويتمردون عليه • وقد كتب بعض أولئك الأنبياء أسفارا بنبوءاتهم تحمل أسماءهم، وقد تضمنتها التوراة بعد أن أوردت طرفا من سيرتهم • بينما اقتصر الأمر بالنسبة للباقين على لمحات من أعمالهم وأقوالهم جاءت متناثرة في الأسفار الاخرى من التوراة • بيد أن أولئك وهؤلاء يجمع بينهم أن الله اختارهم واتصل بهم وأبلغهم رسالة ليعلنوها أو كلفهم بمهمة ليؤدوها ، فأبلغوا الرسالة وأدوا المهمة في طاعة لله وخضوع لمشيئته وخشوع أمام عزته وعظمته • ونحن نورد فيما يلي كلمة موجزة عن كل من أشهر أنبياء اليهود ، ملتزمين الترتيب التاريخي لهم :

١ ـ ابراهيم

كان ابراهيم أول أنبياء اليهود الملقبين بالعبرانيين ، وان كانت التوراة قد ذكرت قبله عددا من الأنبياء ، ومنهم أخنوخ الذى عاش قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف وثلاثمائة عام ، والذى قيل انه أمضى حياته فى طاعة الله وشركة معه (التكوين ٥ : ٢٢ و ٢٤) وقيل أنه تنبأ عن القضاء الذى سيحل بالاشرار • كما أن من أولئك الأنبياء نوح الذى عاش قبل الميلاد بنحو ألفين واربعمائة وخمسين عاما ، وقد قيل أنه أعلن ايمانه المطلق بالله على الرغم من أن البشر جميعا كانوا قد كفروا بالله وخرجوا عن طاعته ، فغضب الله عليهم وأرسل الطوفان فاهلكهم ، ولم يستثنى من هذا الهلاك الا نوحا وذويه ، وباركهم وقال لهم « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » أى أن الله جعل نوحا بمثابة الأب الثاني للبشر بعد آدم • وقد اعتبرت التوراة البشر جميعا هم ذرية أبناء نوح الثلاثة : سام وحام ويافث •

أما ابراهيم ـ الذى عاش قبل المسيح بنحو الفى عام ـ

فبالرغم من أن ذويه كانوا يعبدون الأصنام آمن بالله ، وكانت تربطه به علاقة شخصية وشركة روحية قوية (التكوين ٢٤ : ١٤) • ولذلك قيل عنه انه « خليل الله » (شعياء ٤١ : ٨) وقد أعلن الله ذاته لابراهيم بأساليب مختلفة ، وكان ابراهيم يقيم حيثما سكن مذبحا لله ويتعبد له • وقد قال الله عن ابراهيم انه نبى اذ جاء فى سفر التكوين أن أبيمالك ملك جرار أخذ سارة زوجة ابراهيم الى بيته « فجاء الله الى أبيمالك فى حلم الليل وقال له : رد امرأة الرجل فانه نبى فيصلى لاجلك فتحيا » (التكوين ٢٠ : ٧) • وكان ايمان ابراهيم بالله عظيما الى درجة أنه كان مستعدا أن يقدم ابنه الوحيد اسحق ذبيحة له (التكوين ٢٢ : ١ ـ ١٩) •

وقد ذكرت التوراة فى صراحة تامة خطأ ابراهيم حين قال عند دخوله مصر أن سارة هى أخته مع أنها كانت فى ذات الوقت زوجته ، مما ترتب عليه أن ملك مصر أخذها إلى قصره • ثم كرر ابراهيم هذا الخطأ عند دخوله جرار احدى مدن الفلسطينيين ، مما تترتب عليه أن ملك جرار أخذها هو الآخر الى قصره • بيد أن هذا الخطأ المتكرر لم يمنع من أن يكون ابراهيم نبيا لله ، لأن الأنبياء ليسوا معصومين من الخطأ الذى هو مظهر من مظاهر الضعف البشرى ، فليس معصوما من الخطأ الا الله وحده ، فى حين أن الأنبياء بشر • ولكن الله بحكمته ودرايته بطبيعة البشر وما يكتنفهم من ظروف وملابسات يعلم فضائل الذين يصطفيهم وصفاء قلوبهم ونقاء معدنهم وصلاحيتهم لأن يكونوا آنية لروحه القدوس كى يبلغ بواسطتهم الى الناس رسالته وينقل اليهم ارادته •

وقد مات ابراهيم وله من العمر ١٧٥ سنة فدفنه ابناه اسحق واسماعيل مع زوجته ساره فى مغارة المكفيلة التى كانت تقع

فى حقل كان ابراهيم قد اشتراه من الحثيين في حبرون بأرض كنعان ٠

٢ ـ يعقــوب :

وقد آمن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بالله حين أعلن الله ذاته له ، ولم يلبث أن أعطاه الله اسم « اسرائيــــل » بدلا من يعقوب ٠ وقد كانت نواحي الضعف في يعقوب كثيرة ، فارتكب كثيرا من الذنوب ، ومن ذلك أنه استغل فرصة جوع أخيه الأكبر عيسو فاشترى منه بكوريته نظير وجبة من العـدس ٠ وكانت للابن البكر امتيازات على سائر اخوته فى التقاليد السائدة فى ذلك العصر ٠ كما أن يعقوب احتال على أبيه وكذب عليه ليحصل على بركته التى كان سيمنحها لعيسو ، واحتال على خاله لابان ليحصل لنفسه على أكبر عدد من غنمه ، ثم أخـــذ ابنتى لابان اللتين كان قد تزوجهما وهرب ٠ وقد جازاه الله أثناء حيـاته على ما اقترف من أخطاء فاحشة ، اذ أذاقه كثيرا مـن الآلام ٠ ولكن الله مع ذلك قد شاء بحكمته التى تفوق مدارك البشر أن يكون يعقوب من أنبيائه المختارين لتمهيد سبيل الخلاص للبشر ٠

وقد مات يعقوب فى مصر وله من العمر ١٤٧ سنة ، فنقـل أبناؤه جثمانه الى أرض كنعان ودفنوه مع أبيه وجده فى مغارة المكفيلة التى كانت فى حبرون ٠

٣ ـ هارون :

كان هارون يعيش فى مصر ، وكان هو الأخ الأكبر لموسى النبي ، فكان يكبره بثلاث سنوا ت ٠ وكان هارون من سبط لاوى ورئيسا لعشيرة قهات أكبر عشائر اللاويين ٠ وقـــد تزوج من أليشابع ابنة عميناداب رئيس سبط يهوذا ٠ وقد جاء فى سفر

الخروج أن الله ظهر له حين كان فى الثالثة والثمانين من عمره وأمره بأن يذهب لاستقبال أخيه موسى كى يعاونه فى مهمته التى كلفه الله بها ، وذلك بعد أن قال الله لموسى « أليس هارون اللاوى أخاك ؟ ٠٠ ها هو خارج لاستقبالك ٠٠ فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان » (الخروج ٤ : ١٤ و ١٥) ٠ وقد اشترك هارون مع

موسى منذ ذلك الحين فى العمل على اخراج اليهود من مصر وفى قيادتهم أثناء رحلتهم فى صحراء سيناء ٠ وكان الله يكلفه مع موسى بتبليغ تعاليمه لليهود ٠ غير أن هارون أظهر مرارا كثيرة ضعف ايمانه بالله ، ومن ذلك أنه حين تأخر موسى وهو مع الله فوق الجبل ، طلب اليهود الى هارون أن يصنع لهم صنما يعبدونه فأخذ منهم بعض ما لديهم من الذهب وصنع منه عجلا وبنى له مذبحا وراح يتعبد له مع اليهود ، ومع ذلك غفر الله له وأمر برسامته رئيسا لكهنة اليهود وحصر الكهنوت فى ذريته ٠ غير أنه عاد فأظهر ضعف ايمانه بالله وبقدرته مرات عديدة ، ولا سيما حينما نضب الماء فى قادش وضج اليهود بالشكوى فأمر الله موسى وهارون ــ كما جاء فى سفر العدد ــ أن يأمرا بالماء أن يتفجر بقوة الله من الصخرة التى أمامهما ، فساور الشك موسى وهارون فى امكان ذلك ، ومن ثم غضب الله عليهما وعاقبهما بأن قضى بموتهما قبل وصول اليهود الى أرض فلسطين التى كانوا يتطلعون الى امتلاكها قائلا لهما ٠٠ « من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى اسرائيل ، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التى أعطيتهم اياها » (العدد ٢٠ : ١٢) ٠ وفعلا مات هارون بعد ذلك مباشرة عند قمة جبل هور ، وكان عمره عندئذ ١٢٣ سنة ، بيد أن هذا لم يمنع من أن يكون هارون نبيا لله ، وقد جاء فى المزامير عنه أنه « قدوس الرب » (المزمور ١٠٦ : ١٦) ٠ وقد ظلت رئاسة الكهنوت عند اليهود

منحصرة فى ذرية هارون حتى سقوط أمتهم وخراب بلادهم فى السنة السبعين بعد الميلاد ٠

٤ ـ موسى :

ولد موسى النبى فى مصر من أبوين يهوديين من سبط لاوى هما عمرام بن قهات وزوجته يوكابد ، وكانا قد أنجبا قبله أخته مريم وأخاه هارون ٠ وكان مولد موسى بعد نحو ثلاثمائة وخمسين عاما من مجىء يعقوب وأبنائه الى مصر ٠ وكان فرعون فى ذلك الوقت قد أمر بقتل أطفال اليهود الذين فى مصر كى يحد من تزايدهم السريع الخطر على أمن البلاد ٠ فلما ولد موسى خبأته أمه فى سفط بين الحلفاء على حافة نهر النيل ٠ وقد تصادف أن نزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل فرأت السفط ووجدت بداخله الطفل فعطفت عليه وتبنته وجعلت اسمه « موسى » أى باللغة المصرية القديمة « ابن الماء » أو « المنتشل من الماء » ٠ وحين أشتد عوده سلمته الى الكهنة المصريين فتثقف على أيديهم وعرف كل أسرار الكهنوت المصرى ، كما أتقن كل العلوم والآداب والفنون المصرية التى كان الكهنة هم أساتذتها وصفوة المتخصصين فيها ٠

وكان موسى يعرف أنه من أصل يهودى ، ولذلك كان لا يفتأ يزور المنطقة التى كان اليهود يقيمون فيها ليتعرف على أحوال قومه ويشملهم برعايته ٠ وقد حدث حين كان فى الأربعين من عمره أن رأى رجلا مصريا يضرب رجلا يهوديا فقتل موسى الرجل المصرى وطمره فى الرمل ٠ ولم يلبث أن انكشف أمره فخاف من قصاص فرعون وهرب من مصر الى أرض مديان التى كانت تقع عند خليج العقبة ، وهناك تزوج من صفورة ابنة « يثرون » كاهن مديان وأقام معه ٠ وفيما كان يرعى الغنم ـ حين كان فى الثمانين من عمره ـ اظهر الله له ذاته فى لهيب نار وأمره بأن

يعود الى مصر ويعمل على اخراج اليهود منها ، فأبدى موسى ترددا أمام هذه المهمة الضخمة معتذرا بعدم قدرته على الاضطلاع بزعامة شعب كامل وقيادته ولا سيما أنه كان ثقيل اللسان ، بيد أن الله آكد له ثقته فيه ، وأعاد اليه ثقته في نفسه ، واختار هارون أخاه لمعاونته في مهمته وليكون متحدثا بالنيابة عنه الى اليهود ليقنعهم بالرحيل من مصر ، والى فرعون ليقنعه باطلاق سراحهم • كما أن الله وعد موسى بأن يسانده بمعجزاته على اتمام قصده • وبالفعل استطاع موسى بعد كثير من الصعوبات التى ذللتها معجزات الله أن يقود اليهود بعد أن طردهم فرعون طردا ويعبر بهم البحر الأحمر الى صحراء سيناء ، قاصدا أرض كنعان المعروفة اليوم بفلسطين • وكان فى تقديره أنه سيصل اليها على رأس اليهود بعد أيام قليلة • بيد أن الله شاء له ولهم أن يمكثوا فى صحراء سيناء أربعين عاما كاملة ، يتخبطون على غير هدى • وفى هذه المدة كان الله دائم الظهور لموسى ومخاطبته واجراء المعجزات على يديه ، وقد أنزل عليه الشريعة التى تتضمن وصايا الله وأوامره ونواهيه ، فيما يتعلق بالعقائد الدينية والشعائر الطقسية والقواعد الأدبية والقوانين الجنائية والمدنية ، فكانت أول شريعة متكاملة أنزلها الله على نبى من أنبيائه •

وقد أعرب الله فى كثير من المناسبات عن ثقته فى موسى واعزازه له وتفضيله اياه على سائر البشر فى عصره • ومن ذلك ما ورد فى سفر العدد اذ قال الله « ان كان منكم نبى للرب فبالرؤيا أستعلن له ، فى الحلم أكلمه • أما عبدى موسى فليس هكذا • بل هو أمين فى كل بيتى • فما الى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز • وشبه الرب يعاين » (العدد ١٢ : ٨) • وكان من الصفات البارزة فى موسى : حلمه ، وصبره ، وشجاعته ، وأمانته ، وحكمته ، وزهده فى أمجاد العالم ، وايمانه بالله ايمانا مطلقا

عميقا لا تؤثر فيه الأحداث مهما كانت عنيفة وقاسية . وان كان لم يسلم مع ذلك من سقطات الضعف البشرى ولا سيما ـ كما سبق أن رأينا ـ حين تذمر اليهود من نضوب الماء فطلب الله من موسى وأخيه هارون أن يأمرا الصخرة فيتفجر منها الماء ، فترددا وقد ساورهما الشك في امكان ذلك ٠٠ « فقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى اسرائيل ، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التى أعطيتهم اياها » (العدد ٢٠ : ١٢) ٠ وهكذا فكما غضب الله على هارون ، غضب كذلك على موسى حين تزعزع ايمانه لحظة واحدة في قدرة الله ، فحرمه من أن يجنى ثمرة كفاحه طوال أربعين عاما ، وقضى بألا يدخل على رأس اليهود الى أرض كنعان بل يموت قبل ذلك فى صحراء سيناء ٠٠ وبالفعل جاء فى سفر العدد « وقال الرب لموسى اصعد الى جبل عباريم هذا وانظر الأرض التى أعطيت بنى اسرائيل ، ومتى نظرتها تضم الى قومك أنت أيضا كما ضم هارون أخوك ، لأنكما فى برية صين عند مخاصمة الجماعة ، عصيتما قولى أن تقدسانى بالماء أمام أعينهم» (العدد ٢٧ : ١٢ ـ ١٤) ٠ وهذا دليل عظيم على عدالة الله المطلقة التى تسرى حتى على أنبيائه ومختاريه اذ ينالون جزاء أخطائهم مهما كانت قداستهم ومهما كان حب الله لهم عظيما ٠ كما أنه دليل على أنه ليس معصوما من الخطأ الا الله وحده ٠ وقد ظل موسى على الرغم من ذلك الخطأ الذى وقع فيه وذلك الجزاء الذى أوقعه الله به ، معدودا من أعظم الأنبياء الذين ظهروا قبل مجىء السيد المسيح ٠

وقد كان من أعظم الخدمات التى أداها موسى تدوينه للشريعة التى أنزلها الله عليه فى الخمسة الأسفار الأولى من التوراة ، وهى سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية ٠٠ وقد تضمنت هذه الأسفار ـ فضلا عن شريعة

الله ــ تاريخ البشرية منذ أن خلق الله العالم ، كمـــا تضمنت وصفا مفصلا لخروج اليهود من مصر ورحلتهم فى صحراء سيناء على مدى أربعين عاما كاملة ، وتضمنت نبوءات للمستقبل لايمكن أن يتنبأ بها انسان الا بروح الله والهامه ٠

وقد مات موسى كما قرر الله قبل أن يدخـــل اليهود أرض كنعان ٠ وكان قد بلغ المائة والعشرين من عمره ٠ ولم يعرف احد مكان قبره الى اليوم ٠

٥ ــ صموئيل :

وقد انقطع ظهور الأنبياء بين اليهود بعد موسى طوال عهد القضاة ، حتى ظهر صموئيل النبى فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، وكان هو آخر القضاة ، وقد وهبه الله روح النبوة فكان من أبرز أنبياء العهد القديم ٠ وهو ابن ألقانة من عشيرة قهات من سبط لاوى ٠ وكانت أمه تسمى حنة ، ولم تكن تنجب أبناء فنذرت لله اذا أعطاها ابنا أن تنذره لعبادته كل أيام حيــاته ، وفعلا وهبها الله صموئيل فجاءت به الى الهيكل فى شيلوه وتركته فى رعاية عالى الكاهن ٠ وهناك ــ وهو لا يزال صبيا ــ أعلن الله له ذاته ومسحه نبيا له ، فلم يلبث ــ بعد موت عالى ــ أن أصبح قاضى اليهود ورئيس كهنتهم وصاحب الكلمة العليا بينهم ٠ وكان يقيم فى الرامة ولا يفتأ يقود اليهود فى حروبهم ويجول فى كل بلادهم ليرعى شئونهم ويقضى فى مشاكلهم ، بعد استشارة الله ومعرفة مشيئته ٠ وكان صارما فى تنفيذ أوامر الله متفانيــا

فى طاعته ، فلم يذكر الكتاب معصية واحدة ارتكبها أو خطأ فى حق الله وقع فيه ٠ حتى تقدمت السن بصموئيل فأقام ابنيــه قاضيين لليهود فى بئر سبع ولكنهما كانا فاسدين مرتشيين فطلب اليهود الى صموئيل أن يقيم لهم ملــكا يحكمهم ، فأقام لهــم

بمشورة الله شاول بن قيس ، حتى اذا خالف شاول وصـــايا الله أقام لهم ملكا غيره هو داود بن يسى ٠

وقد مات صموئيل النبى بعد أن ناهز المائة من عمـــره ، فبكاه اليهود جميعا ، ودفنوه فى الرامة حيث نشأ وعاش ٠

٦ ـ داود :

كان داود هو ثانى ملوك اليهود بعد شاول ٠ وهو ابن يسى ابن عوبيد من سبط يهوذا ومن أهالى بيت لحم ٠ وقد اختاره الله بدلا من شاول ، وأمر صموئيل النبى بأن يمسحه ملكا لليهود ، وكان عندئذ فتى صغيرا جميل الصورة أشقر اللون حلو العينين يرعى أغنام أبيه ٠ وقد اشتهر بالقوة والشجاعة حتى لقد كان يقتل بيديه الدببة والأسود ٠ كما اشتهر ببراعته فى العزف على القيثار ونظم الأشعار ٠ وقـــد حل روح اللـــه عليه بمجرد أن مسحه صموئيل ٠ وقد ظهر أثر ذلك حـــين هاجم الفلسطينيون بلاد اليهود وتحدى زعيمهم الجبار جليات جنود اليهود أن يخرج واحد منهم ليبارزه فخافوا جميعا ، الا داود فانه على الرغم مـــن حداثته تصدى له وقتله واستولى على سلاحه ، ومن ثـــم كافأه شاول بأن زوجه من ابنته ميكال ٠ بيد أن المجد الذى ناله داود بسبب انتصاره أثار حفيظة شاول وغيرته منه فراح يطـــارده مصمما على قتله ، فهرب داود الى بلاد موآب وجمع حوله نحـــو ستمائة رجل آخذهم ورحل محتميا بالفلسطينيين أعداء اليهود ٠ وفى هذه الأثناء حارب الفلسطينيون شاول وقتلوه فعاد داود الى بلا اليهود وأصبح ملكا على سبط يهوذا فى حبرون فى نحو عام ألف وخمسين قبل الميلاد ، وكان عندئذ فى الثلاثين من عمره ٠ ثم لم يلبث بعد سبع سنوات وستة أشهر أن أصبح ملكا على كل أسباط اليهود ، وجعل عاصمته أورشليم ٠ ثم أعلن الحرب على

الفلسطينيين وأخضعهم ، كما أخضع المؤآبيين والآراميين والعمونيين والأدوميين والعمالقة ، وبذلك امتدت مملكة اليهود الى أقصى حدود وصلت اليها فى كل تاريخها • وبعد ذلك أحضر داود تابوت العهد باحتفالات دينية عظيمة من قرية يعاريم الى مدينة داود الملاصقة لأورشليم ، حيث وضعه فى خيمة الاجتماع ، ووضع تصميما لهيكل عظيم أعتزم اقامته فى أورشليم بدلا من خيمة الاجتماع ، وجلب له المواد اللازمة لبنائه •

وقد ارتكب داود كثيرا من الآثام التى تستوجب غضب الله ونقمته ، ولكن أشنع آثامه جميعا هو تلك الفعلة الشائنة التى روت التوراة تفاصيلها ، وتتلخص فى أنه كان فى يوم من الأيام يطل من فوق قصره فرأى امرأة تستحم فى دار مجاورة ، وكان اسمها بثشبع فاشتهاها ، واذ علم أن زوجها المسمى أوريا الحثى يحارب العمونيين فى صفوف اليهود ، أمر قائد جيشه بأن يضع هذا الرجل فى مقدمة المحاربين ليموت ، حتى اذا تحقق ذلك استولى داود على زوجته • وكانت هذه هى أم ابنه سليمان الذى أصبح ملكا بعده • وقد أرسل الله له ناثان النبى ليقول له « هكذا قال الرب اله اسرائيل : أنا مسحتك ملكا على اسرائيل وأنقذتك من يد شاول ، وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك •• لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه ؟ قد قتلت أوريا الحثى بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة •• والآن لا يفارق السيف بيتك الى الأبد لأنك احتقرتنى •• ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس • لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع اسرائيل » (صموئيل الثانى ١٢ : ١ ــ ١٥) •

وقد عاقب الله داود على آثامه عقابا صارما ، اذ توالت

عليه المصائب والمحن ، فمات الولد الذى كان ثمرة خطيئته مع زوجة أوريا • وكان له ابن يسمى أمنون اشتهى أخته ثامار واغتصبها ، فقام عليه ابن آخر لداود يسمى أبشالوم وقتله • ثم لم يلبث أبشالوم أن أعلن العصيان على أبيه وهاجمه ليغتصب العرش منه ، فهرب داود من وجهه ، وفي ذلك تقول التوراة « وأما داود فصعد في مصعد جبل الزيتون • كان يصعد باكيا ورأسه مغطى ويمشى حافيا وجميع الشعب الذين معه غطوا كل واحد رأسه وكانوا يصعدون وهم يبكون » (صموئيل الثاني ١٥ : ٣٠) • ثم تقول التوراة « وأما بشالوم وجميع الشعب رجال اسرائيل فأتوا الى أورشليم ••• فقال اخيتوفل لابشالوم ادخل الى سراري أبيك اللواتي تركهن •• فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم الى سرارى أبيه أمام جميع اسرائيل » (صموئيل الثاني ١٦ : ٢١ و ٢٢) • ثم لم تلبث قوات داود أن تغلبت على قوات أبشالوم وقتلته فكان موته مصدر حزن شديد لابيه • ثم تآمر ابن آخر لداود عليه ، وهو أدونيا الذى حاول هو كذلك أن يغتصب عرشه • وهكذا عاقب الله داود على خطاياه ، فتاب داود توبة صادقة وامتلأ قلبه بمخافة الله وتقواه حتى أصبح من أعظم أنبيائه ، وكان لا يفتأ يترنم له بالمزامير التى يعتبرها العالم تراثا خالدا فى كل العصور ، ولا تزال حتى اليوم اشهى ما يترنم به البشر في عبادتهم لله وضراعتهم اليه وانتظارهم خلاصه • وقد تضمنت هذه المزامير عددا كبيرا من النبوءات التى تحققت بحذافيرها ، ولا سيما عن مجيء السيد المسيح وصفاته وظروف حياته على الارض وموته وقيامته وصعوده الى السماء • ولعل أبلغ تعبير عن المكانة التى اكتسبها داود بعد توبته أن التوراة تصفه بأنه « رجل حسب قلب الله » (صموئيل الاول ١٣ : ١٤) ، كما تصفه بأنه « الرجل القائم

فى العلا ، مسيح اله يعقوب ، ومرنم اسرائيل الحلو » (صموئيل الثانى ٢٣ : ١) ٠

وقد مات داود وهو فى السبعين من عمره بعد أن حكم اليهود أربعين عاما ، ودفن في مدينة داود ٠

٧ ــ ناثان :

عاش ناثان النبى ، وهو من سبط يهوذا ، فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، فى عهد الملكين داود وسليمان ، وكان مستشارا لهما وكاتبا فى بلاطهما يؤرخ حياتهما ، كما كان يبلغهما نصائح الله وتحذيراته وأوامره اليهما ٠ ومن ذلك أنه أبلغ داود أن الله لا يريده أن يبنى الهيكل وانما يبنيه ابنه سليمان ٠ كما أبلغه توبيخ الله له على قتله أوريا الحثى ليأخذ لنفسه زوجته ٠ وكان ناثان هو الذى أشار بوضع المغنين والضاربين على الاوتار من اللاويين فى الهيكل ، وهو الذى اقترح اسم سليمان عند ولادته ، كما أنه هو الذى عارض أدونيا بن داود حين أراد أن يغتصب العرش لنفسه ، بدلا من سليمان الذى كان أبوه قد اختاره ليخلفه ، ثم كان هو الذى أعلن جلوس سليمان على العرش ٠

٨ ــ صادوق :

صادوق هو ابن أخيطوب من ذرية العازر بن هارون أخى موسى ، وقد عاش فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، وكان أحد الكاهنين العظيمين فى عهد الملك داود ٠ وأما الكاهن الآخر فهو أبياثار الذى كان يسمى كذلك أخيمالك ٠ وقد هرب هذان الكاهنان مع داود من أورشليم حاملين تابوت العهد معهما حين حاول أبشالوم بن داود أن يغتصب عرش أبيه ،

ولكن داود طلب اليهما ان يعودا بالتابوت الى أورشليم ، فعـادا اليها وبقيا بها حتى انتهت الفتنة بمقتل أيشالوم • وحين أراد الابن الآخر لداود وهو أدونيا أن يغتصب عرش أبيه انضم اليـه أبياثار بينما بقى صادوق أمينا لداود • حتى اذا اكتشف داود المؤامرة كلف صادوق ناثان بأن يمسحا سـليمان ملكا ، فطرد سليمان أبياثار من الكهنوت ، فانفرد صادوق بمنصب رئيس الكهنة ، وظـل فيه حتى توفى فى عهـد سليمان ، وبذلك عادت رئاسة الكهنوت الى سلالة العازر بن هارون •

٩ ـ جـاد :

عاش جـاد النبى فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد فى عهد الملك داود وكان صديقا ومستشارا له • فحين كان داود مختبأ فى مغارة عدلام هربا من الملك شاول نصحه جـاد بأن يغادر المغارة الى أرض يهوذا (صموئيل الأول ٢٢ : ١ ـ ٥) • وحين غضب الله على داود عندما أحصى اليهود بغير أمره أرسل الله اليه جـاد ليختار لنفسـه واحـدا من ثلاثة جزاءات ذكرها لـه عقابا على معصيته (صموئيل الثانى ٢٤ : ١ ـ ١٧) ثم طلب جـاد الى داود أن يقيم مذبحا للرب فى حقـل أرونة اليبوسى حتى يصفح الله عنه ، وكان هـذا هو الموضع الذى أقيم فيه بعـد ذلك هيكل أورشليم ، وقد ساهم جـاد فى ترتيب الخدمة الموسيقية فى الهيكل (الاخبار الثانى ٢٩ : ٢٥) ، كما ساهم مع النبيين صموئيل وناثان فى تدوين سيرة الملك داود (الاخبار الأول ٢٩ : ٢٩) •

١٠ ـ عـدو :

عاش النبى عدو فى عهـد رحبعام وأبيا ملـكى يهـوذا ، ويربعام ملك اسرائيل فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وساهم فى تدوين سيرة هؤلاء الملوك •

١١ ـ أخيا :

كان النبى أخيا يلقب بالشيلونى نسبة الى مدينة شيلوه . وقد عاش فى القرن العاشر قبل الميلاد ، فى عهد الملك سليمان ، وتنبأ له بانقسام مملكته بسبب عبادته للاصنام ، كما تنبأ ليربعام بأنه سيملك على عشرة من الاسباط التى كان يملك عليها سليمان ثم تنبأ له بعد ذلك بموت ابنه بسبب عبادته للاصنام . وقد تحققت هذه التنبوءات بالفعل . ونعلم من سفر الاخبار أن نبوءات أخيا قد تم تدوينها فى كتاب (الاخبار الثانى ٩ : ٢٩) وان كانت لم تصلنا ضمن أسفار التوراة .

١٢ ـ شمعيا :

عاش النبي شمعيا فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وقد عاصر عهد الملك رحبعام بن سليمان ملك يهوذا ، وكان مستشارا له ، وقد نصحه عندما انشقت عليه عشرة أسباط وأقامت يربعام ملكا عليها بأن يرضخ ولا يحاربها ، لأن هذه هى ارادة الله كما أعلن له عندما غزا شيشق ملك مصر مملكته أن هذا الغزو كان عقابا له ولشعبه على آثامهم . وقد قام شمعيا بتسجيل سيرة الملك رحبعام .

١٣ ـ حنانى :

عاش حنانى النبى فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وقد عاصر عهد آسا ملك يهوذا ، وكان لا يفتأ يوبخه على معصيته لله فغضب عليه آسا وألقى به فى السجن . وقد كان ياهو ابن النبى حنانى نبيا كذلك .

١٤ ـ ياهو :

عاش ياهو بن حنانى فى القرن العاشر قبل الميلاد فى عهد

يعشا بن أخيا ملك اسرائيل ، وكان لا يفتأ يوبخه على استمراره مع شعبه في ارتكاب المعاصي • كما عاش ياهو في عهد يهوشافاط ملك يهوذا ، وكتب سفرا يسجل فيه أعماله •

١٥ ـ عزريا :

عاش النبي عزريا بن عوديد في القرن العاشر قبل الميلاد ، في عهد آسا ملك يهوذا ، وكان لا يفتأ يحضه على عبادة الله ويحذره من عبادة الاوثان • وقد استمع اليه آسا وعمل بنصيحته ، فهدم المعابد الوثنية في مملكته وألزم شعبه بعبادة الله وحده •

١٦ ـ ايليا :

كان ايليا من أعظم أنبياء اليهود ، وقد عاش في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن التاسع قبل الميلاد • وهو معروف بالتشبي نسبة الى مدينة « تشبة » التي كان ميلاده على الارجح فيها ، ولكنه أمضى حياته في جلعاد بمملكة اسرائيل ، وكان يقضي معظم وقته في البراري ، مرتديا ثوبا من الشعر ومتنطقا بمنطقة من الجلد • واذ كان يعيش في عهد آخاب بن عمري ملك اسرائيل وزوجته الصيدونية الوثنية ايزابل التي ساقت زوجها والشعب كله الى عبادة البعل ، أعلن ايليا ان الله سيمنع المطر عنهم ويبتليهم بالجفاف والقحط ، ثم انطلق فانزوى عند نهر كريت المقابل للاردن ، وقد ذكرت التوراة أن الغربان كانت تأتي اليه بطعامه هناك ، وكان يشرب من النهر ، حتى اذا جف ماء النهر بسبب انقطاع الامطار ، انتقل الى « صرفة » التي في بلاد الصيدونيين فأقام هناك عند أرملة كانت تعوله ، وقد باركها فلم ينفد من بيتها الدقيق أو الزيت طوال مدة القحط ، كما أن ابنها مرض ومات فصلى الى

اللـــه فعادت الروح الى الصبى • ثم فى الســـنة الثالثة من القحط أمر الله ايليـا بأن يقابل الملك آخـــاب فقابله وطلب اليه أن يجمع الشعب عند جبل الكرمل وأن يحضر معه أنبيـــاء البعل وانبياء السوارى الوثنيـــة كانوا يعيشون فى رعـــاية الملكة ايزابيل وكان عددهم ثمانمائة وخمسين رجلا ، على أن يقـدم هؤلاء الانبياء ذبيحة لالههم ويقدم ايليا ذبيحة لالهه ، فالذبيحة التى تنزل نار من السماء وتلتهمها تكون هى الذبيحة المقدمة الى الاله الحق • وقد ظـل أنبياء الاوثان يمارسون طقوسهم ويواصـــلون الصلوات ويرقصون حـــول ذبيحتهم ساعات طويلة دون جدوى ، ثم صـــلى ايليا الى الله فنزلت نار من السماء التهمت ذبيحته ، فآمن الحاضرون من اليهود باله ايليا فى تلك اللحظة وأمسكوا الانبياء الوثنيين ، فنزل بهم ايليا الى نهر قيشون وهناك قضى عليهم جميعا ، وعنـــدئذ انهمر المطر وارتفع القحط • بيد أن ايزابيل غضبت على ايليا اذ قتل أنبياءها فهرب الى بئر سبع فى مملكة يهوذا ، ثم ارتحل أربعين يوما الى جبل حوريب الذى هـــو جبل سيناء ، وهناك تراءى له الله ، ثم أرســـل ليمسح ياهو ملكا على اسرائيل ويقضى على بيت آخاب وايزابيل ، وليمسح حزائيل ملكا على الآراميين ويمسح أليشع نبيا ليخلفه • وقـد جـاء فى سفر الملوك أن ايليا ذهب فى نهاية أيامه الى الاردن وضرب ماءه بردائه فانشق المـــاء وسار ايليا على اليابسة وكان معه أليشع ، ثم جـــاءت مركبة نارية وحملت ايليا الى السماء فصعد بعد أن ترك رداءه لاليشع (الملوك الثانى ٢ : ١ ـ ١٨) • وقـد جـاء فى سفر ملاخى « هاأنذا ارسل اليكم ايليا النبى قبل مجيء يوم الرب ، اليـوم العظيم والمخوف ، فيرد قلب الآباء على الابناء وقلب الأبناء على آبائهم • لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن » (ملاخى ٤ : ٥) • وقد أصبح تقليدا لدى اليهود أن تترك كل أسرة وهى تحتفل

بعيد الفصح مقعدا خاليا من أجل ايليا • وهكذا بلغ ايليا عند اليهود بسيرته المجيدة ونبوءاته الصادقة ومعجزاته الخارقة مرتبة لا تضاهيها الا مرتبة موسى النبى •

١٧ ــ أليشع :

وقد خلف أليشع بن شافاط معلمه ايليا فى النبوة بمملكة اسرائيل • وهو من سبط يساكر • وقد عاش فى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن التاسع قبل الميلاد ، وكان يقيم فى آبل محولة بوادى الاردن • وقد نشأ فى أسرة على شىء من الثراء • اذ نعلم من التوراة أنه كان لابيه حقل كبير يقوم بحرثه اثنا عشر زوجا من الثيران • وقد وجده ايليا يحرث فى هذا الحقل حين أرسله الله ليمسحه نبيا ، فطرح رداءه عليه • ثم بعد أن حملت المركبة النارية ايليا أخذ أليشع رداء ايليا وضرب به ميا هالاردن فانشقت نصفين وعبر الى الجانب الغربى من النهر • وكان أليشع لا يفتأ يجول فى المدن والبلدان ، وعكازه فى يده ، ليؤدى رسالته النبوية • وقد أعدت له احدى العائلات الشونمية غرفة كان يأوى اليها عقب كل رحلة من رحلاته • وقد قام أليشع بكثير من المعجزات التى كان من أبرزها ــ كما جاء فى التوارة ــ ان ابن المرأة الشونمية التى كانت تستضيفه مات فتضرع من أجله الى الله فعادت اليه الحياة (الملوك الثانى ٤ : ٨ ــ ٣٧) • كما أنه أطعم مائة رجل بخبزات قليلة (الملوك الثانى ٤ : ٤٢ ــ ٤٤) ، وأبرأ رجلا يسمى نعمان السريانى من البرص الذى كان مصابا به (الملوك الثانى ٥ : ١ ــ ١٩) • وحتى بعد موت أليشع حدث أن دفنت جثة رجل ميت فى قبره فما أن مست الجثة عظام أليشع حتى دبت الحياة فيها من جديد (الملوك الثانى ١٣ : ٢٠ و ٢١) • ولذلك أصبح أليشع من أشهر وأقدر أنبياء اليهود •

١٨ ــ ميخا بن يملة :

عاش ميخا بن يملة في القرن التاسع قبل الميلاد ، في عهد آخاب ملك اسرائيل • وقد روت التوراة واقعة حدثت له مع آخاب ، وهي أن هذا كان مزمعا الهجوم على راموت جلعاد ، فاستشار الانبياء الوثنيين فأوصوه بالقتال متنبئين له بالنصر • ثم استشار ميخا بن يملة ، فقال له « قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر » فألقى به في السجن وانطلق لقتال راموت جلعاد ، ولكنه قتل كما تنبأ ميخا (الملوك الأول ٢٢ : ١ ــ ٣٩) •

١٩ ــ زكريا بن يهوياداع :

كان زكريا هو ابن يهوياداع رئيس الكهنة في عهد أخزيا ملك يهوذا ، ثم قام ياهو فقتل أخزيا ، وعندئذ قامت أمه عثليا وأبادت جميع النسل الملكي من بيت يهوذا ، فلم ينج من هذه المذبحة سوى طفل صغير هو يهواش بن أخزيا وقد أخذه يهوياداع وخبأه ، حتى اذا اشتد عوده مسحه يهوياداع ملكا على يهوذا وأمر بقتل عثليا • وقد ظل يهوياداع راعيا للملك وساهرا على ديانة الله في مملكة يهوذا حتى مات ، وعندئذ ارتد الملك والشعب الى عبادة الاوثان ، فقام زكريا بن يهوياداع ــ الذي خلف أباه في الكهنوت ــ يوبخهم وينذرهم بما ينتظرهم من الويلات بسبب تنكرهم لله ، فأمر الملك بقتله فرجمه اليهود بالحجارة داخل الهيكل (أخبار الايام الثاني ٢٤ : ١٥ ــ ٢١) • وقد عاش زكريا بن يهوياداع في القرن التاسع قبل الميلاد •

٢٠ ــ يونان :

كان يونان بن أمتاي من سبط زبولون ومن أهالي «جت‌حافر» على بعد ثلاثة أميال من الناصرة ، وقد عاش في القرن الثامن

قبل الميلاد فى عهد يربعام الثانى ملك اسرائيل وقد كتب سفرا معروفا باسمه يروى فيه المعجزة التى صنعها الله معه اذ أمره بالذهاب الى نينوى عاصمة الاشوريين ليعلن خرابها بسبب آثامها ، ولكن يونان حاول التملص من تنفيذ هذا الأمر فأبحر على سفينة كانت ذاهبة الى ترشيش فى أسبانيا . وفى الطريق تعرضت السفينة لعاصفة عاتية ، وقدعزاها البحارة الى وجود يونان معهم فألقوا به فى البحر فابتلعه حوت عظيم ، ولكن الحوت لم يفترسه وانما ألقاه حيا الى البر بعد ثلاثة أيام ، فشكر الله على نجاته وذهب الى نينوى ليقوم بتنفيذ أمره ، فلما سمع أهل نينوى توبيخه لهم وانذاره اياهم تابوا عن خطاياهم فصفح الله عنهم ، فكان هذا مظهرا من أبلغ مظاهر محبة الله للبشر واستعداده لأن يغفر لهم اذا تابوا مهما كانت فداحة خطاياهم ، ومهما بلغت شدة غضبه عليهم .

٢١ ـ عاموس :

نشأ عاموس فى القرن الثامن قبل الميلاد فى قرية من قرى مملكة يهوذا تدعى « تقوع » ، وتقع على مسافة ستة أميال جنوبى بيت لحم ، وكان فى شبابه يرعى الغنم فى القفار المتاخمة للبحر الميت . ثم اختاره الله ليكون نبيا له فى مملكة اسرائيل فذهب الى بيت ايل حيث كان مقر يربعام الثانى ملك اسرائيل ، وراح يوبخ الملك وشعبه توبيخا قاسيا على آثامهم وشرورهم وابتعادهم عن عبادة الله ، ومن ثم طرده الملك ونفاه الى مسقط رأسه « تقوع » . وقد كتب عاموس سفرا معروفا باسمه سجل فيه نبوءاته والحوادث التى شهدها فى أيام عزيا ملك يهوذا ويربعام بن يواش ملك اسرائيل . وقد تضمن هذا السفر نبوءات عن يهوذا واسرائيل ودمشق وغزة وصور وأدوم وبني عمون وموآب ، وما ينتظر هذه البلاد من خراب بسبب

معاصيها • كما تنبأ عاموس في هــذا السفر بعودة اليهود من السبى •

٢٢ ـ هوشع :

عاش هوشع بن بئيرى فى القرن الثامن قبل الميلاد وكان معاصرا لعزريا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا ، كما كان معاصرا ليربعام الثانى ملك اسرائيل ، وقــد امتدت فترة عمله النبوى فى مملكة اسرائيل نحو أربعين ســنة • فى ذات الوقت الذى كان فيه عاموس يضطلع بالعمل النبوى فى مملكة اسرائيل، وكان فيه اشعياء وميخا يضطلمان بهذا العمل فى مملكة يهوذا • وقد شهد هوشع سقوط السامرة عام ٧٢٢ قبل الميلاد • وكتب سفرا منأسفار التوراة معروفا باسمه ، وقد ندد فيه بآثام اليهود وخيانتهم لله خلال تاريخهم الطويل ، وأهاب بهم أن يندموا ويتوبوا مؤكدا لهم غضب الله على الآثمين وغفرانه للنادمين التائبين ، بسبب محبته للشر •

٢٣ ـ عوديد :

عاش عوديد فى القرن الثامن قبل الميــلاد فى عهــد فقح ملك اسرائيل • وقد جــاء فى التوراة أن هــذا الملك كان قــد أسر مائتى ألف من أهالى مملكة يهوذا وعــاد بهم الى السامرة فقابل عوديد ووبخه وطلب اليــه أن يطلق سراح أولئــك الاسرى لأنهم يهود مثله ، فامتثل فقح لقوله وأطلق سراحهم • (أخبار الايام الثانى ٢٨ : ٥ ـ ١٥) •

٢٤ ـ ميخا المورشتى :

عاصر النبى ميخا المورشتى عهود يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا فيما بين عامى ٧٥١ و ٦٩٣ قبل الميلاد ، كما عاصر اشعياء

النبى . وكان ملقبا بالمورشتي نسبة الى مسقط رأسه « مورشة » ، وهي قرية كانت بالقرب من « جت » وقد كتب ميخا سفرا من أسفار التوراة معروفا باسمه ويتضمن نبوءات عن خراب السامرة وأورشليم وسبى اليهود ، كما يتضمن نبوءات عن خراب مدن الوثنيين ، والوعد بمجيء ملكوت الله وخلاص البشر .

٢٥ ـ اشعياء :

كان اشعياء بن أموص من أعظم أنبياء اليهود ، ان لم يكن أعظمهم جميعا ، وقد عاش في القرن الثامن ، وعاصر عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا . ويذهب التقليد اليهودى الى أنه كان ابن أخ أمصيا ملك يهوذا ، أو على الاقل أنه كان من دم ملكي ، والثابت أنه كان مخالطا للملوك وذا شخصية بارزة في عصره . كما ان الثابت أنه كان ذا ثقافة عالية واحاطة كاملة بالشريعة الموسوية والطقوس الدينية . وقد أعلن الله له ذاته حين كان في الاربعين من عمره ، وكان ذلك في السنة التى توفى فيها الملك عزيا ، أى في نحو عام ٧٤٠ قبل الميلاد ، ودعاه الله للاضطلاع بالرسالة النبوية فظل مضطلعا بها نحو أربعين سنة . ثم في نحو عام ٧٣٦ قبل الميلاد تنبأ اشعياء للملك آحاز بفشل الهجوم الذى سيشنه على مملكته ملكا اسرائيل وآرام . وذلك بمساعدة الاشوريين . بيد أنه تنبأ في ذات الوقت بأن الاشوريين سيجتاحون مملكة يهوذا ، ومن ثم غضب آحاز على النبى فاختفى بعض الوقت ، ثم ظهر في عهد الملك حزقيا وأصبح مستشاره ، وقد نصحه بمهادنة سنحاريب ملك آشور ، ولكن حزقيا لم يعمل بمشورته ، وانما شق عصا الطاعة على سنحاريب وتحالف ضده مع الفلسطينيين ، فأتى سنحاريب واستولى على معظم مدن مملكة يهوذا وحاصر أورشليم . ويؤكد التقليد اليهودى أن اشعياء استشهد بعد ذلك في عهد

منسى ملك يهوذا ، وان هـــذا الملك قد أمر بنشر جسـده بالمنشـــار ٠

ويعتبر سفر اشعياء من أروع أسـفار التوراة من حيث موضوعه ومن حيث أسلوبه على السواء ٠ وقد تضمن هـذا السفر توبيخا قاسيا لليهود بسبب ضـــلالهم ومعاندتهم لله ، وطمعهم وجشعهم ، وظلمهم للفقير وقسـوتهم على الضعيف وانحلال أخـلاقهم واضمحلال مجتمعهم ٠ كما تضمن هـذا السـفر نبوءات لم تلبث ان تحققت بأكملها كسقوط دمشق والسامرة وامتداد سلطان دولة أشور الى كل البلاد المحيطة بها ، ثم قيام دولة بابل واستيلائها على كثير من الممالك ومنها مملكة يهوذا ٠ وقد تنبأ اشعياء بسبى الاشوريين والبابليين لليهود ثم عودتهم من السبي بواسطة ملك من ملوك فارس حـدد اسمه بالذات ، قائلا بروح النبوة أن اسمه سيكون « قورش » وهـذا ما تحقق بالفعل بعد ذلك بزمان طويل ٠ وقـد حض اشـعياء ملوك بلاده على عـدم الاعتماد على ملوك البلاد الاخرى فى صدد أخطار آشور وبابل ، قائلاً ان الاعتماد على غير الله وحـده يؤدى الى الخراب والدمار ، معلنا فى عبارة قوية واضحة انه ليس للعالم كله الا اله واحد ، هو الاله الحقيقى دون سواه ، وعليه ينبغى أن تعتمد كل الامم ٠ وقـد تنبأ اشعياء بظهور المسيح الذى سيخلص العالم ، ووصف فى نبوءاته حياة المسيح على الارض والاحداث التى ستقع له ، وتعاليم انجيله ، وصـفا بلغ من روعته ودقته أنه تحقق بحذافيره بعـد أكثر من سبعمائة عـام من نطقه بهذه النبوءات ٠ ولذلك أصبح اشعياء معروفا لدى المسيحيين بأنه « النبى الانجيلى » ، على الرغم من أنه عـاش قبل ظهور الانجيل بمئات السنين ٠

٢٦ ـ صفنيا :

كان صفنيا بن كوش بن جدليا يعيش فى عهد يوشيا ملك

يهوذا في القرن السابع الميلادى ، وكان من سلالة حزقيا بن آحاز ملك يهوذا • وقدكتب صفنيا السفر المعروف باسمه في التوراة• وكان أساس نبوءاته هو دينونة الله لجميع البشر بالاحسان للمحسن والاساءة للمسيىء في اليوم الأخير • وقد تنبأ صفنيا بمجيء المسيح لخلاص البشر ، وحض الناس على التوبة لاستحقاق هذا الخلاص •وكان صفنيا معاصرا للنبى حبقوق . وتعود نبوءاته الى المدة ما بين عام ٦٣٠ ، ٦٢٤ قبل الميلاد •

٢٧ ـ ارميا :

كان ارميا من أعظم وأشهر أنبياء اليهود ، وهو ابن حلقيا الكاهن من عناثوت في أرض بنيامين • وقد عاش ارميا في عهد يوشيا ويهوياقيم وصدقيا ملوك يهوذا ، في القرن السابع قبل الميلاد ، وكان حين دعاه الله للاضطلاع بالرسالة النبوية لا يزال صغير السن ، ومن ثم أبدى خوفه من أن يكون غير أهل لهذا العمل العظيم ، فطمأنه الله وملأه بالثقة في نفسه ، اذ جاء في بداية سفر ارميا « فكانت كلمة الرب الى قائلا • •جعلتك نبيا للشعوب • فقلت آه يا سيد الرب انى لا أعرف أن أتكلم لانى ولد •• فقال الرب لى لا تقل انى ولد لانك الى كل من أرسلك اليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به • لاتخف من وجوههم لانى أنا معك •• ومد الرب يده ولمس فمى وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك •• » (ارميا ١ : ١ ـ ١٠) • وقد استمر عمل ارميا النبوى احدى وأربعين سنة ، مثابرا على هذا العمل على الرغم مما لاقى بسببه من اضطهاد وعنت من جميع اليهود ، و لاسيما من أهل مسقط رأسه عناثوت • وفى السنة الرابعة من عهد يهوياقيم ملك يهوذا أملى أرميا على باروخ الكاتب سفرا يتضمن نبوءاته التى نطق بها فى مدة العشرين سنة السابقة ، وطلب اليه ان يقرأ السفر على الشعب في الهيكل •• ولكن السفر وقع فى يد الملك

يهوياقيم فأحرقه ، فأملى ارميا السفر مرة أخرى على باروخ ، ومن ثم فان الكاهن فشحور بن أمير الذى كان ناظرا للهيكل أمسك ارميا ووضعه فى آلة التعذيب التى كانت عند باب الهيكل ، ولكنه لم يلبث أن أطلقه فى اليوم التالى • وحين حاصر الكلدانيون أورشليم راح ارميا يوبخ اليهود على معاصيهم وينذرهم بأن الله قد أمر بمذلتهم على يد البابليين عقابا لهم ، فاعتبر رؤساء اليهود هذا القول خيانة وامسكوا ارميا وألقوا به فى جب • وبعد زمن طويل أخرجه الملك صدقيا وطلب اليه أن يتنبأ له فأخبره بأن ملك بابل سيقبض عليه ويقتله ، فأمر صدقيا بالقاء ارميا فى السجن ، فألقاه الرؤساء فى الجب حتى كاد أن يموت جوعا ، لولا أن أشفق عليه خصى حبشى وأخذه من الجب ووضعه فى السجن فظل فيه حتى سقطت أورشليم فى يد البابليين ، فأطلق ملكهم نبوخذ نصر سراحه ، فبقى مع من بقى من فقراء اليهود فى أورشليم بزعامة جدليا ابن أخيقام • فلما مات جدليا أراد أولئك اليهود أن يهربوا الى مصر ، فعارضهم ارميا ، ولكنهم أرغموه على مصاحبتهم ، فنطق بآخر نبوءاته فى تحفنيس احدى مدن مصر •

وقد كتب ارميا سفرا كبيرا من أسفار التوراة يحمل اسمه ويتضمن نبوءاته وبعض ظروف حياته ، ويسرى فى عبارات هذا السفر كلها ايمان عميق بالله ، وشعور قوى بمسئولية الانسان عن طاعته واتقاء غضبه والعمل بوصاياه ، كما يمتلىء السفر بعبارات التنديد بشرور اليهود وآثامهم ، وما سيحل بهم من غضب الله ونقمته من جراء هذه الشرور والآثام ، لأنه حتى الذين يزعمون مخافة الله من اليهود كانت مخافتهم له لاتخرج عن المظاهر الخارجية والمراسم الطقسية ، فى حين ان الله يفضل طاعة القلب وتقواه ، على الذبائح والاصوام • ويتضمن سفر ارميا فضلا عن ذلك نبوءات بخراب أورشليم وسبى اليهود ثم

عودتهم من السبى ، ونبوءات بخراب البلاد الوثنية . وقد حطم ارميا اسطورة أن اليهود هم شعب الله المختار ، مؤكدا ان الله يختار لنفسه كل شعب يؤمن به ويتقيه .

وفضلا عن سفر النبوءات كتب ارميا سفرا آخر هو المعروف بمراثى ارميا . وفيه يبكى النبى على أورشليم وما حل بها من خراب ودمار ، وما حل بأهلها من أهوال مروعة وآلام فظيعة، جزاء ما ارتكبوا من جرائم وما اقترفوا من معصيات ، ومن تمرد على الله ومعاندة له وعبادة للآلهة الوثنية من دونه .

كما كتب ارميا رسالة معروفة باسمه ، وردت فى الترجمة السبعينية ، وفى الاسفار التى حذفتها بعض الطوائف المسيحية من أسفار التوراة . ويندد ارميا فى هذه الرسالة بالعبادات الوثنية ويسخر مما فيها من ألوان السذاجة وصور الغفلة التى لا تستقيم مع أى عقل أو منطق .

ويرجح بعض العلماء ان اليهود الذين هربوا الى مصر وأخذوا معهم ارميا قسرا عنه ، قتلوه هناك بسبب تأنيبه لهم وتنبؤه بهلاكهم .

٢٨ ـ ناحوم :

عاش ناحوم فى القرن السابع قبل الميلاد ، وقد نشأ فى قرية فوش احدى قرى فلسطين . وكان على الارجح ضمن الذين سباهم البابليون الى بابل بعد خراب أورشليم .

وقد كتب ناحوم سفرا نبويا معروفا باسمه ضمن أسفار التوراة . وقد تنبأ فيه عن سقوط مملكة يهوذا فى يد البابليين، كما تنبأ عن سقوط مصر فى يد الاشوريين ، ثم عن سقوط نينوى فى يد الفرس . وقد وصف ناحوم فى هذا السفر صرامة

الله نحو الخطاة ومحبته للابرار · كما نادى بأن الخطيئة تؤدى حتما الى دينونة الله الذى يهيمن بمشيئته على أقدار الجنس البشرى ويوجه التاريخ على مقتضى حكمته السامية ·

٢٩ ـ حبقوق :

كان حبقوق من سبط لاوى ، وكان أحد المرنمين فى هيكل أورشليم · وقد اضطلع بعمله النبوى فى مملكة يهوذا على عهد الملك يهوياقيم خلال القرن السابع قبل الميلاد · وقد كتب حبقوق سفرا نبويا ضمن أسفار التوراة ، أكد فيه ان الاشرار مهما نجحوا فى حياتهم على الارض فانهم سيلاقون جزاءهم الحق فى هذه الدنيا أو فى الآخرة · ولذلك وصف حبقوق مجىء الله فى رعب عظيم فى اليوم الاخير ليدين البشر ·

٣٠ ـ دانيال :

نشأ دانيال النبى فى عائلة ثرية كانت تقيم فى أورشليم · وقد أخذه نبوخذ نصر ملك البابليين الى بابل عـــام ٦٠٥ قبل الميلاد ، ضمن عدد من أبناء العائلات اليهودية المعروفة ، واختاره مع ثلاثة زمـــلاء له هم حنانيا وميشائيل وعزريا ليخدموا فى القصر الملكى ، فعلمهم اللغه البابلية وأطلق عليهم أسماء بابلية بدلا من أسمائهم اليهودية · ولم يلبث نبوخذ نصر ان رأى أثناء نومه حلما مزعجـــا ، فاستطاع دانيال أن يفسره له ، ومن ثم كافأه بأن عينه حاكما على بابل ورئيسا لجميع حكمائها · ثـم استطاع دانيـــا أن يفعل مثل ذلك مع بيلشاصر الـذى خلف نبوخذ نصر على عرش بابل ، حتى اذا استولى دارا الاول على العرش فى مملكتى فارس ومادى عين دانيال وزيرا أول له · وقد دس له أعداؤه لدى الملك بأنه لا يحترمه وانما يحترم اله اليهود ويتوجه بصلاته اليه ، فطرحه الملك فى جب الاسود ليلقى حتفه ، ولكن الاسود ـ كما جاء فى التوراة ـ لم تفترسه ، بل

لم تمسسه ، وقد نجاه الله منها ، فعفى الملك دارا عنه · ثم عاصر دانيال بعد ذلك عصر قورش ملك فارس ·

وقد كتب دانيال نبوءاته وطرفا من سيرته في سفر كبير معروف باسمه ضمن أسفار التوراة ، سجل فيه قصته مع الملك نبوخذ نصر ، ثم مع الملك بيلشاصر ، ثم مع الملك دارا ، كما روى فيه أربعة رؤى رمزية عظيمة أراه الله اياها : فالرؤيا الاولى تمثل ممالك العالم الاربع العظمى في صورة أربعة حيوانات · ثم لا تلبث هذه الممالك أن تزول ويأتى بعدها الملكوت الابدى · والرؤيا الثانية تمثل مملكة في صورة تيس عظيم ذى قرنين ، تتغلب على مملكة عظيمة أخرى في صورة كبش هائل ، ثم لا تلبث المملكة التى يمثلها التيس أن تنقسم الى أربعة ممالك · والرؤيا الثالثة تتمثل في رسالة حملها الملاك جبرائيل الى دانيال ، وهي تبشره بمجيء مملكة المسيح بعد سبعين أسبوعا ، أى بعد نحو اربعمائة وتسعين عاما · والرؤيا الرابعة تتمثل في رسائل من الله تؤكد له محبة الله للمؤمنين به ، ووعده بخلاصهم ، واقتراب ملكوت الله الذى يتمتعون فيه بالنعيم الابدى · · · وقد تحققت نبوءات دانيال بكل تفاصيلها وبحسب المواعيد التى حددها لها ·

٣١ ـ حزقيال :

نشأ حزقيال بن بوزى في أورشليم في عشيرة كهنوتية من سبط لاوى · وقد نفاه البابليون الى بابل بعد نفى دانيال اليها بنحو ثماني سنوات · وعاش حزقيال مع المسبيين من اليهود على نهر خابور في أرض بابل · وقد اضطلع حزقيال بالرسالة النبوية حين بلغ الثلاثين من عمره ، وكان ذلك قبل خراب أورشليم وهيكلها على يد البابليين بنحو سبع سنين · وظل مضطلعا بهذه الرسالة نحو اثنين وعشرين عاما ·

وقد كتب حزقيال نبوءاته فى سفر كبير يحمل اسمه من أسفار التوراة . ومن هذه النبوءات قسم نطق به حزقيال قبل سقوط أورشليم ، وهى تتضمن هزيمة اليهود وتشريدهم وخراب مدينتهم بسبب آثامهم ومعاصيهم ، ومعاندتهم لربهم واستماعهم الى الانبياء الكذبة وعبادتهم الاوثان من دون الله . وقد تحقق ذلك فعلا أثناء حياة حزقيال . ومن هذه النبوءات قسم ثان نطق به حزقيال بعد غزو نبوخذنصر لأورشليم وخرابها ، وهى تتضمن أن الله سيعيد اليهود من السبى الى بلادهم فيعيدون بناء هيكلهم وتنظيم كهنوتهم وتقديم ذبائحهم . وقد تحقق هذا فعلا حين سمح قورش ملك الفرس بعودة اليهود الى بلادهم . ومن هذه النبوءات قسم ثالث تتعلق فيه النبوءات بممالك موآب وآدوم وصور وصيدا ومصر وغيرها . وقد وردت هذه النبوءات كلها بأقسامها المختلفة فى تعبيرات رمزية ، وهى تهدف كلها الى التبشير بملكوت الله الذى وعد الله به البشر ليكون فيه خلاصهم ونعيمهم الابدى .

٣٢ ـ حجى :

عاش النبى حجى بعد رجوع اليهود من السبى فى بابل الى فلسطين فى القرن السادس قبل الميلاد . وكان العمل فى اعادة هيكل أورشليم قد توقف نحو خمسة عشر عاما فقام حجى يستنهض همم اليهود لمتابعة البناء ، وكان له فى ذلك أثر عظيم ، كما يبدو ذلك فى سفر عزرا (عزرا ٥ : ١ و ٢ ، ٦ : ١٤) .

وقد كتب حجى سفرا يحمل اسمه من أسفار التوراة ، يتضمن نبوءات نطق بها حجى فى نحو عام ٥٢٠ قبل الميلاد ، وهى تشتمل على توبيخ لليهود الذين تقاعسوا عن بناء الهيكل بعد خرابه فى حين أنهم بنوا لانفسهم بيوتا يقيمون فيها ،

كما يشتمل على تشجيع لأولئك الذين يبكون على تواضع البناء الجديد للهيكل بالمقارنة مع بهاء البناء القديم معزيا اياهم بأن مجد البناء الجديد سيكون أعظم من مجد القديم ، لأن المسيح المنتظر سيدخله ويبشر بتعاليمه السماوية فيه ، مؤكدا أن المسيح سيكون من حيث الجسد من سلالة زربابل الذى هو من نسل داود ٠

٣٣ ـ زكريا بن عدو :

كان زكريا بن عدو كاهنا وثنيا من سبط لاوى ، وقد تنبأ زكريا فى الشهر الثامن من السنة الثانية لدارا ملك الفرس الذى سمح لليهود المسبيين فى بلاد الكلدانيين أن يعودوا الى بلادهم خلال القرن السادس قبل الميلاد ٠ وكان زكريا معاصرا لحجى النبى ٠

وقد كتب زكريا سفرا يحمل اسمه من أسفار التوراة ، وهو يتضمن تشجيعا لليهود على معاودة تعمير بلادهم من جديد والتمسك بعقيدة الههم ، مبشرا اياهم بالخلاص الذى سيأتى به المسيح المنتظر ٠ والذى سيدخل أورشليم منتصرا ، ويسود حكمه الالهى كل البشر ٠

٣٤ ـ عوبديا :

كان عوبديا من سبط يهوذا ، وقد عاش بعد عودة اليهود من السبى فى القرن الخامس قبل الميلاد ٠ وقد كتب سفرا يحمل اسمه من أسفار التوراة ، ويتضمن نبوءة بخراب آدوم ، وتحذيرا للأدوميين من الشماتة باليهود ، مؤكدا أن يوم الرب قريب ، وان **ملكوت الله سيسود العالم كله ٠**

٣٥ ـ ملاخى :

عاش ملاخى فى القرن الخامس قبل الميلاد ، فى الفترة

التالية لعودة اليهود من السبى فى بابل الى فلسطين ، وقد اضطلع بالرســالة النبوية بعــد النبيين زكريا وعوبديا • وكان ملاخى لا يفتأ يوبخ اليهود ولا سيما كهنتهم على تجاهلهم لوصايا الله . وتمردهم عليه ، ويلومهم بسبب زواجهم من النســاء الاجنبيات الوثنيات ، منذرا اياهم بغضب الله عليهم وعقابه لهم • ثــم يبشرهم بقرب مجىء المسيح الذى ينتظرونه •

٣٦ — يوئيل :

عاش يوئيل بن فنوئيل فى اقليم ســبط يهوذا فى القرن الخامس قبل الميلاد ، بعد عودة اليهود من السبى • وقد حدث فى أيامه قحط شديد واسراب من الجراد أكلت كل شىء ، فأنبــأ اليهود بأن هذه الضربة كانت جزاء لهم على شرورهم وآثامهم • ومن ثم دعاهم الى الندم والتوبة ، واعدا اياهم اذا ندموا وتابوا بارتفاع هذه الضربه عنهم ، وغفران الله لهم ومجىء المسيح الذى تعم فى ملكوته القداسة والطمأنينة والسلام •

وهكذا استمر ظهور الانبياء من عهد أختوخ الى عهد عوبديا وملاخى ويوئيل ، أى نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد • ولــم يظهر نبى بعد ذلك الى وقت مجىء السيد المسيح ، أى خلال نحو أربعمائة عام •

واذ كان الانبياء الــذين ذكرنا أسماءهم انبياء صــادقين مرسلين من الله ، تحققت كل نبوءاتهم فى الموعد المحدد لهــا ، ماعدا التى لم يحن موعد تحققها بعد ، فسوف تتحقق بالتأكيد فى الموعد المحدد لها كذلك •

الفصـــل الثـانى

كهنة اليهود

الكاهن فى الاصطلاح العام هو الذى يكرس نفسه لخدمـة الدين متوسطا بين الله والناس ، وفي اصطلاح التوراة هــو بالتخصيص الذى يقوم بتقديم الذبائح لله ·

وقد أسس موسى النبى بوحي من الله فى سيناء نظاما خاصا للكهنوت اليهودى · وأما قبل ذلك فكان لكل انسان أن يقـدم الذبائح لله · ثم أصبح رؤساء العشائر يقدمون الذبائح عن عشائرهم : فكان نوح وأيوب وابراهيم يفعلون ذلك وعند خروج اليهود من مصر أمر موسى كل رئيس بيت من بيوتهم بأن يذبح خروف الفصح عن البيت الذى يرأسه ·

وقد أصدر اللــه أمره الى موسى النبى بأن يمسح هـارون أخاه رئيسا للكهنة ، وأن ينحصر الكهنوت فى ذريته دون سواهم · وكان للكهنة واجبات محددة فى خدمة خيمة الاجتماع والهيكل · وأما باقى الواجبات الدينية فكان يختص بها اللاويون وهـم أبناء البيوت الاخرى من سبط لاوى غير بيت هارون · وبذلك أصبح الكهنوت اليهودى ثـلاث مراتب هى : رئيس الكهنة ، والكهنة ، واللاويون :

١ ـ رئيس الكهنة

وقد كان أول رئيس لكهنة اليهود هو هارون أخو موسى ، اذ قال الله لموسى فى سفر الخروج « قرب اليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بنى اسرائيل ليكهن لى » (الخروج ٢٨ : ١) ٠ وكان يتحتم أن يكون رئيس الكهنة هو البكر من ذرية هارون ، وأن يكون سليم الجسم خاليا من كل عاهة أو عيب أو تشويه جسدى. بالتفصيل الوارد بالنسبة للكهنة عامة كما سيتضح فيما بعد ٠

وقد حدد الله ثيابا خاصة لرئيس الكهنة ووصفها لموسى وصفا دقيقا مفصلا ليصنع لهارون ثيابا على مثالها ، اذ قال له : « اصنع ثيابا مقدسة لهارون أخيك للمجد والبهاء وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا ثياب هارون لتقديسه ليكهن لى ٠ وهذه هى الثياب التى يصنعونها : صدرة ورداء وجبة وقميص مخرم وعمامة ومنطقة ٠٠ فيصنعون الرداء من ذهب وأسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة حائك حاذق ٠ يكون له كتفان موصولان فى طرفيه ليتصل ، وزنار شده الذى عليه يكون منه كصنعته من ذهب وأسمانجونى وقرمز وبوص مبروم ٠ وتأخذ حجرى جزع وتنقش عليهما أسماء بنى اسرائيل ٠ ستة من أسمائهم على الحجر الواحد، وأسماء الستة الباقين على الحجر الثانى حسب مواليدهم ٠ صنعة نقاش الحجارة نقش الخاتم تنقش الحجرين على حسب أسماء بنى اسرائيل ، محاطين بطرفين من ذهب تصنعهما ، وتضع الحجرين على كتفى الرداء ، حجرى تذكار لبنى اسرائيل ٠٠ وتضع طوقين من ذهب نقى مجدولين ، تصنعهما صنعة الضفر ، وتجعل سلسلتى الضفائر فى الطرفين ٠ وتصنع صدرة قضاء ٠٠ من ذهب وأسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم ٠٠ تكون مربعة منثنية طولها شبر وعرضها شبر ، وترصع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة ٠ صف عقيق أحمر وياقوت أصفر

وزمرد ، الصف الأول • والصف الثاني بهرمان وياقوت وأزرق وعقيق أبيض • والصف الثالث عـــين الهر ويشم وجمشت • والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب • تكون مطوقة بذهب في ترصيعها • وتكون الحجارة على أســـماء بنى اسرائيل • اثنى عشر على أسمائهم • كنقش الخاتم كل واحد على اسمه تكون للاثنى عشر سبطا ، وتصنع على الصدرة سلاسل مجدولة صنعة الضفر من ذهب نقي • وتصنع على الصـــدرة حلقتين من ذهب وتجعل الحلقتين على طرفى الصدرة ، وتجعل ضفيرتى الذهب في الحلقتين على طرفى الصـــدرة ، وتجعل طرفى الضفيرتين الآخرين في الطوقين ، وتجعلهما على كتفى الرداء الى قدامه • وتصـــنع حلقتين من ذهب وتضعهما على طرفى الصـــدرة على حاشيتها التى الى جهة الرداء من داخل • وتصنع حلقتين من ذهب وتجعلها على كتفى الرداء من أسفل الى قدامه عند وصله من فوق زنار الرداء ، ويربطون الصـــدرة بحلقتيها الى حلقتى الرداء بخيط من أسمانجونى لتكون على زنار الرداء • ولا تنزع الصدرة عن الرداء ، فيحمل هارون أسماء بنى اسرائيل في صدرة القضاء على قلبه عند دخوله الى القدس للتذكار أمام الرب دائما • وتجعل في صدرة القضاء الاوريم والتميم لتكون على قلب هارون عند دخوله أمام الرب ، فيحمل هارون قضاء بنى اسرائيل على قلبـــه أمام الرب دائما • وتصنع جبـــة الرداء كلها من أسمانجونى • وتكون فتحة رأسها في وسطها • وتكون لفتحتها حاشية حواليها صنعة الحائك • كفتحة الدرع يكون لها • لا تشق • وتصنع على أذيالها رمانات من أسمانجونى وأرجوان وقرمز • على أذيالهـــا حواليها • وجلاجل من ذهب بينها حواليها • جلجل ذهب ورمانة، جلجل ذهب ورمانة على أذيال الجبة حواليها • فتكون على هارون للخدمة ليسمع صوتها عند دخوله الى القدس أمام الرب وعنـــد خروجه لئلا يموت • وتصنع صفيحة من ذهب نقى وتنقش عليها نقش خاتم قدس للرب • وتضعها على خيوط اسمانجونى لتكون

على العمامة · الى قدام العمامة تكون · فتكون على جبهة هارون فيحمل هارون اثم الاقداس التى يقدسها بنو اسرائيل جميع عطايا أقداسهم ، وتكون على جبهته دائما للرضى عنهم أمام الرب · وتخرم القميص من بوص · وتصنع العمامة من بوص ، والمنطقة تصنعها صنعة الطراز ·· ولبنى هارون تصنع أقمصة وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء · وتلبس هارون أخاك وبنيه معه وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لى · وتصنع لهم سراويل من كتان لستر العورة · من الحقوين الى الفخذين · فتكون على هارون وبنيه عند دخولهم الى خيمة الاجتماع أو عند اقترابهم الى المذبح للخدمة فى القدس لئلا يحملوا اثما ويموتوا ، فريضة أبدية له ولنسله من بعده » · (الخروج ٢٨ : ٢ ـ ٤٢) ·

وكانت الاحتفالات بتنصيب رئيس الكهنة تستمر سبعة أيام يجرى خلالها تطهيره والباسه ثيابه ومسحه بدهن المسحة وتقديم الذبائح عنه ، اذ قال الله لموسى فى سفر الخروج « هذا ما تصنعه لتقديسهم ليكهنوا لى : خذ ثورا واحدا ابن بقر وكبشين صحيحين وخبز فطير وأقراص فطير ملتوتة بزيت ورقاق فطير مدهونة بزيت · من دقيق حنطة تصنعها ، وتجعلها فى سلة واحدة وتقدمها فى السلة مع الثور والكبشين · وتقدم هارون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء ، وتأخذ الثياب وتلبس هارون القميص وجبة الرداء والرداء والصدرة وتشده بزنار الرداء ، وتضع العمامة على رأسه وتجعل الاكليل المقدس على العمامة · وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه ، وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة وتنطقهم بمناطق هارون وبنيه ، وتشد لهم قلانس ، فيكون لهم كهنوت · فريضة أبدية ، وتملأ يد هارون وأيدى بنيه · وتقدم الثور الى قدام خيمة الاجتماع ، فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس

الثور ، فتذبح الثور أمام الرب عند خيمة الاجتماع ، وتأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح بأصبعك · وسائر الدم تصبه الى أسفل المذبح ، وتأخذ كل الشحم الذى يغشي الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما وتوقدها على المذبح · وأما لحم الثور وجلده وفرثه فتحرقها بنار خارج المحلة · هو ذبيحة خطية · وتأخذ الكبش الواحد ، فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش ، فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية ، وتقطع الكبش الى قطعه ، وتغسل جوفه وأكارعه وتجعلها على قطعه وعلى رأسه ، وتوقد كل الكبش على المذبح ، هو محرقة للرب · رائحة سرور · وقود هو للرب · وتأخذ الكبش الثانى فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش ، فتذبح الكبش وتأخذ دمه وتجعل على شحمة اذن هارون وعلى شحم آذان بنيه اليمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى · وترش الدم على المذبح من كل ناحية · وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هارون وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه ، فيتقدس هو وثيابه وبنوه وثياب بنيه معه · ثم تأخذ من الكبش الشحم والالية والشحم الذى يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما والساق اليمنى ، فانه كبش ملء ، ورغيفا واحدا من الخبز وقرصا واحدا من الخبز بزيت ، ورقاقة واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب · وتضع الجميع فى يدى هارون وفى أيدى بنيه وترددها ترديدا أمام الرب ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب · وقود هو للرب · ثم تأخذ القص من كبش الملء الذى لهارون وترده ترديدا أمام الرب فيكون لك نصيبا ، وتقدس قص الترديد وساق الرفيعة الذى ردد والذى رفع من كبش الملء مما لهارون ولبنيه ، فيكونان لهارون وبنيه فريضة أبدية من بنى اسرائيل لأنهما رفيعة · ويكونان رفيعة من بنى اسرائيل من

ذبائح سلامتهم رفيعتهم للرب • والثيـاب المقدسة التى لهارون تكون لبنيه بعده ليمسحوا فيها ولتملأ فيها أيديهم • سبعة أيام يلبسها الكاهن الذى هو عوض عنـه من بنيه • الذى يدخـل خيمة الاجتماع ليخدم فى القدس •• وأما كبش الملء فتأخذه وتطبخ لحمه فى مكان مقدس ، فيأكل هارون وبنوه لحم الكبش والخبز الذى فى السلة عند باب خيمة الاجتماع • يأكلها الذين كفر بها عنهم لملء أيديهم لتقديسهم • وأما الاجنبى فلا يأكل لأنها مقدسة • وان بقى شىء من لحم المـلء أو من الخبز الى الصباح تحرق الباقى بالنار • لايؤكل لأنه مقـدس وتصنع لهارون وبنيه هكذا بحسب كل ما أمرتك • سبعة أيام تملأ أيديهم وتقدم ثور خطية كل يوم لاجل الكفارة • وتطهر الذبح وتقدسه عليه وتمسحه لتقديسه • سبعة أيام تكفر على المذبح وتقدسه فيكون المذبح قدس أقداس • كل ما مس المذبح يكون مقدسا • وهذا ما تقدمه على المـذبح : خروفان حوليان كل يوم دائما • الخروف الواحد تقدمه صباحا ، والخروف الثانى تقـدمه فى العشية • وعشر من دقيق ملتـوت بربع الهين من زيت الرض وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد • والخروف الثانى تقدمه فى العشية • مثل تقدمة الصـباح وسكيبه تصنع له • رائحة سرور • وقود للرب • محرقة دائمة فى أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع أمام الرب ، حيث أجتمع بكم لاكلمك هناك •• وأقدس خيمة الاجتماع والمذبح • وهارون وبنوه أقدسهم لكى يكهنوا لى •• » (الخروج ٢٩ : ١ ــ ٤٦) •

وكان رئيس الكهنة هو الرئيس الاعلى لكل الكهنة واللاويين وكان يسمى كذلك الكاهن الاعظم أو الكاهن الرأس • وكان هو أعظم الاشراف بين اليهود • وقـد ظـل أزمانا طويلة هو الحاكم الفعلى لهم • وكان هو المشرف على خيمة الاجتماع والهيكل • ولم يكن مسموحا لغير رئيس الكهنة أن يدخل قدس الاقداس •

ولم يكن ذلك يحدث الا يوما واحدا فى كل عام وهو يوم الكفارة اذ كان رئيس الكهنة يمثل فى ذلك اليوم دور الوسيط بين الله والناس ، ليكفر عن ذنوب الناس وخطاياهم التى ارتكبوهـــا خلال السنة المنقضية • وكان من أعمال رئيس الكهنة استشارة الله بواسطة الاوريم والتميم ، وهما حجران كان يحفظهما فى صدرته يشبهان ما نسميه اليوم بالنرد أو « الزهر » ، وكان يستخدمهما فى معرفة ارادة الله فى الامور الكهنوتية والسياسية والحربية على السواء •

وقد فرضت الشريعة على رئيس الكهنة قوانين صارمة تتلاءم مع ما ينبغى أن يكون عليه من قداسة وطهارة ووقار ، اذ جـــاء فى سفر اللاويين « الكاهن الاعظم بين اخوته ، الذى صب على رأسه دهن المسحة وملئت يده ليلبس الثياب لا يكشف رأســـه ولايشق ثيابه (حزنا أو غضبا) ولا يأتى الى نفس ميتة (أى لا يمس جثـــة) ولا يتنجس لابيه أو أمـــه (أى لا يقترب من جثتهما) ولا يخرج من المقدس لئلا يدنس مقدس الهه ، لأن اكليل دهن مسحة الهه عليه • أنا الرب • هذا يأخذ امرأة عذراء أمـــا الارملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا يأخذ ، بل يتخذ عذراء من قومه امرأة • ولا يدنس زرعه بين شعبه ، لأنى أنا الرب مقدسه » (اللاويين ٢١ : ١٠ ـ ١٥) •

ويبدو لنا من سفر الملوك انه كان لرئيس الكهنة مســاعد يسمى الكاهن الثانى (الملوك الثانى ٢٥ : ١٨) وهو الذى كان يدعى رئيس بيت الله (أخبار الايام الثانى ٣١ : ١٣) وربما كان يدعى كذلك قائد جند الهيكل (الاعمال ٤ : ١) •

وكان رئيس الكهنة يظل فى وظيفته مـــدى حياته • فحين مات هارون خلفه ابنه العازار فى رئاسة الكهنوت (العدد ٢٠ :

٢٥ ــ ٢٨) وقد بقيت رئاسة الكهنوت فى عائلة العازار الى أيام عالى الذى كان من بيت ايثـــامار بن هـــارون . غير ان الملك سليمان أبطل هذا التقليد حين عزل رئيس الكهنة أبياثار الذى اشترك فى مؤامرة أخيه أدونيا ضده وأقام فى مكانه صادوق رئيسا للكهنة .

ولم تلبث وظيفة رئيس الكهنة أن أصبحت مطمعا للطامعين فى الثروة والجاه والسلطان ، ولو كانوا أبعد ما يكونون عمـــا ينبغى أن يكون عليه رئيس الكهنة من زهــــد ونزاهة واستقامة ووقار ، بل لقد أصبحوا يشترون هــذا المنصب شراء ويحتالون على الوصول اليه بالرشوة والخيانة والدسائس والمؤامرات ، ولو أدى وصولهم اليه الى هــــدم الشريعة وعبادة الاوثان . ومما ورد فى التوراة من ذلك ما جاء فى سفر المكابيين اذ يقول « وكان أنه بعد وفاة سيليوكوس واستيلاء انطيوخوس الملقب بالشهير على الملك طمع ياسون أخو أونيا (رئيس الكهنة) فى الكهنوت الاعظم ، فوفد على الملك ووعده بثلاثمائة وستين قنطار فضـــة وبثمانين قنطارا من دخل آخر . وماعدا ذلك ضمن له مــــائة وخمسين قنطارا غيرها ان رخص له بســـلطة الملك فى اقامة مدرسة للتروض (أى ناد من النوادى اليونانية) وموضع للغلمان وأن يكتتب أهل أورشليم فى رعوية انطاكية ، فأجابه الملك الى ذلك فتقلد الرئاسة وما لبث أن صرف شعبه عن عادات الامـــم وألغى الاختصاصات التى أنعم بها الملوك على اليهود على يد يوحنا ابى أوبولموس الذى قلد السفارة الى الرومانيين فى عقد الموالاة والمناصرة وأبطل رسوم الشريعة وأدخل سننا تخالف الشريعـــة وبادر فأقام مدرسة للتروض تحت القلعة وســـاق نخبة الغلمان فجعلهم تحت القلعة ، فتمكن الميل الى عـــادات اليونان والتخلق بأخلاق الاجانب بشدة فجور ياسون الذى هو كافر لا كاهن أعظم حتى أن الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح ، واستهانوا

بالهيكل وأهملوا الذبائح لينالوا حظا فى جوائز الملعب المحرمة بعد المباراة فى رمى المطاث • وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان • فلذلك أحاقت بهم رزيئة شديدة فان الذين أولعوا برسومهم وحرصوا على التشبه بهم هم صاروا أعداء لهم ومنتقمين ، لأن النفاق فى الشريعة الالهية لا يذهب سدى •• ولما جرت فى صور المصارعة التى تجرى كل سـنة خامسة والملك حاضر ، أنفذ ياسون الخبيث رسلا من أورشليم أنطاكيى الرعوية ومعهم ثلاثمائة درهم فضة لذبيحة هركليس •• وبعد مدة ثلاث سنين وجـه ياسون منلاوس أخا سمعان المذكور ليحمل أموالا للملك ويفاوضه فى أمور مهمة ، فتزلف الى الملك وأطرى عظمة سلطانه وأحال الكهنوت الاعظم الى نفسـه بأن زاد ثلاثمائة قنطار فضة على ما أعطى ياسون • ثم رجع ومعـه أوامر الملك • ولم يكن على شىء ممـا يليق بالكهنوت الاعظم ، وانما كانت له أخلاق غاشم عنيف وأحقـاد وحش ضـار • وهكذا فان ياسون الذى ختل أخاه ختله آخر فطرد وفر الى أرض بنى عمون • واستولى منلاوس على الرئاسة • الا أنه لم يوف شيئا من الاموال التى كان وعد بها الملك • فـكان سستراتس رئيس القلعة يطالبه لأنه كان مولى أمر الجباية ، ولهذا السبب استدعيا كلاهما الى الملك • فاستخلف منلاوس ليسيماكس أخـاه على الكهنوت الاعظم ، واستخلف ستراتس كراتيس والى القبرسيين • وحدث بعد ذلك أن أهل طرسوس وملو تمردوا لانهم جعلوا هبة لانطيوخوس سرية الملك ، فبادر الملك لاخفـاء الفتنة واستخلف مكانه أندرونكس أحد ذوى المناصب ، فرأى منلاوس أنه قـد أصاب فرضه فسرق من الهيكل آنية من الذهب أهدى بعضها الى أندرونكس وباع بعضها فى صور والمدن التى بجوارها • ولـما تيقن أونيا ذلك حجة به ، وكان قد انصرف الى حمى بدفنـة بالقرب من انطاكية ، فخـلا منلاوس بأندرونكس وأغراه أن يقبض على أونيا (رئيس الكهنة الحقيقى) ، فصار الى أونيـا

وخدعه بمكره وعاقده بقسم حتى حمله على الخروج من الحمى وان كان غير واثق به ثم اغتاله من ساعته ولم يرع للعــدل حرمة ٠٠ واستقر منلاوس فى الرئاسة بشره ذوى الاحكام ، وكان لا يزداد الا خبثا ولم يزل لاهـــل وطنه كمينا مهلكا » (المكابيون الثانى ٤) ـ « فى ذلك الزمـان تجهز أنطيوخوس لغزو مصر ثانية ، فحدث أنه ظهر فى المدينة كلها مدة أربعين يوما فرسان تعدو فى الجو وعليهم ملابس ذهبية وفى أيديهم رماح وهم مكتبون كتائب ، وقنابل من الخيل مصـطفة وهجوم وكر بين الفريقين وتقليب تروس وحراب كثيرة واستلال سيوف ورشق نبال ولمعان حلى ذهبية ودروع من كل صنف ٠ فكان الجميع يسألون أن يكون مآل هـذه الآية خيرا ٠ وأرجف قـــوم ان أنطيوخوس قد مـات ، فاتخذ ياسون جيشا ليس أقـــل من آلف نفس وهجم على المدينة بغتة ، حتى اذا وقع الذين على الاسوار وأوشك أن يأخذ المدينة هرب منيلاوس الى القلعة ، فطفق ياسون يذبح أهـل وطنه بغير رحمة ٠٠ حتى كأن نصرته هذه انمـا كانت على أعداء لا على بنى أمته ، ولكنه لم يحز الرئاسة وانما أحاق به أخيرا خزى كيده فهرب ثانية الى أرض بنى عمون ٠ وكانت خاتمة أمره منقلبا سـيئا لأن أرتاس زعيم العرب طرده فجعل يفر من مدينة الى مدينة والجميع ينبذونه ويبغضونه بغضة من ارتد عن الشريعة ، ويمقتونه مقت من هو قتال لاهـــل وطنه حتى دحر الى مصر ٠ فكان أن الـذى غرب كثيرين هلك فى الغربة ٠٠ والذى طرح كثيرين بغير قبر أصبح لم يبك عليـه ولم يدفن ولم يكن له قبر فى وطنه ٠ فلما بلغت الملك هـــذه الحوادث اتهم اليهود بالانتقاض عليه فزحف من مصر وقد تنمر فى قلبه وأخذ المدينة عنـــوة ، وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمـــة ويذبحوا المختبئين فى البيوت ، فطفقوا يهلكون الشبان والشيوخ ويبيدون الرجال والنســـاء والاولاد ويذبحون العذارى والاطفال ، فهلك ثمانون ألف نفس فى ثلاثة

أيام ، منهم أربعون ألفا في المعركة ، وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتلى • ولم يكتف بذلك بل اجترأ ودخل الهيكل الذى هو أقدس موضع في الارض كلها وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن ، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين مع ما أهدته ملوك الاجانب لزينة الموضع وبهائه وكرامته وقبض عليها بيديه النجستين ومضى » (المكابيون الثانى ٥) •

ومنذ زمن هيرودس الكبير أصبح رؤساء الكهنة مجرد ألاعيب في يد السلطة الرومانية ، فكان الرومان يعينون ويعزلون منهم من يشاؤون دون تقيد بأى قاعدة أو التزام بأى شريعة • ويقول يوسيفوس ان الرومان استعانوا برئيس الكهنة حنان وأسرته زمانا طويلا بلغ نصف قرن في خدمة أغراضهم ، اذ شغل هذا المنصب مع حنان خمسة من أبنائه على التوالى : فشغله اليعازر سنة ١٦ ميلادية ، ويوناثان سنة ٣٦ ميلادية وتاوفيلوس سنة ٣٧ ميلادية ، وماتياس سنة ٤٢ ميلادية ، وحنان الصغير سنة ٦٣ ميلادية • وقد اشتهروا جميعا بالطمع والجشع والمكر والضعة • وقد أثروا ثراء فاحشا عن طريق العشور والهبات والتبرعات التى كانوا يجنونها من الشعب • كما انهم كانوا تحت ستار منصبهم يشتغلون بالتجارة في حوانيت انشأوها تحت شجرتي بلوط على جبل الزيتون كانت تسمى « الشانوجوت » ، وكانت تتولى بيع الذبائح التى تعتبرها الشريعة طاهرة كالحمام واليمام ، لتقديمها ذبيحة في الهيكل • وكانت هذه الحوانيت مصدر ثروة عظيمة لحنان وابنائه ، والواقع انهم على الرغم من وظائفهم الكهنوتية الرفيعة لم يكونوا يهتمون بالدين ، وانما كانوا يعيشون عيش التنعم والرفاهية ويسعون الى جمع المال بكل وسيلة ، وكان كل هدفهم أن تظل الاوضاع مستقرة تحت حكم الرومان ليحتفظوا بسلطانهم وثرواتهم • ومن ثم كانوا يتغاضون عن وجود أولئك المستعمرين الوثنيين ،

بل كانوا يشجعون على استمراره ويسعون الى دوامه • وقد كان حنان أحد الذين حاكموا السيد المسيح وحكموا عليه بالموت • كما كان قيافا رئيسا للكهنة كذلك في نفس الوقت واشترك في هذه المحاكمة وهذا الحكم •

١ ـ الكهنة

وقد حصر الله الكهنوت في ذرية هارون دون سواهم من عشائر سبط لاوى ودون سواهم من أسباط اليهود الاخرى • اذ قال الله لموسى في سفر الخروج كما سبق أن رأينا « قرب اليك هارون أخاك وبنيه معه من بنى اسرائيل ليكهن لى » (الخروج ٢٨ : ١) • ومن ثم أصبح لا يصح لأحد ولو كان هو ملك اليهود ذاته أن يؤدى وظيفة الكاهن ما لم يكن من ذرية هارون • وقد حدث أن شاول أول ملوك اليهود ـ وكان من سبط بنيامين ـ قدم الذبائح بنفسه ، فغضب الله عليه وانتزع المملكة منه ، اذ جاء في سفر صموئيل « فاجتمع الشعب وراء شاول الى الجلجال ، وتجمع الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل •• ولم يأت صموئيل (النبى) الى الجلجال •• فقال شاول قدموا الى المحرقة وذبائح السلامة ، فأصعد المحرقة • وكان لما انتهى من اصعاد المحرقة اذا صموئيل مقبل فخرج شاول للقائه •• فقال صموئيل ماذا فعلت ؟ فقال شاول لأنى رأيت أن الشعب قد تفرق عنى وانت لم تأت •• فتجلدت وأصعدت المحرقة • فقال صموئيل لشاول قد انحمقت • لم تحفظ وصية الرب الهك التى أمرك بها لانه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على اسرائيل الى الابد • وأما الآن فمملكتك لاتقوم » (صموئيل الاول ١٣ : ١ ـ ١٥) • وقد حدث نفس الامر مع عزيا ملك يهوذا ، اذ جاء في سفر أخبار الايام « ولما تشدد ارتفع قلبه الى الهلاك وخان الرب الهه ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور وراءه عزريا الكاهن ومعه ثمانون من كهنة

الرب بنى البأس وقاوموا عزيا الملك وقالوا له ليس لك يا عزيا أن توقد للرب بل للكهنة بنى هارون المقدسين للايقاد ، أخرج من المقدس لانك خنت وليس لك من كرامة من عند الرب الاله ، فحنق عزيا وكان فى يده مجمرة للايقاد وعند حنقه على الكهنة خرج برص من جبهته أمام الكهنة فى بيت الرب بجانب مذبح البخور ، فالتفت نحوه عزريا الكاهن الرأس وكل الكهنة واذا هو أبرص فى جبهته فطردوه من هناك حتى أنه هو نفسه بادر الى الخروج لأن الرب ضربه • وكان عزيا الملك أبرص الى يوم وفاته ، وأقام فى بيت المرض أبرص لانه قطع من بيت الرب » (أخبار الايام الثانى ٢٦ : ١٦ ـ ٢١) •

وقد حدث أن اليهود تذمروا على الله لأنه اختص هارون وذريته بامتياز الكهنوت ، فصنع الله معجزة ـ كما ذكرت التوراة ـ أثبت بها فضل هارون على سائر اليهود ، كما أثبت بها رضاه عنه وثقته فيه ، اذ جاء فى سفر العدد « كلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل وخذ منهم عصا عصا لكل بيت أب من جميع رؤسائهم حسب بيوت آبائهم اثنتى عشرة عصا • واسم كل واحد تكتبه على عصاه ، واسم هارون تكتبه على عصا لاوى ، لأن لرأس بيت آبائهم عصا واحدة ، وضعها فى خيمة الاجتماع أمام الشهادة حيث اجتمع بكم ، فالرجل الذى اختاره تفرخ عصاه فاسكن عنى تذمرات بنى اسرائيل التى يتذمرونها عليكما • فكلم موسى بنى اسرائيل فاعطاه جميع رؤسائهم عصا عصا لكل رئيس حسب بيوت آبائهم اثنتى عشرة عصا • وعصا هارون بين عصيهم فوضع موسى العصى أمام الرب فى خيمة الشهادة • وفى الغد دخل موسى الى خيمة الشهادة واذا عصا هارون لبيت لاوى قد أفرخت • أفرخت فروخا وأزهرت زهرا وانضجت لوزا • فأخرج موسى جميع العصى من أمام الرب الى جميع بنى اسرائيل فنظروا وأخذ كل واحد عصاه • وقال الرب لموسى رد عصا هارون

الى أمام الشهادة ، لاجل الحفظ عـــلامة لبنى التمرد فتكف تدمراتهم عنى لكى لا يموتوا • ففعل موسى كمـا أمره الرب » (العدد ١٧ : ١ ـ ١١) •

وبمقتضى هذا التعيين الالهى أصبح كل ذكر من ذرية هارون كاهنا ، وله أن يمارس وظيفة الكهنوت وذلك بشرط ألا يكون فيه أى عاهة أو عيب أو تشويه جسدى ، اذ جاء فى سفر اللاويين « وكلم الرب موسى قائلا كلم هارون قائلا اذا كان رجل من نسلك فى أجيالهم فيه عيب فلا يتقدم ليقرب خبز الهه • لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم • لا رجل أعمى ولا أعرج ولا أفطس ولا زوائدى • ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد ولا أحدب ولا أكشم ولا من فى عينيه بياض ولا أجرب ولا أكلف ولا مرضوض الخصى • كل رجل فيه عيب من نسل هارون الكاهن لا يتقدم ليقرب وقائد الرب • فيه عيب لا يتقدم ليقرب خبز الهه • خبز الهه من قدس الاقداس ومن القدس يأكل • لـــكن الى الحجاب لا يأتى والى المذبح لا يقترب • فيه عيب لئلا يدنس مقدسى » (اللاويين ٢١ : ١٦ ـ ٢٣) • وجاء فى سفر التثنية « لا يدخل مخصى بالرض أو مجبوب فى جماعة الرب • لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب • حتى الجيـل العاشر لا يدخل منه أحـــد فى جماعة الرب » (التثنية ٢٣ : ١ و ٢) •

وكانت تجرى لرســـامة الكاهن ذات الطقوس التى سبق أن ذكرناها لرسامة رئيس الكهنة • وكانت تستمر سبعة أيـام وان كانت ثياب الكاهن التى يتم الباســه اياها عنـد الرسامة تختلف عن ثياب رئيس الكهنة ، وقد ورد وصفها فى ســـفر الخروج اذ جاء به « ولبنى هارون تصنع أقمصه وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء •• وتصنع لهم سراويل من كتان لستر العورة ، من الحقوين الى الفخذين تكون • فتكون

على هارون وبنيه عند دخولهم الى خيمة الاجتماع أو عند اقترابهم الى المذبح للخدمة فى القدس لئلا يحملوا اثما ويموتوا . فريضة أبديه له ولنسله من بعده » (الخروج ٢٨ : ٤٠ ـ ٤٣) .

وتفرض الشريعة على الكاهن في حياته ومعيشته قوانين لا تفرضها على غيره من اللاويين أو من عامة اليهود ، اذ جاء في سفر اللاويين « وقال الرب لموسى كلم الكهنة بنى هارون وقل لهم لا يتنجس أحد منكم لميت في قومه (أى لا يمس جثته) الا لاقربائه الاقرب اليه : أمه وأبيه وابنه وابنته وأخيه وأخته العذراء القريبة اليه التى لم تصر لرجل . لاجلها يتنجس . كزوج لا يتنجس بأهله لتدنيسه . لا يجعلوا قرعة في رؤوسهم ولا يحلقوا عوارض لحاهم ولا يجرحوا جراحة فى أجسادهم . مقدسين يكونون لالههم ولا يدنسون اسم الههم لأنهم يقربون وقائد الرب طعام الههم . فيكونون قدسا . امرأة زانية أو مدنسة لا يأخذوا ، ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها ، لأنه مقدس لالهه ، فتحسبه مقدسا لأنه يقرب خبز الهك مقدسا يكون عندك لانى قدوس أنا الرب مقدسكم . واذا تدنست ابنة كاهن بالزنا ، فقد دنست أباها . بالنار تحرق » (اللاويين ٢١ : ١ ـ ٩) . ولا تسمح الشريعة للكاهن بأن يشرب خمرا عند دخوله المقدس للخدمة الدينية ، اذ جاء فى سفر اللاويين « وكلم الرب هارون قائلا خمرا ومسكرا لا تشرب انت وبنوك معك عند دخولكم الى خيمة الاجتماع لكى لا تموتوا . فرضا دهريا فى أجيالكم » (اللاويين ١٠ : ٨ و ٩) . وتفرض الشريعة على الكهنة الاغتسال الدائم تطهيرا لاجسامهم ولأثيابهم ، اذ جاء فى سفر الخروج « وكلم الرب موسى قائلا وتصنع مرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماء ، فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها . عند دخولهم خيمة الاجتماع يغسلون بماء لئلا يموتوا ،

أو عند اقترابهم الى المذبح للخدمة ليوقدوا للرب · يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا ، ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله فى أجيالكم » (الخروج ٣٠ : ١٧ ـ ٢١) · كما أوجبت الشريعة مسح الكهنة بالدهن المقدس ، اذ جاء فى سفر الخروج، « وكلم الرب موسى قائلا وانت تأخذ لك أفخر الاطياب··وتصنعه دهنا مقدسا للمسحة ·· وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى » (الخروج ٣٠ : ٢٢ ـ ٣٠) وأوجبت الشريعة أن يكون الكاهن طاهرا وهو يؤدى وظيفته الكهنوتية · اذ جاء فى سفر اللاويين « كلم الرب موسى قائلا كلم هارون وبنيه أن يتوقوا أقداس بنى اسرائيل التى يقدسونها لى ولا يدنسوا اسمى القدوس · أنا الرب · قل لهم فى أجيالكم كل انسان من جميع نسلكم اقترب الى الاقداس التى يقدسها بنو اسرائيل للرب ونجاسته عليه تقطع تلك النفس من أمامى · أنا الرب · كل انسان من نسل هارون وهو أبرص أو ذو سيل لا يأكل من الاقداس حتى يطهر · ومن مس شيئا نجسا لميت أو انسان حدث منه اضطجاع زرع أو انسان مس دبيبا تنجس به أو انسان يتنجس به لنجاسة فيه · فالذى يمس ذلك يكون نجسا الى المساء ولا يأكل من الاقداس ، بل يرحض جسده بماء · فمتى غربت الشمس يكون طاهرا ، ثم يأكل من الاقداس لانها طعامه · ميتة أو فريسة لا يأكل فيتنجس بها · أنا الرب · فيحفظون شعائرى لكى لا يحملوا لاجلها خطية يموتون بها لانهم يدنسونها · أنا الرب مقدسهم » (اللاويين ٢٢ : ١ ـ ٨) ·

وكان من أهم واجبات الكهنة تقديم القرابين والذبائح اليومية والاسبوعية والشهرية والسنوية ، والخدمة فى الاحتفالات الدينية ، والتطهير ، والعناية بالآنية المقدسة ، والنار المقدسة ، والمنارة الذهبية ، وأثاث المقدس ، واطلاق الاصوات فى الابواق المقدسة ، وحمل تابوت العهد ، والقضاء

في دعاوى الغيرة ، وتقدير المـــال اللازم للفدية ، والنظر في شئون المصابين بالبرص ، واستشارة اللـــــه بواسطة الاوريم والتميم ، وتفسير الشريعة للشعب ، والقضاء في دعـــــاواه وخصوماته ، اذ جاء في سفر التثنية عن هــذا الواجب الاخير « اذا عسر عليك أمر في القضاء بين دم ودم أو بين دعوى ودعوى أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات في أبوابك فقم واصعد الى المكان الذى يختاره الرب الهك ، واذهب الى الكهنة اللاويين ، والى القاضي الذى يكون في تلك الايام ، واسأل فيخبرونك بأمر القضاء ، فتعمل حسب الامر الذى يخبرونك به من ذلك المكان الذى يختاره الرب وتحرص ان تعمل حسب كل ما يعلمونك . حسب الشريعة التى يعلمونك . والقضاء الــذى يقولونه لــك تعمل . لا تحد عن الامر الذى يخبرونك يمينا أو شمالا . والرجل الذى يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب الهك أو للقاضي يقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من اسرائيل ، فيسمع جميع الشعب ويخافون ولا يطغون بعد » (التثنية ١٧ : ٨ ــ ١٣) . وكان من واجبات الكهنة كذلك أن يتشفعوا لــدى الله كي يبارك الشعب ، اذ جاء في سفر العدد « كلم الرب موسى قائلا كلم هارون وبنيه قائلا هكذا تباركون بني اسرائيل قائلين لهم يباركك الرب ويحرسك يضيء الرب بوجهه عليك ، ويرحمك . يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاما ، فيجعلون اسمى على بني اسرائيل وأنا أباركهم » (العدد ٦ : ٢٢ ــ ٢٦) .

والواجبات التى فرضها الله على الكهنـــة وقـــف عليهم لا يشاركهم أحد فيها من غير ذرية هارون .والذى يخالف ذلك فعقوبته الموت . اذ جاء في سفر العدد « وقال الرب لهارون .. أما أنت وبنوك معك فتحفظون كهنوتكم مع ما للذبائح . وما هو داخل الحجاب وتخدمون خــدمة . عطية أعطيت لكهنوتـــكم . والاجنبى الذى يقترب يقتل » (العدد ١٨ : ١ و ٧) .

وكان أى خطأ يرتكبه الكاهن فى أداء وظيفته يعاقبه اللـه عليه فورا وبكل صرامة • ومن ذلك أنه كان لهارون أربعة أبناء هم ناداب وأبيهو والعازار وايثامار • وقد حـدث كما جاء فى سفر اللاويين آن « أخذ ابنا هارون ناداب وأبيهو كل منهمـا مجمرته وجعلا فيها نارا ووضعا عليها بخورا وقربا أمام الرب نارا غريبة لم يأمرهما بها ، فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب » (اللاويين ١٠ : ١و٢) •

وقد كان عدد الكهنة فى أول الأمر قليلا ، بيد أن عـددهم مافتىء يتزايد حتى اضطر الملك داود ـ بمعاونة رئيس الكهنة صادوق ـ الى تقسيمهم الى أربعة وعشرين فرقة ، منها ست عشرة من أسرة ألعازار ، وثمان من عائلة ايثامار ، وكانت هذه الفرق تمارس وظائفها بالتتابع كل يوم سبت • فكانت كل فرقة تمارس الواجبات الدينية مرتين كل عام على الأقل ، اذ جاء فى سـفر أخبار الايام « هذه فرقة بنى هارون • بنو هارون ناداب وأبيهو وألعازار وايثامار • ومات ناداب وأبيهو قبل أبيهما ولم يكن لهما بنون فكهن ألعازار وايثامار • وقسمهم داود وصادوق مـن بنى ألعازار وأخيمالك من بنى ايثـامار حسب وكالتهـم فى خدمتهم ، ووجد لبنى العازار رؤوس رجـال أكثر مـن بنى ايثامار ، فانقسموا لبنى العازار رؤوسا لبيت آبائهم ستة عشر ، ولبنى ايثامار لبيت آبائهم ثمانية • وانقسموا بالقرعة هؤلاء مع هؤلاء ، لأن رؤساء القدس ورؤساء بيت الله كانوا من بنى ألعازار ومن بنى ايثامار • وكتبهم شمعيا بن ثنئيل الكاتب من اللاويين أمام الملك والرؤساء ، وصادوق الكاهن وأخيمالك بن أبياثار ورؤوس الآباء الكهنة واللاويين » (أخبار الايام الاول ٢٤ : ١ ـ ٦) • بيد أنه عند عودة اليهود من السبى عاد معهم ٤٢٨٩ كاهنا ينتمون الى أربع فقط من هذه الفرق ، اذ جاء فى سفر عزرا « هؤلاء هم بنو الكورة الصاعدون من سبى المسبيين

الذين سباهم نبوخذ ناصر ملك بابل الى بابل ورجعوا الى أورشليم ويهوذا كل واحد الى مدينته ٠٠ أما الكهنة فبنو يديما من بيت يشوع تسعمائة وثلاثة وسبعون ٠ بنو امير ألف واثنان وخمسون ٠٠ بنو فشحور ألف ومائتان وسبعة وأربعون ٠ بنو حاريم ألف وسبعة عشر » (عزرا ٢ : ١و٣٦ ـ ٢٨) ٠ كما ذكرت التوراة بعد ذلك فرقا لم تكن بين الفرق الأصلية ٠

وقد جاء في التوراة أنه حين قسم الله الأرض التى اغتصبها اليهود على الأسباط الاثنى عشر لم يحدد نصيبا لسبط لاوى بما فيهم الكهنة ، وانما خصص للكهنة أبناء هارون ثلاث عشرة مدينة في أنصبة أسباط يهوذا وشمعون وبنيامين ٠ اذ جاء في سفر يشوع « وأعطوا لبني هارون الكاهن مدينة ملجأ القاتل حبرون مع مسارحها ، ولبنة ومسارحها ويتير ومسارحها واشتموع ومسرحها ، وحولون ومسرحها وأبيير ومسرحها وعين ومسرحها وبطة ومسرحها وبيت شمس ومسرحها ٠ تسع مدن من هذين السبطين (يهوذا وشمعون) ، ومن سبط بنيامين جبعون ومسرحها وجبع ومسرحها ٠ عناثوت ومسرحها وعلون ومسرحها ٠ أربع مدن ٠ جميع مدن بنى هارون الكهنة ثلاث عشرة مدينة مع مسارحها » (يشوع ٢١ : ١٣ ـ ١٨) ٠ وقد أضيف الى ذلك ما يأتى :ـ

(١) عشر الأعشار المقررة للاويين ، اذ جاء في سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلا واللاويون تكلمهم وتقول لهم متى أخذتم من بنى اسرائيل العشر الذى أعطيتكم اياه من عندهم نصيبا لكم ترفعون منه رفيعة الرب عشرا من العشر ، فيحسب لكم أنه رفيعتكم كالحنطة من البيدر وكالملء من المعصرة ٠ فهكذا ترفعون أنتم أيضا رفيعة الرب من جميع عشوركم التى تأخذون من بنى اسرائيل ، تعطون منها رفيعة الرب لهارون الكاهن ٠ من جميع

عطاياكم ترفعون كل رفيعة الرب من الكل دسمه المقدس، منه،
وتقول لهم حين ترفعون دسمه منه يحسب اللاويين كمحصـــول
البيدر وكمحصول المزرعة • وتأكلونه فى كل مكان أنتم وبيوتكم
لأنه أجرة لكم عوض خدمتكم فى خيمة الاجتماع ، ولا تتحملون
بسببه خطية اذا رفعتم دسمه منه • وأما أقداس بنى اسرائيل
فلا تدنسوها لئلا تموتوا » (العدد ١٨ : ٢٥ ــ ٣٢) •

(٢) كما أضيف الى نصيب الكهنة أبناء هارون فداء الابكار والرفائع ، اذ جاء فى سفر العدد • « قال الرب لهارون وها أنذا قد أعطيتك حراسة رفائعى مع جميع أقداس بنى اسرائيـل لك أعطيتها • حق المسحة ولبنيك فريضة دهريه • هذا يكون لك من قدس الأقداس • من النار كل قرابينهم مع كل تقـدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التى يردونها لى • قدس أقداس هى لك ولبنيك • فى قدس الأقداس تأكلها • كل ذكر يأكلها • قدسا تكون لك • وهذه لك : الرفيعة من عطاياهم من كل ترديدات بنى اسرائيل • لك أعطيتها ولبنيك وبناتك معـــك فريضـــة دهرية • كل طاهر فى بيتك يأكل منه • كل دسم الزيت وكل دسم المسطار والحنطة ، أبكارهن التى يعطونها للرب لك أعطيتهـا ، أبكار كل ما فى أرضهم التي يقدمونها للرب لك تـــكون • كل طاهر فى بيتك يأكلها • كل محرم فى اسرائيل يكون لك • كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائـــم يكون لك • غير أنك تقبل فداء بكر الانســـان وبكر البهيمة النجسة تقبل فداءه • وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك فضة خمسة شواقل على شاقل القدس • هو عشرون جيرة • لكن بكر البقر وبكر الضأن أو بكر المعز لا تقبل فداءه • بـــل ترش دمه على المذبح وتوقد شحمه وقودا رائحة سرور للرب • ولحمه يكون لك كصدر الترديد والساق اليمنى يكون لك • ولحمـــه رفائع الاقداس التى يرفعهـــا بنو اسرائيـــل للرب أعطيتها لك

ولبنيك وبناتك معك حقا دهريا ٠٠ وقال الرب لهارون لا تنال نصيبا في أرضهم ولا يكون لك قسم في وسطهم ٠ أنا قسمك ونصيبك في وسط بني اسرائيل » ٠ (العدد ١٨ : ٨ ـ ٢٠) ٠

يتنجس ٠ كزوج لا يتنجس بأهله لتدنيسه ٠ لا يجعلوا قرعة المذكورة في سفر اللاويين ، اذ جاء في هذا السفر « كلم الرب موسى قائلا كلم بني اسرائيل وقل لهم اذا فرز انسان نذرا حسب تقويمك نفوسا للرب ، فان كان تقويمك لذكر من ابن عشرين سنة الى ابن ستين سنة يكون تقويمك خمسين شاقل فضة على شاقل القدس ٠ وان كان أنثى يكون تقويمك ثلاثين شاقلا ، وان كان من ابن خمس سنين الى ابن عشرين سنة يكون تقويمك لذكر عشرين شاقلا وللأنثى عشرة شواقل ، وان كان من ابن شهر الى ابن خمس سنين يكون تقويمك لذكر خمسة شواقل فضة وللأنثى يكون تقويمك ثلاثة شواقل فضة : وان كان ابن ستين سنة فصاعدا فان كان ذكرا يكون تقويمك خمسة عشر شاقلا ٠ وأما الأنثى فعشرة شواقل ٠ وان كان فقيرا عن تقويمك يوقفه أمام الكاهن فيقومه الكاهن ٠ على قدر ما تنال يد الناذر يقومه الكاهن ٠ وان كان بهيمة مما يقربونه قربا للرب فكل ما يعطى منه للرب يكون قدسا لا يغيره ولا يبدله جيدا برديء أو رديئا بجيد ٠ وان أبدل بهيمة ببهيمة تكون هي وبديلها قدسا ٠ وان كان بهيمة نجسة مما لا يقربونه قربانا للرب يوقف البهيمة أمام الكاهن فيقومها الكاهن جيدة أم رديئة ٠ فحسب تقويمك ياكاهن هكذا يكون ، فان فكها يزيد خمسها على تقويمك ٠ واذا قدس انسان بيته قدسا للرب يقومه الكاهن جيدا أم رديئا ، وكما يقومه الكاهن هكذا يقوم ٠ فان كان المقدس يفك بيته يزيد خمس فضة تقويمك عليه فيكون له ٠٠ وان قدس انسان بعض حقل ملكه للرب يكون تقويمك على قدر بذاره ٠ بذار حومر من الشعير بخمسين شاقل فضة ٠ ان قدس حقله من سنة اليوبيل فحسب

تقويمك يقوم · وان قدس حقله بعد سنة اليوبيـــل يحسب له الكاهن الفضة على قدر السنين الباقية الى سنة اليوبيل فينقص من تقويمك · فان فك الحقل مقدسه يزيد خمس فضة تقويمك عليه فيجب له · لكن ان لم يفك الحقل وبيع الحقل لانسان آخر لا يفك بعد ، بل يكون الحقل عند خروجه فى اليوبيل قدســا للرب كالحقل المحرم · للكاهن يكون ملكه · وان قدس للرب حقلا من شرائه ليس من حقول ملكه · يحسب له الكاهن مبلغ تقويمك الى سنة اليوبيل فيعطى تقويمك فى ذلك اليوم قدسا للرب ·· وفى ســنة اليوبيل يرجع الحقل الى الذى اشتراه منه الى الذى له ملك الأرض · وكل تقويمك يكون على شاقل القدس ، عشرين جيرة يكون الشاقل · لكن البكر الذى يفرز بكرا للرب من البهائم فلا يقدسه أحد · ثورا كان أو شاة فهو للرب · وان كان مـــن البهائم النجسة يفديه حسب تقويمك ويزيد خمسة عليه · وان لم يفك فيباع حسب تقويمك · أما كل محرم يحرمه انســـان للرب من كل ماله من الناس والبهائم ومن حقول ملكه فلا يبـاع ولا يفك · ان كل محرم هو قدس أقداس للرب · كل محرم يحرم من الناس لا يفدى · يقتل قتلا · وكل عشر الأرض من حبوب الارض وأثمار الشجر فهو للرب · قدس للرب · وان فك انسان بعض عشره يزيد خمسه عليه · وأما كل عشر للبقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدسا للرب · ولا يفحص أجيد هو أم ردىء ولا يبدله · وان أبدله يكون هو وبديله قدســا - لا تفك » · (اللاويين ٢٧ : ١ ـ ٣٣) ·

(٤) وللكهنة باكورات المحصولات اذ جاء فى ســفر الخروج « أول أبكار أرضك تحضره الى بيت الرب الهك » (الخروج ٢٣ : ١٩) وجاء فى سفر اللاويين « وان قربت تقدمة باكورات للرب ففريكا مشويا بالنار جريشا سويقا تقرب تقدمة باكورتك · وتجعل عليها زيتا وتضع عليها لبانا · انها تقدمة · فيــوقد

الكاهن تذكارها من جريشها وزيتها مع جميع لبانها وتودا للرب» (اللاويين ٢ : ١٤ و ١٥) • وجاء في سفر التثنية « ومتى أتيت الى الارض التى يعطيك الرب الهك نصيبا وامتلكتها وسكنت فيها فتأخذ من أول كل ثمر الأرض الذى تحصل من أرضك التى يعطيك الرب الهك وتضعه فى سلة وتذهب الى المكان الذى يختاره الرب الهك ليحل اسمه فيه وتأتى الى الكاهن الذى يكون فى تلك الأيام وتقول له اعترف اليوم للرب الهك أن قد دخلت الأرض التى حلف الرب لآبائنا أن يعطينا اياها • فيأخذ الكاهن السلة من يدك ويضعها أمام مذبح الرب الهك ، ثم تصرح وتقول أمام الرب الهك آراميا تائها كان أبى فانحدر الى مصر وتغرب هناك فى نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة • فأساء الينا المصريون وثقلوا علينا وجعلوا علينا عبودية قاسية • فلما صرخنا الى الرب اله آبائنا سمع الرب صوتنا ورأى مشقتنا وتعبنا وضيقنا ، فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة وآيات وعجائب وأدخلنا هذا المكان وأعطانا هذه الأرض ، أرضا تفيض لبنا وعسلا • فالآن هاأنذا قد أتيت بأول ثمر الأرض التى أعطيتنى يا رب • ثم تضعه أمام الرب الهك وتسجد أمام الرب الهك ، وتفرح بجميع الخير الذى أعطاه الرب الهك لك ولبيتك أنت واللاوى والغريب الذى فى وسطك » • (التثنية ٢٦ : ١ ـ ١١) •

(٥) وللكهنة جزء من غنيمة الحرب اذ جاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلا أحص النهب المسبى من الناس والبهائم ونصف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين الى الحرب وبين كل الجماعة • وارفع زكاة للرب • من رجال الحرب الخارجين الى القتال واحدة • نفسا من كل خمسمائة من الناس والبقر

والحمير والغنم • من نصفهن تأخذونها وتعطونها لألعازار الكاهن رفيعة للرب • ومن نصف بني اسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم من جميع البهائم وتعطيها للاويين الحافظين شعائر مسكن الرب » • (العدد ٣١ : ٢٥ ـ ٢٩) •

(٦) وللكهنة خبز الوجوه ولحم التقدمات المقدمة أثناء خدمتهم في الهيكل ، اذ جاء في سفر العدد « وقال الرب لهارون وها أنذا قد أعطيتك حراسة رفائعي مع جميع أقداس بني اسرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك فريضة دهرية • هذا يكون لك من قدس الأقداس من النار كل قرابينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التي يردونها لي • قدس أقداس هي لك ولبنيك • في قدس الأقداس تأكلها • كل ذكر يأكلها • قدسا تكون لك • وهذه لك : الرفيعة من عطاياهم مع كل ترديدات بني اسرائيل لك أعطيتها ولبنيك وبناتك معك فريضة دهرية • كل طاهر في بيتك يأكل منها • كل دسم الزيت وكل دسم المسطار والحنطة ، أبكارهن التي يعطونها للرب لك أعطيتها • أبكار كل ما في أرضهم التي يقدمونها للرب لك تكون • كل طاهر في بيتك يأكلها • كل محرم في اسرائيل يكون لك • كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك • غير أنك تقبل فداء بكر الانسان • وبكر البهيمة النجسة تقبل فداءه • وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك فضة خمسة شواقل على شاقل القدس • هو عشرون جيرة • لكن بكر البقر أو بكر الضأن أو بكر المعز لا تقبل فداءه • انه قدس • بل ترش دمه على المذبح وتوقد شحمه وقودا • رائحة سرور للرب • ولحمه يكون لك كصدر الترديد • والساق اليمنى يكون لك • جميع رفائع الأقداس التي يرفعها بنو اسرائيل للرب أعطيتها لك ولبنيك

وبناتك معك حقا دهريا » • (العدد ١٨ : ٨ ــ ١٩) • وجاء فى سفر اللاويين « وكلم الرب موسى قائلا كلم هارون وبنيه قائلا هذه شريعة ذبيحة الخطية • فى المكان الذى تذبح فيه المحرقة تذبح ذبيحة الخطية أمام الرب • انها قدس أقداس • الكاهن الذى يعملها للخطية يأكلها •• كل ذكر من الكهنة يأكل منها • انها قدس أقداس » • (اللاويين ٦ : ٢٤ ــ ٢٩) • وجاء فيه « وهذه شريعة ذبيحة الاثم • انها قدس أقداس •• كل ذكر من الكهنة يأكل منها •• الكاهن الذى يكفر بها تكون له • والكاهن الذى يقرب محرقة انسان فجلد المحرقة التى يقربها يكون له • وكل تقدمة خبزت فى التنور وكل ما عمل فى طاجن أو على صاج يكون للكاهن الذى يقربه • وكل تقدمة ملتوتة بزيت أو ناشفة تكون لجميع بنى هارون كل انسان كأخيه • وهذه شريعة ذبيحة السلامة ولحم ذبيحة شكر سلامته يؤكل يوم قربانه • لا يبقى ذبيحة الشكر أقراص فطير ملتوتة بزيت ورقاق فطير مدهونة بزيت ودقيقا مربوكا أقراصا ملتوتة بزيت مع أقراص خبز خمير يقرب قربانه على ذبيحة شكر سلامته • ويقرب منه واحدا من كل قربان رفيعة للرب • يكون للكاهن الذى يرش دم ذبيحة السلامة ولحم زبيحة شكر سلامته يؤكل يوم قربانه • لا يبقى منه شيئا الى الصباح • وان كانت ذبيحة قربانه نذرا أو نافلة ففى يوم تقريبه ذبيحته تؤكل • وفى الغد يؤكل ما فضل منها • وأما الفاضل من لحم الذبيحة فى اليوم الثالث فيحرق بالنار • وان أكل من لحم ذبيحة سلامته فى اليوم الثالث لا تقبل • الذى يقربها لا تحسب له • تكون نجاسة • والنفس التى تأكل منها تحمل ذنبها • واللحم الذى مس شيئا ما نجسا لا يؤكل • يحرق بالنار • واللحم يأكل كل طاهر منه • وأما النفس التى تأكل لحما من ذبيحة السلامة التى للرب ونجاستها عليها فتقطع تلك النفس من شعبها •• وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل قائلا الذى يقرب ذبيحة سلامته للرب يأتى بقربانه الى الرب من

ذبيحة سلامته . يداه تأتيان بوقائد الرب . الشحم يأتى به مع الصدر . أما الصدر فلكى يردده ترديدا أمام الرب . فيوقد الكاهن الشحم على المذبح ويكون الصدر لهارون وبنيه . والساق اليمنى تعطونها رفيعة للكاهن من ذبائح سلامتكم . الذى يقرب دم ذبيحة السلامة والشحم من بنى هارون تكون له الساق اليمنى نصيبا . لأن صدر الترديد وساق الرفيعة قد أخذتهما من بنى اسرائيل من ذبائح سلامتهم وأعطيتها لهارون الكاهن ولبنيه فريضة دهرية من بنى اسرائيل . تلك مسحة هارون ومسحة بنيه من وقائد الرب يوم تقديمهم ليكهنوا للرب التى أمر الرب أن تعطى لهم يوم مسحه اياهم من بنى اسرائيل فريضة دهرية فى أجيالهم . تلك شريعة المحرقة والتقدمة وذبيحة الخطية وذبيحة الاثم وذبيحة الملء وذبيحة السلامة . التى أمر الرب بها موسى فى جبل سيناء يوم أمره بنى اسرائيل بتقريب قرابينهم للرب فى برية سيناء » . (اللاويين ٧ : ١ ـ ٣٨) .
وجاء فى سفر التثنية « هذا يكون حق الكهنة من الشعب من الذين يذبحون الذبائح بقرا كانت أو غنما : يعطون الكاهن الساق والفكين والكرش . وتعطيه أول حنطتك وخبزك وزيتك وأول جزاز غنمك ، لأن الرب الهك قد اختاره من جميع أسباطك لكى يقف ليخدم باسم الرب هو وبنوه كل الأيام » . (التثنية ١٨ : ٣ ـ ٥) .

ولكن كهنة اليهود على الرغم من كل هذه الامتيازات التى قررتها الشريعة لهم لم يلبثوا أن أهملوا واجباتهم الكهنوتية . بل لم يلبثوا أن انحرفوا عن الأخلاق القويمة والصفات الكريمة التى ينبغى أن يتحلوا بها ، فضربوا أسوأ الأمثال للشعب ، متخذين من مهمتهم سبيلا الى اشباع جشعهم وطمعهم وارضاء شهواتهم الجسدية ونزواتهم البهيمية ، بعد أن أصبحت لهم

ثروات عظيمة من وراء كل الامتيازات المعطاة لهم والمنـــافع المخصصة لطائفتهم • بل لقد تركوا الله وعبدوا الأصنام جاعلين من أنفسهم كهنة لها ، حتى لقد صرخ الأنبياء بعبـــارات الالم الشديد منهم والسخط العظيم عليهم • اذ جاء فى سفر صموئيل أن الكهنة أبناء عالى رئيس الكهنة فى اواخر عهد قضاة اليهـود « لم يعرفوا الرب ولا حق الكهنة من الشعب • كلما ذبح رجـل ذبيحة يجيء غلام الكاهن عند طبخ اللحم ومنشال ذو ثلاثة اسنان بيده ، فيضرب فى المرحضة او المرجل او المقلى او القدر • كل ما يصعد به المنشل ياخذه الكاهن لنفسه • هكذا كانوا يفعلون بجميع اسرائيل الاتين الى هناك فى شيلوه • كذلك قبل ما يحرقون الشحم يأتى غلام الكاهن ويقول للرجل الذابح اعط لحما ليشوى للكاهن • فانه لا يأخذ منك لحما مطبوخا بل نيئا ، فيقـــول له الرجل ليحرقوا أولا الشحم ثم خذ ما تشتهيه نفسك • فيقول له لا بل الآن تعطى والا فآخذ غصبا •• وشاخ عالى جدا وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع اسرائيل وبأنهم كانوا يضاجعون النســاء المجتمعات فى باب خيمة الاجتماع • فقال لهم لماذا تعملون مثـل هذه الأمور ، لأنى أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب •• وجاء رجل الله الى عالى وقال له هكذا يقول الرب : هل تجليت لبيت أبيك وهم فى مصر فى بيت فرعون وانتخبته من جميع أسباط اسرائيل لى كاهنا ليصعد على مذبحى ويوقد بخورا ويلبس أفودا أمامى ورفعت لبيت أبيك جميع وقائد بنى اسرائيـــل • فلماذا تدوسون ذبيحتى وتقدمتى التى أمرت بها فى المســكن وتكرم بنيك على لكى تسمنوا أنفسـكم بأوائل كل تقـــدمات اسرائيل شعبى » • (صموئيل ٢ : ١١ ــ ٢٩) • وجاء فى سفر ارميا « لأنهم من صغيرهم الى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ، ومن النبى الى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب •• هل خزوا لأنهم عملوا رجسا ؟ بل لم يخزوا خزيا ولم يعرفوا الخجـــل • لذلك يســـقطون بين الســـاقطين » • (ارميـــا ٦ : ١٣ ــ ١٥) •

وجــــاء فيه « لان الارض امتلأت من الفاسقين ٠٠ صار سعيهم للشر وجبروتهم للباطل ، لأن الانبياء والكهنة تنجسوا جميعا ٠ بل في بيتي وجدت شرهم ٠٠ يفســـقون ويســــلكون بالكذب ويشددون أيادى فاعل الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره » ٠ (ارميا ٢٣ : ١٠ ــ ١٤) ٠ وجاء في سفر حزقيال « وكان الى كلام الرب قائلا يا ابن آدم تنبأ على رعاة (كهنة) اسرائيــل ٠ تنبأ وقل لهم هكذا قال السيد الرب للرعاة : ويل لرعاة اسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم ٠ ألا يرعى الراعى الغنم ؟ تآكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون السمين ولا ترعــون الغنم ؟ المريض لم تقووه ، والمجروح لم تعصبوه ، والمكسور لم تجبروه ، والمطرود لم تستردوه ، والضال لم تطلبوه ، بل بشدة وبعنــف تسلطتم عليهم ٠ فتشتت بلا راع وصارت مأكلا لجميع وحوش الحقل وتشتتت ٠ ضلت غنمى فى كل الجبال وعلى كل تل عال ٠ وعلى كل وجه الارض تشتتت غنمى ولم يكن من يسأل أو يفتش ٠٠ حى أنا يقول السيد الرب من حيث أن غنمى صارت غنيمــة وصارت غنمى مأكلا لكل وحش الحقل اذ لم يكن راع ولا ســأل رعاتى عن غنمى ورعى الرعاة أنفسهم ولم يرعــــوا غنمى ٠٠ ها أنذا على الرعاة ٠٠ أكفهم عن رعى الغنم ٠٠ فأخلص غنمى من أفواههم فلا تكون لهم مأكلا ٠٠ أهو صغير عندكم أن ترعوا المرعى الجيد وبقية مراعيكم تدوسونها بأرجلكم ، وأن تشربوا من المياه العميقة والبقية تكدرونها بأقدامكم ٠ وغنمى ترعى من دوس أقدامكم وتشرب من كدر أرجلكم ٠٠ لانكم بهزتم بالجنب والكتف ونطحتم المريضة بقرونكم حتى شتتموها الى خارج » ٠ (حزقيال ٣٤ : ١ ــ ٢١) ٠وجاء فيه « هكذا قال السيد الرب : ابن الغريب أغلب القلب وأغلف اللحم لا يدخل مقدسى من كل ابن غريب الذى فى وسط بنى اسرائيل ٠ بل اللاويون الذين ابتعدوا حتى حين ضل اسرائيل فضلوا عنى وراء أصنامهم يحملون اثمهم، ويكونون خداما فى مقدسى ، حراس أبواب البيت وخدام البيت ٠

هم يذبحون المحرقة والذبيحة للشعب وهم يقفون أمامهم ليخدموهم ، لأنهم خدموهم أمام أصنامهم وكانوا معثرة اثم لبيت اسرائيل • لذلك رفعت يدى عليهم • يقول السيد الرب فيحملون اثمهم ولا يتقربون الى ليكهنوا لى ، ولا للاقتراب الى شيء من أقداسي ، الى قدس الأقداس ، بل يحملون خزيهم ورجاساتهم التى فعلوها » • (حزقيال ٤٤ : ٩ ـ ١٣) •

٣ ـ اللاويون

اللاويون هم سبط لاوى ، أى ذرية لاوى أحد أبناء يعقوب الاثنى عشر المعروفين ببنى اسرائيل • وقد ورد فى التوراة أن الله خصص اللاويين لخدمة بيته بعد أن أثبتوا أنهم أكثر الأسباط اخلاصا له ، عندما انتهز اليهود وهم فى سيناء فرصة غياب موسى فوق الجبل فأقاموا لهم عجلا من الذهب وعبدوه ، اذ جاء فى سفر الخروج « فحمى غضب موسى •• وقال من للرب فالى ، فاجتمع اليه جميع بنى لاوى ، فقال لهم هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ، ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى • ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل » • (الخروج ٣٢ : ١٩و٢٦ ـ ٢٩) • وجاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلا قدم سبط لاوى وأوقفهم قدام هارون الكاهن وليخدموه ، فيحفظون شعائره وشعائر كل الجماعة قدام خيمة الاجتماع ويخدمون خدمة المسكن فيحرسون كل أمتعة خيمة الاجتماع وحراسة بنى اسرائيل ويخدمون خدمة المسكن ، فتعطى اللاويين لهارون ولبنيه • انهم موهوبون له من عند بنى اسرائيل •• ها انى قد أخذت اللاويين من بين بنى اسرائيل بدل كل بكر فاتح رحم من بنى اسرائيل فيكون اللاويون لى لأن لى كل بكر • يوم

ضربت كل بكر فى أرض مصر قدست لى كل بكر فى اسرائيل من الناس والبهائم ٠ لى يكونون ٠ أنا الرب » ٠ (العدد ٣ : ٥ـ١٣) وهكذا كرس الله اللاويين لخدمته بدل أبكار اليهود الذيــــن أعفاهم من الموت حين ضرب كل بـكر فى أرض مصر ، فـــكان المفروض أن يكونوا موهوبين له . مكرسين لخدمته ٠ وكان عدد اللاويين الذكور فى الاحصاء الأول الذى أجراه موسى فى سيناء من ابن شهر فصاعدا ٢٢٠٠٠ نفس ، فى حين كان عدد الأبكار الذكور فى بقية الأسباط من ابن شهر فصاعدا ٢٢٢٧٣ نفس ، أى بزيادة ٢٧٣ نفس ، ومن ثم « كلم الرب موسى قائلا خـــذ اللاويين بدل كل بكر فى بنى اسرائيل ٠٠ وأن فداء المائتـــين والثلاثة والبسعين الزائدين على اللاويين من أبكار بنى اسرائيل فتأخذ خمسة شواقل لكل رأس ٠٠ وتعطى الفضة لهارون وبنيه فداء الزائدين عليهم » ٠ (العدد ٣ : ٤٤ ـ ٤٨) ٠

وكان اللاويون متوسطين بين الكهنة وسائر الشـــعب ، فلم يكن يجوز لهم كالكهنة أن يقدموا الذبائح أو يحرقوا البخور أو يروا الاشياء المقدسة الا مغطاة ، وانما كانوا مختصين بمساعدة الكهنة فى الخدمة الدينية ٠ كما كانوا مختصين بحراسة خيمـــة الاجتماع وبأن يحملوها اذا رحل اليهـــود فى الصـــحراء وان ينصبوها اذا حلوا فى مكان للاقامة فيه ، اذ جاء فى سفر العدد « كلم الرب موسى قائلا ٠٠ وكل اللاويين على مسكن الشهادة وعلى جميع أمتعته وعلى كل ماله ٠ هم يحملون المسكن وكل أمتعتــه وهم يخدمونه ، وحول المسكن ينزلون ، فعند ارتحال المســـكن ينزله اللاويون ، وعند نزول المسكن يقيمه اللاويون ٠ والأجنبى الذى يقترب يقتل » ٠ (العدد ١ : ٥٠ و ٥١) ٠

وقد حدث ان قامت فتنة بزعامة رجل من اللاويين يسمى قورح بن يصهار ، بسبب اعطـــاء امتيازات الكهنوت لهارون

وذريته دون غيرهم من اللاويين الذين تحددت لهم اختصاصات أقل أهمية من اختصاصات الكهنة ، وقد انضم اليه مائتان وخمسون فغضب الله عليهم وأهلكهم ، اذ جاء في سفر العدد « أخذ قورح بن يصهار بن قهات بن لاوى وداثان وابيرام ابنا أليآب وأون بن فالت بنو رأوبين يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل مائتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوى اسم ، فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما . ان كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب ، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب . فلما سمع موسى سقط على وجهه ، ثم كلم قورح وجميع قومه قائلا غدا يعلن الرب من هو له ومن المقدس حتى يقربه اليه . فالذى يختاره يقربه اليه . افعلوا هذا . خذوا لكم مجامر .. واجعلوا فيها نارا وضعوا عليها بخورا أمام الرب غدا . فالرجل الذى يختاره الرب هو المقدس . كفاكم يا بنى لاوى .. أقليل عليكم أن اله اسرائيل أفرزكم من جماعة اسرائيل ليقربكم اليه لكى تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها ، فقربك وجميع اخوتك بنى لاوى معك وتطلبون أيضا كهنوتا ؟ .. فأخذوا كل واحد مجمرته وجعلوا فيها نارا ووضعوا عليها بخورا ووقفوا لدى باب خيمة الاجتماع مع موسى وهارون . .فقال موسى بهذا تعلمون أن الرب قد أرسلنى لاعمل كل هذه الاعمال وانها ليست من نفسى .. فلما فرغ من التكلم .. فتحت الارض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الاموال .. وخرجت نار من عند الرب وأكلت المائة والخمسين رجلا الذين قربوا البخور » (العدد ١٦ : ١ ـ ٣٥) . وهكذا رضخ اللاويون لمشيئة الله وقبلوا الاختصاصات التى أعطاها اياهم فى خدمة بيته . واذ كان اللايون يتكونون من ثلاثة فروع تنتسب الى أبناء لاوى الثلاثة وهم قهات وجرشون ومرارى ، كان لكل من هذه الفروع اختصاص معين ، اذ جاء فى سفر العدد « عشائر الجرشونيين

ينزلون وراء المسكن الى الغرب ·· وحراسة بني جرشون في خيمة الاجتماع : المسكن والخيمة وغطاؤها وسجف باب خيمة الاجتماع واستار الدار وسجف باب الدار اللواتي حول المسكن وحول المذبح محيطا وأطنابه مع كل خدمته ·· وعشائر بنى قهات ينزلون على جانب المسكن الى الجنوب ·· وحراستهم التابوت والمائدة والمنارة والمذبحان وأمتعة القدس التى يخدمون بها والحجاب وكل خدمته ·· عشائر مرارى ·· ينزلون على جانب المسكن الى الشمال · ووكالة حراسة بنى مرارى ألواح المسكن وعوارضه وأعمدته وفرضه وكل أمتعته وكل خدمته وأعمدة الدار حواليها وفرضها وأوتادها وأطنابها » (العدد ٣ : ٢١ ـ ٢٧) · وجاء فيه « متى فرغ هارون وبنوه من تغطية القدس وجميع أمتعة القدس عند ارتحال المحلة يأتى بعد ذلك بنو قهات للحمل ولكن لا يمسوا القدس لئلا يموتوا ·· هذه خدمة عشائر الجرشونيين من الخدمة والحمل يحملون شقق المسكن وخيمة الاجتماع وغطاءها وغطاء التخس الذى عليها من فوق وسجف باب خيمة الاجتماع واستار الدار وسجف مدخل باب الدار اللواتى حول المسكن وحول المذبح محيطة وأطنابهم وكل أمتعة خدمتهن ·· بنو مرارى ·· هذه حراسة حملهم وكل خدمتهم فى خيمة الاجتماع : ألواح المسكن وعوارضه وأعمدته وفرضه وأعمدة الدار حواليها وفرضها وأوتادها وأطنابها مع كل أمتعتها وكل خدمتها » (العدد ٤ : ١ ـ ٣٢) · ثم لم يلبث اختصاص اللاويين أن تطور واتسع مداه وازدادت قيمته بعد الاستقرار فى أرض كنعان واقامة هيكل أورشليم اذ أصبحوا ينقسمون من حيث اختصاصاتهم الى أربعة أقسام : فالقسم الاول هم القضاة والكتبة بعد أن أنيط بهم القضاء وتفسير الشريعة ، والقسم الثانى هم مساعدو الكهنة فى خدمة الهيكل ، والقسم الثالث هم الموسيقيون الذين يقومون بالترتيل والترنيم فى الهيكل ، والقسم الرابع هم البوابون المنوطون بالحراسة · وكان كل قسم

من الاقسام الثـــلاثة الاخيرة ينقسم الى أربع وعشرين فرقـــة ليتناوبوا الخدمة في الهيكل ٠

وكانت الخدمة المفروضة على اللاويين تبدأ في سن الثلاثين (العدد ٤ : ٣) ٠ ثم انخفضت الى الخامسة والعشرين (العدد ٨ : ٢٤) ٠ ثم حـــين استقر اليهود في أرض كنعـــان ولـم تعد ثمة حاجة الى نقل خيمة الاجتماع ، أصبحت الخدمة تبـدأ في سن العشرين (أخبار الايام الثاني ٣١ : ١٧) ٠ هـــذا وان كانت السن اللائقة لبداية الخدمة بوصـــفها سن النضج والاكتمال ظلت هي الثلاثين ٠ وأما سن نهاية خــدمة اللاويين فكانت دائما هي الخمسين ٠

وكان اللاويون يرتدون أثناء أداء الخدمة الدينية ملابس خاصة من الكتان (أخبار الايام الثاني ٥ : ١٢) ٠

وقد ذكرت التوراة ان الله حين أمـر بتقسيم الارض التي اغتصبها اليهود في فلسطين لم يجعل نصيبا لسبط لاوى ، لان طبيعة خدمتهم الدينية كانت توجب انتشارهم بين كل الاسباط٠ ولذلك كان نصيبهم ثماني وأربعين مدينة متفرقة في أنصبة كل الاسباط ، اذ جـاء في ســـفر العدد ، ثم كلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلا أوص بني اسرائيل ان يعطوا اللاويين من نصيب ملكهم مدنا للسكن ومسارح للمدن حواليها تعطون اللاويين ، فتكون المدن لهم للسكن ومسارحها تـــكون لبهائمهم وأموالهم ولسائر حيواناتهم ٠ ومسارح المـــدن التي تعطون اللاويين تكون من سور المدينة الى جهة الخارج ألف ذراع حواليها ٠٠ والمدن التي تعطون اللاويين تكون ست منها مـدنا للملجأ ، تعطونها لكي يهرب اليها القاتل ، وفوقها تعطون اثنين وأربعين مدينة ، جميع المدن التي تعطون اللاويين ثمــــاني وأربعون مدينة مع مسارحها ٠ والمدن التي تعطون من ملك بني

اسرائيل من الكثير تكثرون ومن القليل تقللون • كل واحد حسب نصيبه الذى ملكه يعطى من مدنه للاويين » (العدد ٣٥ : ١ ــ ٨) • وجاء فى سفر يشوع « ثم تقدم رؤساء آباء اللاويين الى ألعازار الكاهن والى يشوع بن نون والى روساء آباء أسباط بنى اسرائيل وكلموهم فى شيلوه فى أرض كنعان قائلين قد أمر الرب على يد موسى أن نعطى مدنا للسكن مع مسارحها لبهائمنا . فأعطى بنو اسرائيل اللاويين من نصيبهم حسب قول الرب هذه المدن مع مسارحها » (يشوع ٢١ : ١ ــ ٣) • وقد اضيف الى نصيب اللاويين ما يأتى :

١ ــ العشور المفروضة على اليهود ، اذ جاء فى سفر العدد « وأما بنو لاوى فانى قد أعطيتهم كل عشر فى اسرائيل ، ميراثا عوض خدمتهم التى يخدمونها ، خدمة خيمة الاجتماع •• وفى وسط اسرائيل لا ينالون نصيبا • ان عشور بنى اسرائيل التى يرفعونها للرب رفيعة قد أعطيتها للاويين نصيبا » (العدد ١٨ : ٢١ ــ ٢٤) •

٢ ــ القرابين والذبائح التى تقدم الى الله فى الهيكل ، اذ جاء فى سفر العدد « ويوم فرغ موسى من اقامة المسكن ومسحه وقدسه وجميع أمتعته والمذبح وجميع أمتعته وقدسها قرب رؤساء اسرائيل رؤوس بيوت آبائهم •• أتوا بقرابينهم أمام الرب • ست عجلات مغطاة واثنى عشر ثورا لكل رئيسين عجلة ولكل واحد ثور وقدموها أمام المسكن ، فكلم الرب موسى قائلا خذها منهم فتكون لخدمة خيمة الاجتماع واعطها اللاويين لكل واحد حسب خدمته ، فأخذ موسى العجلات والثيران وأعطاها اللاويين » (العدد ٧ : ١ ــ ٦) •

٣ ــ نصيب فى الغنائم والاسلاب الناتجة عن الحروب ، اذ جاء فى سفر العدد أنه بعد حرب اليهود مع المديانيين •• « كلم

الرب موسى قائلا احص النهب المسبى من النـــاس والبهائم ٠٠ ونصف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين الى الحرب وبين كل الجماعة ٠٠ ومن نصف بنى اسرائيل تأخذ واحـــدة مأخوذة من كل خمسين من النـــاس والبقر والحمير والغنم من جميع البهائم وتعطيها للاويين الحافظين شعائر مسكن الرب » (العدد ٣١ : ٢٥ ـ ٢٩) ٠

بيد أنه على الرغم من أن اللاويين أصبحوا قضـــاة الشعب وفقهاءه ومعلميه وأصبحت منهم أغلب الطوائف المشتغلة بالعلوم الدينية ، لم يلبثوا أن ضلوا السبيل كما ضل الكهنة ، فتهافتوا على الشهوات المادية وجمع الثروات ، بل لقد تمادوا فتمردوا على الههم ذاته فعبدوا الاصنام وزينوا للشعب عبادتها ٠ وقـد جـاء عن ذلك فى سفر حزقيال « اللاويون الذين ابتعدوا عنى حين ضل اسرائيل فضلوا عنى وراء أصنامهم يحملون اثمهم » (حزقيال ٤٤ : ١٠) ٠

* * *

وهكذا استشرى الفساد فى رجـــال الدين اليهود ، فشمل رؤساء الكهنة والكهنـــة والـلاويين جميعا ، فكانوا فاسـدين مفسدين ، بل كانوا فاسقين فاجرين ، وكان الشعب على مثالهم ، لا يقل عنهم فسادا وفسقا وفجورا ٠

الفصل الثالث

معابد اليهود

١ ـ المذابح

كان الآباء الأوائل لليهود حين يريدون تقديم شعائر العبادة لله ، لا يقصدون مكانا معينا يقدمون فيه شعائر عبادتهم . وانما يقيم الواحد منهم مذبحا فى المكان الذى يتراءى له الله أو يخاطبه فيه ، ولم يكن المذبح الذى يقيمونه لهذا الغرض يتعدى كومة من الحجارة او تلا من الرمال يضعونه بطريقة بدائية ويقدمون عليه ذبائحهم . فقد ورد فى سفر التكوين أن الله ظهر لابراهيم الجد الاول لليهود فى شكيم فبنى له ابراهيم هناك مذبحا (التكوين ١٢ : ١ ـ ٩) . كما ظهر الله لاسحق بن ابراهيم فى بئر سبع فبنى له اسحق هناك مذبحا (التكوين ٢٦ : ٢٤ و ٢٥) . ثم تراءى الله ليعقوب بن اسحق فى الحلم وهو فى حاران . وكان قد وضع حجرا تحت رأسه . فلما استيقظ أخذ الحجر واقامه عمودا على شكل مذبح (التكوين ٢٨ : ١٠ ـ ٢٢) . ثم أمره الله بعد ذلك بأن يقيم مذبحا فى بيت ايل . فبنى مذبحا هناك .. (التكوين ٣٥ : ١ ـ ٢٨) .

فلما هاجر يعقوب وأبناؤه الى مصر ، ومكثوا فيها يتناسلون ويتكاثرون على مــدى اربعمائة وثلاثين عاما ، عبدوا آلهــة المصريين ولم يعودوا يعرفون شيئا عن الــه آبائهم ، حتى ظهر موسى النبى وأخرجهم من مصر واعطاهم شريعة الله فى صحراء سيناء ، فكان من وصايا الله اليهم قوله لهم « مــذبحا من تراب تصنع لى وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك ، غنمك وبقرك فى كل الاماكن التى فيها أصنع لا سمى ذكرا آتى اليك، وآباركك وان صنعت لى مذبحا من حجارة فلا تبنيه منها منحوتة . اذا رفعت عليها ازميلك تدنسها ، ولا تصــعد بدرج الى مذبحى » (الخروج ٢٠ : ٢٤ ـ ٢٦) . وهــكذا استمرت المذابح على صورتها الاولى ، وان كان الله قد حذر من نحت حجارتها أو اقامة درج لها لكى تشبه مذابح الوثنيين ، بيد ان الله لم يلبث أن أمر باقامة مذابح فى صورة أخرى لتوضع فى خيمة الاجتماع التى كانت أول دار للعبادة يعرفها اليهود منذ نشأتهم .

٢ ـ خيمة الاجتماع

وقد أمر الله موسى النبى باقامة خيمة الاجتماع فى صحراء ســيناء ليجتمع فيها اليهود بربهم لعبــادته وتقديم القرابين والذبائح اليه ، واقامة سائر الطقوس الدينية التى أوصاهم بها . وقد حــدد الله أوصاف خيمة الاجتماع ومقاييســها تحديدا دقيقــا ، وأورد بيانا مفصــلا بمحتوياتها والمواد التى ينبغى استخدامها فى صناعتها والاجزاء التى تتكون منها باعتبار أنها ينبغى أن تكون مــلائمة للصحراء ، وينبغى أن تكون قابلــة للتركيب والفك لنقلها من موضع الى آخر واقامتها حيثما يذهب اليهود فى ترحالهم المستمر فى سيناء ، اذ جاء فى سفر الخروج « وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل أن يأخذوا لى تقدمة من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتى . وهــذه هى التقدمة

التى تأخذونها منهم : ذهب وفضة ونحاس وأسمانجونى (نسيج أزرق) وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع ·· فيصنعون لى مقدسا لاسكن فى وسطهم : بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون · فيصنعون تابوتا من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف ، وتغشيه بذهب نقى من داخل ومن خارج تغشيه ، وتصنع عليه اكليلا من ذهب حواليه ، وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الاربع ·· وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب ، وتدخل العصوين فى الحلقات على جانبى التابوت ليحمل التابوت بهما ·· وتضع فى التابوت الشهادة التى أعطيك · وتصنع غطاء من ذهب نقى طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف ، وتصنع كروبين (ملاكين) من ذهب · صنعة خراطة تصنعهما على طرفى الغطاء ·· ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما الى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد الى الآخر ·· وفى التابوت تضع الشهادة التى أعطيك (لوحى العهد أو الشهادة) ·· وتضع مائدة من خشب السنط طولها ذراعان وعرضها ذراع وارتفاعها ذراع ونصف . وتغشيها بذهب نقى ، وتصنع لها أكليلا من ذهب حواليها ، وتصنع لها حاجبا على شبر حواليها ، وتصنع لحاجبها اكيلا من ذهب حواليها ، وتصنع لها أربع حلقات من ذهب وتجعل الحلقات على الزوايا الاربع لقوائمها الاربع ·عند الحاجب تكون الحلقات بيوتا لعصوين لحمل المائدة · وتصنع العصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب فتحمل بهما المائدة ، وتصنع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها التى يسكب منها · من ذهب نقى تصنعها · وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامى دائما (وهو خبز الفطير

الذى كان يصنع كل سبت ويوضع على المائدة ساخنا) • وتصنع منارة من ذهب نقى • عمل الخراطة تصنع المنــــارة ، قاعدتها وساقها • تكون كاساتها وعجزها وأزهارها منها • وست شعب خارجة من جانبيها •• فى الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية بعجرة وزهر •• وفى المنــــارة اربع كاسات لوزية بعجرهــا وأزهارها •• وتحت الشعبتين منها عجرة •• جميعها خراطــة واحدة من ذهب نقى •• وتصنع سرجها سبعة • فتصعد سرجها لتضىء الى مقابلها • وملاقطها ومنافضها من ذهب نقى • من وزنة ذهب نقى تصنع من جميع الاوانى •• وأما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوص مبروم واسمانجونى وأرجوان وقرمز • بكروبيم (ملائكة) صنعة حائك حاذق تصنعها • طول الشقة الواحــدة ثمان وعشرون ذراعا ، وعرض الشقة الواحــدة أربع أذرع • قياسا واحدا لجميع الشقق • تــــكون خمس من الشقق بعضها موصول ببعض • وخمس شقق بعضها موصول ببعض • وتصنع عرى فى اسمانجونى على حاشية الشقة الواحدة فى الطرف من الموصل الواحد • وكذلك تصنع فى حاشية الشــقة الطرفية من الموصل الثانى • خمسين عروة تصنع من الشقة الواحـــدة • وخمسين عروة تصنع فى طرف الشقة الذى فى الموصل الثانى • تكون العرى بعضها مقابل لبعض • وتصنع خمسين شظاظا من ذهب • وتصل الشقتين بعضهما ببعض بالاشظة ، فيصير المسكن واحدا ، وتصنع شققا من شعر معزى ، خيمة على المســــكن • احدى عشرة شقة تصنعها • طول الشقة الواحدة ثلاثون ذراعا ، وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع •• وتصل خمسا من الشقق وحدها ، وستا من الشقق وحدها • وتثنى الشقة السادسة فى وجه الخيمة • وتصنع خمسين عروة على حاشية الشقة الواحدة الطرفية من الموصل الواحد ، وخمسين عروة على حاشية الشــقة من الموصل الثانى • وتصنع خمسين شظاظا من نحاس • وتدخل الاشنطة فى العرى وتصل الخيمة فتصير واحدة • وأما المــدلى

الفاضل من شقق الخيمة •• فيدلى على مؤخر المسكن • والذراع من هنـا والذراع من هناك ، من الفاضل فى طول شقق الخيمة تكونان مدلاتين على جانبى المسكن من هنا ومن هناك لتغطيته • وتصنع غطاء للخيمة من جلود كباش محمرة ، وغطاء من جلود تخس من فوق • وتصنع الالواح للمسكن من خشب السنط قائمة • طول اللوح عشر أذرع وعرض اللوح الواحد ذراع ونصف ، وللوح الواحد رجلان مقرونة احداهما بالاخرى • هكذا تصنع لجميع ألواح المسكن • وتصنع الالواح للمسكن عشرين لوحا الى جهة الجنوب نحو اليمين • وتصنع أربعين قاعدة من فضة تحت العشرين لوحا •• تحت اللوح الواحد قاعدتان •• ولمؤخر المسكن نحو الغرب تصنع ستة ألواح ، وتصنع لوحين لزاويتى المسكن فى المؤخر ، ويكونان مزدوجين من أسفل • وعلى سواء يكونان مزدوجين الى رأسه الى الحلقة الواحدة •• هكذا يكون لكليهما • يكونان للزاويتين • فتكون ثمانية ألواح وقواعدها من فضة ستة عشرة قاعدة • تحت اللواح الواحد قاعدتان •• وتصنع عوارض من خشب السنط • خمسا لالواح جانب المسكن الواحد ، وخمس عوارض لالواح جانب المسكن الثانى • وخمس عوارض لالواح جانب المسكن فى المؤخر نحو الغرب • والعارضة الوسطى فى وسط الالواح تنفذ من الطرف الى الطرف ، وتغشى الالواح بذهب ، وتصنع حلقاتها من ذهب بيوتا للعوارض • وتغشى العوارض بذهب • وتقيم المسكن كرسمه الذى أظهر لك فى الجبل • وتصنع حجابا من أسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم • صنعة حائك حاذق ، يصنعه بكروبيم (ملائكة) • وتجعله على أربعة أعمدة من سنط مغشاة بذهب • رززها من ذهب على أربع قواعد من

فضة • وتجعل الحجاب تحت الاشظة • وتدخل الى هنـــاك داخل الحجاب تابوت الشهادة • فيفصل لكم الحجاب بين القدس وقدس الاقداس ، وتجعل الغطاء على تابوت الشهادة فى قدس الاقداس• وتصنع المائدة خارج الحجاب والمنارة مقابل المائدة على جانب المسكن نحو اليمين ، وتجعل المائدة على جانب الشمال • وتصنع سجفا لمدخـــل الخيمة من أسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة الطراز • وتصنع للسجف خمســة أعمدة من سنط وتغشيها بذهب • رززها من ذهب • وتسبك لها خمس قواعد من نحاس •• وتصنع المذبح من خشب السنط • طوله خمس أذرع وعرضه خمس أذرع •• وارتفاعه ثلاث أذرع ، وتصنع قرونه على زواياه الاربع • منه تكون قرونه ، وتغشيه بنحاس • وتصنع قدوره لرفع رماده ورفوشه ومراكنه ومناشله ومجامره • جميع آنيته تصنعها من نحاس • وتصنع له شباكة صنعة الشبكة من نحاس • وتصنع على الشبكة أربع حلقات من نحاس على أربعــة أطرافه ، وتجعلها تحت حاجب المذبح من أسفل • وتكون الشبكة الى نصف المذبح ، وتصنع عصوين للمذبح ، عصوين من خشب السنط وتغشيهما بنحاس ، وتدخل عصواه فى الحلقات ، فتكون العصوان على جانبى المذبح حينما يحمـــل • مجوفا تصنعه من ألواح •• وتصنع دار المسكن ، الى جهـــة الجنوب نحو اليمين للدار أستار من بوص مبروم مائة ذراع طولا الى الجهة الواحدة وأعمدتها عشرون وقواعدها عشرون من نحاس رزز الأعمـدة وقضبانها من فضة • وكذلك الى جهة الشمال فى الطول أستار مائة ذراع طولا ، وأعمدتها عشرون وقواعدها عشرون من نحاس رزز الاعمدة وقضبانها من فضة • وفى عرض الدار الى جهــة الغرب أستار خمسون ذراعا • أعمدتها عشرة وقواعدها عشر • وعرض الدار الى جهة الشرق نحـــو الشروق خمسون ذراعا • وخمس عشرة ذراعا من الاستار للجانب الواحد • أعمدتها ثلاثة وقواعدها ثلاث • وللجانب الثـــانى خمس عشرة ذراعـــا من

الاستار : أعمدتها ثلاثة وقواعدها ثلاث • ولباب الدار سجف عشرون ذراعا من أسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة الطراز • أعمدته أربعة وقواعدها أربع • لكل أعمدة الدار حواليها قضبان من فضة • رززها من فضة وقواعدها من نحاس • طول الدار مائة ذراع وعرضـــها خمسون فخمسون ، وارتفاعها خمس أذرع من بوص مبروم • وقواعدها من نحاس جميع أوانى المسكن فى كل خدمته وجميع أوتاده وجميع أوتاد الدار من نحاس •• وتصنع مذبحا لايقاد البخور • من خشب السنط تصنعه • طوله ذراع وعرضه ذراع •• وارتفاعه ذراعان منه تكون قرونه • وتغشيه بذهب نقى ، سطحه وحيطانه حواليه وقرونه • وتصنع له اكليلا من ذهب حواليه • وتصنع له حلقتين من ذهب تحت اكليله على جانبيه •• لتكونا بيتين لعصوين لحمله بهما • وتصنع العصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب •

وتجعله قدام الحجاب الذى أمـام تابوت الشهادة • قدام الغطاء الذى على الشهادة حيث اجتمع بك • فيوقد عليـه هارون بخورا عطرا كل صباح •• وتصنع مرحضة من نحاس وقاعـــدتها من نحاس للاغتسال ، وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعـل فيها ماء ، فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها • (الخروج ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٠) ـ « وكلم الرب موسى قائلا قد دعوت بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه ، وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة لاختراع مخترعات

ليعمل فى الذهب والفضة والنحاس ونقش حجارة للترصـــيع ونجارة الخشب ليعمل فى كل صنعة • وها أنا قد جعلت معـــه أهولياب بن أخيساماك من سبط دان • وفى قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة ليصنعوا كل ما أمرتك : خيمـــة الاجتماع وتابوت الشهادة والغطاء الذى عليه وكل آنية الخيمة والمائدة وآنيتهـا والمنارة الطاهرة وكل آنيتها ، ومذبح البخور ومذبح المحرقة وكل

آنيته ، والمرحضة وقاعدتها٠٠حسب كل ما أمرتك به يصنعون»
(الخروج ٣١ : ١ ـ ١١) ٠

ويتضح من هـــذا الوصف الذى نقلناه بحذافيره لخيمـــة الاجتماع ، أنها كانت تنقسم الى ثلاثة أقسام ، هى المسكن والخيمة والغطاء : وقد رأينا أن المسكن مصنوع من البوص المبروم المطرز بأشكال الملائكة ، ومن ألواح الخشب للمقدس وقدس الاقداس ٠ وأما الخيمة فكانت فوق المســـكن ، وكانت مصنوعة من شـــعر الماعز ٠ وأما الغطاء فكان من جلود الكباش والتيوس ، وكان يوضع فوق الخيمة والمســـكن لوقايتهما من الشمس والمطـــر ٠ وكان يحيط بدار المسكن سور من شقق البوص المبروم يرتفع نحو ثمانية أقدام ويستند الى أعمدة من النحاس ٠ وكان طول هذا السور مائة وخمسين قدما ، وعرضه خمسة وسبعين قدما ٠ وبقرب الطرف الغربى من الدار كان طول الخيمة ذاتها خمسة وأربعين قدما ، وعرضها خمسة عشر قدما وعلوها خمسة عشر قدما ٠ وكان جانباها مغلفان بألواح الخشب ، وكذلك مؤخرها ، فى حين كان مقدمها مفتوحا ٠ وكانت تلك الالواح موصـــولة بعوارض من خشب السنط مصفحة بالذهب ٠ وكان مدخـــل الخيمة مغطى بشقة مزخرفة مقامة على خمسة أعمدة ، أما داخلها فكان ينقسم الى قسمين هما المقدس وقدس الاقداس ، ويفصل بينهما الحجاب وهو شقة مطرزة تنسدل من أعلى المســـكن الى أسفله ٠ وكان فى دار المسكن مذبح المحرقة الذى يتوسط الدار والمرحضة النحاسية التى تقع بين المذبح والخيمة ، وهى التى كان الكهنة يغتسلون فيها قبل دخولهم الخيمة ٠ وأما بداخـــل الخيمة فكان يوجد تابوت العهد فى المقدمة ، ومنارة الذهب الى اليسار ، ومائدة خبز الوجوه قبالة المنارة ، ومذبح البخور قبالة التابوت ، بين المنارة ومائدة خبز الوجوه ، وكان صنع الخيمة دقيقا بحيث كان يمكن فكها وحملها من مكانها فى الصحراء ، ثم تركيبها فى مكان آخر ٠

وقد سميت هذه الخيمة ــ كما رأينا ــ خيمة الاجتماع . باعتبار أن الله يجتمع فيها بشعبه (الخروج ٣٣ : ٧ ــ ١٠) ، كما سميت « المسكن » ، باعتبار أن الله يسكن فيها بين شعبه (الخروج ٢٥ : ٨ و ٩) ٠ وكذلك سميت « مسكن الشهادة » لأنه كان بداخلها ألواح الناموس التى كانت تسمى ألواح العهد أو ألواح الشهادة (الخروج ٣٨ : ٢١) ، وكثيرا ما قيل عنها أيضا انها « بيت الرب » (يشوع ٦ : ٢٤) ٠

وقد تم تخصيص ايراد للانفاق منه على خيمة الاجتماع يأتى من جزية مفروضة على كل يهودى تجاوز العشرين من عمره مقدارها نصف شاقل ، أى ما يساوى درهمين ، اذ جاء فى سفر الخروج : « وكلم الرب موسى قائلا اذا أخذت كمية من بنى اسرائيل بحسب المعدودين منهم يعطون كل واحد فدية نفسه للرب ٠٠ نصف شاقل بشاقل القدس ٠٠ الغنى لا يكثر والقليل لا يقلل عن نصف الشاقل ، حين تعطون تقدمة الرب للتكفير عن نفوسكم ٠٠ تأخذ فضة الكفارة من بنى اسرائيل وتجعلها لخدمة خيمة الاجتماع » (الخروج ٣٠ : ١١ ــ ١٦) ٠

وعندما انتهت رحلات اليهود فى صحراء سيناء وعبروا نهر الاردن الى أرض كنعان استقرت خيمة الاجتماع فى « الجلجال » (يشوع ٤ : ١٩) ٠ حتى اذا تغلغل اليهود فى أرض كنعان ، نقلوا الخيمة الى « شيلوه » (يشوع ١٨ : ١) ، فبقيت هناك مدة تتراوح بين ثلاثمائة وأربعمائة سنة ، ثم نقلوها بعد ذلك الى « نوب » (صموئيل الاول ٢١ : ١ ــ ٩) ، ثم نقلها الملك داود الى « جبعون » (أخبار الايام الاول ٢١ : ٢٩) ٠ ثم لما أتم الملك سليمان بناء هيكل أورشليم نقل الخيمة مع كل أثاثاتها وآنيتها الى أورشليم ٠

٣ ـ هيكل أورشليم

وقد اعتزم الملك داود حين استتب له الأمر في مملكته أن يقيم هيكلا لعبادة الله بدلا من خيمة الاجتماع ، اذ جـــاء في سفر صموئيل « وكان لما سكن الملك (داود) في بيته ، وأراحـه الرب من كل الجهات من جميع أعـــدائه ، أن الملك قال لناثان النبى : أنظر • اننى ســاكن في بيت من أرز ، وتابوت اللــه ساكن داخل الشقق •• وفى تلك الليلة كان كلام الرب الى ناثان قائلا اذهب وقل لعبدى داود •• متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك •• هــو يبنى بيتا لاسمى » (صموئيل الثانى ٧ : ١ ـ ١٣) • وهــكذا رفض اللـــه أن يقيم داود الهيكل ، لأنه سفك دمــاء كثيرة ، ووعده بأن الذى سيقيمه هو ابنه سليمان ، اذ جــاء في ســفر أخبار الايام « وقال داود •• قد كان في قلبى أن أبنى بيتا لاسم الرب الهى • فكان الى كلام الرب قائلا قد سفكت دمـــا كثيرا وعملت حروبا عظيمة فلا تبنى بيتا لاسمى •• هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه من جميع أعدائه حواليه لان اسمه يكون سليمان •• هو يبنى بيتا لاسمى » (أخبار الايام الأول ٢٢ : ٧ ـ ٩) • بيد ان داود مع ذلك اشترى الارض التى اختارها لاقامة الهيكل عليها في حقل رجل يسمى أرونة اليبوسى فوق جبل المريا ، وهو أحد الجبال التى تقوم عليهــا أورشليم (صموئيل الثانى ٢٤ : ١٨ ـ ٢٥) • كما أعد داود المـــواد اللازمة لبناء الهيكل ،ووضع تصميمه ، وأوصى ابنه سليمان باقامته طبقا لهذا التصميم الذى قال ان الله أوحاه اليه • اذ جاء في سفر أخبار الايام « أمر داود بجمع الاجنبيين الذين في أرض اسرائيل وأقام نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت اللـــه ، وهيأ داود حديدا كثيرا للمسامير لمصاريع الابواب وللوصــول ونحاسا كثيرا بلا وزن وخشب أرز لم يـــكن له عــدد ، لأن

الصيدونيين والصوريين أتوا بخشب أرز كثير الى داود · وقال داود أن سليمان ابنى صغير وغض والبيت الذى يبنى للرب يكون عظيما جدا فى الاسم والمجد فى جميع الاراضى فأنا آهيىء له · فهيأ داود كثيرا قبل وفاته » (أخبار الايام الأول ٢٢ : ٢ ـ ٥) ـ « وأعطى داود سليمان ابنه مثال الرواق وبيوتـه وخزائنه وعلاليه ومخادعه الداخلية وبيت الغطاء ، ومثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب ولجميع المخادع حواليـه ولخزائن بيت الله وخزائن الاقداس ولفرق الكهنـة واللاويين ولكل عمل خدمة بيت الرب ولكل آنية خدمة بيت الرب · فمن الذهب بالوزن لمـا هو من ذهب ، لكل آنية خـدمة فخدمة ، ولجميع آنيـة الفضـة فضـة بالوزن لكل آنية خدمة فخدمة ، وبالوزن لمنائر الذهب وسرجها من ذهب بالوزن لكل منارة فمنارة وسرجها ، وللمنائر الفضة بالوزن لكل منارة وسرجها حسب خدمة منارة فمنارة · وذهبا بالوزن لموائد خبز الوجود لـكل مائـدة فمائدة · وفضة لموائد الفضة · وذهبا خالصا للمناشل والمناضح والكؤوس ، والاقداح الذهب بالوزن لقدح فقـدح ، ولاقداح الفضة بالوزن لقدح فقدح · ولمذبح البخور ذهبا مصفى بالوزن وذهبا لمثـال مركبة الكروبيم الباسطة أجنحتها المظللة تابوت عهـد الرب · قد افهمنى الرب كل ذلك ·· وقال داود الملك لكل المجمع ان سليمان ابنى الذى وحده اختاره الله انما هو صغير وغض والعمل عظيم ، لان الهيكل ليس لانسان بل للرب الاله · وأنـا بكل قوتى هيأت لبيت الهى الذهب لمـا هو من ذهب ، والفضة لمـا هو من فضة ، والنحاس لما هو من نحاس ، والحديد لمـا هو من حديد ، والخشب لما هو من خشب ، وحجـارة الجزع وحجـارة الترصيع وحجارة كحلاء ورقماء ، وكل حجارة كريمة ، وحجارة الرخام بكثرة · وأيضا لانى قـد سررت ببيت الهى لى خاصـة من ذهب وفضة قد دفعتها لبيت الهى فوق جميع ماهيأته لبيت القدس : ثلاثة آلاف وزنة ذهب من ذهب أوفير ، وسبعة آلاف

وزنة فضة مصفاة لاجل تغشية حيطان البيوت • الذهب للذهب• والفضة للفضة ، ولكل عمل بيد أرباب الصنائع • فمن ينتدب اليوم لملء يده للرب ؟ فانتدب رؤساء الاباء ورؤساء اسباط اسرائيل ورؤساء الألوف والمئات ورؤساء أشغال الملك ، وأعطوا لخدمة بيت الله خمسة آلاف وزنة وعشرة آلاف درهم من الذهب ، وعشرة آلاف وزنة من الفضة ، وثمانية عشر ألف وزنة من النحاس ، ومائة ألف وزنة من الحديد • ومن وجدت عنده حجارة أعطاها لخزينة بيت الرب عن يد يحيئيل الجرشونى » (أخبار الايام الاول ٢٨ : ١١ ـ ١٩ ، ٢٩ : ١ ـ ٨) ـ « ودعا سليمان ابنه وأوصاه أن يبنى بيتا للرب اله اسرائيل • وقال داود لسليمان •• ها أنذا فى مذلتى هيأت لبيت الرب ذهبا مائة ألف وزنة ، وفضة ألف ألف وزنة ، ونحاسا وحديدا بلا وزن لأنه كثير • وقد هيأت خشبا وحجارة فتزيد عليها • وعندك كثيرون من عاملى الشغل نحاتين وبنائين ونجارين وكل حكيم فى فى كل عمل • قم واعمل وليكن الرب معك » (أخبار الايام الاول ٢٢ : ٦ ـ ١٦) •

فلما مات الملك داود وخلفه ابنه سليمان ، شرع هذا فى بناء الهيكل ، ومن ثم أرسل الى حيرام ملك صور يطلب اليه تزويده بخشب الأرز اللازم للبناء ، اذ جاء فى سفر الملوك « أرسل حيرام ملك صور عبيده الى سليمان لانه سمع أنهم مسحوه ملكا مكان أبيه ، لأن حيرام كان محبا لداود كل الايام ، فأرسل سليمان الى حيرام يقول ••• ها أنذا قائل على بناء بيت لاسم الرب الهى •• فأمر أن يقطعوا لى أرزا من لبنان ويكون عبيدى مع عبيدك •• لانك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين • فكان حيرام يعطى سليمان خشب أرز وخشب سرو حسب كل مسرته •• وسخر الملك سليمان من جميع اسرائيل •• ثلاثين ألف رجل • •فأرسلهم الى لبنان عشرة آلاف

فى الشهر بالنوبة •• وكان لسليمان سبعون آلفا يحملون أحمالا وثمانون ألفا يقطعون فى الجبل ، ماعدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة الاف وثلاثمائة •• وأمر الملك ان يقلعوا حجارة كريمة لتأسيس البيت • حجارة مربعة • فنحتها بناؤو سليمان وبناؤو حيرام والجبليون وهيأوا الاخشاب والحجارة لبناء البيت •• وكان فى سنة الاربعمائة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر ، فى السنة الرابعة لملك سليمان على اسرائيل فى شهر زيو وهو الشهر الثانى انه بنى البيت للرب • والبيت الذى بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وسمكه ثلاثون ذراعا • والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعا حسب عرض البيت ، وعرضه عشر أذرع قدام البيت ، وعمل للبيت كوى مسقوفة مشبكة ، وبنى مع حائط البيت طباقا حواليه مع حيطان البيت حول الهيكل والمحراب ، وعمل غرفات فى مستديرها • فالطبقة السفلى عرضها خمس أذرع ، والوسطى عرضها ست أذرع ، والثالثة عرضها سبع أذرع • لأنه جعل للبيت حواليه من خارج أخصاما لئلا تتمكن الجوائز فى حيطان البيت • والبيت فى بنائه بنى بحجارة صحيحة مقتلعة ولم يسمع فى البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد • وكان باب الغرفة الوسطى فى جانب البيت الايمن ، وكانوا يصعدون بدرج معطف الى الوسطى ، ومن الوسطى الى الثالثة • فبنى البيت وأكمله وسقف البيت بألواح وجوائز من الارز ، وبنى الغرفات على البيت كله سمكها خمس أذرع ، وتمكنت فى البيت بخشب أرز •• فبنى سليمان البيت وأكمله • وبنى حيطان البيت من داخل باضلاع أرز من أرض البيت الى حيطان السقف ، وغشاه من داخل بخشب ، وفرش أرض البيت بأخشاب سرو ، وبنى عشرين ذراعا من مؤخر البيت باضلاع أرز من الارض الى الحيطان • وبنى داخله لاجل المحراب ، أى قدس الاقداس ، وأربعون

ذراعا كانت البيت ، أى الهيكل الذى أمامه . وأرز البيت من داخل كان منقورا على شكل قثاء وبراعم زهور . الجميع أرز ، لم يكن يرى حجر . وهيأ محرابا فى وسط البيت من داخـــل ليضع هناك تابوت عهد الرب . ولاجل المحراب عشرون ذراعا طولاوعشرون ذراعا عرضا ، وعشرونذراعا سمكا.وغشاه بذهب خالص ، وغشى المذبح بأرز ، وغشى سليمان البيت من داخـــل بذهب خالص ، وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب ، وغشـــاه بذهب . وجميع البيت غشـــاه بذهب الى تمام كل البيت وكل المذبح الذى للمحراب غشاه بذهب ، وعمل فى المحراب كروبين (ملاكين) من خشب الزيتون علو الواحد عشر أذرع ، وخمس أذرع جناح الكروب الواحد .. عشر أذرع من طرف جناحه الى طرف جناحه .. وجعل الكروبين فى وسط البيت الداخـــلى ، وبسطوا أجنحة الكروبين فمس جناح الواحـــد الحائط وجناح الكروب الآخر مس الحائط الآخر ، وكانت أجنحتهما فى وسط البيت يمس أحدهما الآخر . وغشى الكروبين بذهب . وجميع حيطان البيت فى مستديرها رسمها نقشا بنقر كروبيم (ملائكة) ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج . وغشى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج . وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون .الساكف والقائمتان مخمسة . والمصراعان من خشب الزيتون . ورسم عليهما نقش كروبيم ونخيل وبراعم زهور وغشاهما بذهبورصع الكروبيم والنخيل بذهب . وكذلك عمل لمدخل الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة ، ومصراعين من خشب السرو . المصراع الواحد دفتان تنطويان ، والمصراع الآخر دفتان تنطويان . ونحت كروبيم ونخيلا وبراعم زهـــور وغشاها بذهب مطرق على النقوش ، وبنى الدار الداخلية ثلاثة صفوف منحوتة وصفا من جوائز الارز .. وأرسل الملك سليمان وأخذ حيرام من صور . وهو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالى ،

وأبوه رجل صورى نحاس ، وكان ممتلئا حكمة وفهما ومعرفة لعمل كل عمل فى النحاس ، فأتى الى الملك سليمان وعمـــل كل عمله ، وصور العمودين من نحاس طول العمود الواحد ثمانية عشر ذراعا • وخيط اثنا عشر ذراعــا يحيط بالعمود الآخر • وعمل تاجين ليضعهما على رأسى العمودين من نحاس مسبوك • طول التاج الواحد خمس أذرع ، وطول التاج الآخر خمس أذرع وشباكا عملا مشبكا وضفائر كعمل السلاسل للتاجين اللذين على رأسى العمودين سبعا للتاج الواحد وسبعا للتاج الآخر • وعمل للعمودين صفين من الرمان فى مستديرهما على الشبكة الواحدة لتغطية التاج الذى على رأس العمود • وهكذا عمل للتاج الآخر • والتاجان اللذان على رأسى العمودين من صيغة السوسن كمــا الرواق ، هما أربع أذرع • وكذلك التاجان اللذان على العمودين من عند البطن الذى من جهة الشبكة صاعدا • والرمانتان مائتان على صفوف مستديرة على التاج الثــانى • وأوقف العمودين فى رواق الهيكل •• وعمل البحر (المرحضة) مسبوكا • عشر أذرع من شفته الى شفته ، وكان مدورا مستديرا • ارتفــاعه خمس أذرع وخيط ثلاثون ذراعا يحيط به لدائره ، وتحت شفته قثــاء مستدير تحيط به • عشر للذراع • محيطة بالبحر بمستديره صفين • القثاء قد سبكت بســـبكه ، وكان قائما على اثنى عشر ثورا ، ثلاثة متوجهة الى الشمال وثلاثة متوجهة الى الغرب وثلاثة متوجهة الى الجنوب وثلاثة متوجهة الى الشرق ، والبحر عليها من فوق ، وجميع أعجازها الى داخل ، وغلظه شبر وشفته كعمل شفة كأس بزهر سوسن • يسع ألفى بث • وعمل القواعد العشر من نحاس طول القاعدة الواحدة أربع أذرع وعرضها أربع أذرع وارتفاعها ثلاث أذرع • وهـــذا عمل القواعد : لهــا أتراس ، والاتراس بين الحــواجب ، وعلى الاتراس التى بين الحــواجب أسود وثيران وكروبيم (ملائكة) ، وكذلك على الحواجب من فوق • ومن تحت الاسود والثيران قلائد زهور عمل مدلى ، ولكل

قاعدة أربع بكر من نحاس ، وقطاب من نحاس ولقوائمها الاربع أكتاف ، والاكتاف مسبوكة تحت المرحضة بجانب كل قلادة ، وفمها داخل الاكليل ومن فوق ذراع ، وفمها مدور كعمل قاعدة ذراع ونصف ذراع • وأيضا على فمها نقش • وأتراسها مربعة لا مدورة • والبكر الاربع تحت الاتراس ، وخطاطيف البكر فى القاعدة وارتفاع البكرة الواحدة ذراع ونصف ذراع • وعمل البكرة كعمل بكرة مركبة ، خطاطيفها وأطرها وأصابعها وقبوبها كلها مسبوكة • وأربع أكتاف على أربع زوايا القاعدة الواحدة ، وأكتاف القاعدة منها • وأعلى القاعدة مقبب مستدير على ارتفاع نصف ذراع من أعلى القاعدة ، أياديها وأتراسها منها • ونقش على ألواح أياديها وعلى أتراسها كروبيم وأسودا ونخيلا كسعة كل واحدة ، وقلائد زهور مستديرة • هكذا عمل القواعد العشر • لجميعها سبك واحد وقياس واحد وشكل واحد • وعمل عشر مراحض من نحاس •• المرحضة الواحدة أربع أذرع • مرحضة واحدة على القاعدة الواحدة للعشر القواعد • وجعل القواعد خمسا على جانب البيت الايمن وخمسا على جانب البيت الأيسر ، وجعل البحر على جانب البيت الايمن الى الشرق من جهة الجنوب• وعمل حيرام المراحض للملك سليمان لبيت الرب من نحاس الآنية التى عملها حيرام للملك سليمان لبيت الرب من نحاس مصقول • فى غور الاردن سبكها الملك فى أرض الخزف بين سكوث وصرتان • وترك سليمان وزن جميع الآنية لانها كثيرة جدا جدا • لم يتحقق وزن النحاس • وعمل سليمان جميع آنية بيت الرب : المذبح من ذهب ، والمائدة التى عليها خبز الوجوه من ذهب ، والمنائر خمسا عن اليمين وخمسا عن اليسار أمام المحراب من ذهب خالص ، والأزهار والسرج والملاقط من ذهب، والطسوس والمقاص والمناضح والصحون والمجامر من ذهب خالص والوصل لمصاريع البيت الداخلى ، أى لقدس الاقداس ، ولابواب

البيت ، أى الهيكل من ذهب ، وأكمل جميع العمل الذى عمله الملك سليمان لبيت الرب . وأدخل سليمان أقداس داود أبيه : الفضة والذهب والآنية وجعلها فى خزائن بيت الرب » (الملوك الأول ٥ ـ ٧) .

وقد ظل العمل فى بناء الهيكل قائما سبع سنوات ، اذ جاء فى سفر الملوك « فى السنة الرابعة أسس بيت الرب فى شهر زيو ، وفى السنة الحادية عشرة فى شهر بول وهو الشهر الثامن أكمل البيت فى جميع أموره وأحكامه ، فبناه فى سبع سنين » (الملوك الأول ٦ : ٣٧ و ٣٨) .

وقد أقيم الهيكل فى نحو عام ٩٦٨ قبل الميلاد ، وكان بوجه عام على شكل خيمة الاجتماع ، وان كانت مساحته ضعف مساحتها ومقاييسه ضعف مقاييسهما . كما أن معالم الزينة فيه كانت ـ كما يتبين لنا من الوصف السابق ـ أكثر بذخا وفخامة وضخامة . وكان ثمة ضريبة سنوية مفروضة على اليهود مقدار نصف شاقل ، أى ما يساوى درهمين يدفعها كل يهودى لخدمة الهيكل . وقد ظل هذا الهيكل قائما ومحتفظا برونقه وروائه أكثر من أربعمائة عام ، حتى هاجم البابليون أورشليم فى نحو عام ٥٨٧ قبل الميلاد ، وضربوها وسبوا أهلها ، وسطوا على الهيكل فنهبوا نفائسه ثم أحرقوه ، اذ جاء فى سفر الملوك « وفى الشهر الخامس فى سابع الشهر ، وهى السنة التاسعة للملك نبوخذ ناصر ملك بابل جاء نبوزادان رئيس الشرط عبد ملك بابل الى أورشليم وأحرق بيت الرب .. وأعمدة النحاس التى فى بيت الرب والقواعد وبحر النحاس الذى فى بيت الرب كسرها الكلدانيون وحملوا نحاسها الى بابل ، والقدور والرفوش والمقاص والصحون وجميع آنية النحاس التى كانوا يخدمون بها أخذوها . والمجامر والمناضح . ما كان من ذهب فالذهب ، وما كان من فضة فالفضة ،

أخذها رئيس الشرط ، والعمودان والبحر الواحد والقواعد التي عملها سليمان لبيت الرب ، لم يكن وزن لنحاس كل هذه الادوات » (الملوك الثانى ٢٥ : ٨ ــ ١٦) .

ثم في نحو عام ٥٣٨ قبل الميلاد سمح قورش ملك الفرس لليهود بالعودة الى بلادهم وبناء هيكلهم ، فراحوا بقيادة زربابل يرممون ما بقي من الهيكل القديم ويستكملون ما تهدم منه ، بيد أنهم ظلوا يتعثرون في عملهم هذا . فلم يتمكنوا من اتمامه الا بعد نحو اثنين وعشرين عاما ، أى فى نحو عام ٥١٥ قبل الميلاد. وكان البناء الجديد أضخم من الاول ، ولكنه كان أقل رونقا وفخامة . وقد استعاد بعض آنيته الذهبية التي كان البابليون قد نهبوها منه . ولكن تابوت العهد كان قد اختفى . فظل مكانه في قدس الاقداس خاليا . وقد ظل هذا الهيكل المعروف بهيكل زربابل قائما مدة خمسمائة عام ، ثم بدأ يتصدع حتى أصبح مهددا بالسقوط فى عهد هيرودس الكبير ملك اليهود ، وكان هذا يريد أن يضفي على نفسه مجد سليمان ، كما كان يريد أن يتودد الى اليهود الذين كانوا يكرهونه ويرفضونه كملك عليهم . فبدأ فى نحو عام ٢٠ قبل الميلاد فى ترميم الهيكل وتوسيعه . وقد استغرق ذلك فى هذه المرة ستا وأربعين سنة ، فلم يتم الا فى عهد أغريباس الثانى حفيد هيروس سنة ٦٦ ميلادية ، ثم أصبح بعدها صرحا ضخما تحيط به ثلاثة أسوار شاهقة . وكان مكونا من ساحتين كبيرتين احداهما خارجية والاخرى داخلية . وكانت تحيط بالساحة الداخلية أروقة أنيقة تقوم على أعمدة مزدوجة من الرخام وتغطيها سقوف من خشب الارز الثمين المستورد من لبنان . وقد كانت الاروقة القائمة منها فى الجهة الجنوبية من الهيكل مخصصة للملوك ومن ثم كانت أكثر ضخامة وفخامة . وكانت ترتكز على مائة واثنين وستين عامودا كل منها من الضخامة بحيث لم يكن يمكن لأقل من ثلاثة

رجال متشابكي الأذرع أن يحيطوا بدائرته · وكان للساحة الخارجية للهيكل تسع بوابات ضخمة مطعمة بالذهب ، وبوابة عاشرة هائلة الحجم مصبوبة كلها من النحاس المستورد من كورنثوس · وقد ازدانت هذه الأبواب كلها بزخارف من عناقيد العنب الضخمة المصنوعة من الذهب الخالص · وأما الهيكل ذاته فقد استخدمت فى بنائه مقادير عظيمة من الرخام الفاخر والفسيفساء الثمينة والأخشاب العطرية النادرة ، وقد وشيت جدرانه من الداخل بالذهب والفضة وطعمت بالأحجار الكريمة، وكانت ترتفع من الطابق الأول منه درجات رخامية تؤدى فى الطابق الثانى الى رواق النساء الذى يحوى صناديق النذور ، وكان يقوم فيه سراجان ذهبيان عظيمان يبلغ ارتفاع كل منهما خمسين ذراعا وتعلوها مصابيح ضخمة توقد فى الاعياد فتضىء المدينة كلها · والى جوار ذلك الرواق ترتفع درجات رخامية أخرى الى الطابق الثالث وتؤدى الى رواق الكهنة ، ثم تتلوها درجات غيرها تؤدى الى الطابق الأخير المتوج ببناء بالغ الفخامة والبهاء يكاد يكون كله من الذهب الخالص ، ويحوى القدس وقدس الأقداس ، وكانت خزائن الهيكل تزخر بالأموال والكنوز والنفائس التي لا تقدر بثمن ، والتى طالما طمع فيها وتطلع الى نهبها الغزاة من كل جنس ·

بيد أن اليهود لم يلبثوا أن أحالوا هذا الهيكل الضخم الفخم الى بناء قذر ، اذ جعلوه سوقا للبيع والشراء ، فكان يتزاحم فى ساحته بائعو الثيران والكباش والحمام وسائر الحيوانات والطيور التى كان اليهود يشترونها لتقديم الذبائح فى المواسم والأعياد ومختلف المناسبات · كما كانت تكتنف الهيكل مكاتب الصيارفة الذين كان اليهود يلجأون اليهم لاستبدال ما بأيديهم من عملات لدفع الضرائب المفروضة عليهم للهيكل ، اذ لم يكن الكهنة يقبلون منهم العملات الأجنبية ذات الزخارف الوثنية ، فكانوا يضطرون

الى استبدالها بالعملة التى يقبلها الكهنة ، وهى الشاقل الفضى . ومن ثم أصبح الهيكل مكانا لا للصلاة والعبادة ، وانما للتجارة والمساومة ، وما تتضمنه فى الغالب من غش وسرقة . وكان الكهنة يشتركون فى هذه التجارة الآثمة ويشاركون التجار فى أرباحهم . ومن ثم صرخ السيد المسيح فى ألم حين رأى ذلك قائلا « مكتوب أن بيتى بيت الصلاة يدعى ، فجعلتموه أنتم وكر لصوص » . (متى ٢١ : ١٣) ، ثم قال لتلاميذه « أترون هذا كله ؟ الحق أقول لكم انه لن يترك هنا حجر على حجر لا يهدم » . (متى ٢٤ : ٢) . وقد تحققت هذه النبوءة ، فلم تمض ست وثلاثون سنة على النطق بها حتى جاء الرومان سنة ٧٠ ميلادية وهدموا الهيكل وأحرقوه فأصبح أثرا بعد عين ، ولم تقم له قائمة بعد ذلك . فلم يبق منه ما يدل حتى على مكانه ، وان كان ثمة فى أورشليم حائط متهدم يزعم اليهود أنه كان جزءا من سور الهيكل . ولذلك فهم يتجمعون حوله ، ويروحون يبكون على مملكتهم البائدة ، ومن ثم أصبح معروفا بحائط المبكى .

٤ ـ المجامع

كان اليهود يؤدون العبادة فى هيكل أورشليم وحده ، فكانوا يقصدون اليه لهذه الغاية من كل أنحاء بلادهم . حتى اذا غزاهم الأشوريون والبابليون وأجلوهم عن بلادهم الى السبى فى أشور وبابل ، اضطروا أن يستعيضوا عن أداء العبادة فى الهيكل بأدائها فى معابد كانوا يسمون كلا منها « بيت هكنست » أو « المجمع » . ولكنهم لم يكونوا يقدمون الذبائح فى هذه المجامع ، وانما يكتفون بالصلاة والتعليم الدينى . فلما عادوا من السبى الى بلادهم احتفظوا بنظام المجامع وأقاموها فى المدن والقرى . وقد قام نحميا بتنظيم المجامع منذ عام ٤١٠ قبل الميلاد . وكان ترتيب تلك المجامع شبيه بترتيب خيمة الاجتماع : فكان القدس

فى الوسط ، وهو يتجه الى أورشليم ويشتمل على تابوت يحتوى على الأسفار المقدسة . وكان ثمة منبر أمام الهيــكل ، مخصص للقراءة والوعظ . وقد صفت مقاعد الرجال فى جانب ومقاعد السيدات فى الجانب الآخر ، وكانت توضع للشيوخ مقـاعد فى صدر المكان ، يسمونها «المجالس الاولى» . وكان لــكل مجمع رئيس أو عدد من الرؤساء ، ومجلس مؤلف من الشـيوخ وذوى المكانة الرفيعة فى الشعب ، وفرقة مـن الرعاة أو الشمامســة لتوزيع الصدقات . كما كان لكل مجمع خادم يهيىء المكان للعبادة ويتولى تعليم الأطفال فى المدرسة الملحقة بالمجمع . ولكن لم يكن بالمجمع كهنة ولم تكن تجرى فيه طقوس كهنوتية كما فى هيــكل أورشليم ، وانما كان رئيس المجمع يختار من الحاضرين شخصا للصلاة وقراءة الكتاب والتفسير والوعظ . فكان هذا الشخص بعد اجتماع الشعب يعتلى المنبر ويتلو الصلاة العامة . ثم يقرأ فصلا من الشريعة يسمونه « فاراشاه » ، وفصــلا من الأنبياء يسمونه « هافتراه » . ثم يتولى تفسير ما قرأ لانه مكتوب باللغة العبرية ، فى حين ان اليهود بعد أن عادوا من السبى كانوا قـد نسوا هذه اللغة ، وأصبحوا يتكلمون بالآرامية التى كانت لغـة الشعوب التى عاشوا فى السبى بينها . ثم بعد الصلاة والقراءة والتفسير يقوم الشخص المختار بالوعظ . وكان لـكل حاضر بالمجمع أن يأخذ الاذن من رئيس المجمع ثم يتقدم لأداء هــذه الخدمة .

وقد ظلت المجامع قائمة فى بلاد اليهود حتى اندثار أمتهـم على يد الرومان سنة ٧٠ ميلادية . ولا تزال آثار بعض المجامع اليهودية موجودة فى « تل حوم » التى كانت تسمى قديما « كفر ناحوم » ، وكذلك فى « أربيد » و « كفر بيريـم » وغيرهما . وتدل آثار هذه المجامع على أن مبانيها كانت مستطيلة الشــكل

تمتد من الشمال الى الجنوب ويتوسطها فناء كبير ، وتقوم داخلها أربعة صفوف من الأعمدة يعلو كلا منها تاج على النمط اليه ناني .

وكان للمجامع فضلا عن سلطتها الدينية سلطة قضائية ، كما سيتضح لنا فيما بعد ، ولا سيما المجمع الأكبر الذى كان يسمى السنهدريم ، والذى كان هو أعلى سلطة دينية وقضائية فى بلاد اليهود .

الفصل الرابع

طقوس اليهود

كان اليهود يعتبرون الشريعة الطقسية التى سلمها موسى النبى اليهم حجر الأساس فى ديانتهم . وهذه الشريعة هى مجموعة الشعائر التى يؤدونها ليتقربوا بها الى الله وينالوا رضاءه وغفرانه . ومن أهم هذه الطقوس ما يأتى :

١ ـ القرابين

كان تقديم القرابين طقسا رئيسيا فى عبادة اليهود وكان الذى يقوم بتقديم القرابين لله فى أيام الآباء الأوائل لليهود هو رب العائلة عن نفسه وعن عائلته ، كما فعل ابراهيم واسحق ويعقوب . حتى جاء موسى فرسم لليهود نظاما دقيقا مفصلا لتقديم القرابين ، وقصر تقديمها على الكهنة وحدهم ، يعاونهم اللاويون . وكان اليهود يقدمون القرابين لله تعبيرا عن اعترافهم بخطاياهم ، أو تكفيرهم عنها ، أو توبتهم عن ارتكابها ، أو شكرهم لله ، أو تكريس أنفسهم لخدمته ، أو غير ذلك من الأسباب والأغراض . وكانت قرابينهم تشمل المحرقات والذبائح والرفائع والعشور والنذور ، وكانوا يقدمونها من الحيوانات

المستأنسة التى تقضى الشريعة بطهارتها ، ومن الحبوب كالقمح والشعير ، ومن بعض السوائل النباتية كالزيت والخمر ٠ اذ جاء فى سفر التثنية « فالمكان الذى يختاره الرب الهكم ليحل اسمه فيه تحملون اليه كل ما أنا أوصيكم به : محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم وكل خيار نذوركم التى تنذرونها للرب » ٠ (التثنية ١٢ : ١١) ٠

أما الحيوانات التى تقضى الشريعة بطهارتها وتصلح للقرابين فهى من الماشية البقر والغنم (اللاويين ٣ : ١و٦) ومن الطيور الحمام واليمام (اللاويين ١ : ١٤) ٠ وكان الفقراء يقدمون زوج يمام أو فرخى حمام عندما يولد لهم ولد ذكر (لوقا ٢ : ٢٤) ٠ أما غير الفقراء فكانوا يقدمون خروفا حوليا مع طائر واحد (اللاويين ١٢ : ٦ ــ ٨) ٠ ويجب لكى تكون الذبيحة مقبولة أن تكون سليمة خالية من أى عيب ، اذ جاء فى سفر التثنية « لا تذبح للرب الهك ثورا أو شاة فيه عيب شىء ردىء ، لأن ذلك رجس لدى الرب الهك » ٠ (التثنية ١٧ : ١) ٠ ولم تسمح الشريعة الموسوية بتقديم الذبائح البشرية كما كان يفعل الوثنيون ٠ وقد منع الله ابراهيم من تقديم ابنه ذبيحة (التكوين ٢٢ : ٩ ــ ١٤) ٠ كما حذر الله اليهود من تقديم أطفالهم للآلهة الوثنية (اللاويين ١٨ : ٢١ ، ٢٠ : ٢) ٠ ولم يكن جائزا تقديم الأسماك أو الوحوش البرية أو الخنازير قرابين لله ٠ وكان مقدم الذبيحة يضع يده على رأسها ويعترف بخطيئته ثم يذبحها ، اذ جاء فى سفر اللاويين « اذا قرب انسان منكم قربانا للرب من البهائم ، فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم ٠ ان كان قربانه محرقة من البقر فذكرا صحيحا يقربه ٠ الى باب خيمة الاجتماع يقدمه للرضا عنه أمام الرب ، ويضع يده على رأس المحرقة ، فيرضى عليه للتكفير عنه ، ويذبح العجل أمام الرب » (اللاويين ١ : ١ ــ ٥) ٠ وكان الذين يذبحون الذبائح عادة هم

الكهنة ، اذ جاء في سفر أخبار الأيام « ثم تقدموا بتيوس ذبيحة الخطية أمام الملك والجماعة ووضعوا أيديهم عليها ، وذبحهـا الكهنة وكفروا بدمها على المذبح تكفيرا عن جميع اسرائيل » • (أخبار الايام الثاني ٢٩ : ٢٣ و ٢٤) • واذ لم يكن عدد الكهنة كافيا كان اللاويون يساعدونهم في سلخ الحيوانات (أخبـار الأيام الثاني ٢٩ : ٣٤) • وكان الهكنة يرشون أمام الذبيحة على المذبح ويرتبون حطبا على النار ، ويرتب بنو هارون الكهنة القطع الشريعة باحراقه على المذبح • اذ جاء في سفر اللاويين « ويذبح العجل أمام الرب • ويقرب بنو هارون الكهنة الدم ويرشـون الدم مستديرا على المذبح الذى لدى باب خيمة الاجتماع • ويسلخ المحرقة ويقطعها الى قطعها • ويجعل بنو هارون الكاهن نارا على المذبح ويرتبون حطبا على النار ، ويرتب بنو هارون الكهنة القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التي على المذبح • وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن الجميع عـلى المذبح » • (اللاويون ١ : ٥ ـ ٩) • وكان الكهنة أحيانا يرددون بعض قطع الذبيحة أمام الله ، أو يرفعونها الى أعـلى فتسمى رفيعة ، اذ جاء في سفر اللاويين « الذى يقرب ذبيحة سـلامته للرب •• الشحم يأتي به مع الصدر • أما الصدر فلـكى يردده ترديدا أمام الرب •• والساق اليمنى تعطونها رفيعة للكاهن من ذبائح سلامتكم •• لأن صدر الترديد وساق الرفيعة قد أخذتهما من بني اسرائيل من ذبائح سلامتهم وأعطيتها لهارون الـكاهن ولبنيه فريضة دهرية » (اللاويين ٧ : ٢٨ ـ ٣٤) •

وكان من هذه الذبائح نوع يقدم كله الى الله ، ونوع آخـر يخصص قسم منه لله ، والقسم الآخـر للكهنة وحـدهم ، أو بالاشتراك مع العابدين الذين يقدمونها • فكان النـوع الأول الذى يقدم كله لله هو المحرقات • (اللاويين ١ : ١٢ و ١٧) • وكان الشحم من كل الذبائح يقدم لله ، اذ جاء في سفر اللاويين

« ويقرب من ذبيحة السلامة وقودا للرب الشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها . ويوقدها بنو هارون على المذبح .. وقود رائحة سرور للرب » . (اللاويين ٣ : ٣ ـ ٥) .

وكان النوع الثانى هو الذبائح التى يقدمها الشعب احتفالا بالعيد ، كذبيحة السلامة ، اذ كان الكاهن يأخذ منها الصدر فيردده أمام الله ، والساق اليمنى التى يسمونها ساق الرفيعة . وأما الذى يتبقى من الذبيحة فيأخذه أصحابها الذين قدموها .

وكان ثمة أنواع عديدة من القرابين التى يقدمونها من الحيوانات . فكان منها :

(١) المحرقات ، وكانوا يقدمونها صباح ومساء كل يوم ، تكفيرا عن الخطايا ، فكانت هى المحرقة الدائمة . اذ جاء فى سفر الخروج « هذا ما تقدمه على المذبح : خروفان حوليان كل يوم دائما . الخروف الواحد تقدمه صباحا والخروف الثانى تقدمه فى العشية .. محرقة دائمة فى أجيالكم » . (الخروج ٢٩ : ٣٨ ـ ٤٢) ، ويزاد عليها محرقة يوم السبت (العدد ٢٨ : ٩ و ١٠) . ورؤوس الشهور (العدد ٢٨ : ١١) . ويوم التكفير (اللاويين ١٦ : ٣ ـ ٣٤) . والأعياد الثلاثة الكبرى » (العدد ٢٩) .

(٢) ذبائح السلامة ، وكانوا يقدمونها طلبا للرضا من الله أو تعبيرا عن الشكر له . اذ جاء فى سفر اللاويين « متى ذبحتم ذبيحة سلامة للرب فللرضا عنكم تذبحونها . يوم تذبحونها تؤكل . وفى الغد . والفاضل الى اليوم الثالث يحرق بالنار .

واذا آكلت فى اليوم الثالث فذلك نجاسة ·· ومن أكل منها يحمل ذنبه لأنه قد دنس قدس الرب ، فتقطع تلك النفس من شعبها » · (اللاويين ١٩ : ٥ ــ ٨) · وجاء فيه « وان كان قربانه ذبيحة سلامة فان قرب من البقر ذكرا أو أنثى فصحيحا يقدمه أمام الرب · يضع يده على رأس قربانه ويذبحه لدى باب خيمة الاجتماع ويرش بنو هارون الكهنة الدم على المذبح مستديرا ·· ويقرب من ذبيحة السلامة وقودا للرب الشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها · ويوقدها بنو هارون على المذبح على المحرقة التى فوق الحطب الذى على النار وقود رائحة سرور للرب » · (اللاويين ٣ : ١ ــ ٥) ·

(٣) ذبائح الخطيئة وكانوا يقدمونها للتكفير عن خطاياهم التى يرتكبونها ، ولم يكن مسموحا لمقدمى ذبيحة الخطيئة أن يأكلوا أى جزء منها · وتتميز هذه الذبيحة من الناحية الطقسية عن غيرها من أنواع الذبائح برش الدم على قوائم بيت الله وعلى زوايا المذبح الاربع وقرونه الاربعة وعلى قوائم باب الدار الداخلية وحرق الجثة خارج المحلة عندما يكون سبب تقديم هذه الذبيحة وقوع جماعة اليهود فى الخطيئة · اذ جاء فى سفر اللاويين « اذا أخطأت نفس سهوا فى شىء من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وعملت واحدة منها · ان كان الكاهن المسوح يخطىء لائم الشعب يقرب عن خطيئته التى أخطأ ثورا ابن بقر صحيحا للرب ذبيحة خطيئته . يقدم الثور الى باب خيمة الاجتماع أمام الرب ويضع يده على رأس الثور ويذبح الثور أمام الرب ويأخذ الكاهن المسوح من دم الثور ويدخل به الى خيمة الاجتماع ، ويغمس الكاهن اصبعه فى الدم وينضح من الدم سبع مرات أمام الرب لدى حجاب القدس · ويجعل الكاهن من الدم على قرون مذبح البخور العطر الذى فى خيمة الاجتماع

أمام الرب • وسائر دم الثور يصبه الى أسفل مذبح المحرقة الذى لدى باب خيمة الاجتماع • وجميع شحم ثور الخطيئة ينزعه عنه • الشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما ، الذى على الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها ، كما تنزع من ثور ذبيحة السلامة ، ويوقدهن الكاهن على مذبح المحرقة • وأما جلد الثور وكل لحمه مع رأسه وأكارعه وأحشائه وفرثه فيخرج سائر الثور الى خارج المحلة الى مكان طاهر الى مرمى الرماد ويحرقها على حطب بالنار • على مرمى الرماد تحرق » • (اللاويين ٤ : ١ ــ ١٢) • وقد عينت الشريعة يوما خاصا للتكفير عن الخطايا يسمى « يوم الكفارة » • وكان رئيس الكهنة يقدم فيه ذبائح التكفير عن المقدس والكهنة والشعب ، وكان اليهود يصومون فيه ويمتنعون عن أى عمل ، اذ جاء فى سفر اللاويين « يكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر تذللون نفوسكم وكل عمل لا تعملون •• لأنه فى هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم • من جميع خطاياكم أمام الرب تطهرون • سبت عطلة هو لكم وتذللون نفوسكم (أى تصومون) فريضة دهرية • ويكفر الكاهن الذى يمسحه والذى يملأ يده للكهانة عوضا عن أبيه • يلبس ثياب الكتان ، الثياب المقدسة ، ويكفر عن مقدس القدس ، وعن خيمة الاجتماع والمذبح يكفر • وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر • وتكون هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بنى اسرائيل من جميع خطاياهم • مرة فى السنة » • (اللاويين ١٦ : ٢٩ ــ ٣٤) • وقد ورد فى سفر اللاويين وصف للطقوس التى ينبغى اتباعها فى ذلك اليوم ، اذ جاء فيه « بهذا يدخل هارون الى القدس • بثور ابن بقر لذبيحة خطيئة وكبش لمحرقة • يلبس قميص كتان مقدسا وتكون سراويل كتان على جسده ويتنطق بمنطقة كتان ويتعمم بعمامة كتان • انها ثياب مقدسة • فيرحض جسده بماء ويلبسها • ومن جماعة بنى اسرائيل يأخذ تيسين من المعز لذبيحة

خطيئة وكبشا واحدا لمحرقة ويقرب هارون ثور الخطيئة الذى له ويكفر عن نفسه وعن بيته ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع • ويلقى هارون على التيسين قرعتين ، قرعة للرب وقرعة لعزازيل • ويقرب هارون التيس الذى خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة خطيئة • وأما التيس الذى خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيا أمام الرب ليكفر عنه ليرسله الى عزازيل الى البرية ويقدم هارون ثور الخطيئة الذى له ويكفر عن نفسه وعن بيته ويذبح ثور الخطيئة الذى له •• ثم يأخذ من دم الثور وينضح بأصبعه على وجه الغطاء الى الشرق• وقدام الغطاء ينضح سبع مرات من الدم بأصبعه • ثم يذبح تيس الخطيئة الذى للشعب ويدخل بدمه الى داخل الحجاب ، ويفعل بدمه كما فعل بدم الثور •• فيكفر عن نفسه وعن بيته وعن كل جماعة اسرائيل • ثم يخرج الى المذبح الذى أمام الرب ويكفر عنه • يأخذ من دم الثور ومن دم التيس ويجعل على قرون المذبح مستديرا وينضح عليه من الدم بأصبعه سبع مرات ويطهره ويقدسه من نجاسات بنى اسرائيل • ومتى فرغ من التكفير عن القدس وعن خيمة الاجتماع وعن المذبح يقدم التيس الحى ويضع هارون يديه على رأس التيس الحى ويقر عليه بكل ذنوب بنى اسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه الى البرية ، ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم الى أرض مقفرة فيطلق التيس فى البرية • ثم يدخل هارون الى خيمة الاجتماع ويخلع ثياب الكتان التى لبسها عند دخوله الى القدس ويضعها هناك ، ويرحض جسده بماء فى مكان مقدس ، ثم يلبس ثيابه ويخرج ويعمل محرقته ومحرقة الشعب ويكفر عن نفسه وعن الشعب • وشحم ذبيحة الخطية يوقده على المذبح• والذى أطلق التيس الى عزازيل يغسل ثيابه ويرحض جسده بماء وبعد ذلك يدخل الى المحلة • وثور الخطيئة وتيس الخطيئة اللذان أتى بدمهما للتكفير فى القدس يخرجهما الى خارج المحلة

ويحرقون بالنار جلديهما ولحمهما وفرثهما . والذى يحرقهما يغسل ثيابه ويرحض جسده بماء وبعد ذلك يدخل الى المحلة » . (اللاويين ١٦ : ٣ ـ ٢٨) .

(٤) ذبائح الاثم وكانوا يقدمونها فى الغالب عن الخطايا الشخصية التى تحدث سهوا ، وتكون هذه الذبائح غالبا من الكباش . وطقوس تقديمها تشبه طقوس تقديم ذبائح الخطيئة . اذ جاء فى سفر اللاويين « اذا خان أحد خيانة وأخطأ سهوا فى أقداس الرب يأتى الى الرب بذبيحة لاثمه كبشا صحيحا من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاقل القدس ذبيحة اثم . ويعوض عما أخطأ به من القدس ويزيد عليه خمسة ويدفعه الى الكاهن فيكفر الكاهن عنه بكبش الاثم فيصفح عنه » . (اللاويين ٥ : ١٥ و ١٦) . وجاء فيه « اذا أخطأ أحد وخان خيانة الرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبا أو اغتصب من صاحبه أو وجد لقطة وجحدها وحلف كاذبا على شىء من كل ما يفعله الانسان مخطئا به . فاذا أخطأ وأذنب يرد المسلوب الذى سلبه أو المغتصب الذى اغتصبه أو الوديعة التى أودعت عنده أو اللقطة التى وجدها ، أو كل ما حلف عليه كاذبا . يعوضه برأسه ويزيد عليه خمسة . الى الذى هو له يدفعه يوم ذبيحة اثمه . ويأتى الى الرب بذبيحة لاثمه كبشا صحيحا من الغنم .. فيكفر عنه الكاهن أمام الرب فيصفح عنه فى الشىء من كل ما فعله مذنبا به .. وهذه شريعة ذبيحة الاثم . انها قدس أقداس . فى المكان الذى يذبحون فيه المحرقة يذبحون ذبيحة الاثم .. ذبيحة الاثم كذبيحة الخطيئة .. لهما شريعة واحدة . الكاهن الذى يكفر بها تكون له . والكاهن الذى يقرب محرقة انسان فجلد المحرقة التى يقربها يكون له » . (اللاويين ٦ : ٢ ـ ٧ ، ٧ : ١و٢و٧و٨) .

وكانت نار المذبح الذى يقدمون عليه المحرقات تظل مشتعلة

على الدوام ، وقد ورد فى سفر اللاويين أن الذى أشعلها أو مرة هو الله بعد اقامة خيمة الاجتماع والمذبح ، اذ جاء فيه « وخرجت نار من عند الرب واحرقت على المذبح المحرقة والشحم » (اللاويين ٩ : ٢٤) . ثم استمرت النار مشتعلة بعد ذلك بدون انقطاع ، لأنه كان لا ينقطع تقديم الذبائح ، فكان دمها ينسكب على النار ويتصاعد دخانها فى الفضاء بصورة متواصلة . وكان الذى يضرم النار تحت الذبائح فى البداية هو الذى يقدمها (التكوين ٢٢ : ٦) . وظل ذلك معمولا به حتى عهد موسى . وقد فعل موسى نفسه ذلك (الخروج ٤٠ : ٢٩) . ولكن بعد اقامة خيمة الاجتماع ووضع الشريعة الطقسية ، أصبح اضرام النار من اختصاص الكهنة وحدهم (اللاويين ٦ : ٢٢) وان كانت التوراة تذكر حالات عديدة نزلت فيها النار من الله وأحرقت المحرقات كعلامة لرضاه عن مقدمها ، كما حدث لجدعون اذ أحرقت نار الله تقدمته (القضاة ٦ : ٢١) ، وكما حدث لايليا اذ سقطت نار الله على ذبيحته (الملوك الأول ١٨ : ٣٨) وكما حدث لسليمان حين أقام هيكل أورشليم ، اذ جاء فى سفر أخبار الأيام « ولما انتهى سليمان من الصلاة نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيت » . (أخبار الأيام الثانى ٧ : ١) .

وتقضى الشريعة اليهودية كذلك بتقديم قرابين من الحبوب مطحونة ومخبوزة ، أو بغير طحن ولا خبيز ، وذلك بعد اضافة بعض المواد الأخرى اليها ، اذ جاء فى سفر اللاويين « واذا قرب أحد قربان تقدمة للرب يكون قربانه من دقيق ويسكب عليها زيتا ، ويجعل عليها لبانا ، ويأتى بها الى بنى هارون الكهنة ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها ، ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح وقود رائحة سرور للرب . والباقى من التقدمة هو لهارون وبنيه .. واذا قربت قربان تقدمة مخبوزة تكون أقراصا من دقيق فطيرا ملتوتة بزيت ورقاقا

فطيرا مدهونة بزيت • وان كان قربانك تقدمة على الصاج تكون من دقيق ملتوتة بزيت فطيرا • تفتها فتاتا وتسكب عليها زيتا •• وان كان قربانك تقدمة من طاجن فمن دقيق بزيت تعمله • فتأتى بالتقدمة التى تصطنع من هذه الى الرب وتقدمها الى الكاهن فيدنو بها الى المذبح • ويأخذ الكاهن من التقدمة تذكارها ويوقد على المذبح وقود رائحة سرور للرب • والباقى من التقدمة هو لهارون وبنيه قدس أقداس من وقائد الرب •• وان قربت تقدمة باكورات للرب ففريكا مشويا بالنار جريشا سويقا •• وتجعل عليها زيتا وتضع عليها لبانا • انها تقدمة • فيوقد الكاهن تذكارها من جريشها وزيتها مع جميع لبانها وقودا للرب » (اللاويين ٢ : ١ ـ ١٥) •

وكان استعمال الخمير محظورا في هذا النوع من التقدمات، لأن الخمير كان رمزا للفساد والشر ، اذ جاء فى سفر اللاويين « كل التقدمات التى تقربونها للرب لا تصطنع خميرا • لأن كل خمير وكل عسل لا توقدوا منهما وقودا للرب • قربان أوائل تقدمونهما للرب لكن على المذبح لا يصعدان لرائحة سرور • وكل قربان من تقادمك بالملح تملحه ولا تخل تقدمتك من ملح عهد الهك • على جميع قرابينك تقرب ملحا » (اللاويين ٢ : ١١و١٢) فلم يكن مسموحا لليهود باستخدام الخمير خلال أيام الفصح لهذا السبب ، وكذلك لتذكيرهم بيوم خروجهم من مصر حين طردهم المصريون ، فاضطروا أن يهربوا دون أن ينتظروا حتى يختمر عجينهم فأكلوه فطيرا دون اختمار • وكان الكهنة يصنعون خبز الوجوه فطيرا ، ويضعون منه اثنى عشر رغيفا بعدد أسباط اليهود على المائدة فى خيمة الاجتماع بصفة مستمرة ويغيرونه كل يوم سبت ، بحيث يظل دائما أمام وجه الله ، اذ جاء فى سفر اللاويين « وتأخذ دقيقا وتخبزه اثنى عشر قرصا • وتجعلها صفين ، كل صف ستة على المائدة الطاهرة أمام الرب ،

وتجعل على كل صف لبانا نقيا • فيكون للخبز تذكارا وقودا للرب ، في كل سبت يرتبه أمام الرب دائما من عند بني اسرائيل ميثاقا دهريا ، فيكون لهارون وبنيه فيأكلونه في مكان مقدس » (اللاويين ٢٤ : ٥ ـ ٩) • ولم يكن يحل لاحد أن يأكل من خبز الوجوه هذا الا الكهنة وحدهم وهم في المقدس (صموئيل الأول ٢١ : ١ ـ ٦) • وكانت تهيئة هذا الخبز موكولة الى عشيرة القهاتيين احدى عشائر اللاويين (أخبار الايام الاول ٩ : ٣٢) • وكان في خيمة الاجتماع مائدة واحدة لخبز الوجوه ، اذ جاء في سفر الخروج « وتصنع مائدة من خشب السنط •• وتغشيها بذهب نقي ، وتصنع لها اكليلا من ذهب حواليها •• وتصنع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها الذى يسكب بها • من ذهب نقي تصنعها ، وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامي دائما » (الخروج ٢٥ : ٢٣ ـ ٣٠) • أما في هيكل سليمان فكان هناك عشر موائد • بيد أن الراجح أنهم لم يكونوا يستخدمون منها الا مائدة واحدة في الوقت الواحد •

وكان هذا النوع من قرابين الحبوب قسمين : أحدهما كان يقدم لله كله ، وهو تقدمات الكهنة من الدقيق (اللاويين ٦ : ٢٢ و ٢٣) ، والثاني كان يخصص بعض منه لله والبعض الآخر للكهنة وحدهم أو بالاشتراك مع الذين قدموا القرابين •• ومن هذا النوع التقدمات العامة من الدقيق الملتوت بالزيت واللبان ، اذ كان الكاهن يأخذ ملء قبضته منه فيوقده على المذبح « وقود رائحة سرور للرب » ، وأما الباقي فيكون طعاما للكهنة (اللاويين ٢ : ٧ ـ ١٦) • وكان ثمة أنواع مختلفة من قرابين الحبوب فكان منها :

(١) التقدمة وكانت من الدقيق مع زيت ولبان (اللاويين ٢ : ٤ ـ ١٣) • وكان يؤخذ قليل من الدقيق والزيت المقدمين

مع كل اللبان ويوقد على المذبح ، ويعطى الباقي للكهنة ٠ ويجب أن تكون التقدمة خالية من الخمير أو العسل ، ولكنها ممزوجة بقليل من الملح (اللاويين ٢ : ١١ و ١٣) ومعها سكيب من الخمر (الخروج ٢٩ : ٤٠) وكانت التقدمات تقدم كل يوم مع المحرقة اليومية ، اذ جاء في سفر الخروج « هذا ما تقدمه على المذبح : خروفان حوليان كل يوم دائما : الخروف الواحد تقدمه صباحا ، والخروف الثاني تقدمه في العشية ، وعشر من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرض وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد ٠٠ محرقة دائمة في أجيالكم » (الخروج٢٩ : ٣٨-٤٤)

(٢) حزمة الترديد وخبز الترديد ٠ وكانت حزمة الترديد من باكورات الارض ويقدمونها في عيد الفصح ٠ أمـا خبز الترديد فكانوا يقدمونه في عيد الخمسين ، اذ جاء في سفر اللاويين « متى جئتم الى الارض التي.أنـا أعطيكم وحصدتم حصيدها تأتون بحزمة أول حصيدكم الى الكاهن ، فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم ٠ في غـد السبت يرددها الكاهن ٠٠ ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم اتيانكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة ، الى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوما ، ثم تقربون تقدمة جـديدة للرب ، من مساكنكم تأتون بخبز ترديد رغيفين عشرين يكونان من دقيق ويخبزان خميرا باكورة للرب » (اللاويين ٢٣ : ١٠ ـ ١٧) ٠

(٣) الرفيعة وهي قرص من عجين أول غلال الحقل ، اذ جاء في سفر العدد « متى دخلتم الارض التي أنا آت بكم اليها ، فعندما تأكلون من خبز الارض ترفعون رفيعـة للرب : أول عجينكم ترفعون قرصا رفيعة البيدر ، هكذا ترفعونه ، من أول عجينكم تعطون للرب رفيعة في أجيالكم » (العدد ١٥ : ١٨ ـ ٢١) ٠

وكانت الشريعة تقضى كذلك بتقـــديم تقدمات من بعض السوائل النباتية و لاسيما الزيت والخمر ٠ وكان الزيت يعـد من التقدمات الفاخرة المحترمة (التكوين ٢٩ : ١٨ ، ميخا ٦ : ٧) ٠ كما كانت الشريعة تقضى بتقـــديم الخمر مع القرابين الأخرى ولا ســـيما التقدمات التى تقدم كل يوم مع المحرقـة (الخروج ٢٩ : ٤٠) ، وعند تقديم الباكورات (اللاويين ٢٣ : ١٣) ، وعند تقديم بقية الذبائح (العدد ١٥ : ٥)

وكان فريضة على اليهود أن يقدموا لله أبكار بهائمهم وفدية أبكار أبنائهم ، وباكورة حصادهم وكرمهم وزيتهم وأول مخبوز من غلاتهم الجديدة وأول الصوف من ماشيتهم ، فيأخذ الكهنـة كل هذه العطايا لانفسهم ، اذ جاء فى سفر الخروج « ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين ٠٠ انك تقدم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم التى تكون لك ٠ الذكور للرب ٠ ولكن كل بكر حمار تفديه بشاه ، وان لم تفده فتكسر عنقه ، وكل بكر انسان من أولادك تفديه » (الخروج ١٣ : ١١ ـ ١٣) وجاء فى سفر التثنية « متى أتيت الى الارض التى يعطيك الرب الهك نصيبا وامتلكتها وسكنت فيها فتأخذ من أول كل ثمر الارض الذى تحصل من أرضك التى يعطيك الرب الهك وتضـــعه فى سلة ٠٠ وتأتى الى الكاهن ٠٠ فيأخذ الكاهن السلة من يـــدك ويضعها أمام مذبح الرب » (التثنية ٢٦ : ١ ـ ٤) ٠ وجـــاء فى سفر اللاويين « ومتى دخلتم الى الارض وغرستم كل شجرة للطعام تحسبون ثمرها غرلتها ٠ ثلاث سنين تكون لكم غلفاء ، لا يؤكل منهـا ٠ وفى الســنة الرابعة يكون كل ثمرها قدسـا لتمجيد الرب ٠ وفى السنة الخامسة تأكلون ثمرها » (اللاويين ١٩ : ٢٣ ـ ٢٥) ٠ وجاء فى سفر العدد « قال الرب لهـارون « أبكار كل ما فى أرضهم التى يقدمونها للرب لك تكون ٠٠ كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهـائم

يكون لك .. جميع رفائع الاقداس التى يرفعها بنو اسرائيل للرب أعطيتهـــا لك ولبنيك وبنـــاتك معـــك حقـــا دهريا » (العدد ١٨ : ٨ ــ ٢٠) . ولـــكن اليهود أهملوا تقديم هـــذه العطايا ، فكان أبناؤهم وبعض زعمائهم لا يفتـــأون يوبخونهم ويستنهضون هممهم لتقديمها . كما فعل الملك حزقيا (أخبار الايام الثانى ٣١ : ٤ و ٥) ، ونحميا بعـــد الرجوع من السبى (نحميا ١٠ : ٣٥ ، ١٢ : ٤٤) وحزقيـــال النبى (الخروج ٢٠ : ٤٠ ، ٤٤ : ٣٠ ، ٤٨ : ١٤) .

ويدخل فى باب التقدمات ما كانوا يسمونه بالعشور ، اذ قضت الشريعة على كل اليهود بأن يقدموا جـــزءا من عشرة من محاصيلهم الحيوانية والزراعية للـــه ، وكانت هذه العشور من نصيب الـــلاويين . وتقضى الشريعـــة على اليهود بأن يقدموا عشورهم فى العيد فى أورشليم أو فى أى مكان قريب منها ، اما بعشر المحصول عينا ، أو بثمن ذلك العشر بعد بيعه . وتقضى عليهم بأنهم فى السنة الثالثة من كل ثـــلاث سنوات يقدمون العشور فى بيوتهم ، لـــكى يتيحوا البهجة والاحتفال للـــذين لا يستطيعون الذهاب الى أورشليم من الفقراء والمرضى ، اذ جـــاء فى سفر اللاويين « وكل عشر الارض من حبوب الارض وأثمار الشجر فهو للرب .. وان فك انسان بعض عشره يزيد خمســـة عليه . وأما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصـــا يكون العاشر قدسا للرب . لا يفحص أجيد هو أم ردىء ولا يبدله ، وان أبدله يكون هو وبدله قدسا » (اللاويين ٢٧ : ٣٠ ــ ٣٤) . وجاء فى سفر التثنية « تعشيرا تعشر كل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة ، وتأكل أمام الرب الهك فى المكان الذى يختاره ليحل اسمه فيه عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك لكى تتعلم أن تتقى الرب الهك كل الايام .. فى آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك فى تلك السنة وتضعه

فى أبوابك ، فيأتى اللاوى لانه ليس له قسم ولا نصيب معك ، والغريب واليتيم والارملة الذين فى أبوابك ويأكلون ويشبعون لكى يباركك الرب الهك فى كل عمل يدك الذى تعمل » (التثنية ١٤ : ٢٨ و ٢٩) .

كما يدخل فى باب التقدمات ، النذور التى يتعهد اليهود بتقديمها للـــه . وللناذر الحرية فى انتقاء نذره ، ولـــكن عليه ان يفى بما نذر ، والا أغضب اللـــه . اذ جاء فى سفر التثنية « اذا نذرت نذرا للرب الهك فلا تؤخر وفاءه لأن الرب الهك يطلب منك فتكون عليك خطية ، ولكن اذا امتنعت ان تنذر لا تكون عليك خطية . ما خرج من شفتيك احفظ واعمل كمـــا نذرت للرب الهك تبرعا كما تكلم فمك » (التثنية ٢٣ : ٢١ ــ ٢٣) .

وقد قضت الشريعة بتقديم القرابين بأنواعهـــا المختلفة ، لتذكير اليهود بخطاياهم ، وللتكفير عنها ارضاء لقداسة اللـــه التى ترفض الخطيئة ، ولكن اليهود اتخذوها على العكس مبررا لارتكاب الخطايا ، ماداموا يستطيعون بالقرابين التكفير عنها ، واجتناب القصاص الذى تستوجبه ، ناظرين الى هـــذه الطقوس من ناحيتها الشكلية فحسب ، معتقدين أن مجرد القيام بها يغنى عن الحكمة المقصودة من ورائها . ومن ثم أهملوا كل الواجبـــات الروحية والادبية والانسانية التى هى جوهر الدين . وقـــد اشترك فى ذلك الشعب والكهنة والملوك . وقد فعل ذلك شاول أول ملوك اليهود فوبخه صموئيل النبى قائلا له « هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب ؟ هو ذا الاستماع أفضل من الذبيحة ، والاصغاء أفضـــل من شحم الكباش ، لأن التمرد خطية كالعرافة ، والعناد كالوثن والترافيم ، لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك » (صموئيل الاول ١٥ : ٢٢و٢٣) .

وجاء فى سفر اشعياء النبى « لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب؟ اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر · لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة ·· رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسى ·· فحين تبسطون أيديكم أستر عينى وان كثرتم الصلاة لا أسمع · أيديكم ملآنة دما · اغتسلوا · تنقوا · اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى · كفوا عن فعل الشر · تعلموا فعل الخير · اطلبوا الحق · انصفوا المظلوم · اقضوا لليتيم · حاموا عن الارملة ·· ان شئتم وسمعتم تأكلون خير الارض · وان أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف » (اشعياء ١ : ١٠ ــ ٢٠) ، وجاء فى سفر هوشع « انى أريد رحمة لا ذبيحة ، ومعرفة الله أكثر من المحرقات » (هوشع ٦ : ٦) · وجاء فى سفر عاموس « انى اذا قدمتم لى محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت اليها » (عاموس ٥ : ٢) · وجاء فى سفر ميخا « بم أتقدم وأنحنى للاله العلى ؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة ؟ هل يسر الرب بألوف الكباش ، بربوات أنهار زيت ؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى ثمرة جسدى عن خطية نفسى ؟ ·· ماذا يطلب منك الرب الا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع الهك ؟ » (ميخا ٦ : ٦ ــ ٨) · وجاء فى سفر المزامير « يارب افتح شفتى فيخبر فمى بتسبيحك ، لأنك لا تسر بذبيحة والا فكنت أقدمها · بمحرقة لا ترضى · ذبائح الله هى روح منكرة ، (المزمور ٥١ : ١٥ ــ ١٧) ·

٢ ــ التطهير

كان لموضوع الطهارة والنجاسة شأنا كبيرا فى الشريعة اليهودية والمجتمع اليهودى ، على أساس أن طبيعة القداسة التى يتصف بها الله ترفض وتنبذ ما هو غير قدوس ، أى غير طاهر ،

أى نجس ، ومن ثم قال اللـه فى سفر اللاويين « كونوا قديسين لأنى أنا قدوس ، ولا تنجسوا أنفسكم » (اللاويين ١١ : ٤٤) • ولذلك طلب الله ممن يقتربون منه أن يدخلوا بيته ولا سيما الكهنة واللاويين ان يغتسلوا قبل اقترابهم أو دخولهم ، فأصبح هـذا الاغتسال من أهم الطقوس اليهودية ، وأصبح الاهمال فيه يستوجب الموت ،اذ جاء فى سفر الخروج « فقال الرب لموسى ها أنا آت اليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك •• اذهب الى الشعب وقدسهم اليوم وغدا وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين •• وليتقدس أيضا الكهنة الذين يقتربون الى الرب لئلا يبطش بهم الرب » (اللاويين ١٩ : ٩ ــ ٢٢) • وجاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلا خذ اللاويين من بين بنى اسرائيل وطهرهم • وهكذا تفعل لتطهيرهم • انضح عليهم مـاء الخطية وليمروا موسى على كل بشرتهم وغسلوا ثيابهم فيتطهروا » (العـدد ٨ : ٥ ــ ٧) • وجاء فى سفر الخروج « وكلم الرب موسى قائلا وتضع مرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال ، وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماء ، فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها • عند دخولهم الى خيمة الاجتماع يغسلون بماء لئلا يموتوا • أو عند اقترابهم الى المذبح للخدمة •• يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا • ويكون لهم فريضة أبدية لـه ولنسله فى أجيالهم » (الخروج ٣٠ : ١٧ ــ ٢١) • وجـاء فى سفر التثنية « اذا خرجت فى جيش على أعدائك فاحترز من كل شىء ردىء • ان كان فيك رجل غير طاهر من عارض الليل يخرج الى خارج المحلة ، ولا يدخل الى داخل المحلة • ونحو اقبال المساء يغتسل بماء ، وعند غروب الشمس يدخل الى داخل المحلة •• لأن الرب الهك سائر فى وسـط محلتك •• فلتكن محلتك مقدسة لئلا يرى فيك قذر شىء فيرجع عنك » (التثنية ٢٣ : ٩ ــ ١٢) •

ولم تكن قذارة البدن وحدها هي التي تنجس الانسان بهذا المعنى في الشريعة اليهودية ، وانما كانت هناك أسباب أخرى للنجاسة أهمها أن يمس الانسان الحي جثة ميت • اذ جـــاء في سفر العدد : « كل من مس ميتا ميتة انسان قد مات ولم يتطهر ينجس مسكن الرب ، فتقطع تلك النفس من اسرائيل •• هذه هي الشريعة • اذا مات انسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجسا سبعة أيام •• وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف أو ميتا أو عظم انسان أو قبرا يكون نجسا » (العدد ١٩ : ١٣ ـ ١٦) • وجـــاء في سفر اللاويين « وقال الرب لموسى كلم الكهنة بني هارون وقـل لهم لا يتنجس أحد منكم لميت في قومه الا لاقربائه الاقرب اليه أمـــه وأبيه وابنه وابنته وأخيه وأخته العذراء القريبة اليه التي لم تصر لرجل ، لاجلها يتنجس • كزوج لا يتنجس بأهله لتدنيسه •• والكاهن الاعظم •• لا يتنجس لابيه أو أمه » (اللاويين ٢١ : ١١ ـ ١١) • ولا يزول هذا النوع من النجاســة الا بطقوس معينة ، اذ جاء في سفر العدد « فيأخذون النجس من غبـــار حريق ذبيحة الخطية ويجعل عليه مـاء حيا في اناء ويأخذ رجل طاهر زوفا ويغمسها في الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الامتعة وعلى الانفس الـــذين كانوا هنـــاك وعلى الذي مس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر • ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع ، ويطهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحض بماء فيكون طاهرا في المساء • وأما الانســان الذي يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة لانه نجس مقدس الرب •• وكل ما مسه النجس يتنجس ، والنفس التي تمس تكون نجسة الى المساء » (العدد ١٩ : ١٧ ـ ٢٢) • ومن أهم أسباب النجاسة كذلك الاصابة بالبرص • فاذا أصاب هذا المرض انسانا وتحقق الكهنة من ذلك يضعـونه في مكان منعزل لانه يصبح نجسا ويصبح كل من مسه نجسا كذلك • حتى

اذا اتفق أن شفي من مرضه يعلن الكهنة ذلك بعد اجراء طقوس معينة ، اذ جاء في سفر اللاويين « هذه تكون شريعة الابرص يوم طهره · يؤتى به الى الكاهن ، ويخرج الكاهن الى خـــارج المحلة ، فان رأى الكاهن واذا ضربة البرص قد برئت من الابرص يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحـــد في اناء خزف على ماء حي · أما العصفور الحي فيأخذه من خشب الارز والقرمز والزوفا ويغمســـها مـــع العصفور الحي في دم العصفور المذبوح على الماء الحي وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء فيغسل المتطهر ثيابه ويحلق كل شـــعره ويستحم بماء فيطهر · ثم يدخل المحلة لكي يقيم خارج خيمته سبعة أيام · وفي اليوم السابع يحلق كل شعره ، رأسه ولحيته وحواجب عينيه وجميع شعره ، يحلق ويغسل ثيابه ويرحض جسده بماء فيطهر ·· الخ » (اللاويين ١٤ : ١ ــ ٢٠) · ومن أسباب النجاسة كذلك سيلان الدم الطبيعي والمرضى (اللاويين ١٥) · ولذلك تعتبر ولادة المرأة وطمثها سببا لنجاستها اذ جاء في سفر اللاويين « اذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام · كما في أيام طمث علتها تكون نجسة ·· ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما في دم تطهيرها · كل شيء مقدس لا تمس ، والى المقدس تجيء حتى لا تجيء حتى تطهيرها · كل شيء مقدس لا تمس ، والى المقدس لا تجيء حتى تكمل أيام تطهيرها · وان ولدت انثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمثها · ثم تقيم ستة وستين يوما في دم تطهيرها ·· ومتى كملت أيام تطهيرها لاجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حولي محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطيئة الى باب خيمة الاجتماع الى الكاهن فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها · هذه شريعة التي تلد ذكرا أو انثى ، وان لم تنل يدها كفاية لشاة

تأخذ يمامتين أو فرخي حمام الواحد محرقة والاخرى ذبيحة خطيئة فيكفر عنها الكاهن فتطهر » (اللاويين ١٢ : ١ ـ ٨) ٠

وقد ميزت الشريعة بين حيوانات وطيور اعتبرتها طاهرة ، وحيوانات وطيور اعتبرتها نجسة ، اذ جاء في سفر اللاويين « فتميزون بين البهائم الطاهرة والنجسة ، وبين الطيور النجسة والطاهرة ٠ فلا تدنسوا نفوسكم بالبهائم والطيور ولا بكل ما يدب على الارض مما ميزته لكم ليكون نجسا » (اللاويين ٢٠ : ٢٥) ٠ وجاء في سفر التثنية « لا تأكل رجسا ما ٠ هذه هي البهائم التي تأكلونها ٠ البقر والضأن والمعز والابل والظبي واليحمور والوعل والرئم والتيتل والمهاة ٠ وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفا وتقسمه ظلفين وتجتر فاياها لا تأكلون ، آلا هذه فلا تأكلونها مما يجترومما يشق الظلف المنقسم : الجمل والارنب والوبر لانها تجتر لكنها تشق ظلفا فهي نجسة لكم ٠ والخنزير لانه يشق الظلف لكنه يجتر فهو نجس لكم ٠ فمن لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا ٠ وهذا ما تأكلونه من كل ما في المياه : كل ما له زعانف وحرشف تأكلونه ٠ لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف لا تأكلوه ٠ انه نجس لكم ٠٠ كل طير طاهر تأكلون ٠ وهذا مالا تأكلون منه : النسر والانوق والعقاب والحدأة والباشق والشاهين على أجناسه ، وكل غراب على أجناسه ،والنعامة والظليم والسأف والباز على أجناسه ، والبوم والكركي والبجع والقوق والرخم والغواص واللقلق والببغاء على أجناسه والهدهد والخفاش ٠ وكل دبيب الطير نجس لكم ، لا يؤكل ، كل طير طاهر تأكلون » ٠ (التثنية ١٤ : ٣ ـ ٢٠) ٠ ويمكن حصر الحيوانات التي اعتبرتها الشريعة اليهودية نجسة في البهائم التي تجتر ولا تشق الظلف وتقسمه ظلفين (اللاويين ١١ : ٣ و ٤) ٠ وكل ما يمشي على كفوفه الأربع (العدد ٢٧) والطيور أكلة اللحوم (اللاويين ١١ : ١٣ ـ ١٩ ، التثنية ١٤ : ١٢ ـ ١٨) ٠

والحشرات المجنحة التى تدب على أربع الا ماله كراعان فـــوق رجليه يثب بهما على الأرض كالجراد وما شاكله (اللاويين ١١ : ٢ ـ ٢٣) ، وكل ما فى المياه وليس به زعانف وحرشف (العدد ٩ : ١٠) ، والدبيب (اللاويين ١١ : ٢٩ و ٣٠) كل ما يمشى منه على بطنه أو على أربع ، وما كثرت أرجله (العدد ٤١و٤٢) ٠ كما أن لحم الحيوانات التى اعتبرتها الشريعة طاهرة كانت قابلة لأن تتنجس فى بعض الأحوال ، ومن ذلك المقدم للأوثان والمخنوق وماماتت بنفسه أو افترسه حيوان أو طير جارح ٠ وقد حرمت الشريعة كذلك أكل دم الحيوان وشحمه لأنهما كانا مقدسين لله ، والذى يأكلهما عقوبته الموت (اللاويين ٣ : ١٧ ، ٧ : ٢٢ ـ ٢٧، ١٧ : ١٠ ـ ١٤) وكل من مس حيوانا من الحيوانات النجســة يظل نجسا الى المساء (اللاويين ١١ : ٤٤ ، ١٧ : ١٥) ٠

وتعتبر الشريعة اليهودية بعض الخطايا نجسة ، كالزنا ، اذ جاء فى سفر اللاويين ، لا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك لزرع فتتنجس بها » ٠ (اللاويين ١٨ : ٢٠) والقتل ، اذ جاء فى سفر اشعياء « لأن أيديكم تنجست بالدم » ٠ (اشعياء ٥٩ : ٣) ٠ وعبادة الاوثان ، اذ جاء فى سفر حزقيال « ولا يتنجسون بعــــد بأصنامهم » ٠ (حزقيال ٣٧ : ٢٣) ٠

٣ ـ المســـح

وكان من أبرز الطقوس اليهودية كذلك طقس المسح ، وهو صب الزيت أو الدهن المقدس على الشخص أو الشىء أو المكان لتكريسه لله ٠ وقد ورد فى سفر الخروج وصف لتركيب الدهن الذى خصص لمسح خيمة الاجتماع ومشتملاتها بعـــد أن تمت اقامتها ، اذ جاء فيه « وكلم الرب موسى قائلا وأنت تأخـــذ لك أفخر الاطياب : مرا قاطرا خمسمائة شاقل وقرفة عطرة نصف

ذلك مائتين وخمسين ، وقصب الذريرة مائتين وخمسين ، وسليخة خمسمائة بشاقل القدس ، ومن زيت الزيتون هينا . وتصنعه دهنا مقدسا ، عطر عطارة ، صنعة العطار • دهنا مقدسا للمسحة يكون ، وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل آنيتها والمنارة وآنيتها ومذبح البخور ومذبح المحرقة وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها وتقدسها لتكون قدس أقداس • كل ما مسها يكون مقدسا • وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى وتكلم بنى اسرائيل قائلا يكون هذا لى دهنا مقدسا للمسحة فى أجيالكم • على جسد انسان لا يسكب ، وعلى مقاديره لا تصنعوا مثله • مقدس هو ، ويكون مقدسا عندكم • كل من ركب منه ومن جعل منه على أجنبى يقطع من شعبه » • (الخروج ٣٠ : ٢٢ ـ ٣٣) •

وقد جرى التقليد لدى اليهود على أن يمسحوا الكهنة والأنبياء والملوك • وقد جاء عن مسح الكهنة فى سفر الخروج قول الله لموسى : « ولبنى هارون تصنع أقمصة •• وتلبس هارون أخاك اياها وبنيه معه وتمسحهم وتملأ أيديهم وتقدسهم ليكهنوا لى » (الخروج ٢٨ : ٤٠و٤١) • وجاء عن مسح الأنبياء فى سفر الملوك قول الله لايليا النبى « امسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك » • (الملوك الأول ١٩ : ١٦) • وجاء عن مسح الملوك فى سفر صموئيل « وكان عند طلوع الفجر أن صموئيل دعا شاول •• فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال •• الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا » • (صموئيل الأول ٩ : ٢٦ ، ١٠ : ١) •

٤ ـ التبخير

وكان التبخير من الطقوس التى تجب ممارستها بواسطة الكهنة فى خيمة الاجتماع أو الهيكل • وقد حددت الشريعة

طريقة تركيب البخور ، كما حددت أوصاف مذبح خاص للتبخير يسمى مذبح البخور ، اذ جاء في سـفر الخروج « وقال الرب لموسى خذ لك أعطارا : ميعة وأظفارا وقنة عطرة ولبانا نقيا ، تكون أجزاء متساوية ، فتصنعها بخورا عطرا صـنعة العطار مملحا نقيا مقدسا • وتسحق منه ناعما وتجعل منه قدام الشهادة في خيمة الاجتماع حيث أجتمع بك ، قدس أقداس يكون عندكم • والبخور الذى تصنعه على مقاديره لا تصنعوا لأنفسكم • يكون عندك مقدسا للرب • كل من صنع مثله ليشمه يقطع من شعبه •• وتصنع مذبحا لايقاد البخور • من خشب السنط تصنعه • طوله ذراع وعرضه ذراع • مربعا يكون • وارتفاعه ذراعان • منه تكون قرونه • وتغشيه بذهب نقي سطحه وحيطانه حواليه وقرونه • وتصنع له اكليلا من ذهب حواليه •• وتجعله قدام الحجاب الذى أمام تابوت الشهادة •• فيوقد عليه هارون بخورا عطرا كل صباح • حين يصلح السرج يوقده ، وحين يصعد هارون السرج فى العشية يوقده • بخورا دائما أمام الرب فى أجيالكم • لا تصعدوا عليه بخورا غريبا ولا محرقة أو تقدمة ، ولا تسكبوا عليه سكيبا •• قدس أقداس هو للرب » • (الخروج ٣٠ : ١ ـ ١٠) •

وكان عقاب من يقدم بخورا غير المنصوص عنه أو بغير الطريقة الشرعية هو الموت ، اذ جاء فى سفر اللاويين « وأخذ ابنا هارون ناداب وأبيهو كل منهما مجمرته وجعلا فيهما نارا ووضعا عليها بخورا وقربا أمام الرب نارا غريبة لم يأمرهما بها ، فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب » • (اللاويين ١٠ : ١و٢) •

ولم يكن جائزا لغير الكاهن اصعاد البخور ولو كان ملكا • وقد حدث كما جاء فى سفر أخبار الأيام أن عزيا ملك يهوذا

« ارتفع قلبه الى الهلاك وخان الرب الهه ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور ، ودخل وراءه عزريا الكاهن ومعه ثمانون من كهنة الرب بنى البأس وقاوموا عزيا الملك وقالوا له ليس لك يا عزيا أن توقد للرب بل للكهنة بنى هارون المقدسين للايقاد .. فحنق عزيا .. وعند حنقه على الكهنة خرج برص فى جبهته .. فطردوه من هناك .. وكان عزيا الملك أبرص الى يوم وفاته » . (أخبار الأيام الثانى ٢٦ : ١٦ ـ ٢١) .

٥ ـ الاضـــاءة

وقد أمرت الشريعة باضاءة بيت الله بمنائر باهرة الضـوء على اعتبار أن الله نور وساكن فى النور ، اذ جاء فى سفر الخروج « وكلم الرب موسى قائلا .. تصنع منارة من ذهب نقى عمل الخراطة تصنع المنارة قاعدتها وساقها . تكون كاساتها وعجرها وازهارها منها . وست شعب خارجة من جانبيها .. فى الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية بعجرة وزهر . وفى الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزية بعجر وزهر . وهـكذا الى الست الشعب الخارجة من المنارة . وفى المنارة أربع كاسات لوزية بعجـرها وأزهارها .. جميعها خراطة واحدة من ذهب نقى . وتصـنع سرجها سبعة ، فتصعد سرجها لتضىء الى مقابلها .. وملاقطها ومنافضها من ذهب نقى » . (الخروج ٢٥ : ١و٣١ ـ ٣٨) . وجاء فى سفر اللاويين « وكلم الرب موسى قائـلا أوص بنى اسرائيل أن يقدموا اليك زيت زيتون مرضوض نقيا للضوء لايقاد السرج دائما . خارج حجاب الشهادة فى خيمة الاجتماع يرتبها هارون من المساء الى الصباح أمام الرب دائما فريضة دهرية فى أجيالكم » . (اللاويين ٢٤ : ١ ـ ٣) . وقد صنع سليمان عشر منائر من ذهب وضعها فى هيكل أورشليم حين أقامه ، اذ جاء فى سفر الملوك « والمنائر خمسا عن اليمين وخمسا عن اليسار أمام

المحراب من ذهب خالص ، والسرج والملاقط من ذهب » . (الملوك الاول ٧ : ٤٩) . وحين هاجم نبوخذ نصر ملك بابل أورشليم وسبى اليهود أخذ معه هذه المنائر الى بابل . حتى اذا عاد اليهود بعد ذلك الى بلادهم ورمموا الهيكل ووضعوا فيه منارة واحدة ، وقد ظلت فيه الى أن أخذها القائد الرومانى تيطس الى روما سنة ٧٠ ميلادية ووضعها فى أحد الهياكل الوثنية .

٦ ــ الموسـيقى

كانت الشريعة اليهودية تعطى الغناء والموسيقى صـبغة مقدسة ، وتجعله فرضا من فروضها داخل بيت الله وخارجه . وقد جاء عن ذلك فى سفر أخبار الأيام « احمدوا الرب .. غنوا له » . (أخبار الايام الاول ١٦ : ٨و٩) . وجاء فى المزامير « رنموا للرب .. اهتفوا ورنموا وغنوا » . (المزمور ٩٨ : ١ ــ ٤) . وكان أغلب المغنين ومن يصاحبونهم من الموسيقيين من اللاويين . وقد قسم داود المغنين والموسيقيين الى أربع وعشرين فرقة ، تتألف كل منها من اثنى عشر رجلا ، وجعل على كل فرقة رئيسا يسمى رئيس المغنين . وكانت هذه الفرق تتناوب الخدمة فى الهيكل وفى المواسم والأعياد . وقد استمر هذا قائما حتى سبى البابليون اليهود فتوقف المغنون عن غنائهم ، وعلقوا أعوادهم على الصفصاف فى بابل ، علامة على حدادهم . ولما عاد عزرا الى أورشليم على رأس عدد من اليهود صحب معه مائتين من المغنين والمغنيات (أخبار الأيام الأول ٢٣ : ٥ ، ٢٥ ، أخبـار الايام الثانى ٥ : ١١و١٤ ، المزمور ١٣٧ : ٢ ، عزرا ٢ : ٣٢) .

وقد استخدم اليهود بمصاحبة الغناء كثيرا من آلات الموسيقى .. فكان منها ذوات الاوتار كالعود والمزمار والرباب والسنطير والقيثار ، ومنها آلات النفخ كالبوق والقرن والناى ، ومنها آلات

الضرب كالصنوج والدفوف والمثلثات . وكانوا أحيانا يقرنون الغناء والعزف بالرقص ، اذ جاء فى سفر الخروج أنه بعد أن عبر اليهود البحر الأحمر « أخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص » . (الخروج ١٥ : ٢٠) . وجاء فى سفر صموئيل « فذهب داود وأصعد تابوت الله من بيت عوبيد أدوم الى مدينة داود بفرح .. وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب .. فأصعد داود وجميع بيت اسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق . ولما دخل تابوت الرب مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب » . (صموئيل الثانى ٦ : ١٢ ـ ١٦) . وقد جاء فى سفر العدد عن استخدام البوق « وفى يوم فرحكم وفى أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكارا أمام الهكم » . (العدد ١٠ : ١ ـ ١٠) . وقد جاء فى سفر المزامير « سبحوا الله .. سبحوه بصوت الصور . سبحوه برباب وعود . سبحوه بدف ورقص . سبحوه بأوتار ومزمار . سبحوه بصنوج التهليل .. سبحوه بصنوج الهتاف . نسمة فلتسبح الرب » . (المزمور : ١ ـ ٦) .

٧ ـ الصلاة

كان اليهود يتلون فى دور عبادتهم الصلوات التى يضعها لهم أنبياؤهم وكهنتهم . وكانت الصلاة انفرادية أو جماعية . فمن أمثلة الصلاة الانفرادية صلاة ابراهيم لشفاء أبيمالك ملك جرير وعائلته (التكوين ٢٠ : ١٧) ، وصلاة اسحق من أجل زوجته العاقر لتلد (التكوين ٢٥ : ٢١) ، وصلاة يعقوب لينجيه الله من انتقام أخيه عيسو (التكوين ٣٢ : ٩ ـ ١٢) . وصلاة موسى ليصفح الله عن اليهود حين عبدوا العجل (التثنية ٩ : ١٨ ـ ٢٠)

وصلاة شمشون ليعينه الله على الانتقام من أعدائه (القضاة ١٦ : ٢٨) . وصلاة سليمان الى الله ليبارك الهيكل (الملوك الأول ٨ : ٢٢ ــ ٥٣) . ومن أمثلة الصلاة الجماعية صلاة اليهود حين تعقبهم فرعون بجيوشه (الخروج ١٤ : ١٠) وصلاتهم كفارة عن القتل (التثنية ٢١ : ٧ ــ ٨) وللشكر عند تقديم الباكورات (التثنية ٢٦ : ٥ ــ ١٠) وعند تقديم العشور (التثنية ٢٦ : ١٣ ــ ١٥) . وقد جرى تقليد اليهود على أن يؤدوا الصلاة فى الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة من النهار ، أى بتوقيتنا الحديث الساعة التاسعة صباحا والساعة الثانية عشرة ظهرا والساعة الثالثة بعد الظهر ، كما كانوا يصلون عند بداية الليل ونهايته ، وعند تناول الطعام (المزمور ٥٥ : ١٧ ، دانيال ٦ : ١٠ ، لوقا ١٨ : ١ ، الأعمال ٣ : ١ ، ١٠ : ٣ و٩و٣٠) .

وكان اليهود حين يشرعون فى الصلاة يخلعون أحذيتهم ويطأطئون رؤوسهم ويحنون أجسادهم ويسجدون حتى تمس رؤوسهم الأرض . وقد طلب الله السجود له اذ قال لموسى فى سفر الخروج « اصعد الى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل واسجدوا من بعيد » . (الخروج ٢٤ : ١) ، وقال « يقوم كل الشعب ويسجدون ، كل واحد فى باب خيمته ، (الخروج ٣٣ : ١٠) وقال داود النبى « اسجدوا للرب فى زينة مقدسة » (أخبار الايام الاول ١٦ : ٢٩) وجاء فى سفر أخبار الايام « فبارك كل الجماعة الرب اله آبائهم وخروا وسجدوا للرب » . (أخبار الايام الأول ٢٩ : ٢٠) .

وكان اليهود أثناء الصلاة يعصبون على جباههم أو سواعدهم اليسرى علبة صغيرة مكعبة الشكل من الجلد يسمونها العصابة، وكانت تحتوى على قصاصات من الورق أو الجلد مكتوب عليها أربع آيات من التوراة هى الخروج ١٢ : ٢ ــ ١٠ ، الخروج

١٣ : ١١ ــ ٢١ ، التثنية ٦ : ٤ ــ ٩ ، التثنية ١١ : ١٨ ــ ٢١ ٠
وقد اعتقد اليهود أن الله أمرهم بأن يفعلوا هذا حسب تفسيرهم الحرفى لما ورد فى سفر الخروج اذ جاء فيه « ويكون لك علامة على يدك وتذكارا بين عينيك لكى تكون شريعة الرب فى فمك ٠ فيكون علامة على يدك وعصابة بين عينيك » ٠ (الخروج ١٣ : ٩و١٣) ، وما ورد فى سفر التثنية اذ جاء فيه « لتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ٠٠ واربطها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك » ٠ (التثنية ٦ : ٦و٢٨) ، كما جاء فيه « فضعوا كلماتى هذه على قلوبكم ونفوسكم واربطوها علامة على أيديكم ولتكن عصائب بين عيونكم » ٠ (التثنية ١١ : ١٨) ٠٠

٨ ــ الصوم

لم يرد لفظ الصوم كفريضة فى الشريعة اليهودية ، وان كان مذكورا ضمن ما ينبغى على اليهود من الفروض فى يوم الكفارة مشارا اليه بعبارة « تذليل النفس » ، على اعتبار أن المقصود بذلك هو الصوم ، اذ جاء فى سفر اللاويين « أما العاشر فى هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة ٠ محفلا مقدسا يكون لكم تذللون نفوسكم و تقربون وقودا للرب » ٠ (اللاويين ٢٣ : ٢٧) ٠ وفى أيام زكريا النبى تقرر أن يصوم اليهود فى الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر (زكريا ٨ : ١٩) تذكارا لحصار أورشليم فى الشهر العاشر (الملوك الثانى ٢٥ : ١) ، وسقوطها فى الشهر الرابع (الملوك الثانى ٢٥ : ٣و٤) وخراب الهيكل فى الشهر الخامس (الملوك الثانى ٢٥ : ٨و٩) ومقتل جدليا واليهود الذين كانوا معه فى الشهر السابع (العدد ٢٥) ٠ وفضلا عن هذه الأصوام المفروضة كان ثمة صوم تطوعى ، ومن أمثلته أن موسى صام أربعين نهارا وأربعين ليلة (الخروج ٣٤ :

٢٨) ٠ وايليا صام أربعين نهارا وأربعين ليلة (الملوك الأول ١٩ : ٨) وداود صام سبعة أيام حين مرض ابنه (صموئيل الثانى ١٢ : ١٦ ـ ٢٠) ٠ وقد صام اليهود جميعا فى عهد صموئيل النبى ندما أمام الله على عبادتهم الأوثان (صموئيل ٧ : ٦) كما صاموا فى عهد يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا ليغفر الله خطاياهم (ارميا ٣٦ : ٩) ، وصاموا فى عهد عزرا ليساعدهم الله (عزرا ٨ : ٢١ ـ ٢٣) ، وصاموا فى عهد نحميا تكفيرا عن آثامهم (نحميا ٩ : ١ ـ ٣) ، وكان الأنبياء يحبذون الصوم اذلالا للنفس وابتهالا الى الله ، وتهيئة للنفس للاحسان وعمل الخير ، اذ قال داود النبى « أذللت بالصوم نفسى » (المزمور ٣٥ : ١٣) وقال « أبكيت بصوم نفسى » (المزمور ٦٩ : ١٠) ٠ وقد ندد اشعياء النبى بالصوم غير الصادق الذى كان اليهود يهدفون من ورائه الى مجرد التظاهر والرياء ليمدحهم الناس ويبجلوهم ويصفوهم بالورع والتقوى ، اذ جاء فى سفر اشعياء « ارفع صوتك كبوق واخبر شعبى بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم ٠٠ يقولون لماذا صمنا ولم تنظر ، ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ ٠ ها انكم فى يوم صومكم توجدون مسرة ، وبكل أشغالكم تسخرون ٠ ها انكم للخصومة والنزاع تصومون ٠٠ لستم تصومون كما اليوم لتسميع صوتكم فى العلاء ٠ أمثل هذا يكون صوم أختاره ؟ يوما يذلل الانسان فيه نفسه ، يحنى كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسحا ورمادا ؟ هل تسمى هذا صوما ويوما مقبولا للرب ؟ أليس هذا صوما أختاره : حل قيود الشر ، فك عقد النير واطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير ؟ أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين الى بيتك ؟ اذا رأيت عريانا أن تكسوه ، وأن لا تتغاضى عن لحمك ؟ » ٠ (اشعياء ٢٨ : ١ ـ ٧) ٠

وكان الصوم يقتضى الانقطاع عن الطعام من غروب الشمس الى الغروب التالى ٠ وكان المتدينون يضعون أثناءه المسوح على

أجسامهم ، ويهيلون الرماد على رؤوسهم ويتركون أيديهم غير مغسولة ، ثم يروحون يصرخون متضرعين باكين (اشعياء ٢٢ : ١١ ، يوئيل ٢ : ١٥ ـ ١٧) ٠

٩ ـ الختــان

الختان هو قطع لحم الغرلة في الذكور ، كوسيلة من وسائل التطهير ، وقد كان الختان من أوائل الطقوس التي عرفها اليهود منذ نشأتهم ٠ فقد ورد في سفر التكوين أن الله أوصى به جدهم الأول ابراهيم ، اذ جاء في هذا السفر « قال الله لابراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم ٠ هــذا هو عهدى الذى تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك : يختتن منكم كل ذكر ، فتختتنون في لحم غرلتكم ، فيكون علامــة عهد بيني وبينكم ٠ ابن ثمانية أيام يختتن منــكم كل ذكر في أجيالكم ٠٠ يختتن وليــد بيتك والمبتــاع بفضتك ، فيكون عهدى في لحمكم عهدا أبديا ٠ وأما الذكر الذى لا يختتن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها ٠ انه قد نكث عهدى ٠٠٠ فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته ٠كل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلتهم فيذلك اليوم عينه كما كلمه الله ٠ وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته » ٠ (التكوين ١٧ : ٩ ـ ١٤و٢٣ ـ ٢٥) ٠٠ ثم تجددت شريعة الختان على يد موسى النبي ، اذ جاء في سفر اللاويين « وكلم الرب موسى قائلا اذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام ٠٠ وفي اليوم الثامن يختتن لحم غرلته » (اللاويين ١٢ : ١ ـ ٣) ٠ وقد حافظ اليهود على الختان ، غير أنهم أهملوه أثناء وجودهم في صحراء سيناء ٠ ولكنهم حين دخلوا أرض كنعان اختتنوا جميعا ، اذ جاء في سفر يشوع « في ذلك الوقت قال الرب ليشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعـد

فاختن بنى اسرائيل ثانية ، فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بنى اسرائيل فى تل القلف ٠٠ ان جميع الشعب الخارجين من مصر ٠٠ كانوا مختونين ٠ وأما جميع الشعب الذين ولدوا فى القفر على الطريق بخروجهم من مصر فلم يختنوا ٠٠ فاياهم ختن يشوع لانهم كانوا غلفا » ٠ (يشوع ٥ : ٢ ـ ٧) ٠

وكان فرضا على أى أجنبى اذا اعتنق الدين اليهودى أو تزوج من يهودية أن يختتن مهما كان قد بلغ من العمر ، اذ جاء فى سفر التكوين « فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر ٠٠ لأنه كان قد نجس دينة أختهم ٠ فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر ٠ أن نعطى أختنا لرجل أغلف ، لأنه عار لنا ، غير أننا بهذا نواتيكم : ان صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ٠٠ فحسن كلامهم فى عينى حمور وفى عينى شكيم ٠٠ وكلما أهل مدينتهما ٠٠ واختتن كل ذكر » (التكوين ٣٤ : ٧ ـ ٢٤) ٠

ولم يكن مسموحا لأحد بأن يصنع الفصح أو يأكله الا اذا كان مختونا ، اذ جاء فى سفر الخروج « اذا نزل عندك نزيل وصنع فصحا للرب فليختتن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه ٠٠ وان كل أغلف فلا يأكل منه » (الخروج ١٢ : ٤٨) ٠

وكان الذى يقوم بعملية الختان فى بداية الأمر هو رب الأسرة ٠ ولكنهم لم يلبثوا أن خصصوا لها شخصا يسمى «الخاتن» وكان يقوم بها فى الهيكل أو فى المجمع مع بعض الطقوس والمراسيم ٠٠

وكان اليهود يعتزون بفريضة الختان ، وبأنهم مختونون ، فكانوا يسمون أنفسهم « أهل الختان » ، وكانوا يحتقرون غير المختونين فيسمونهم « أهل الغرلة » ٠

ويتبين لنا مما سلف أن اليهود كانوا يجعلون للطقوس الدينية الاهمية الاولى فى عبادتهم لله ، مكتفين بناحيتها الشكلية ، مع أن المقصود منها أن تكون مجرد رموز أو مظاهر للعبادة الحقيقية ، التى هى فى جوهرها اتجاه الروح نحو الله ، وحبها له ، وخضوعها لمشيئته ، ونزوعها الى عفوه وغفرانه ، وتطلعها الى درجة من الطهارة والقداسة تتيح لها أن تكون مستحقة لأن تقترب منه وتنال رضاءه ، ولكن اليهود قنعوا بالمظهر دون الجوهر ، لأنهم اعتقدوا أن استيفاء المظهر كاف لتبرير خطاياهم واعفائهم من عواقب آثامهم • وقد كانت هذه الخطايا والآثام عزيزة عليهم بحيث كانوا عاجزين عن اجتنابها أو التخلى عنها ، ولو أدى بهم ذلك الى اغضاب ربهم ، بل والى تجنبهم اياه وتخليهم عن عبادته • وقد رأينا أنهم كانوا لهذا السبب وفى كل أطوار تاريخهم لا يعبدون الله وانما يعبدون الأصنام •

الفصل الخامس

الشريعة اليهودية

الشريعة اليهودية ، هى شريعة الله التى فرض على اليهـود العمل بها كقانون لهم ، ولذلك اتخذت كذلك اسم « الناموس » وهو لفظ من أصل يونانى معناه القانون · والشريعة أو الناموس اصطلاح كان يطلق فى الأصل على أسفار موسى النبى وحدها ، ولذلك كانت تسمى شريعة موسى أو ناموس موسى (الخـروج ٢٠ : ١٩ ـ ٢٢ ، يشوع ٢٤ : ٢٦) · بيد أن هذا الاصطلاح أصبح يطلق على العهد القديم كله من الكتاب المقدس (يوحنـا ١٢ : ٣٤ ، كورنثوس الاولى ١٤ : ٢١) ·

وكانت أسفار موسى كذلك تسمى التوراة ، ثم أصبح هـذا الاسم يطلق بالمعنى الواسع على العهد القديم كله · وقد استعملناه نحن بهذا المعنى الواسع فى كل فصول هذا الكتاب ·

وقد كان حجر الأساس فى الشريعة اليهودية هـو الوصايا العشر ، التى جاء فى سفر الخروج أن الله أعطاها لموسى النبى مكتوبة على لوحين من الحجارة (الخروج ٢٤ : ١٢ ـ ١٨ ، ٣١ : ١٨ ، ٣٢ : ١٥ ـ ١٩ ، ٣٤ ـ : ١ ـ ٢٣٥)·وهذا هو نص هذه الوصايا كما ورد فى سفر التثنية : « أنا هو الرب الهك الذى

أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية • لا يكن لك آلهة أخرى أمامى • لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل ، وما فى الماء من تحت الأرض • لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأنى أنا الرب الهك اله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الابناء وفى الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضوننى ، وأصنع احسانا الى ألوف من محبى وحافظى وصاياى • لا تنطق باسم الرب الهك باطلا ، لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا • احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب الهك • ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك • وأما اليوم السابع فسبت للرب الهك ، لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ، ونزيلك الذى فى أبوابك لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك • واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة . لأجل ذلك أوصاك الرب الهك أن تحفظ يوم السبت ، أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب الهك لكى تطول أيامك ولكى يكون لك خير على الأرض التى يعطيك الرب الهك • لا تقتل • لا تزن • لا تسرق • ولا تشهد على قريبك شهادة زور ، ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك • لا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك» (التثنية ٥ : ٦ ـ ٢١) •

وقد تعددت فى التوراة النصوص التى توصى اليهود بالتزام هذه الشريعة والعمل بها والمحافظة عليها • ومن ذلك ما ورد فى سفر التثنية اذ جاء فيه « اسمع يا اسرائيل • الرب الهنا رب واحد ، فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك • ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم واربطها علامة على يدك ولتكن

عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك » • (التثنية ٦ : ٤ ـ ٩) • وجاء فى سفر يشوع « وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا كن متشددا وتشجع جدا لكى تحتفظ للعمل حسب كل الشريعة التى أمرك بها موسى عبدى •• لا تحد عنها يمينا ولا شمالا لكى تفلح • حينما تذهب لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك » • (يشوع ١ : ١ ـ ٨) •

وقد تضمنت الشريعة نصوصا مختلفة الأغراض بحيث يمكن تقسيمها الى شريعة طقسية وشريعة أدبية وشريعة جنائية وشريعة مدنية • بيد أنه لما كانت كلها ملزمة بدرجة واحدة ، وجهة القضاء فى نظرها واحدة ، والعقوبات على مخالفتها متشابهة ، يغدو هذا التقسيم لها غير ذى فائدة كبيرة • ولما كنا على أى حال قد سبق أن درسنا الشريعة الطقسية فى الفصل السابق الخاص بالطقوس اليهودية ، ولما كانت أحكام الشريعة الأدبية تتضمن فرض عقوبات جنائية على مخالفتها ، بحيث أصبحت تدخل ضمن الشريعة الجنائية ، فاننا سندرس فيما يلى الشريعة الجنائية ، ثم الشريعة المدنية • وقد أدخلنا ضمن هذه الأخيرة الاحكام الخاصة بالاحوال الشخصية والمواريث ، لأن القوانين الحديثة تجعلها من اختصاص المحاكم المدنية • ثم نتكلم بعد ذلك عن جهات القضاء المختصة بنظر ما يقع من مخالفات للشريعة اليهودية بصفة عامة •

١ ـ الشريعة الجنائية

ا ـ الجرائم :

نصت الشريعة اليهودية على أفعال اعتبرتها جرائم تستوجب العقاب على ارتكابها • ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من هذه

الجرائم هى : الجرائم ضد الله ، والجرائم ضد النفس ، والجرائم ضد المال ٠

١ ـ الجرائم ضد الله :

فالجرائم التى نصت عليها الشريعة ضد الله كثيرة جدا ، وأغلبها يتمثل فى مخالفة الترتيبات الطقسية الموضوعة للخدمة الدينية فى خيمة الاجتماع ثم بعد ذلك فى هيكل أورشليم ، ومن أمثلة هذه الجرائم :

(١) التجديف على الله تعالى ، أى الكفر به أو توجيه عبارات السب اليه ٠ وعقوبة هذه الجريمة هى الرجم (اللاويين ٢٤ : ١٠ ـ ١٤) ٠

(٢) عبادة الأصنام أو الآلهة الأجنبية من دون الله ، فاذا ارتكب شخص هذه الجريمة يرجم ، واذا ارتكبها سكان مدينة بأمرها يقتلون بالسيف وتحرق مدينتهم (العدد ٢٥ : ١ ـ ٥ ، التثنية ١٣ : ٦ ـ ١٨ ، ١٧ : ٢ ـ ٧) ٠

(٣) تدنيس السبت ، وذلك بالقيام فيه بأى عمل ، اذ جاء فى سفر الخروج « فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم ٠ من دنسه يقتل قتلا ٠٠ كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل قتلا » ٠ (الخروج ٣١ : ١٢ ـ ١٧) ٠ وكانت عقوبة القيام بأى عمل فى يوم السبت هى الرجم ٠ (العدد ١٥ : ٣٢ ـ ٣٦) ٠

(٤) القيام بأى عمل فى يوم الكفارة ، أو عدم تذليل النفس بالصوم فى ذلك اليوم ، اذ جاء فى سفر اللاويين « أما العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة ٠٠ عملا لا تعملوا فى هذا اليوم ٠٠ ان كل نفس لا تتذلل فى هذا اليوم عينه تقطع من

شعبها ، وكل نفس تعمل عملا فى هذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها » . (اللاويين ٢٣ : ٢٦ ـ ٣٢) .

(٥) ترك عمل الفصح ، أى عدم القيام بالطقوس المفررة فى ذلك العيد ، اذ جاء فى سفر العدد « من كان طاهرا وليس فى سفر وترك عمل الفصح تقطع تلك النفس من شعبها لأنها لم تقرب قربان الرب فى وقته » . (العدد ٩ : ١٣) .

(٦) ذبح الذبائح بعيدا عن خيمة الاجتماع أو هيكل أورشليم ، اذ جاء فى سفر اللاويين ، كل انسان من بيت اسرائيل ومن الغرباء الذين ينزلون فى وسطهم يصعد محرقة أو ذبيحة ولا يأتى بها الى باب خيمة الاجتماع ليصنعها للرب يقطع ذلك الانسان من شعبه » . (اللاويين ١٧ : ٨و٩) .

(٧) الأكل من ذبيحة السلامة فى اليوم الثالث ، اذ جاء فى سفر اللاويين « متى ذبحتم ذبيحة سلامة للرب .. يوم تذبحونها تؤكل ، وفى الغد . والفاضل الى اليوم الثالث يحرق بالنار .. من أكل منها يحمل ذنبه .. فتقطع تلك النفس من شعبها » . (اللاويين ١٩ : ٥ ـ ٨) .

(٨) أكل الدم وشحم الذبائح ، اذ جاء فى سفر اللاويين « كل انسان من بيت اسرائيل ومن الغرباء النازلين فى وسطكم يأكل دما ، أجعل وجهى ضد النفس الآكلة الدم وأقطعها من شعبها ، لأن نفس الجسد هى فى الدم ، فأنا أعطيتكم اياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم ، لأن الدم يكفر عن النفس » . (اللاويين ١٧ : ١٠ و ١١) . وجاء فيه « ان كل من أكل شحما من البهائم التى يقرب منها وقودا للرب تقطع من شعبها » . (اللاويين ٧ : ٢٥) .

(٩) اقتراب النجس الى الأقداس ، اذ جاء فى سفر اللاويين « كل انسان من جميع نسلكم اقترب الى الاقداس التى يقدسها بنو اسرائيل للرب ونجاسته عليه تقطع تلك النفس من أمامى » (اللاويين ٢٢ : ٣) ٠

(١٠) السحر والعرافة واستخدام الجان والتوابع وما فى حكم ذلك ، اذ جاء فى سفر الخروج « لا تدع ساحرة تعيش » ٠ (الخروج ٢٢ : ١٨) ٠ وجاء فى سفر اللاويين « النفس التى تلتفت الى الجان والى التوابع لتزنى وراءهم أجعل وجهى ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها ٠٠ اذا كان فى رجل أو امرأة جان أو تابعة فانه يقتل ، بالحجارة يرجمونه » ٠ (اللاويين ٢٠ : ٦و٢٧) ٠ وجاء فى سفر التثنية « لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى ، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب » ٠ (التثنية ١٨ : ٩ ـ ١٣) ٠

٢ ـ الجرائم ضد النفس :

وقد نصت الشريعة على عقوبات محددة على ارتكاب الجرائم ضد النفس التى كانت شائعة بين اليهود ومنها :

(١) القتل ، اذ جاء فى الوصايا العشر « لا تقتل » (التثنية ٥ : ١٧) ، وجاء فى سفر العدد « ان القاتل يقتل » ٠ (العدد ٣٤ : ٩) ٠ على أن الشريعة فرقت بين القتل العمد والقتل غير العمد والقتل غير المباشر والقتل المشروع ٠ وقد اعتبرت القتل عمدا فيما اذا ضرب القاتل المجنى عليه بأداة حديدية أو بأداة خشبية أو بحجر ، أودفعه أو لكمه أو ألقى عليه شيئا فى عداوة فمات ٠ فعقابه فى هذه الحالة هو القتل (العدد ٣٥ : ١٦ـ٢١) ٠

ولا تثبت جريمة القتل العمد الا بشـــهادة شـــاهدين أو أكثر فلا تثبت بشهادة شاهد واحد (العدد ٣٥ : ٣٠) • ولا يجوز فى هذه الحالة افتداء القاتل بالمـــال ، « لأن الدم يدنس الارض ولا يكفر لأجل الدم الذى سفك فيها الا بدم سافكه » • (العــدد ٣٥ : ٣١ ــ ٣٤) • والذى يقتل القاتل فى هذه الحالة هـــو « ولى الدم » أو « منتقم الدم » وهو أقرب الأقرباء الى القتيل •• أما القتل غير العمد فيكون اذا ألقى القاتل على القتيل شيئا ، أو أسقط عليه حجرا بغير تعمد ، أو دفعه فجأة بغير عداوة أو بغير علم فمات ، دون أن يكون قاصدا أذيته • أو كان يحتطب فأفلت الحديد من فأسه وأصاب القتيل بغير قصد فمات • وفى هذه الحالة سمحت الشريعة للقاتل بأن يهرب مـــن ولى الدم الى أحد مدن الملجأ التى حددتها لهذا الغرض ، حتى تجرى محاكمته ، فاذا ثبتت براءته من القتل العمد أبيحت له الاقامة فى مدينـــة الملجأ حتى يموت رئيس الكهنة القائم فى ذلك الوقت ، فعنـــد موته يرجع الى موطنه • فاذا خرج من مدينة الملجأ قبل مـــوت رئيس الكهنة ووجده ولى الدم وقتله ذهب دمه هدرا ، اذ لا يجب فى هذه الحالة القصاص من قاتله (العــــدد ٣٥ : ٢٢ ــ ٢٨ ، التثنية ١٩ : ٤و٥) • وقد ورد عن مدن الملجأ فى سفر العدد « كلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم انكم عابرون الأردن الى أرض كنعان ، فتعينون لأنفسكم مدنا تكون مدن ملجأ لكم ليهرب اليها القاتل الذى قتل نفسا سهوا ، فتكون لكم المدن ملجأ من الولى لكيلا يموت القاتل حتى يقـــف أمام الجمـــاعة للقضاء » • (العدد ٣٥ : ٩ ــ ١٢) وجـــاء فى سفر يشـــوع « فقدسوا قادش فى الجليل •• وقرية أربع التى هى حبرون فى جبل يهوذا •• وفى عبر أردن أريحا نحو الشرق اجعلوا باصر •• وراموت فى جلعاد •• وجولان فى باشان •• هذه هى مدن الملجأ لكل بنى اسرائيل ، وللغريب النازل فى وسطهم لكى يهرب اليها كل ضارب نفس سهوا فلا يموت بيد ولى الدم حتى يقف أمـــام

الجماعة » • (يشوع ٢٠ : ٧ ـ ٩) • ومن ثم كان ثمة ست مدن للملجأ ، ثلاث منها شرقي الأردن والثلاث الأخرى غـــربي الاردن ، وكانت كلها من المدن المخصصة للاويين ـ وأما القتــل غير المباشر فيحدث اذا نطح ثور انسانا فمات وكان الثور معروفا بأنه نطاح ، فحينئذ يرجم الثور ويقتل صاحبه ، أو يدفع الفدية التي يفرضها ولي الدم ، الا اذا كان القتيل عبدا فلا يقتل عندئذ صاحب الثور وانما يدفع لسيد العبد ثلاثين شاقل فضة • أما اذا كان الثور غير معروف بأنه نطاح ونطح انسانا فقتله ، فيرجم الثور ولا يؤكل لحمه ، ويكون صاحبه بريئـــا (الخروج ٢١ : ٢٨ ـ ٣١) • وكذلك اذا أهمل انسان بناء حائط بسطح بيتـه وسقط منه انسان فمات ، كان صاحب البيت مسئولا عن موته مسئولية القاتل (التثنية ٢٢ : ٨) ـ وأما القتل المشروع فهو الذى يتم تنفيذا للحكم بالموت ، أو اذا خرج القاتل من مدينـة الملجأ قبل موت رئيس الكهنة فوجده ولى الدم وقتله ، أو اذا ضبط انسان لصا وهو ينقب بيته ليلا فقتله ، ولكنه اذا قتله نهـــارا يعاقب عقاب القاتل (الخروج ٢٢ : ٢و٣) • كما تقضى الشريعة بوجوب قتل الأعداء فى الحرب (صموئيل الاول ١٥ : ٣) •• أما فى حالة ما اذا كان القاتل مجهولا ، فقد جاء فى سفر التثنية « اذا وجد قتيل فى الارض التى يعطيك الرب الهك لتمتلكهـا واقعا فى الحقل لا يعلم من قتله ، يخـــرج شيوخك وقضـاتك ويقيسون الى المدن التي حول القتيل • فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تجر بالنير وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة الى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عن العجلة فى الوادى • ثم يتقدم الكهنة بنى لاوى •• ويباركوا باسم الرب حسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة ، ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق فى الوادى ويصرحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر • اغفر

لشعبك اسرائيل الذى فديت يا رب ولا تجعل دم برىء فى وسط شعبك فيغفر لهم الدم » . (التثنية ٢١ : ١ ـ ٩) .

(٢) الضرب ، اذ جاء فى سفر الخروج « اذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة ولم يقتل بل سقط فى الفراش ، فان قام وتمشى خارجا على عكازه يكون الضارب بريئا ، الا أنه يعوض عطلته وينفق على شفائه . واذا ضرب انسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه . لكن ان بقى يوما أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله » . (الخروج ٢١ : ١٨ ـ ٢١) . فاذا أدى الضرب الى عاهة مستديمة فى المجنى عليه كان له أن يقتص من الجانى بمثل ما فعل به ، اذ جاء فى سفر اللاويين « اذا أحدث انسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به . كسر بكسر ، وعين بعين ، وسن بسن . كما أحدث عيبا فى الانسان كذلك يحدث فيه » . (اللاويين ٢٤ : ١٩و٢٠) وجاء فى سفر التثنية « نفس بنفس . عين بعين . سن بسن . يد بيد . رجل برجل » . (التثنية ٢٠ : ٢١) . أما بالنسبة للعبيد فقد جاء فى سفر الخروج « اذا ضرب انسان عين عبده أو عين أمته فأتلفها يطلقه حرا عوضا عن عينه ، وان أسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حرا عوضا عن سنه » . (الخروج ٢١ : ٢٦ و ٢٧) .

(٣) الامساك بالعورة ، اذ جاء فى سفر التثنية « اذا تخاصم رجلان بعضهما بعضا ، رجل وأخوه ، وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص زوجها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته ، فاقطع يدها ولا تشفق عينك » . (التثنية ٢٥ : ١١و١٢) .

(٤) اجهاض الحامل ، اذ جاء فى سفر الخروج « اذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاء .. وان حصلت

أذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض » • (الخروج ٢١ : ٢٢ ـ ٢٥) •

(٥) ويدخل فى حكم الجرائم ضد النفس فى الشريعة اليهودية جريمة سب الأبوين أو ضربهما أو التمرد عليهما ، وعقوبة هذه الجرائم هى الموت ، اذ جاء فى سفر اللاويين « كل انسان سب أباه أو أمه فانه يقتل •• دمه عليه » • (اللاويين ٢٠ : ٩) وجاء فى سفر الخروج « من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا » • (الخروج ٢١ : ١٥) • وجاء فى سفر التثنية « اذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما ، يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به الى شيوخ مدينته والى باب مكانه ، ويقولان لشيوخ مدينته ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير ، فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت ، فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل اسرائيل فيخافون » • (التثنية ٢١ : ١٨ ـ ٢١) •

(٦) كما يدخل فى حكم الجرائم ضد النفس فى الشريعة اليهودية جريمة الزنا ، اذ جاء فى الوصايا العشر « لا تزن •• لا تشته امرأة قريبك » • (الخروج ٢٠ : ١٤و١٧) • وجاء فى سفر اللاويين « اذا زنى رجل مع امرأة فاذا زنى مع امرأة قريبه فانه يقتل الزاني والزانية • واذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه •• يقتلان كلاهما •• واذا اضطجع رجل مع كنته فانهما يقتلان كلاهما •• واذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا • انهما يقتلان •• واذا اتخذ رجل امرأة وأمها •• بالنار يحرقونه واياهما •• واذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فانه يقتل والبهيمة تميتونها • واذا اقتربت امرأة الى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة •• واذا أخذ رجل أخته بنت أبيه

أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت عورته .. يقطعان أمام أعين بنى شعبهما .. واذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها ، عرى ينبوعها ، وكشفت هى ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما .. عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف . انه قد عرى قريبته . يحملان ذنبهما . واذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه . يحملان ذنبهما ، يموتان عقيمين . واذا آخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة . قد كشف عورة أخيه . يكونان عقيمين » . (اللاويين ٢٠ : ١٠ ـ ٢١) . وجاء فيه « اذا تدنست ابنة كاهن بالزنا فقد دنست أباها . بالنار تحرق» (اللاويين ٢١ : ٩) . وجاء فى سفر التثنية « اذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة » . (التثنية ٢٢ : ٢٢) . وجاء فيه « اذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما الى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه .. ولكن ان وجد الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده ، وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئا . ليس على الفتاة خطية للموت ، بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلا ، هكذا هذا الأمر ، انه فى الحقل وجدها فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها » . (التثنية ٢٢ : ٢٣ ـ ٢٧) . ومن ذلك يتبين أن جريمة الزنا التى تعاقب الشريعة عليها بالموت هى التى تقع على امرأة متزوجة أو مخطوبة ، وأما التى تقع على الفتاة العذراء غير المخطوبة فقد جاء عنها فى سفر التثنية « اذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجدا يعطى الرجل الذى اضطجع معها لأبى الفتاة خمسين من الفضة وتكون هى زوجته من أجل أنه أذلها . لا يقدر أن يطلقها كل أيامه » . (التثنية ٢٢ : ٢٨و٢٩) . واذا اكتشف الرجل

عقب زواجه أن المرأة التي تزوج بها غير عذراء بسبب زناها تقضي الشريعة بموتها • أما اذا اتضح أنه كاذب فى دعــواه يعاقب ، اذ جاء في سفر التثنية « اذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها أبغضها •• وقال هذه المرأة اتخذتها ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة ، يأخذ الفتاة أبوها وأمها ويخرجان علامة عذرتها الى شيوخ المدينة •• فيأخذ شيوخ المدينة الرجل ويؤدبونه ويغرمونه بمائة من الفضة ويعطونها لأبى الفتاة لأنه أشاع اسما رديئا عن عذراء •• فتكون له زوجة • لا يقدر أن يطلقها كل أيامه • ولكن ان كان هذا الأمر صحيحا ، لم توجد عذرة للفتاة ، يخرجون الفتاة الى باب بيت أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت ، لأنها عملت قباحة فى اسرائيل بزناها فى بيت أبيها » • (التثنية ٢٢ : ١٣ ـ ٢١) •

(٧) ويدخل فى حكم جرائم النفس أيضا شهادة الزور ،لأنها ربما تؤدى الى موت انسان برىء ، أو اصابته بضرر بليغ ، اذ جاء فى الوصايا العشر « لا تشهد على قريبك شهادة زور » • (الخروج ٢٠ : ١٦) وجاء فى سفر التثنية « اذا قام شـاهد زور على انسان ليشهد عليه بزيغ ، يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة أمام الرب ، أمام الكهنة والقضاة الذين يكونون فى تلك الأيام ، فان فحص القضاة جيدا واذا الشاهد شاهد كاذب قد شهد بالكذب على أخيه ، فافعلوا به كما نوى أن يفعل بأخيه ، فتنزعون الشر من وسطكم •• ويسمع الباقون فيخافون ولا يعودون يفعلون مثل ذلك الأمر الخبيث فى وسطك • لا تشفق عينك • نفس بنفس • عين بعين • سن بسن • يد بيد • رجل برجل • (التثنية ١٩ : ١٦ ـ ٢١) •

(٨) وفى حكم شهادة الزور الارتشاء ، لأنه ربمـا أدى الى ادانة الأبرياء ، اذ جاء فى سفر الخروج ، لا تأخذ رشـوة ، لأن

الرشوة تعمى المبصرين وتعوج كلام الابرار » • (الخروج ٢٣ : ٨) • وجاء فى سفر التثنية « ملعون من يأخذ رشوة لكى يقتل نفس دم برىء » • (التثنية ٢٧ : ٢٥) • وجاء فى سفر الأمثال « الشرير يأخذ الرشوة •• ليعوج طرق القضاء » • (الأمثال ١٧ : ٢٣) • وجاء فى سفر حزقيال « أخذوا الرشوة لسفك الدم » • (حزقيال ٢٢ : ١٢) •

٣ ـ الجرائم ضد المال :

وقد نصت الشريعة اليهودية على عدد من الجرائم ضد المال وحددت العقاب الذى يستحقه من يرتكبونها ، ومن هذه الجرائم :

(١) السرقة ، اذ جاء في الوصايا العشر ، لا تسرق • (الخروج ٢٠ : ١٥) • وجاء في سفر الخروج « من سرق انسانا وباعه أو وجد فى يده يقتل قتلا » • (الخروج ٢١ : ١٦) • وجاء فى سفر التثنية « اذا وجد رجل قد سرق نفسا من اخوته بنى اسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق » • (التثنية ٢٤ : ٧) • وجاء فيه « اذا سرق انسان ثورا أو شاة فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران ، وعن الشاة بأربعة من الغنم • ان وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم • ولكن ان أشرقت عليه الشمس فله دم • ان لم يكن له بيع بسرقته • ان وجدت السرقة فى يده حية ، ثوراً كانت أم حمارا أم شاة يعوض باثنين » (الخروج ١٢ : ١ ـ ٤) • وجاء فى سفر الأمثال « لا يستخفون بالسارق ولو سرق ليشبع نفسه وهو جوعان •ان وجد يرد سبعة أضعاف ويعطى كل قنية بيته » • (الأمثال ٦ : ٣٠و٣١) • وفيما يتعلق بسرقة الوديعة جاء فى سفر الخروج « اذا أعطى انسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفظ فسرقت من بيت الانسان فان وجد السارق يعوض باثنين ، وان لم يوجد السارق يقدم

صاحب البيت الى الله ليحكم هل لم يمد يده الى ملك صاحبه · في كل دعوى جناية من جهة ثور أو حمار أو شـــاة أو ثوب أو مفقود ما يقال ان هذا هو ، تقدم الى الله دعواهما ، فالذى يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين · اذا أعطى انسان صاحبـــه حمارا أو ثورا أو شاة أو بهيمة ما للحفظ فمات أو انكسر أو نهب وليس ناظر ، فيمين الرب تكون بينهما ، هل لم يمد يده الى ملك صاحبه ، فيقبل صاحبه فلا يعوض · وان سرق من عنده يعوض صاحبه · ان افترس يحضره شهادة · لا يعوض عن المفترس » · (الخروج ٢٢ : ٧ ـ ١٣) ·

(٢) خيانة الأمانة والسلب والاغتصاب والاستيلاء عـــلى اللقطة ، اذ جاء فى سفر اللاويين « اذا أخطأ أحد وخان خيـانة الرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبا أو اغتصب مـــن صاحبه أو وجد لقطة وجحدها وحلف كاذبا على شيء من كل مـا يفعله الانسان مخطئا به ، فاذا أخطأ وأذنب يرد المسلوب الذى سلبه أو المغتصب الذى اغتصبه أو الوديعة التى أودعت عنده ، أو اللقطة التي وجدها ، أو كل ما حلف عليه كاذبا ، يعوضـــه برأسه ويزيد عليه خمسة · الى الذى هو له يدفعه يوم ذبيحـــة اثمه ، ويأتى الى الرب بذبيحة لاثمه كبشا صحيحا من الغنـــم بتقويمك ذبيحة اثم الى الكاهن . فيكفر عنه الكاهن أمـام الرب فيصفح عنه فى الشيء من كل ما فعله مذنبا به » · (اللاويين ٦ : ١ ـ ٧) · وجاء فى سفر العدد « اذا عمل رجل أو امرأة شيئا من جميع خطايا الانسان وخان خيانة بالرب فقد أذنبت تلك النفس فلتقر بخطيتها التى عملت وترد ما أذنبت بـــه بعينه وتزيد عليه خمسة وتدفعه للذى أذنبت اليه · وان كان ليس للرجل ولى ليرد اليه المذنب به فالمذنب به المردود يكون للرب لاجل الكاهن فضـــــلا عن كبش الكفارة الذى يكفر به عنه » (العدد ٥ : ٦ ـ ٨) ·

(٣) الرعي في حقـــل الغير ، اذ جاء في ســـفر الخروج « اذا رعي انسان حقلا أو كرما وسرح مواشـــيه فرعت في حقل غيره ، فمن أجود حقلـه وأجود كرمـه يعوض » (الخروج ٢٢ : ٥) ٠

(٤) نقل التخوم ، اذ جـــاء في سفر التثنية « لا تنقل تخم صاحبك الذى نصبه الاولون في نصيبك الذى تناله في الارض التي يعطيك الرب الهك لكي تمتلكها » (التثنية ١٩ : ١٤) ٠ وجـــاء فيه « ملعون من ينقل تخم صاحبه » (التثنية ٢٧ : ١٧) ٠

(٥) اشـعال النـــار ، اذ جاء في سفر الخروج « اذا خرجت نار أصابت شـــوكا فاحترقت أكـــداس أو ذرع أو حقـــل فالذى أوقد الوقيد يعوض » (الخروج ٢٢ : ٦) ٠

(٦) أخذ الاشياء التي حرم الله أخذها ، ومثـــال ذلك أن اليهود بعد أن استولوا بقيادة يشوع بن نون على مدينة أريحـا وأحرقوها بعـــد أن استولوا على ما بها من الفضـــة والذهب وآنية النحاس والحديد وأودعوها في خزانة بيت الرب ، بعـد أن حرموا على الافراد أخذ شيء منها بنـــاء على وصية اللـه ، حدث أن رجلا من سبط يهوذا يسمى عخان بن كرمى اســـتولى على بعض هـــذه الغنائم ، فكان جزاؤه الموت ٠ وقد جـاء عن عن ذلك في سفر يشوع « وخان بنو اسرائيل خيانة في الحرام ، فأخذ عخان بن كرمى بن زبـــدى بن زارح من ســـبط يهوذا من الحرام ، فحمي غضب الرب على بني اسرائيل ٠٠ فقال الرب ليشوع ٠٠ المأخوذ بالحرام يحرق بالنـــار هو وكل ماله لأنه تعدى عهد الرب ٠٠ فأجا بعخان يشـــوع وقال حقا انى قـد أخطأت الى الرب اله اسرائيل ٠٠ رأيت في الغنيمة رداء شنعاريا نفيسا ومائتي شاقل فضـــة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلا

فاشتهيتها وأخذتها .. فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع اسرائيل معه وصعدوا بهم الى وادى عخور .. فرجمه اسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة ، وأقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة » (يشوع ٧ : ١ ـ ٢٦) .

ب ـ العقوبات :

١ ـ عقوبة الاعدام :

نصت الشريعة اليهودية على أنواع كثيرة من الجرائم التى عقوبتها الاعدام ، كما نصت فى أغلب الحالات على الطريقة التى يتم الاعدام بها . ومن طرق الاعدام التى ورد ذكرها فى التوراة ما يلى :

(١) الرجم ، ويتم بالقاء الحجارة على المحكوم عليه حتى يموت . وكان الرجم هو عقوبة عدد كبير من الجرائم ، منها التجديف على الله (اللاويين ٢٤ : ١٦) وعبادة الاصنام (التثنية ١٣ : ١٠) والقيام بأى عمل فى يوم السبت (العدد ١٥ : ٣٥) والتمرد على الابوين (الثنية ٢١ : ٢١) وزنا العذراء المخطوبة (التثنية ٢٢ : ٢٤) وزنا المتزوجة اذا ثبت انها عند الزواج لم تكن عذراء (التثنية ٢٢ : ٢٠) وأخذ ما حرم الله أخذه (يشوع ٧ : ٢٥) ومصاحبة الجان والتوابع (اللاويين ٢٠ : ٢٧) . وفى كثير من هذه الجرائم وغيرها كان يشترك جميع الشعب فى رجم المحكوم عليه (اللاويين ٢٤ : ١٦ ، التثنية ٢١ : ٢١ ، ٢٢ : ٢٤ ، يشوع ٧ : ٢٥) . وكان الذين شهدوا ضده هم الذين يبدأون القاء الحجارة عليه (التثنية ١٧ : ٧) . وكانت عقوبة الرجم تنفذ

فى الحيوانات أيضا (الخروج ١٩ : ١٣ ، ٢١ : ٢٨ و ٢٩ و ٣٢) .

(٢) الصلب ، ويتم بتعليق المحكوم عليه على صليب من الخشب ، وذلك بربط يديه ورجليه فى الصليب ، أو بتسمير كفيه وقدميه فيه ، وكان للصليب ثلاثة أشكال ، فهو يكون هكذا + أو هكذا × أو هكذا T . وكانوا فى العادة يجلدون المحكوم عليه بالصلب ثم يقسرونه على أن يحمل صليبه الى المكان الذى سيصلبونه فيه . وكان المصلوب يقضى وقتا طويلا وهو على الصليب حتى يموت من الآلام والجوع والعطش . ولذلك كانوا كثيرا ما يكسرون ساق المصلوب اذا أرادوا أن يموت سريعا . فاذا مات المصلوب لا يجوز أن تبقى جثته معلقة على الصلب الى ما بعد الغروب ، لأن المعلق يعتبر ملعونا من الله (التثنية ٢١ : ٢٣ ، يشوع ٨ : ٢٩ ، ١٠ : ٢٦). وكانت عقوبة الصلب شائعة عند الفرس . وقد كان الملك دارا يتوعد بالصلب كل من يخالف أوامره (عزرا ٦ : ١١) . كما كانت هذه العقوبة شائعة عند اليونان ، وقد صلب الاسكندر الاكبر ألفا رجل من مدينة صور بعد أن اقتحم أسوارها . وكان الصلب عند الرومان معتبرا عقوبة شائنة ، ولذلك لم يكونوا ينفذونه الا على العبيد ، وعلى أخطر المجرمين . وقد شاع استعمال هذه العقوبة عند اليهود فى عهد خضوعهم للرومان ، فكانوا يصلبون اللصوص والمتمردين لاذلالهم وتلطيخهم بالعار .

(٣) التعليق ، وكان يتم بعد قتل المحكوم عليه للتشهير به وجعله عبرة للآخرين . وقد ذكرت هذه العقوبة فى عدة مواضع من التوراة ، فقد علق موسى النبى رؤوس اليهود الذين عبدوا الاله الوثنى بعل فغور بعد أن قتلهم (العدد ٢٥ : ٤)

وعلق يشوع بن نون جثة ملك عاى بعد أن قتله (يشوع ٨ : ٢٩) • كما علق جثث خمسة من ملوك الاموريين بعد أن قتلهم (يشوع ١٠ : ٢٦) • وعلق داود الرسولين اللذين أخبراه بموت شاول بعد أن قتلهما (صموئيل الاول ٤ : ١٢) • ولم يكن يجوز ابقاء جثة المعلق الى ما بعد الغروب ، كما سبق أن رأينا فى الكلام عن عقوبة الصلب •

(٤) القتل بالسيف ، وكانت الشريعة تقضى به بصفة أساسية عقابا على عبادة الاصنام والآلهة الوثنية • فقد كان هو عقاب أهل المدينة اليهودية الذين يتركون عبادة الله الى عبادة آلهة أخرى (التثنية ١٣ : ١٥) • وقد أمر موسى اللاويين بأن يقتلوا بالسيف اليهود الذين عبدوا العجل الذهبى فى غيبته (الخروج ٣٢ : ٢١ ـ ٢٩) وقد نزل ايليا النبى بأنبياء البعل الى نهر قيشون وقتلهم هناك بالسيف (الملوك الاول ١٨ : ٤٠) •

(٥) الرمى بالسهام أو الرماح أو الحراب ، وكان كذلك عقابا على عبادة الاصنام والآلهة الوثنية ، فقد قتل فينحاس بالمرمح رجلا يهوديا زنى مع امرأة يونانية وعبد آلهتها (العدد ٢٥ : ٧ و ٨) • كما أن الله هدد بالموت بهذه الطريقة كل من يقترب من جبل سيناءقبل سماع صوت البوق عندما أظهر نفسه لبنى اسرائيل وأعطاهم الشريعة (الخروج ١٩ : ١٢ و ١٣) •

(٦) الاحراق بالنار ، وكانت الشريعة تقضى به على ابنة الكاهن اذا زنت (اللاويين ٢١ : ٩) • وكذلك على الرجل وزوجته وحماته اذا زنى مع حماته (اللاويين ٢٠ : ١٤) • وفى مرات عديدة أنزل الله نارا وأحرق بها من يخالفون أوامره

أو يتمردون على أحكامه • ومن ذلك أنه أحرق بالنار ناداب وأبيهو ابنى هارون لانهما قدما بخورا بغير الطريقة التى امر بهـا (اللاويين ١٠ : ١ و ٢) • كما أحرق بالنار قورح بن يصهار بنى قهات وجماعته الذين تمردوا بسبب حسدهم لموسى وهارون (العدد ١٦ : ٣٥) • وكانوا أحيانا يحرقون جثث المحكوم عليهم بعد قتلهم رجما ، كما فعـل يشـوع بن نون مع عخـان بن كرمى وأهـل بيته وبهائمه (يشوع ٧ : ٢٥) •

(٧) الاغراق ، ولم يرد ذكر هـذه العقوبة فى الشريعة اليهودية ولكنها كانت معروفة عندهم (متى ٨ : ٦ ، مرقس ٩ : ٤٢) •

(٨) التمزيق بالنوارج • ولم يرد ذكر هـذه العقوبة فى الشريعة كذلك . ولكن ورد فى سفر القضاة آن جدعون قاضى اليهود استخدمها فى قتل سبعة وسبعين من شيوخ مدينة سكوت . اذ وضعهم بين الاشواك وداس بالنوارج عليهم (القضاة ٨ : ١٣ ـ ١٦) كما أن الملك داود فعل ذلك مع أهالى مدينة « ربة بنى عمون » التى هى عمان الحالية (صموئيل الثانى ١٢ : ٣١) • وجـاء فى سفر عاموس « هكذا قال الرب من أجـل ذنوب دمشق الثلاثة والاربعة لا أرجع عنه ، لأنهم داسوا جلعاد بنوارج من حديد » (عاموس ١ : ٣) • وجـاء فى سفر الامثـال « الملك الحكيم يشتت الاشرار ويرد عليهم النورج » (الامثـال ٢٠ : ٢٦) •

(٩) النشر بالمناشير ، وكان عقوبة معروفة لدى اليهود وان لم تكن قد وردت فى الشريعة ، اذ أشير اليها فى رسالة بولس الرسول الى العبرانيين (العبرانيين ١١ : ٣٧) • كما أنه كان من المعروف فى التقليد اليهودى أن اليهود قتلوا أشعياء النبى منشورا بالمنشار •

(١٠) الطرح من شاهق ، وهـــذه العقوبة وان لم ترد فى الشريعة فقد استخدمها أمصيا ملك يهوذا فى قتل عشرة آلاف من الادوميين اذ ألقى بهم من قمة جبل تسمى « رأس سالع » فماتوا جميعا (أخبار الايام الثانى ٢٥ : ١٢) ٠

(١١) القطع من الشعب ، وهـــو عقوبة ورد ذكرهـا فى الشريعة نحو خمس وثلاثين مرة ٠ والراجح أنها تفيد الاعدام ، وان كان البعض يرون أنهـــا تفيد مجرد النفى والابعـاد من الجماعة ٠ ومن الجرائم التى قضت الشريعة بهـــذه العقوبة عنها : القيام بأى عمل فى يوم الكفارة (اللاويين ٢٣ : ٢٩) واهمال الطقوس المقررة فى الفصح (العدد ٩ : ١٣) وذبح الذبائح بعيدا عن خيمة الاجتماع (اللاويين ١٧ : ٩) والاكل من ذبيحة السلامة فى اليوم الثالث (اللاويين ١٩ : ٨) وأكل النجس من ذبيحة السلامة (اللاويين ٧ : ٢٠) وأكل الـــدم والشـحم (اللاويين ٧ : ٢٥ ، ١٧ : ٩) واقتراب النجس الى الاقداس (اللاويين ٢٢ : ٣) والزنا بالاخت (اللاويين ٢٠ : ١٧) والاضطجاع مع المرأة الطامث (اللاويين ٢٠ : ١٨) ٠

هـــذا وقـــد أباحت الشريعة اليهودية فى بعض الجرائم العقوبة الجماعية التى تقضى بأن يموت مع المذنبين أهاليهم ، وأحيانا مواشيهم أيضـــا ٠ وذلك كما حـدث فى فتنة الاثنين والخمسين بزعامة قورح بن يصهار ، اذ جـــاء فى سفر العدد أن الله غضب عليهم « وفتحت الارض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح من كل الامـــوال ، فنزلوا وكل ما كان لهم الى الهاوية وانطبقت عليهم الارض فبادوا من بين الجماعة » (العدد ١٦ : ٣٢ و ٣٣) ٠ وكما حدث فى خيانة عخان بن كرمى ، اذ جـــاء فى سفر يشوع « فأخذ يشوع عخان بن زارح ٠٠ وبنيــه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ما له ٠٠ فرجمـــة

جميع اسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار » (يشوع ٧ : ٢٤ و ٢٥) • ولكن لم تلبث العقوبة بعد ذلك أن أصبحت شخصية لا تتعدى المذنب الى غيره ، اذ جاء فى سفر حزقيال « النفس التى تخطىء هى تموت • الابن لا يحمل من اثم الأب ، والاب لا يحمل من اثم الابن • بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون » (حزقيال ١٨ : ٢٠) •

٢ ـ العقوبات الاخف من الاعدام :

(١) وقد كان أساس العقوبات فى الشريعة اليهودية هو القصاص بالمثل ، اذ جاء فى سفر الخروج « ان حصلت أذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض » (الخروج ٢١ : ٢٣ ـ ٢٥) • وجاء فى سفر اللاويين « اذا أحدث انسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به : كسر بكسر وعين بعين وسن بسن • كما أحدث عيبا فى الانسان كذلك يحدث فيه » (اللاويين ٢٤ : ١٩ و ٢٠) • فاذا ألحق الجانى بالمجنى عليه ضررا ما أو أصابه بعاهة ، كانت عقوبته هى الحاق نفس الضرر به أو اصابته بنفس العاهة • ويسرى هذا القصاص على شاهد الزور ، اذ جاء فى سفر التثنية « اذا قام شاهد زور على انسان ليشهد عليه بزيغ •• فان فحص القضاة جيدا واذا الشاهد شاهد كاذب قد شهد بالكذب على أخيه ، فافعلوا به كما نوى أن يفعل بأخيه » (التثنية ١٩ : ١٦ ـ ١٩) •

(٢) وقد قضت الشريعة بالزام الجانى بالغرامة والتعويض فى حالات كثيرة : ومنها ان صاحب الثور النطاح اذا نطح ثوره عبدا أو أمة كان ملزما بأن يعطى سيد ذلك العبد أو الامة

ثلاثين شاقل فضة (الخروج ٢١ : ٣٢) · واذا كشف انسان بئرا محفورة ، أو حفر بئرا ولم يغطهـا ، فوقع فيهـا ثور أو حمـار ، كان ملزما بدفع تعويض لصاحب الثور أو الحمـار » (الخروج ٢١ : ١) · واذا سرق انسان ثورا أو حمارا أو شـاة بيده أو بحجرفأصابه اصابةألزمته الفراش ، كان ملزمابتعويضه عن عطلته والانفـاق على شفائه (الخروج ٢١ : ١٨ و ١٩) واذا أوقد انسان نارا فتسببت في احراق حقـل أو محصول ، كان ملزما بتعويض صاحب الحقل أو المحصول (الخروج ٢٢ : ٦) و « اذا سرق انسان ثورا أو شـاة فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسـة ثيران وعن الشـاة بأربعة من الغنم » (الخروج ٢١ : ١) · واذا سرق انسان ثورا أو حمارا أو شـاة وضبطت عنـده يعوض بضعف مـا سرق ، فاذا عجز عن أداء التعويض بيع هو نظيره (الخروج ٢٢ : ٢ ـ ٤) · واذا أعطى انسان صاحبه فضة أو أمتعة ليحفظها ثم سرقت من عنده ، فان وجد السارق يعوض بما قيمته ضعف قيمة ما سرق (الخروج ٢٢ : ٧) · واذا أعطى انسان صاحبه حمارا أوثورا أو شـاة أو بهيمة ليحفظها فسرقت يعوض صاحبه (الخروج ٢٢ : ١١)· واذا استعار انسان من صاحبه شيئا فانكسر أو مـات يعوض صاحبه (الخروج ٢٢ : ١٤) و « اذا أخطأ أحـد وخانخيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبا أو اغتصب من صاحبه أو وجـد لقطة وجحدها وحلف كاذبا على شيء من كل ما يفعله الانسان مخطئا به ·· يرد المسلوب الذى سلبه والمغتصب الذى اغتصبه أو الوديعة التى أودعت عنده أو اللقطـة التى وجدها أو كل ما حلف عليه كاذبا · يعوضه برأسـه ويزيد عليه خمسة » (اللاويين ٦ : ٢ ـ ٥) · و « اذا رعى انسـان حقلا أو كرما وسرح مواشيه فرعت فى حقل غيره ، فمن أجود حقله وأجود كرمه يعوض » (الخروج ٢٢ : ٥) و « اذا وجد رجل

فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجـدا يعطى الرجل الذى اضطجع معها لابى الفتاة خمسين من الفضـــة » (التثنية ١٢ : ٢٨ و ٢٩) ٠

(٣) واذا ضرب انسان عين عبده أو عين أمته فاتلفها كان جزاؤه فى الشريعة أن يعتق هـــذا العبد أو هذه الامة تعويضا عن العين التالفة ٠

(٤) وكان جزاء الذى يزنى بفتاة عذراء غير مخطوبة أن يتزوجها بغير أن يستطيع تطليقها طول حياته ، وذلك فضـــلا عن الزامه بدفع غرامة لابيها (التثنية ٢٢ : ٢٨ و ٢٩) ٠

(٥) الجلد ، وهو الضرب بالسياط ، وكانوا يربطون يدى المحكوم عليه الى عامود وظهره منحنيا الى الامام ، ثم ينهالون على ظهره العارى بالسوط ، فيجلدونه العـــدد المحكوم به عليه من الجلدات ، على ألا تزيد عن أربعين جلدة ، اذ جـــاء فى سفر التثنية « فان كان المـــذنب مستوجب الضرب يطرحـه القاضى ويجلدونه على قدر ذنبه بالعدد ٠ أربعين يجلده لا يزد ٠ لئـــلا اذا زاد فى جلده على هذه ضربات كثيرة يحتقر أخوك فى عينيك » (التثنية ٢٥ : ٢ و ٣) ٠ وقد ظل الضرب بالسياط عقوبة شائعة عند اليهود ، اذ جاء فى سفر الملوك ان رحبهام بن سليمان ملك اسرائيل قال لليهود « أبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب » (الملوك الاول ١٢ : ١١) ٠ وعند انشـــاء مجلس السنهدريم كان هو الذى يقضى بعقوبة الجلد (الاعمال ٥ : ٤٠) ، كما كانت تقضى بها المجامع (متى ١٠ : ١٧) ٠ وحين كان اليهود خاضعين للرومان ظلت عقوبة الجلد سارية على اليهود على الرغم من أنها كانت ممنوعة بالنسبة للرومان ، لمـــا كانت تنطوى عليه من اذلال وهوان ٠ وقد جرت العادة على جلـــد المحكوم عليهم

بالصلب قبل صلبهم · وكثيرا ما كانوا يموتون أثناء الجلد ، لأنه كان عقابا قاسيا لا يحتمله الكثيرون اذ كان السوط الذى يستخدمونه لتنفيذه يدا من الخشب ذات سيور من الجلد بها قطع من الحديد ، فكان يمزق الجسد تمزيقا ·

(٦) التعذيب بالمقطرة ، وهى آلة من الخشب ذات تركيب خاص ، كانوا يدخلون فيها جسد المحكوم عليه ويديرون أجزاءها، فيعانى آلاما قاسية · وقد عذبوا بهذه الطريقة ارميا النبى (ارميا ٢٠ : ٢٠) · وظلوا يستعملونها الى نهاية عهد الامة اليهودية (الاعمال ١٦ : ٢٤) ·

(٧) قطع اليد · ومن الجرائم التى كانت الشريعة تقضى فيها بهذا العقاب ما ورد فى سفر التثنية اذ جاء به « اذا تخاصم رجلان ·· وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته ، فاقطع يدها ولا تشفق عينك » (التثنية ٢٥ : ١١ و ١٢) ·

(٨) قطع الاباهم · وهى عقوبة لم تنص الشريعة عليها ، ولكن اليهود استخدموها كما كانت تستخدمها الشعوب الوثنية ، اذ جاء فى سفر القضاة أن اليهود أثناء هجومهم على الكنعانيين « وجدوا أدونى بازق فى بازق ·· فتبعوه وأمسكوه وقطعوا أباهم يديه ورجليه ، فقال أدونى بازق سبعون ملكا مقطوعة أباهم أيديهم وأرجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتى · كما فعلت كذلك جازانى الله » (القضاة ١ : ٥ ــ ٧) ·

(٩) قلع العينين · وهى عقوبة لم تنص الشريعة عليها كذلك ، ولكنها كانت معروفة فى العهد القديم ، وقد قلع الفلسطينيون عينى شمشون (القضاة ١٦ ــ ٢٠) ، وقلع البابليون عينى صدقيا ملك يهوذا (الملوك الثانى ٢٥ : ٧) ·

(١٠) البصق ، وكان من مظـــاهر اهانة المحكوم عليهـم وتحقيرهم ، اذ جاء فى سفر أيوب ، « فصرت أغنيتهم وأصبحت لهم مثـلا ٠٠ أمام وجهى لم يمســكوا عن البصق » (أيوب ٣٠ : ١٠) ، وجـاء فى سفر اشعياء « وجهى لم أستر عن العـار والبصق » (اشعياء ٥٠ : ٦) ٠ وقد ظـــل اليهود يبصقون على المحكوم عليهم الى آخر عهد أمتهم (متى ٢٧ : ٣٠) ٠

(١١) نتف الشعر ٠ وقـد استخدم نحميا هــذا المظهر كذلك من مظاهر الاهانة مع اليهود الذين تزوجوا من الشـــعوب الوثنية ، اذ جـــاء فى سفر نحميا « رأيت اليهود الذين ساكنوا نســاء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ٠٠ فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناسا ونتفت شــــعورهم » (نحميا ١٣ : ٢٣ ــ ٢٥) ٠ وجـــاء فى سفر اشـــعياء « بذلت ظهرى للضــاربين وخدى للناتفين » (اشعياء ٥٠ : ٦) ٠

(١٢) السجن ، وكان فى بداية الامر مجرد اجراء للتحفظ على المتهمين وحراستهم الى حين الحكم عليهم ، اذ جـــاء فى سفر اللاويين « فجدف ابن الاسرائيلية على الاسم وسب ٠٠ فوضعوه فى المحرس ليعلن لهم من فم الرب » (اللاويين ٢٤ : ١١ و١٢) وجاء فى سفر العدد « لمـا كان بنو اسرائيل فى البرية وجدوا رجـــلا يحتطب حطبا يوم السبت ٠٠ فوضعوه فى المحرس لانه لم يعلن ماذا يفعل به ، فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل » (العدد ١٥ : ٣٢ ــ ٣٥) ٠ ولكن السجن لم يلبث أن أصبح عقوبة ، وخصص لذلك مكان كان ملحقا فى العادة بقصر الملك أو الحاكم ، اذ جـــاء فى سفر ارميـــا « كان ارميـــا النبى محبوسا فى دار السجن الذى فى بيت ملك يهوذا ٠ لأن صـديق ملك يهوذا حبســـه » (ارميـا ٣٢ : ٢ و ٣) ٠ وقد استمرت عقوبة السجن عند اليهود الى آخر عهدهم (الاعمال ٢٣ : ٣٥)

وكان هناك سجن تابع لرؤساء الكهنة فى أورشليم (الاعمال ٥ : ١٨ ـ ٢٣ ، ٨ : ٣) . وكانوا يستخدمون آحيانا للسجن بئرا أو جبا ، اذ جاء فى سفر ارميا « فأخذوا ارميا والقوه فى جب ملكيا ابن الملك الذى فى دار السجن ودلوا ارميا بحبال ، ولم يكن فى الجب ماء بل وحل فغاص ارميا فى الوحل » (ارميا ٣٨ : ٦) . وكان السجناء أحيانا يكلفون ببعض الاعمال الشاقة كطحن الغلال على الرحى (القضاة ١٦ : ١٢) .

(١٢) وكان ثمة عقوبة دينية كان اليهود يعتبرونها أقسى من الجلد والسجن بل أقسى من الموت ، وهى عقوبة الاخراج من المجمع ، لأنها كانت تتضمن نفى المحكوم عليه وعزله من المجتمع ومصادرة أمواله وأملاكه ، ولذلك كان اليهود يخشون هذه العقوبة جدا (يوحنا ١٦ : ٢) .

٢ ـ الشريعة المدنية

(أ) العقود والمواثيق :

وقد وردت فى الشريعة اليهودية اشارات الى بعض المعاملات المدنية ولا سيما العقود والمواثيق ، ومثال ذلك :

(١) البيع . وقد ورد بشأنه إنه اذا باع رجل لآخر شيئا ما أو اشتراه منه فلا يصح أن يغبن أحدهما الآخر ، واذا باع شخص لآخر حقلا فانه يسترده فى عيد اليوبيل التالى لعقد البيع . وكان اليهود يحتفلون باليوبيل لكل خمسين سنة . ولذلك فان ثمن الحقل يقل كلما اقترب موعد اليوبيل (اللاويين ٢٥ : ١٤ ـ ١٦) . وذلك لأن المشترى فى هذه الحالة انما يشترى محصول السنوات الباقية على اليوبيل ولا يشترى

الارض ، لأن الارض لاتبـــاع أبدا ، اذ أنهـــا ليست مملوكة للناس وانما للـــه (اللاويين ٢٥ : ٢٣) • واذا افتقر رجل وباع حقله ، فعلى وليـه وهو أقرب الاقربين اليه ان يفكه ، أى يدفع الثمن للمشترى ويعيد الحقل الى البائع ، فان لم يكن له ولى ، ولكنه توفر لديه المـــال فى أى وقت أمكنه عندئـذ فكاك حقله ، بأن يرد ثمنه الى المشترى بعد أن يستعيد منـــه مقابل السنين التى مضت بين البيع والفكاك • فان لم يكن له ولى ولم يتوفر لديه المـــال ، فانه يستعيد حقله على أى حـــال فى سنة اليوبيل التالية (اللاويين ٢٥ : ٢٥ ــ ٢٨) • ويسرى ذلك على المساكن التى فى القرى لانها تتبع الحقول • وأمـــا اذا باع رجـــل لآخر مسكنا فى احدى المدن ذات الاسوار ، وكان له أن يفكه ويستعيده بعد ســـنة من البيع • فان لم يفكـــه آلت ملكيته نهائيا الى المشترى ولا يعود الى البائع فى اليوبيل • غير أن هـــذا لا يسرى على مدن اللاويين لانها ملك دائم لهم . فينبغى فى سنة اليوبيل فكاك ما سبق بيعـه من مساكنها ، ومن الحقول المحيطة بها كذلك (اللاويين ٢٥ : ٢٩ ــ ٣٤) واذا افتقر يهودى فاشتراه يهودى آخر فلا يصح له أن يعامله معاملة العبد وانما يعامله معاملة الاجير ، ثم فى ســـنة اليوبيل يطلق سراحه هو وبنوه معه (اللاويين ٢٥ : ٩ ــ ٤١) ، وان كانت الشريعة قـــد قضت فى موضع آخر بأن يخدمه ست سنين فقط من شرائه وفى السنة السابعة يطلق سراحه • فان كان العبـد متزوجا عند شرائه اياه يطلق فى السنة السابعة سراح زوجته معـه • وأما ان كان هو الذى أعطاه زوجة فولدت له أبنـــاء يطلق سراحه وحده ويحتفظ بالزوجة والابناء • فان لم يشـــأ العبد مفارقة زوجته وأبنائه يثقب سيده اذنه بالمثقب ، فيخدمه الى الابد • واذا باع يهودى ابنتـــه الى يهودى آخر ، فاتخذها هـــذا زوجة ، لا يصح له اذا كرههـــا أن يبيعها لغيره ، وان اتخذ أخرى معها فعليه طعامها وكسوتها ومعاشرتها ، والا كان

عليـــه أن يطلق سراحها بغير مقابل • (الخروج ٢١ : ١ ـ ١١) • أما اذا اشترى اليهودى عبـدا من الشعوب الاخرى ، أو من المستوطنين فى بلاد اليهود ، فيصبح له أن يستعبده لأنه يصبح مملوكا له وينتقل ضمن تركته الى أبنائه ، وأمـــا اذا اشترى رجل من الشعوب الاخرى أو من المستوطنين فى بـــلاد اليهود رجلا يهوديا بسبب افتقاره ، فعلى أحـــد أقرباء اليهود أن يفكه ويدفع للمشترى ثمنه على أســـاس أجرته من ســـنة فكاكه الى سنة اليوبيل • واذا توفر المـــال لدى العبـد اليهودى فليفك نفســـه ، فان لم يفك نفسه أو يفكه أحـد أقاربه ، ينبغى على المشترى أن يطلق سراحـــه على أى حال فى ســنة اليوبيل فيخرج هو وبنوه معه (اللاويين ٢٥ : ٤٤ ـ ٥٥) •

(٢) الايجار • وقـد وردت بصـــدده فى الشريعـة بعض الاحكام .ومنها أنه لا يصح تأجيل اعطاء الاجير أجرة يومه الى الغـــد ، لأنه ربما يكون محتاجا اليها فى قوته وقوت أبنائـه (اللاويين ١٩ : ١٣ ، التثنية ٢٤ : ١٤ ـ ١٥) •

(٣) الرهن • ولم تكن الشريعة تسمح للدائن بدخول بيت المدين لاخذ الرهن ، بـــل كان عليه أن يبقى أمـام الباب حتى يأتى المدين به اليه (التثنية ٢٤ : ١١ و ١٢) • واذا أخـــذ الدائن رداء المدين رهنـــا ، وجب عليه رده اليه قبـــل غروب الشمس لانه قد يكون هـو لباس نومـــه (الخروج ٢٢ : ٢٦ و ٢٧) • ولا يجوز رهن ثوب الارملة (التثنية ٢٤ : ١٧) • كما لا يجوز رهن الجزء العلوى أو السفلى من الرحـــا لأنهـــا أداة طحن الغلال للقوت اليومى (التثنية ٢٤ : ٦) •

(٤) العارية ، ومن أحكامها أنه اذا استعار رجـــل من آخر دابة وماتت أو انكسرت وجب عليه تعويض صـاحبها (الخروج ٢٢ : ١٤) •

(٥) القرض . وقد حرمت الشريعة على اليهودى الاقراض بالربا الى يهودى مثله ، فى حين حللت له ذلك بالنسبة للاجانب (التثنية ٢٣ : ٢٠) . كما قضت الشريعة بأنه فى نهـــاية كل سبع سنين يبرىء الدائن اليهودى المـدين من دينـــه ان كان يهوديا فقيرا . أما ان كان المدين يهوديا غنيـــا أو أجنبيـــا فليطالبه بدينه (التثنية ١٥ : ١ ــ ٤). وكان المدين اذا عجز عن وفاء دينـــه باع نفسه لدائنه . فيصبح عبدا له (اللاويين ٢٥ : ٣٩، الملوك الثانى ٤ : ١) .

(٦) وكانت للمواثيق والعهود التى يبرمها اليهود مع الغير اجراءات وتقاليد معينة . ومن ذلك ما ورد فى سفر التكوين اذ جـــاء فيه « حدث فى ذلك الزمان أن أبيمالك وفيكول رئيس جيشـــه كلما ابراهيم قائلين .. احلف لى بالله هنـــا أنك لا تغدر بى ولا بنسلى وذريتى . كالمعروف الـذى صنعت اليك تصنع الى .. فقال ابراهيم أنا أحلف . وعاتب ابراهيم أبيمالك لسبب بئر المـــاء التى اغتصبها عبيد أبيمالك .. فأخذ ابراهيم غنما وبقرا وأعطى أبيمالك فقطعا كلاهما ميثـــاقا . وأقام ابراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها ، فقال أبيمالك لابراهيم ماهى هـــذه السبع النعاج التى أقمتها وحدها ؟ فقال انك سبع نعاج تأخذ من يدى لكى تكون لى شهادة بأنى حفرت هــــذه البئر . ولذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع لانهما هناك حلفـــا كلاهما . فقطعا ميثاقا فى بئر سبع » (التكوين ٢١ : ٢٧ ــ ٣٢) . وجـــاء فيه « فأجاب لابان وقال ليعقوب .. فالآن هلم نقطع عهدا أنا وأنت فيكون شاهدا بينى وبينك . فأخذ يعقوب حجرا وأوقفه عمودا . وقال يعقوب لاخـــوته التقطوا حجارة. فأخذوا حجارة وعملوا رجمة وأكلوا هناك على الرجمة .. وقال لابان هذه الرجمة هى شاهدة بينى وبينك اليوم .. انك لا تذل بناتى . ولا تأخذ نســـاء على بناتى .. شاهدة هذه الرجمة

وشاهد العمود أنى لا أتجاوز هذه الرجمة اليك وانك لا تتجاوز هذه الرجمة وهذا العمود الى الشر ٠٠ وذبح يعقوب ذبيحة فى الجبل ودعا اخوته ليأكلوا طعاما فأكلوا طعاما وباتوا فى الجبل » (التكوين ٣١ : ٤٣ ـ ٥٤) ٠

(ب) الاحوال الشخصية والمواريث :

وقد وردت فى الشريعة اليهودية كثير من النصوص التى تتعلق بما نسميه اليوم بقوانين الاحوال الشخصية والمواريث ، ومن ذلك ما يلى :

(١) يتم الزواج بطريق الشراء ، بأن يدفع الرجل ثمن المرأة لابيها فتصبح من ممتلكاته ٠ وقد اشترى يعقوب من خاله لابان ابنتيه ليئة وراحيل (التكوين ٢٩ : ١٥ ـ ٣٠ ، ٣١ : ١٤ ـ ١٥). واشترى بوعز جد الملك داود زوجته راعوث (راعوث ٩ : ١٠) ٠ واذا زنى رجل مع فتاة عذراء يصبح ملزما بأن يتزوج منها وبأن يدفع لابيها ثمن شرائها (التثنية ٢٢ : ٢٨، ٢٩) ٠ وكان هذا الثمن الذى يدفعه الزوج هو المعتبر مهرا (الخروج ٢٢ : ١٦ و ١٧) ٠ وتمنع الشريعة اليهودية الزواج من الأم وامرأة الاب والاخت الشقيقة أو غير الشقيقة وابنة الابن وابنة الابنة وابنة امرأة الاب المولودة من الاب ، والعمة والخالة ، وزوجة العم ، وزوجة الابن وزوجة الاخ٠ كما تمنع الجمع بين الام وبنتها ، وبينها وبين ابنة ابنها أو ابنة ابنتها ، والجمع بين الاخت وأختها فى حياتها (اللاويين ١٨ : ٦ ـ ١٨) ٠ بيد أن اليهود كانوا قبل أن يتلقوا الشريعة عن موسى لا يراعون ذلك ، فقد جمع يعقوب مثلا بين راحيل وأختها ليئة فى حياتها (التكوين ٢٩ : ١٥ ـ ٣٠)٠ ولم تمنع الشريعة تعدد الزوجات ٠ بل أن بعض النصوص تدل على أنها أجازته (التثنية ٢١ : ١٥ ـ ١٧) ٠ فقد تزوج

ابراهيم أكثر من زوجة (التكوين ٢٥ : ١) وهكذا فعل عيسو (التكوين أكثر ٢٦ : ٢٤) ويعقوب (التكوين ٢٩ : ١٥ ـ ٣٠) وجدعون (القضاة ٨ : ٣٠) وشاول (صموئيل الثانى ٥ : ١٣) وداود (صموئيل الاول ٢٥ : ٤٢ و ٤٣ ، صموئيل الثانى ٣ : ٢ ـ ٥) وسليمان (الملوك الاول ١١ : ١ و ٣) ورحبعام (الاخبار الثانى ١١ : ٢١) وأبيا (الاخبار الثانى ١٣ : ٢١) ويوآش (الاخبار الثانى ٢٤ : ٣) . وكان مما تقضى به الشريعة أن الاخ اذا مات أخوه يتحتم عليه أن يتزوج أرملته مهما كان عدد زوجاته هو ، والبكر الذى تلده الزوجة بعد ذلك ينسب الى زوجها الميت لا الى أبيه الحقيقى . فاذا رفض أخ الميت الزواج من أرملة أخيه تستدعيه أمام شيوخ المدينة وتخلع نعله وتبصق فى وجهه فيصبح محتقرا بين اليهود ، ويسمونه « مخلوع النعل » (التثنية ٢٥ : ٥ ـ ١٠) فاذا لم يكن للميت أخ فرض هذا الواجب على أقرب الاقرباء من أسرته (التكوين ٣٨ : ١ ـ ٢٦) . وقد حرمت الشريعة على اليهود الزواج من غير اليهوديات (التثنية ٧ : ٣) ووضعت اجراءات معينة للزواج من السبايا الاجنبيات . فاذا سبى يهودى امرأة جميلة وأراد الزواج منها ، عليه أن يحلق شعر رأسها ويقلم أظافرها وينزع عنها ثياب سبيها ويبقيها فى بيته تبكى أثناءه أباها وأمها ثم بعد ذلك يدخل عليها . فاذا أراد أن يطلقها بعد ذلك يعاملها معاملة الزوجات فلا يبيعها كالاماء وانما يطلق سراحها بغير ثمن (التثنية ٢١ : ١٠ ـ ١٤) . ولكن اليهود تزوجوا مع ذلك بأجنبيات من غير السبايا . وقد فعل ذلك داود (صموئيل الأول ٢٥ : ٤٢ و ٤٣ ، صموئيل الثانى ٣ : ٢ و ٣) وسليمان (الملوك الاول ١١ : ١ و ٣) وآخاب (الملوك الاول ١٦ : ٣١) وغيرهم من ملوك اليهود . وقد اعتبرت الشريعة الفتاة المخطوبة فى حكم الزوجة ، فهى اذا زنت تعاقبها بالموت كالمرأة المتزوجة التى تزنى (التثنية

٢٢ : ٢٤) ٠ ومن أحكام الشريعة أنها حرمت زواج رئيس الكهنة الا من عذراء يهودية (اللاويين ٢١ : ١٣ و ١٤) وحرمت على الكهنة الزواج من الزواني والمطلقات (اللاويين ٢١ : ٧) كما حرمت على اليهودية الوارثة أن تتزوج رجلا من غير السبط الذى تنتسب اليه (العدد ٣٦ : ٥ ـ ٩) ٠

(٢) وقد أباحت الشريعة اليهودية الطلاق ، فأذنت للرجل اذا كره زوجته أن يعطيها وثيقة طلاق ثم يطلق سراحها بمحض ارادته ، كما أذنت له بأن يردها متى شاء ، وأذنت لها هى أن تتزوج بعد طلاقها رجلا آخر ٠ فاذا مات هذا الزوج الثانى أو طلقها لا يجوز لزوجها الاول أن يردها ٠ (التثنية ٢٤ : ١ ـ ٤) غير أنه لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته اذا كان قد تزوجها نتيجة زناه بها وهى عذراء (التثنية ٢٢ : ٢٨ و ٢٩) أو اذا كان قد ادعى بعد أن تزوجها أنه وجدها غير عذراء ثم ثبت كذب ادعائه (التثنية ٢٢ : ١٣ ـ ١٨) ٠ ويبدو أن المرأة اليهودية أصبح يمكنها أن تطلق زوجها من جانبها متى شاءت (مرقس ١٠ : ١٢) ٠

(٣) كما أباحت الشريعة اليهودية التسرى ، وهى تعتبر السرية زوجة شرعية وان كانت فى درجة أقل من درجة سيدة البيت ٠ فكان يمكن للرجل اليهودى أن يكون له الى جانب الزوجات العديدات سرارى عديدات كذلك ٠ يشتريهن بالثمن من بين العبيد أو أسيرات الحرب ، أو من بين الفتيات اللاتى يبيعهن آباؤهن ٠ ويكون ملزما ازاءهن بما للزوجات من حقوق فاذا كره احداهن لا يجوز له أن يبيعها بالثمن ، وانما يعطيها وثيقة طلاق ويخلى سبيلها بغير مقابل (الخروج ٢١ : ٧ ـ ١١ ، التثنية ٢١ : ١٠ ـ ١٤) ٠ وقد كان لمعظم آباء اليهود وقضاتهم وملوكهم عدد من السرارى ، ومثال ذلك ابراهيم (التكوين

٢٥ : ٥ ـ ٦) ويعقوب (التكوين ٣٠ : ١ ـ ٢٤) وجدعون (القضاة ٨ : ٣٠ و ٣١) وداود (صموئيل الثانى ٥ : ١٣ ـ ١٦) وسليمان (الملوك الاول ١١ : ١ و ٣) ورحبعام (أخبار الايام الثانى ١١ : ٢١) ٠

(٤) وقد اعتبرت الشريعة رب الاسرة هو صاحب السلطان الأعلى على كل أفرادها ، فكان مطلق التصرف مع أبنائه ، وكان يمكنه أن يبيع ابنته جارية اذا احتاج الى ثمنها (الخروج ٢١ : ٧) ، كما كان يمكنه اذا عجز عن سداد ديونه أن يبيع ابنه لدائنه بدلا من أن يبيع له نفسه (اللاويين ٢٥ : ٣٩ ، الملوك الثانى ٤ : ١) ٠ وقد أباحت الشريعة لرب الاسرة أن يتبنى من يشاء من أبناء غيره ،فيكون لمن يتبناهم كل الحقوق التى للأبناء الشرعيين (الخروج ٢ : ١٠ ، اشعياء ٢ : ٧) ٠ وكانت المرأة اليهودية اذا لم تنجب لزوجها أبناء أعطته جاريتها ليتزوجها ، حتى اذا ولد منها نسبت أبناءه منها الى نفسها واعتبرتهم أبناءها ٠ وهذا ما فعلته سارة مع زوجها ابراهيم (التكوين ١٦ : ١ و ٢) ، وما فعلته راحيل مع زوجها يعقوب (التكوين ٣٠ : ١ ـ ٨) ٠ وكان يحدث ألا يكون لرجل الا ابنة وحيدة فيزوجها لاحد عبيده بعد أن يعتقه ويتبنى أبناءها منه فيحملون اسمه ٠

(٥) وكان للابن البكر مكانة ممتازة فى الشريعة اليهودية والمجتمع اليهودى ، كما يبدو ذلك فى قصة يعقوب اذ حرص على أن يشترى بكورية أخيه عيسو (التكوين ٢٥ : ٣١ ـ ٣٣)٠ وكان من امتيازات البكر عن غيره من اخوته انه كان ينوب عن أبيه فى البيت عند غيابه ، وكان ينال نصيب اثنين فى الميراث (التثنية ٢١ : ١٧) وكان للبكر من أبناء الملك الحق فى خلافته (أخبار الايام الثانى ٢١ : ٣ و ٤) وكان البكر يختص ببركة

أبيه ، وقد كان لهذه البركة أهمية عظمى لدى اليهود . وقد احتال يعقوب فسرق بركة أبيه من أخيه البكر عيسو ، فغضب هذا لدرجة أنه قرر أن يقتل يعقوب (التكوين ٢٧ : ١ — ٤١) . وكان للبكر امتياز عظيم من الناحية الدينية ، لأنه كان مكرسا للرب (الخروج ٢٢ : ١٩) . وقد اختار الله اللاويين ليخدموه نيابة عن سائر أبكار اليهود (العدد ٣ : ١١ — ١٣) .

(٦) وكانت أحكام الوراثة فى الشريعة اليهودية تقضى بأن أبناء المتوفى وبناته يرثون تركته ، على أن ينال البكر وهو الابن الاكبر نصيب اثنين (التثنية ٢١ : ١٥ — ١٧) ، وان كانت هذه القاعدة لم تطبق على كثيرين سلبهم هذا الامتياز أحد اخوتهم الاصغر منهم ، ومثال ذلك أن اسحق سلب امتياز اسماعيل (التكوين ٢١ : ١٠) ، ويعقوب سلب امتياز عيسو (التكوين ٢٧ :) وأفرايم سلب امتياز منسى (التكوين ٤٨ : ١٣ — ١٩) ويوسف سلب امتياز رأوبين (أخبار الايام الايام الاول ٥ : ١) وداود سلب امتياز ألياب (صموئيل الاول ١٦ : ٦ و ٧) . فاذا لم يكن للميت بنون أو بنات ورثه اخوته . واذا لم يكن له اخوة ورثه نسيبه الاقرب من عشيرته (العدد ٢٧ : ٨ — ١١) وكان الميراث يشمل كل أملاك المتوفى من عقارات ومنقولات ، كما يشمل عبيده . وكان الملك أحيانا يرث زوجات أبيه ما عدا أمه (الملوك الاول ٢ : ١٣ الخ) ولكن الشريعة كانت تحرم ذلك على الشعب (اللاويين ١٨ : ٨ ، ٢٠ : ١١ ، التثنية ٢٧ : ٢٠) .

(٧) ولم يرد ذكر الوصية فى الشريعة اليهودية ، ولكن اليهود لم يلبثوا أن أخذوا فكرتها من الشرائع اليونانية والرومانية ، فأصبحت شائعة بينهم (العبرانيين ٩ : ١٦ و ١٧) ، فأصبحت الوصية التى يتركها المتوفى ملزمة بعد وفاته .

٣ ـ القضـــاء

ظل القضاء بين اليهود منذ عهد ابراهيم الى عهــــد موسى منحصرا فى يـد رب العائلة ، فـكان هـــو القــاضى لعائلته ، وهو الذى يحكم فيما يرتكبه أفرادها من جرائم ومــــا ينشب بينهم من خلافات حتى اذا اتسع نطـــاق العائــلات فأصبحت عشائر ، أصبح رئيس العشيرة هــو الـــذى يحكم فيما يعجز أرباب العائلات عن الحكم فيه من شئون عائلة كل منهم ، كمـــا يحكم فيما ينشب من خلافات بين العائلات المختلفة فى عشيرته ·

حتى اذا تزعم موسى اليهود وأخرجهم من مصر أصبح هــو قاضيهم أثناء وجودهم فى صحراء سيناء ، فكان يجلس للقضاء فى شئونهم من صباح كل يوم حتى مسائه · غير أنه لم يلبث ـ حين ازداد العمل زيادة عظيمة ـ أن أختـــار سبعين من اليهود وجعلهم رؤساء عليهم يحكمونهم ويقضــــون بينهم فى الدعاوى الصغيرة بموجب الشريعة التى وضعها لهم · وأما الدعـــاوى العسيرة فكانوا يأتون بها اليــــه ليقضى فيها (الخروج ١٨ : ١٣ ـ ٢٦ ، العدد ١١ : ١٦ و ١٧ ، التثنية ١ : ١٢ ـ ١٨) · وكان يرجع الى اللـــــه فى كل دعوى يعجز عن الوصول بنفسه الى حكم بشأنها على أساس أن اللــــه هو الحاكم والقاضى الاعلى (التثنية ١ : ١٧ ، المزمور ٩ : ٤ ، اشعياء ٣٣ : ٣٢) · وذلك كما حــــدث فى دعوى ابن شلومية الذى جـــدف على اللــــه (اللاويين ٢٤ : ١٠ ـ ١٤) والرجل الذى وجدوه يحتطب فى يوم السبت (العدد ١٥ : ٣٢ ـ ٣٦) · وقــد جـــاء فى سفر التثنية « قضاة وعرفاء تجعل لك فى جميع أبوابك التى يعطيك الرب الهك حسب أسباطك فيقضون للشعب قضاء عـــادلا · لا تحرف القضاء ولا تنظر الى الوجوه ولا تأخذ رشوة لان الرشوة تعمى أعين الحكماء » (التثنية ١٦ : ١٨ ـ ١٥) · وجــــاء

فيه « اذا عسر عليك أمر فى القضاء بين دم ودم وبين دعوى ودعوى أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات فى أبوابك فقم واصعد الى المكان الذى يختاره الرب الهك واذهب الى الكهنة اللاويين والى القاضى الذى يكون فى تلك الايام واسأل فيخبروك بأمر القضاء ، فتعمل حسب الامر الذى يخبرونك به ... وتحرص أن تعمل حسب كل ما يعلمونك .. لا تحد عن الامر الذى يخبرونك به .. والرجل الذى يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الربّ الهك أو للقاضى يقتل ذلك الرجل » (التثنية ٧ : ٨ ـ ١٣) .

ولما اغتصب اليهود أرض كنعان واستوطنوها أصبح شيوخ كل مدينة من مدنها هم قضاتها (القضاة ٨ : ١٦ ، ١١ : ٧) . كما كان يقضى بينهم زعماؤهم الذين كانوا يجمعون شملهم ويقودونهم فى الحرب لصد غارات أعدائهم ، ولذلك أصبح أولئك الزعماء معروفين بالقضاة (القضاة ٢ : ١٦) .

ثم فى عهد ملوك اليهود أصبح الملك هو القاضى الاعظم ، وشيوخ المدن هم القضاة تحت سلطانه . وكثيرا ما كان يجلس الملك بنفسه للقضاء فى دعاوى سائر شعبه . وقد فعل ذلك الملك داود (صموئيل الثانى ١٥ : ٢) مع أنه قيل أنه كان تحت يده ستة آلاف عريف وقاض (أخبار الايام الاول ٢٣ : ٤) ، كما فعل ذلك الملك سليمان ، وقد اشتهر بالحكمة فى قضائه (الملوك الأول ٣ : ١٦ ـ ٢٨) . وكان الملك أحيانا قبل أن يصدر حكمه فى الدعوى المعروضة عليه يستشير رئيس الكهنة أو النبى الذى يعيش فى عهده (العدد ٢٧ : ٢١ ، صموئيل الاول ٢٢ : ١٥) . وكان من المعالم البارزة فى تاريخ القضاء اليهودى أن يهوشافاط ملك يهوذا أقام قضاة فى كل أنحاء مملكته ، وأقام فى أورشليم مجلسا من اللاويين والكهنة

والشيوخ للقضاء ، وأسند رئاسة هذا المجلس لرئيس الكهنة فى الشئون الدينية ، ولرجل من غير الكهنة فى الشئون الخاصة بالملك (أخبار الايام الثانى ١٩ : ٥ ـ ١١) ٠

وفى عهد خضوع اليهود للفرس بعد عودتهم من السبى فى بابل منحهم ملوك فارس الحرية فى تطبيق شريعتهم اليهودية وتعيين قضاة من جنسهم يقضون لهم (عزرا ٧ : ٢٥ و ٢٦) ٠

وقد استمر اليهود فى عهد خضوعهم لليونان ثم للرومان يتمتعون بحق تطبيق شريعتهم على يد قضاة منهم ٠ وفى هذا العهد انشىء مجلس السنهدريم فى أورشليم ليكون هو المحكمة العليا لهم ، والمهيمن على كل شئونهم ٠ وكانت تتولى القضاء فى المدن والقرى مجالس أخرى خاضعة للسنهدريم ، كانوا يسمونها المجامع :

(أ) السنهدريم :

والسنهدريم لفظ يونانى معناه « المجمع العظيم » وكان يطلق عليه بالعبرية « الكنيسيت » ٠ ويعزو اليهود أصله الى عهد موسى ، اذ جاء فى سفر العدد « فقال الرب لموسى اجمع الى سبعين رجلا من شيوخ اسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم الى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك ، فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك » (العدد ١١ : ١٦ ـ ١٧) ٠ واليهود يقولون ان هذا المجلس قد أعيد تشكيله فى أيام حزقيال النبى ، اذ أشار اليه فى نبوءاته ، وكان عدد أعضائه أيضا سبعين شيخا (حزقيال ٨ : ١١ و ١٢) ٠ ويقولون انه أعيد تشكيله أيضا فى أيام عزرا بعد رجوع اليهود من السبى فى بابل (عزرا

٦ : ٨) • ثم أعيد تشكيله بعد ذلك فى عهد يوشافاط ملك يهوذا (أخبار الايام الثانى ١٩ : ٥ ــ ١١) • ثم فى عهد سمعان المكابى وكان عندئذ يسمى « المجمع العظيم للكهنة والشعب ورؤساء الامة وشيوخ البلاد » (المكابيين الاول ١٤ : ٢٨) •

وكان السنهدريم هو الذى يهيمن على حياة اليهود الدينية والمدنية على السواء ، وكان يحكم فى كل الشئون المتعلقة بالشريعة الطقسية والشريعة الجنائية والشريعة المدنية ، كما كان هو المحكمة الاستئنافية العليا للقضايا الهامة التى سبق أن فصلت فيها مجالس المدن والقرى التى كانوا يسمونها «المجامع» وكان هو المهيمن على شئون هيكل أورشليم ، وهو الممثل للشعب اليهودى • فكان هو حكومة اليهود التى تملك كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية • وكان فى ذلك الوقت هو الهيئة الكهنوتية العليا التى تملك سلطة الحكم فى كل المخالفات التى تمس الشريعة اليهودية ، كما تملك سلطة تنفيذ ما تصدر من أحكام • وكان للسنهدريم قوة عسكرية خاصة به لضبط المتهمين وتنفيذ الاحكام عليهم •

وكان عدد أعضاء السنهدريم فى آخر تشكيل له سبعين عضوا ، وهو نفس عدد أعضاء المجلس الذى شكله موسى النبى • وذلك فضلا عن رئيس المجلس الذى هو فى ذات الوقت رئيس الكهنة • وكان أولئك الاعضاء ينتخبون من الكهنة والكتبة واللاويين والشيوخ ، وكانوا يعينون باحتفالات دينية عظيمة ، اذ كان عضو السنهدريم شخصا ممتازا فى المجتمع اليهودى ، وكان يلقب بنائب اليهود ، كما كان يلقب بالمشير أو المستشار (لوقا ٢٣ : ٥٠) •

وكان السنهدريم ينعقد بكامل هيئته للنظر فى الشئون البالغة الاهمية • غير أنه كان ينعقد فى العادة على هيئة لجان •

ولم يكن يصح انعقاد اللجنة الا بحضور ثلاثة وعشرين من الاعضاء · ويبدو أنه كان ينقسم فى معظم الاحيان الى ثلاث لجان ، تعقد اجتماعاتها فى أماكن متفرقة . فمنها لجنة كانت تنعقد فى قاعة تقع بين رواق الامم ورواق النساء فى هيكل أورشليم ، ولجنة ثانية كانت تنعقد فى القاعة المجاورة لاحدى بوابات الهيكل ، وهى التى كانت تسمى « بوابة جبل الهيكل » ، ولجنة ثالثة كانت تنعقد فى قاعة غير هاتين من قاعات الهيكل تسمى « البلاط » «أو القاعة ذات البلاط» ·

وقد تجاسر أعضاء السنهدريم فى عهد هيرودس الكبير على مصارحته بأنهم لا يقبلونه ملكا عليهم لانه ليس يهوديا صميما ، فغضب عليهم وقتلهم جميعا ، ومن ثم توقف عمل السنهدريم ، وقد حول هيرودس اختصاصاته الى مجلس خاص شكله من بعض أتباعه المقربين اليه ، وقد تعمد الرومان بعد ذلك أن يجعلوا من السنهدريم مجلسا صوريا يضم رجالا من أنصارهم ، ومن ثم أصبح فى عهدهم يتكون من زمرة من الأذناب النفعيين الذين تناصرهم الحكومة ويكرههم الشعب · وقد ظلت حياة السنهدريم منذ ذلك الحين متوقفة على المؤامرات والدسائس التى يحيكها أعضاؤه فى الظلام ولا يتورعون بواسطتها عن ارتكاب أشنع الجرائم فى سبيل الاحتفاظ بمناصبهم ومكاسبهم ·
وفى نظير ذلك لم يتعرض الرومان لاختصاصات السنهدريم ولا سيما فى الشئون الدينية ، وكانوا قد سلبوه سلطة الحكم النهائى بعقوبة الموت ، فكان ينبغى عليه أن يطلب التصديق عليها من الوالى الرومانى ، فان لم يصدق عليها أصبحت باطلة وقد أصبحت سلطة السنهدريم فى الخمسين سنة السابقة على خراب أورشليم سلطة شكلية ، وقد بلغ من هوان شأنه أنه أصبح ينعقد فى حوانيت بيع الحمام التى كان يملكها رئيس الكهنة حنان وأبناؤه تحت بلوطة على جبل الزيتون مقابل هيكل

أورشليم ، وكانت تسمى « الشاتوجوت » • وقد انتهى السنهدريم بانتهاء الأمة اليهودية وخراب أورشليم سنة ٧٠ ميلادية •

(ب) المجامع :

وكان اختصاص القضاء فى المدن والقرى موكولا الى المجالس المحلية التى فى تلك المدن والقرى ، وهى التى كانت معروفة بالمجامع • وكان اليهود يسمون المجمع فى لغتهم العبرية « بيت هكنيسيت » • وقد سبق أن رأينا أن فكرة المجامع قد نشأت حين كان اليهود مسبيين فى بابل ، اذ تعذر عليهم هناك ان يقيموا شعائر عبادتهم فى هيكل أورشليم ، ومن ثم خصصوا أماكن معينة للصلاة ، حيث كانوا يقرأون أسفارهم المقدسة ، ومن ثم أقاموا فى كل مدينة بناء لهذا الغرض وأطلقوا عليه اسم المجمع • ولم يكونوا يقدمون فيه الذبائح ، وانما يقتصرون على القراءة والتعليم • حتى اذا عادوا الى بلادهم استمروا يقيمون هذه المجامع فى المدن والقرى •

وكان لكل مجمع مجلس يتألف من عدد من الشيوخ البارزين فى المدينة أو القرية ، يقوم السنهدريم بتعيينهم وتعيين رئيس لهم • وكان لمجمع كل مدينة أو قرية السلطة القضائية فيها تحت اشراف السنهدريم • فكان للمجمع سلطة محاكمة المجرمين واصدار الاحكام عليهم وتنفيذها ، فيما عدا حكم الموت • وكان يمكن استئناف أحكامه أمام السنهدريم • وقد كان من العقوبات التى للمجمع الحق فى الحكم بها عقوبة الاخراج من المجمع • وقد رأينا أن اليهود كانوا يعتبرونها أقسى من عقوبة الجلد ، بل من عقوبة الاعدام ، لأنها تتضمن العزل من المجتمع ومصادرة الاموال والممتلكات ، ولذلك كانوا يرهبون المجامع لان لها سلطة الحكم بها • ومن ثم تغلغل نفوذ المجامع فى كل صغيرة وكبيرة من حياة اليهود ، وكان لها نفوذ عظيم لديهم •

الفصل السادس

الأيام والأعياد والمواسم المقدسة عند اليهود

كانت لليهود أيام وأعياد ومواسم يعتبرونها مقدسة ، ويحيطونها باهتمام شديد ، ويحتفلون بها احتفالا عظيما ، ويقيمون أثناءها ما أمرتهم به الشريعة من مراسم وطقوس ، ممتنعين فيها امتناعا تاما عن أعمالهم العادية اليومية · وكانوا في بعض هذه الايام والاعياد والمواسم يجتمعون في أورشليم من كل أنحاء بلادهم ، ومن كل أنحاء البلاد الاخرى ، حتى ليبلغ عددهم الملايين ، ليقدموا الذبائح والقرابين ، ويؤدوا الشعائر اللازمة في الهيكل ، وهم يهتفون بالابواق (العدد ١٠ : ١٠) ويرقصون على ضربات الدفوف (الخروج ١٥ : ٢٠) ·

وقد كانت الايام المقدسة التي وردت في أسفار موسى هي : يوم السبت من كل أسبوع ، واليوم الاول من كل شهر ، وعيد الفصح الذى كان يسمى أيضا عيد الفطير ، وعيد الحصاد الذى كان يسمى أيضا عيد الخمسين أو عيد الاسابيع ، وعيد المظال الذى كان يسمى أيضا عيد الجمع ، وعيد الابواق ، ويوم الكفارة · وذلك فضلا عن السنة السابعة من كل سبع سنوات ، وسنة اليوبيل التي هي السنة الخمسين التالية لكل سبع

أسابيع من السنين • وبعد أن عاد اليهود من السبى أضافوا أعيادا كثيرة كانوا يحتفلون بها لمناسبة بعض الاحداث التى مرت بهم ، ومنها عيد الفوريم ، وعيد التجديد •

١ ـ يوم السبت

السبت لفظ عبرانى معناه الراحة أو الكف عن العمل • وقد أطلقته الشريعة على اليوم السابع من الاسبوع ، لأنه ورد فى سفر التكوين أن الله استراح فيه بعد أن خلق العالم فى ستة أيام ، اذ جاء فيه « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع » (التكوين ٢ : ٢) •

وقد قضت الوصايا العشر وغيرها من نصوص الشريعة اليهودية بتقديس يوم السبت والامتناع فيه عن أى عمل من أعمال الحياة اليومية وتخصيصه لعبادة الله وتقديم الذبائح والقرابين اليه ، لأنه مظهر من مظاهر الشكر والولاء لله الخالق ، كما أنه تذكار لعتق اليهود من عبودية المصريين، اذ جاء فى سفر التكوين « وبارك الله اليوم السابع وقدسه » (التكوين ٢ : ٣) • وجاء فى سفر الخروج « أذكر يوم السبت لتقدسه • ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك • وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك ، لا تصنع عملا ما أنت وابنك وعبدك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك ، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها ، واستراح فى اليوم السابع • لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه » (الخروج ٢٠ : ٨ ـ ١١) « ستة أيام تعمل عملك ، وأما اليوم السابع ففيه تستريح لكى يستريح ثورك وحمارك ويتنفس ابن أمتك والغريب » (الخروج ٢٣ : ١٢) « كلم

الرب موسى قائـــلا وأنت تكلم بنى اسرائيل قائـــلا سبوتى تحفظونها لانه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقدسكم • فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم ••• ستة أيام يصنع عمل وأما اليوم الســـابع ففيه سبت عطلـــة مقدس للرب •• فيحفظ بنو اسرائيل السبت ليصنعوا السبت فى أجيالهم عهدا أبديا • وهو بينى وبين بنى اسرائيل علامـــة الى الابد • لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والارض وفى اليوم السابع استراح وتنفس » (الخروج ٣١ : ١٢ ـ ١٧) ـ « لا تشعلوا نارا فى جميع مساكنكم يوم السبت » (الخروج ٣٥ : ٣) • وجـــاء فى سفر التثنية : « احفظ يـــوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب الهك • ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك • وأما اليوم السابع فسبت للرب الهك لا تعمل فيـــه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذى فى أبوابك لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك • واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هنـــاك بيد شديدة وذراع ممدودة ، لاجـــل ذلك أوصاك الرب الهك أن تحفظ يوم السبت » (التثنية ٥ : ١٢ ـ ١٥) • وكانت الشريعة تقضى بتقديم ذبيحة اضافية يـــوم السبت ، فضـــلا عن الذبيحة اليومية ، اذ جـــاء فى ســفر العدد « وفى يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق ملتوت بزيت تقدمه مع سكيبه ، محرقة كل سبت ، فضـــلا عن المحرقة الدائمة وسكيبها » (العدد ٢٨ : ٩ و ١٠) •

ومما يدل على مدى تقديس السبت وأهمية الوصية بعـــدم القيام فيـــه بأى عمل ، أن الذى يخالف هـــذه الوصية تقضى عليه الشريعة بالموت ، اذ جـــاء فى سفر الخروج « فتحفظون السبت لانه مقدس لكم • من دنســـه يقتل قتلا • ان كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها •• كل من صنع

عملا فى يوم السبت يقتل قتلا » (الخروج ٣١ : ١٤ و ١٥) ، وجـــاء فيه « أما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلـــة مقدس للرب • كل من يعمل فيه عملا يقتل » (الخروج ٣٥ : ٢) • وقد حدث فعلا فى عهد موسى أنهم وجدوا رجـــلا يعمل فى يوم السبت فكان عقابه القتل ، اذ جـــاء فى سفر العدد « ولما كان بنو اسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت ، فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبـــا الى موسى وهارون وكل الجماعة •• فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل ، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة ، فأخرجـه كل الجماعة الى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات » (العدد ١٥ : ٣٢ ــ ٣٦) •

وقد بدأ اليهود يراعون وصية تقديس السبت من عهـــد موسى ، فقد كانوا يجمعون فى اليوم السابق على الســبت المن اللازم لذلك اليوم وليوم السبت أيضـــا ، لأنه لم يكن جائزا جمعه فى يوم السبت ، ولم يكن المن بطبيعة الحال يسقط يوم السبت ، اذ جـــاء فى سفر الخروج « ثم كان فى اليوم السادس أنهم التقطوا خبزا مضاعفا •• فجـــاء كل رؤســـاء الجماعة وأخبروا موسى ، فقال لهم هـــذا ما قال الرب • غـدا عطلة سبت مقدس للرب • اخبزوا ما تخبزون واطحنوا ما تطحنون • وكل ما فضل ضعوه عندكم ليحفظ الى الغد • فوضعوه الى الغد كما أمر موسى •• فقال موسى كلـــوه اليوم لان للرب اليوم سبتا • اليوم لا تجدونه فى الحقل • ستة أيام تلتقطونه وأما السابع ففيه سبت • لا يوجد فيه » (الخروج ١٦ : ٢٢ ــ ٢٥) واذ كان اليهود يقومون بالاعمال التى تلزم يوم السبت كاعداد الطعام وغير ذلك فى اليوم السابق عليه استعدادا للامتناع عن العمل فيه ، كانوا يسمونه يوم الاستعداد (مرقس ١٥ : ٤٢ ، لوقا ٢٣ : ٥٤ ، يوحنا ٩ : ١٤) •

وقد تطرف اليهود فى تطبيق وصية حفظ السبت تطبيقـــا حرفيا متزمتا ، اذ اعتبروها أهم الوصايا العشر ، قائلين ان الله حفظها فى السماء قبل أن يخلق العالم ، وان الله ما اختار اليهود شعبا له الا ليحفظوا السبت · وقد تطرفوا فى ذلك حتى لقد كانوايمتنعون عن القتال فى يوم السبت ولو أدى ذلك الى هزيمتهم فى الحرب ، اذ جاء فى سفر المكابيين ان أنطيوخوس ملك سوريا أصدر أمره الى كل البلاد الخاضعة لسلطانه بأن تعبد الآلهة اليونانية فرضخ له كثيرون من اليهود ، ولكن متاتيا وأولاده وأتباعه عصوا هــذا الامر وخرجوا واختبأوا فى الجبـــال « فجرى كثيرون فى أعقابهم فأدركوهم وجيشوا حولهم وناصبوهم القتال فى يوم السبت وقالوا لهم حسبكم مـــا فعلتم فاخرجوا وافعلوا كما أمر الملك فتحيوا · فقالوا لا نخرج ولا نفعل كما أمر الملك لئلا ندنس يوم السبت ، فأثاروا عليهم القتال فلم يردوا عليهم ولا رموهم بحجر ولا سدوا مختبآتهم ·· فهجموا عليهم وقاتلوهم فى السبت فهلكوا هم ونساؤهم وبنوهم ومواشيهم ، وكانوا ألف نفس من الناس » (المكابيين الأول ٢ : ٣١ ــ ٣٨) · وقـــد وضع فقهاء اليهود قائمة بالاعمال التى يتحتم الامتنـــاع عن القيام بها فى يوم السبت ، فكان منها استدعاء الطبيب لعيادة المريض مهما اشتد به المرض ، ووضع دهان على الحرق أو ضماد على الجرح مهما كانت خطورته ، وكان منها لبس الاسنان الصناعية ، وعبور نهر على الارجل الخشبية ، وانتزاع شعرة بيضاء من الرأس وكتابة كلمة واحدة على الورق · وقد روى سينيسيوس أن بحارا يهوديا فاجأته عاصفة يوم السبت فظل محجما عن أن يرفع المرساة فى ذلك اليوم حتى غرق · وقد كان من نتيجة هذه المراعاة الشكلية لحفظ اليهود للسبت أنهم جعلوه بمثابة صنم يعبدونه ، مغفلين حكمته الادبية والروحية ، وقد أوغلوا فى الآثام والشرور ، ومن ثم وبخهم أنبياؤهم على ذلك معلنين غضب

الله عليهم • (اشعياء ١ : ١٣ ، حزقيال ٤٦ : ٣٠ ، هوشع ٢ : ١١ ، عاموس ٨ : ٥) •

٢ ـ أول الشهر

كان الشهر العبرى هو الشهر القمرى ، وكان أول أيامه هو الذى يظهر فيه الهلال فى بدايته ، ولذلك كانت أوائل الشهور تسمى « الاهلة » ، وقد قضت الشريعة باعتبار هذا اليوم مقدسا كأيام السبوت ، فكانوا يذهبون فيه الى الهيكل ويسجدون لله ، اذ جاء فى سفر اشعياء « ويكون من هلال الى هلال ومن سبت الى سبت أن كل ذى جسد يأتى ليسجد أمامى قال الرب » (اشعياء ٦٦ : ٣) • وكانوا يصعدون فيه المحرقات (أخبار الايام الاولى ٢٣ : ٣١ ، أخبار الايام الثانى ٢ : ٤ ، عزرا ٣ : ٥ ، نحميا ١٠ : ٣٣) • وكانوا ينفخون فيه بالابواق ، وقد جاء فى سفر المزامير « انفخوا فى رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم عيدنا ، لأن هذا فريضة لاسرائيل » (المزمور ٨١ : ٣ و ٤) •

٣ ـ السنة السابعة

كما كان اليوم السابع وهو يوم السبت مقدسا فى الشريعة اليهودية ، كانت السنة السابعة مقدسة كذلك ، وكانت تسمى سنة السبت ، أى سنة الراحة أو سنة العطلة ، لأن الشريعة تقضى بعدم الزرع فيها ، اذ جاء فى سفر الخروج « ست سنين تزرع أرضك وتجمع غلتها ، وأما فى السابعة فتريحها وتتركها ليأكل فقراء شعبك • وفضلتهم تأكلها وحوش البرية ، كذلك تفعل بكرمك وزيتونك » (الخروج ٢٣ : ١٠ و ١١) • وجاء فى سفر اللاويين « ست سنين تزرع حقلك وست سنين تقضب كرمك وتجمع غلتها ، وأما السنة السابعة ففيها يكون

للارض سبت عطلة ، سبتا للرب ، لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك • زريع حصيدك لا تحصد وعنب الكرم المحول لا تقطف •• ويكون سبت الارض لكم طعاما • لك ولعبدك ولامتك ولاجيرك ولمستوطنك النازلين عندك ولبهائمك وللحيوان الذى فى أرضك تكون كل غلتها طعاما » (اللاويين ٢٥ : ٣ ـ ٧) • كما كانت السنة السابعة تسمى سنة الابراء ، لان الشريعة تقضى فيها بابراء المدينين من اليهود الفقراء من ديونهم اذ جاء فى سفر التثنية « فى آخر سبع سنين تعمل ابراء ••• يبرىء كل صاحب دين يده مما أقرض صاحبه ، لا يطالب صاحبه ولا أخاه لانه قد نودى بابراء الرب » (التثنية ١٥ : و و ٢) • وكانت تسمى كذلك سنة العتق ، لأن الشريعة تقضى فيها بعتق العبيد اليهود ، اذ جاء فى سفر التثنية « اذا بيع لك أخوك العبرانى أو اختك العبرانية وخدمك ست سنين ، ففى السنة السابعة تطلقه حرا من عندك » (التثنية ١٥ : ١٢) •

وقد أمر موسى كهنة اليهود وشيوخهم بأن يقرأوا التوراة أمام الشعب فى السنة السابعة ويعلموهم الشريعة ويوصوهم بالمحافظة عليها ، اذ جاء فى سفر التثنية « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ اسرائيل ، وأمرهم موسى قائلا فى نهاية السبع السنين ، وفى ميعاد سنة الابراء ، فى عيد المظال ، حينما يجىء جميع اسرائيل لكى يظهروا أمام الرب الهك فى المكان الذى يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل اسرائيل فى مسامعهم • اجمع الشعب الرجال والنساء والاطفال والغريب الذى فى أبوابك لكى يسمعوا ويتعلموا ان يتقوا الرب الهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة » (التثنية ٣١ : ٩ ـ ١٢) •

٤ ـ سنة اليوبيل

واذ كان اليوم السابع مقدسا ، والسنة السابعة مقدسة ،

اعتبرت الشريعة السنة التالية لكل سبع أســابيع من السنين مقدسة كذلك . ولمـا كان مجموع السبعة الاسابيع من السنين تسعا وأربعين سنة ، كانت السنة المقدسة هى الخمسين . وكان من مظاهر الاحتفال بتلك السنة النفخ بالبوق ، وهو بالعبرية « يوبيل » . لذلك أطلقوا على هذه السنة اسم « اليوبيل » . وقــد قضت الشريعة بأن يرجع كل شىء فى هــذه الســنة الى أصله ، فيسترد كل مالك ملكه ، ويعود كل شخص الى عشيرته ، ويستعيد كل عبد من اليهود حريته ، وتستريح الارض من الزراعة والحصــاد ، اذ جــاء فى سفر اللاويين « وتعـد لك ســبعة سبوت سنين ، سبع سنين سبع مرات ، فتكون لك أيام السبعة السبوت السنوية تسعا وأربعين سنة ، ثم تعبر بوق الهتــاف فى الشهر السابع فى عاشر الشهر فى يــوم الكفارة . تعبرون البوق فى جميع أرضكم ، وتقدسون السنة الخمسين وتنادون بالعتق فى الارض لجميع سكانها . تكون لكم يوبيلا وترجعون كل الى ملكه وتعودون كل الى عشيرته . يوبيلا تكون لكم السنة الخمسون . لا تزرعوا ولاتحصدوا زريعها ولا تقطفوا كرومها المحول .. من الحقل تأكلون غلتها . فى سنة اليوبيل هــذه ترجعون كل الى ملكه » (اللاويين ٢٥ : ٨ ـ ١٣) .

ولعل مما يلفت النظر هو اهتمام الشريعة اليهودية بالرقم « سبعة » ، فقد رأينا أنها تتضمن تقديس اليوم الســابع فى الاسبوع ، والسنة السابعة فى كل ســبع سنوات ، والســنة التالية لكل سبع أسابيع من السنوات . وذلك فضلا عن أن عيد الفصح يستمر سبعة أيام ، وعيد المظال يستمر سبعة أيام . ويتعين رش الدم على المذبح فى يوم الكفارة سبع مرات (اللاويين ١٦ : ١٤) . وقد طاف سبعة كهنة حول سور أريحا يضربون بسبعة أبواق ، وفى اليوم السابع طافوا سبع مرات (يشوع ٦ : ٨ ـ ١٦) . وقد ورد ذكر السبعات فى الكتاب المقــدس أكثر من ستمائة مرة . وتفسير ذلك أن الرقم « سبعة » يرمز

الى التمام والكمال · وقد كان البابليون يستخدمون للدلالة على هـــذا الرقم نفس الكلمة التى يعبرون بها عن « الكل » ·

٥ ـ يوم الكفارة

وقد حددت الشريعة يوما فى كل سنة للتكفير عن الخطايا ، تسمية يوم الكفارة ، وهو بالعبرية « كيبور » ، ويقع فى اليوم العاشر من شهر ايثانيم وهو الشهر الســـابع العبرى · وكان ينبغى فيه الامتناع عن العمل وتذليل النفس بالصوم والاعتراف بالخطايا والاجتماع فى احتفال مقدس للقيام بالطقوس المقررة للتكفير فى ذلك اليوم ، اذ جـــاء فى سفر اللاويين « أمـــا اليوم العاشر من هـــذا الشهر السابع فهـــو يوم الكفارة · محفلا مقدســـا يكون لكم تذللون نفوسكم وتقربون وقـــودا للرب · عملا مالا تعملون فى هـــذا اليوم عينه لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم أمام الرب الهكم · ان كل نفس لا تدلل نفسها فى هـــذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها · عملا مـــا لاتعملوا فريضة دهرية فى أجيالكم فى جميع مساكنكم · انــه سبت عطلة لكم فتذللون نفوسكم · فى تاسع الشهر عند المساء من المســـاء الى المســـاء تسبتون سبوتكم » (اللاويين ٢٣ : ٢٦ ـ ٣٢) ·

وكان الصوم فى ذلك اليوم هو الصوم الوحيد الذى قررته الشريعة على اليهود ، وكانوا يمتنعون فيــه امتناعا كاملا عن الطعام والشراب من غروب شمس اليوم الســـابق الى غروبها فى يوم الكفارة ·

وقد وردت الطقوس التى قررتها الشريعة ليوم الكفارة فى سفر اللاويين اذ جـــاء فيه « قال الرب لموسى كلم هارون أخاك ألا يدخل فى كل وقت الى الاقداس داخـــل الحجاب أمـــام

الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت ٠٠ بهذا يدخل هارون الى القدس : بثورين بقر لذبيحة خطية وكبش لمحرقة ٠ يلبس قميص كتان مقدسا وتكون سراويل كتان على جسده ، ويتنطق بمنطقة كتان ، ويتعمم بعمامة كتان ٠ انهـا ثيـاب مقدسة ، فيرحض جسده بمـاء ويلبسها ٠ ومن جماعة بنى اسرائيل يأخذ تيسين من البقر لذبيحة خطيئة وكبشا واحدا لمحرقة ، ويقرب هارون ثور الخطيئة الذى له ويكفر عن نفسـه وعن بيته ، ويأخـذ التيسين ويوقفهما أمـام الرب لدى باب خيمة الاجتماع ، ويلقى هارون على التيسين قرعتين : قرعة للرب وقرعة لعزازيل (أى الشيطان) ٠ ويقرب هارون التيس الذى خرجت عليه القرعة للرب ويعمل ذبيحة خطيئة ٠ وأما التيس الذى خرجت عليـه القرعة لعزازيل فيوقف حيـا أمـام الرب ليكفر عنه ليرسله الى عزازيل الى البرية ٠ ويقدم هارون ثور الخطيئة الذى لـه ويأخذ ملء المجمرة جمر نار عن المذبح من أمـام الرب وملء راحتيه بخورا عطرا دقيقا ويدخل بهما الى داخـل الحجـاب ويجعـل البخور على النار أمـام الرب فتغشى سحابة البخور الغطـاء الذى على الشهادة فلا يموت ، ثم يأخذ من دم الثور وينضح بأصبعه على وجـه الغطاء الى الشرق ٠ وقدام الغطاء ينضح سبع مرات من الدم بأصبعه ٠ ثم يذبح تيس الخطيئـة الذى للشعب ويدخل بدمـه الى داخل الحجاب ويفعل بدمـه كما فعل بدم الثور ٠ ينضحه على الغطـاء وقـدام الغطاء ، فيكفر عن القدس من نجاسات بنى اسرائيل ومن سيئاتهم مع كل خطاياهم ٠ وهكذا يفعل لخيمة الاجتماع القائمة بينهم فى وسط نجاساتهم ٠ ولا يكن انسـان فى خيمة الاجتماع من دخـوله للتكفير فى القدس الى خروجه ، فيكفر عن نفسـه وعن بيته وعن كل جماعة اسرائيل ، ثم يخرج الى المذبح الذى أمـام الرب ويكفر عنه ٠ يأخذ من دم الثور ومن دم التيس ويجعـل على قرون المذبح مستديرا ، وينضح عليه من الـدم بأصبعه

سبع مرات ويطهره ويقدسه من نجاسات بني اسرائيل . ومتى فرغ من التكفير عن القدس وعن خيمة الاجتماع وعن المذبح ، يقدم التيس الحي ، ويضع هارون يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب بني اسرائيل وكل سيآتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه الى البرية ، ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم الى أرض مقفرة فيطلق التيس فى البرية . ثم يدخل هارون الى خيمة الاجتماع ويخلع ثياب الكتان التى لبسها عند دخوله الى القدس ويضعها هناك، ويرحض جسده بماء فى مكان مقدس ، ثم يلبس ثيابه ويخرج ويعمل محرقته ومحرقة الشعب ويكفر عن نفسه وعن الشعب. وشحم ذبيحة الخطيئة يوقده على المذبح . والذى أطلق التيس الى عزازيل يغسل ثيابه ويرحض جسده بماء ، وبعد ذلك يدخل الى المحلة ، وثور الخطيئة وتيس الخطيئة اللذان أتى بدمهما للتكفير فى القدس يخرجهما الى خارج المحلة ويحرقون بالنار جلديهما ولحمهما وفرثهما . والذى يحرق يغسل ثيابه ويرحض جسده بماء وبعد ذلك يدخل الى المحلة . ويكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر تذللون نفوسكم وكل عمل لا تعملون ، الوطنى والغريب النازل فى وسطكم ، لأنه فى هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم . من جميع خطاياكم أمام الرب تطهرون . سبت عطلة هو لكم وتذللون نفوسكم فريضة دهرية ويكفر الكاهن الذى يمسحه والذى يملأ يده للكهانة عوضا عن أبيه . يلبس ثياب الكتان ، الثياب المقدسة ، ويكفر عن مقدس القدس . وعن خيمة الاجتماع والمذبح يكفر ، وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر . وتكون هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بني اسرائيل من جميع خطاياهم مرة فى السنة » (اللاويين ١٦ : ٢ ـ ٣٤)

٦ ـ عيد الفصح

الفصح لفظ عبرى معناه « العبور » • وقد سمي العيد بهذا الاسم لانه تقرر تذكارا لعبور اليهود البحر الاحمر أثناء خروجهم من مصر ، وسمي كذلك بعيد الفطير لانهم أكلوا خبزهم ليلة الخروج قبل أن يختمر ، أى أكلوه فطيرا • وكانوا أثناء الاحتفال بهذا العيد يأكلون فطيرا كذلك • وكانت الاحتفالات بهذا العيد تستمر سبعة أيام ، وتبدأ من اليوم الخامس عشر من الشهر الاول من شهور السنة العبرية وهو شهر أبيب ، الذى أصبحوا يسمونه بعد السبى نيسان ، وكان ذلك اليوم هو الذى خرج اليهود فيه من مصر ، وتنتهى فى مساء اليوم الحادى والعشرين من الشهر المذكور • وكان اليهود يقيمون فى أول أيام هذا العيد محفلا مقدسا يمتنعون فيه عن العمل، وفى آخر أيامه محفلا مقدسا يمتنعون فيه عن العمل كذلك • وكانوا طوال السبعة الايام يأكلون فطيرا بدل الخبز المختمر ، ويمارسون الطقوس المقررة لذلك العيد ابتداء من عشية اليوم السابق عليه وكانوا يسمونه يوم الاستعداد ، وهو اليوم الرابع عشر من شهر أبيب أو نيسان ، وهو الذى نسميه اليوم ابريل • وكان أول هذه الطقوس وأهمها ان تذبح كل عائلة يهودية فى عشية يوم الاستعداد خروفا ، وتلطخ بدمه قائمتى باب البيت وعتبته ، وتشويه بأكمله دون أن تكسر عظمة منه ، ثم تأكل لحمه داخل البيت مع الفطير وبعض الاعشاب المرة ، وما بقى منه الى الصباح تحرقه بالنار • ويرمز ذلك الى الخروف الذى ذبحته كل عائلة يهودية ليلة خروج اليهود من مصر ولطخت بدمائه قوائم وعتبة بيتها ، حتى اذا أهلك الله فى تلك الليلة أبكار المصريين تجاوز بيوت اليهود الملطخة بالدماء فلم يهلك أبكارهم • وكان اليهود يأكلون لحم ذلك الخروج ليلة الفصح فى عجلة وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم فى أرجلهم وعصيهم فى

أيديهم كما فعلوا ليلـــة خروجهم من مصر · وكان ذبح ذلك الخروف هو محور طقوس ذلك العيد كلها ، حتى لقد أصبحوا يسمون الخروف نفسه بالفصح · ويرمز دم الخروف الى الفداء والخلاص الذى أنعم الله به على اليهود فى تلك الليلة · وترمز الاعشاب المرة الى ما كان اليهود يلقونه من عبودية في مصر ·. وأما الفطير فكان المقصود به تذكير اليهود بعبوديتهم فى مصر وطردهم منها ، اذ جاء في سفر الخروج « فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم ·· وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر خبز ملة فطيرا اذ كان لم يختمر ، لأنهم طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا ، فلم يصنعوا لانفسهم زادا » (الخروج ١٢ : ٣٤ ـ ٣٩) · كمـا يرمز الفطير الى طهارة القلب التى يريد الله من المؤمنين به ان يكونوا متصفين بها ، مبتعدين عن الفساد الذى يرمز اليـــــه الخمير ·

وقد اهتمت الشريعة اليهودية اهتماما كبيرا بعيد الفصح ، وشرحت طقوسه شرحا دقيقا مفصلا كى يلتزمها اليهود التزاما كاملا ، اذ جاء فى سفر الخروج « كلم الرب موسى وهارون فى أرض مصر قائلا هـذا الشهر (الذى خرج فيـه اليهـــود من مصر) يكون لكم رأس الشهور · هو لكم أول شهور السنة · كلما كل جماعة اسرائيل قائلين فى العاشر من هـــــذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شـــاة بحسب بيوت الآباء · شاة للبيت · وان كان البيت صغيرا عن أن يكون كفوا لشاة يأخذ هو وجاره القريب من بيته بحسب عدد النفوس · كل واحد على حسب أكله تحسبون للشاة · تكون لكم شــــاة صحيحة ذكرا ابن سنة · تأخذونه من الخرفان أو من المواعز ، ويكون عندكم تحت الحفظ الى اليوم الرابع عشر من هـــذا الشهر · ثم يذبحه كل جمهور جماعة اسرائيل فى العشية · ويأخذون من الدم ويجعلونه على

القائمتين ، والعتبة العليـــا فى البيوت التى يأكلونه فيهـــا • ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير • على أعشاب مرة يأكلونه • لا تأكلوا منه نيئا أو طبيخا مطبوخا بالمـــاء بل مشويا بالنار • رأسه مع أكارعه وجوفه ، ولا تبقوا منـــه الى الصباح • والباقى منـــه فى الصباح تحرقونه بالنار • وهـكذا تأكلونه أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم فى أرجلكم وعصيكم فى أيديكم ، وتأكلونه بعجلة • هو فصح للرب • فانى أجتاز فى أرض مصر هـــذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم •• ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم •• ويكون لكم هـــذا اليوم تذكارا تعيدونه عيدا للرب • فى أجيالكم تعيدونه فريضـــة أبدية • سبعة أيام تأكلون فطيرا • اليـــوم الاول تعزلون الخمير من بيوتكم • فان كل من أكل خميرا من اليوم الاول الى اليوم السابع تقطع تلك النفس من اسرائيل • ويكون لـــكم فى اليوم الاول محفل مقدس ، وفى اليوم السابع محفل مقدس • لا يعمل فيهما عمل ما الا ما تأكله كل نفس فذلك وحده يعمل منكم • وتحفظون الفطير لانى فى هـــذا اليوم عينه أخرجت أجنادكم من مصر ، فتحفظون هـــذا اليوم فى أجيالكم فريضة أبدية • فى الشهر الاول فى اليوم الرابع عشر من الشهر مساء تأكلـــون فطيرا الى اليوم الحادى والعشرين من الشهر مساء • سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم ، فان كل من أكل مختمرا تقطع تلك النفس من جماعة اسرائيل ، الغريب مع مولود الارض •• هذه فريضة الفصح • كل ابن غريب لا يأكل منه ، ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه • النزيل والاجير لا يأكلون منه • فى بيت واحد يؤكل • لا تخرج من اللحم من البيت الى الخارج • وعظما لا تكسروا منه • كل جماعة اسرائيل يصنعونه » (الخروج ١٢ : ١ ــ ٤٧) • وجـاء فى هذا السفر « اذكروا أن هذا اليوم الذى فيه خرجتم من مصر من بيت العبودية •• أنتم خارجون

فى شهر أبيب · ويـــكون متى أدخلـك الرب أرض الكنعانيين والحثيين والامــوريين والحويين واليبوسيين ·· انك تصــنع هذه الخدمة فى هذا الشهر · سبعة أيام تأكل فطيرا وفى اليوم السابع عيد للرب · وتخبر ابنك فى ذلك اليوم قائلا من أجــل ما صنع الى الرب حين أخرجنى من مصر ·· فتحفظ هذه الفريضة فى وقتها من سنة الى سنة » (الخروج ١٣ : ٣ ـ ١٠) وجـــاء فى سفر التثنية « احفظ شهر أبيب واعمل فصحا للرب الهك ، لانه فى شهر أبيب أخرجك الرب الهك من مصر ليلا · فتذبح الفصح للرب الهك غنما وبقرا فى المكان الذى يختاره الرب الهك ليحل اسمه فيه · لا تأكل عليه خميرا · سبعة أيام تأكل عليه فطيرا ، خبز المشقة ، لانك بعجلة خرجت من أرض مصر ، لكى تذكر يوم خروجك من أرض مصر كل أيام حياتك ·· لا يحل لك أن تذبح الفصح فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب الهك ، بل فى المكان الذى يختاره الرب الهك ليحل اسمه فيه · هناك تذبح الفصح مساء نحو غروب الشمس فى ميعاد خروجك من مصر » (التثنية ١٦ : ١ ـ ٦) · ويلاحظ أن الشريعة كانت تقضى أولا بأن تذبح كل عائلة خروف الفصح فى بيتها ، ثـم قضت بعد ذلك بأن يكون ذلك فى « المكان الذى يختاره الرب » أى فى خيمة الاجتماع أو فى هيكل أورشليم · غير أن اليهود ظلوا ـ ولا ســـيما فى نهاية عهـد أمتهم ـ يفعلون ذلك فى بيوتهم ·

وحين استقر اليهود فى أرض فلسطين احتفلوا بعيد الفصح اذ جاء فى سفر يشوع « فحل بنو اسرائيل فى الجلجال ، وعملوا الفصح فى اليـــوم الرابع عشر من الشهر مســـاء فى عربات أريحا ، وأكلوا من غلة الارض فى الغـــد بعد الفصح فطيرا وفريكا فى نفس ذلك اليوم ، وانقطع المن فى الغد عند أكلهم من غلة الارض » (يشوع ٥ : ١٠ ـ ١٢) · غير أن اليهود لم

يلبثوا ان نسوا شريعتهم في عهـــد القضاة ثم في عهد الملوك ثم في عهد السبي ، فكانوا لا يفتأون يهملون الاحتفـــال بعيـد الفصح ، حتى يقوم فيهـم ملك أو زعيم غيـــور فيحثهـم على الاحتفال به ، اذ جاء في سفر الملوك أن يوشـــيا ملك يهوذا ــ الذي عاش بعد دخول اليهود أرض فلسطين بأكثر من ثمانمائة عـــام ــ قرأ توراة موسى على اليـــهود ، ووبخهم على عبادتهم للاصنام ، و « أمر الملك جميع الشعب قائلا اعملوا فصحا للرب الهكم كما هو مكتوب في سفر العهد هــذا ، انه لم يعمل مثـل هـــذا الفصح منذ أيام القضـــاة الذين حكموا على اسرائيل ولا في كل أيام ملوك اسرائيل وملوك يهوذا ٠ ولكن في السنة الثانية عشرة للملك يوشـــيا ٠ عمل هـــذا الفصح للرب في أورشليم » (الملوك الثاني ٢٣ : ٢١ ــ ٢٣) ٠ وجـــاء في سفر أخبار الايام « أرسل حزقيا (ملك يهوذا) الى جميع اسرائيـــل ويهوذا وكتب أيضا رسائل الى أفرايم ومنسى أن يأتوا الى بيت الرب في أورشليم ليعملوا فصحا للرب اله اسرائيل ٠٠ لانهم لم يعملوه كما هو مكتوب منــذ زمان كثير ٠٠ فذهب الســـعاة بالرسائل من يد الملك ورؤسائه في جميع اسرائيل ويهوذا ٠ وحسب وصية الملك كانوا يقولون يا بني اسرائيـل ارجعوا الى الرب اله ابراهيم واسحق واسرائيل فيرجع الى الناجين لكم ٠٠ ولا تكونوا كآبائكم وكاخوتكم الذين خانوا الرب اله آبائهم ٠٠ الآن ولا تصلبوا رقابكم كآبائكم بل اخضعوا للرب ٠٠ فـــكان السعاة يعبرون من مدينة الى مدينة في أرض أفرايم ومنسى حتى زبولون ، فكانوا يضحكون عليهم ويهزأون بهم ٠٠ الا أن قوما من أشير ومنسى وزبولون تواضعوا وأتوا الى أورشـــليم ٠٠ فاجتمع الى أورشليم شعب كثير لعمل عيـــد الفطير في الشهر الثـــاني ٠٠ وقاموا وأزالوا المذابح (الوثنية) التي في أورشليم وذبحوا الفصح في الرابع عشر من الشهر الثاني ، والكهنـــة واللاويون خجلوا وتقدسوا وأدخلوا المحرقات الى بيت الرب ٠٠

وأكلوا الموسم سبعة أيام يذبحون ذبائح سلامة ٠٠ وكان فرح عظيم فى أورشليم » (أخبار الايام الثانى ٣٠ : ١ ـ ٢٧) ٠
وجاء في سفر عزرا أن اليهود الذين كانوا مسبيين في بابل ثم عادوا الى أورشليم أعادوا بناء الهيكل واحتفلوا فيه بالفصح، بعد أن كانوا لا يحتفلون به فى السبى ، اذ ورد في ذلك السفر « وعمل بنو السبى الفصح فى الرابع عشر من الشهر الاول ٠٠ وذبحوا الفصح ٠٠ وأكله بنو اسرائيل الراجعون من السبى ٠٠ وعملوا عيد الفطير سبعة أيام بفرح ، لأن الرب فرحهم وحول قلب ملك آشور نحوهم لتقوية أيديهم فى عمل بيت اللـه اله اسرائيل » (عزرا ٦ : ١٩ ـ ٢٢) ٠

ولم تلبث أن تغيرت بعض الطقوس التى قررتها الشريعة في عيد الفصح ، فأصبح اليهود يأكلون الفصح فى بيوتهم لا فى هيكل أورشيلم ، وأصبحوا يأكلونه متكئين لا واقفين (متى ٢٦ : ١٧ ـ ٢٠ ، مرقس ١٤ : ١٢ ـ ١٩ ، لوقا ٢٢ : ٧ ـ ١٤ ، يوحنا ١٣ : (١ و ١٢) ٠ فكان كل فرد من أفراد العائلة يشرب كأسا من الخمر بعد أن يتلو عليها الرب العائلة صلاة البركة ، ثم يغسل الجميع أيديهم ، ويضعون على المائدة خبز الفصح ومعه الاعشاب المرة والفطير وخليطا من البلح والزبيب والخل يسمونه « الشاروسيث » ، ثم يغمس رب العائلة بعض الاعشاب المرة فى طبق الشاروسيث ويأكلها وهو يبارك ، ثم يوزع منها على الجميع ٠ وبعد ذلك يتناول كأسا أخرى من الخمر ، ثم يتجه أصغر الموجودين سنا الى رب العائلة ويسأله عن معنى الفصح ، فيشرحه له كما ورد فى الشريعة ٠ ثم يترنمون بصلاة يسمونها « التهليل » وكانت تتضمن المزمورين ١١٣ و ١١٤ ٠ ثم يشرب رب العائلة كأسا ثالثة من الخمر ، يتلوها بصلاة ثم يشرب كأسا رابعة ، ثم يترنم الجميع بباقى «صلاة التهليل» ، وكانت تتضمن المزامير من ١١٥ الى ١١٨ ثم

ينتهى الحفل بتبادل التهانى · وكان اليهود في أواخر عهد آمتهم وقبيل خراب اورشليم ، يحتفلون بهـذا العيد احتفالا صاخبا زاخرا بالرقص والغناء والموسيقى ، حيث يحتشد مئـات الألوف منهم فى هيكل آورشليم من جميع أنحاء العالم المعروف فى ذلك الحين ·

٧ ـ عيد الحصاد :

كان عيد الحصاد يقع فى اليوم السادس من شهر سيوان الذى هو الشهر الثالث في الشهور العبرية ، وكان ذلك العيد معروفا بهذا الاسم لانه يجيء بعد الانتهاء من حصـاد القمح · وكان يسمى أيضا عيد الباكورة · لأن الشريعة تقضى فيـه بتقديم رغيفين من باكورة محصول القمح مع القرابين والذبائح المقررة لذلك اليوم · كمـا كان يسمى عيد الاسـابيع ، وبالعبرية «شابوعوت» لأنه كان يجيء بعد عيد الفصح بسبعة أسابيع ·· وكان يسمى فضـلا عن ذلك عيد الخمسـين لانه يقع فى اليوم الخمسين بعد اليوم الثـانى من الفصح · واذ كان معروفا فى التقليد اليهودى ان الله أعطى الشريعة لليهود فى اليوم الخمسين بعد خروجهم من مصر ، فقد كان هـذا العيد تذكارا لاعطـاء الشريعة أكثر منه احتفالا بحصاد القمح ، وكانت مـدة هـذا العيد يوما واحدا ، يتحتم فيه على اليهود الامتناع عن العمل ، كما يتحتم فيـه عليهم أن يجتمعوا فى بيت الرب لتقديم بواكير حصادهم مع ذبائحهم · وتوصى الشريعة بتقديم العطايا فى ذلك اليوم للاويين ، والاحسان الى الارامل واليتامى والعبيد ، وترك لقاط الحصيد للغرباء والمساكين · اذ جاء فى سـفر الخروج « تحفظ ·· عيد الحصاد ، أبكار غلاتك التى تزرع فى الحقل » (الخروج ٢٣ : ١٥ و ١٦) · وجـاء فيه « تصنع لنفسـك عيد الاسابيع ، أبكار حصاد الحنطة » (الخروج ٣٤ : ٢٢) ·

وجـاء فى سفر اللاويين « تحسبون لكم من غـد السبت ، من يوم اتيانكم بحزمة الترديد ، ثم تقربون تقدمة جديدة للرب • من مساكنكم تأتون بخبز ترديد رغيفين عشرين يـسـكونان من دقيق ويخبزان خميرا باكورة للرب • وتقربون مع الخبز سبعة خراف صحيحة حولية وثورا واحدا ابن بقر وكبشين محرقة للرب مع تقدمتها وسكيبها وقود رائحة سرور للرب ، وتعملون تيسـا واحدا من المعز ذبيحة خطية وخروفين حوليين ذبيحة سـلامة ، فيرددها الكاهن مع خبز الباكورة ترديدا أمام الرب مع الخروفين، فتكون للكاهن قدسا للرب • وتنادون فى ذلك اليوم عينه محفلا مقدسا يكون لكم • عملا ما من الشغل لا تعملوا • فريضة دهرية فى جميع مساكنكم فى أجيالكم • وعندما تحصدون حصـيد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك فى حصادك ولقاط حصـيدك لا تلتقط • للمسكين والغريب تتركه » (اللاويين ٢٣ : ١٥ ـ ٢٢) • وجـاء فى سفر العدد « فى يوم الباكورة حين تقربون تقدمة جديدة للرب فى أسابيعكم يكون لـكم محفل مقدس •• عملا ما من الشغل لاتعملوا ، وتقربون محرقة لرائحة سرور للرب ثورين ابنى بقر وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية ، وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزيت ثلاثة أعشـار لكل ثور وعشرين للكبش الواحد ، وعشرا واحدا لكل خروف من السبعة الخراف ، وتيسا واحدا من المعز للتكفير عنكم • فضـلا عن المحرقة الدائمة وتقدمتها تعملون ، مع سكائبهن صحيحات تكون لكم » (العـدد ٢٨ : ٢٦ ـ ٣٠) •

٨ ـ عيد المظال

عيد المظال هو ثالث الاعياد اليهودية الكبرى بعد عيد الفصح وعيد الحصاد ، وهو يسمى بالعبرية « سكوث » • وقـد قررته الشريعة اليهودية تذكارا لاقامة اليهود فى خيام أو مظـال فى صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر • وكان يسمى أيضـا

عيد الجمع ، لأنه كان يجيء بعد جمع الغلال من الحقول والعنب والزيتون من البساتين . وكان هـذا العيد يستمر سبعة أيام تبدأ في الخامس عشر وتنتهي في الحادى والعشرين من شـهر ايثانيم ، وهو الشهر السابع من شهور السنة العبرية ، وهو الذى سمي بعد ذلك تشرين الاول ، أو أكتوبر . وكانت الشريعة تقضي بتحريم القيام بأى عمل في اليوم الاول واليوم الاخير من هـذا العيد . وكان اليهود أثناء الايام السبعة لهذا العيد يعيشون في مظـال يقيمونها من سعف النخيل وأغصان الزيتون والصنوبر والصفصاف والريحان ، احياء لذكرى اقامة أجدادهم في مثل هذه المظال في صحراء سيناء . وكانت جموع اليهود تفد في فجر كل يوم من أيام العيد على هيكل أورشليم ، في كل مظاهر البهجة والفرح ، للقيام بالطقوس التى قررتها الشريعة لكل يوم ، والتى كان يشترك فيها الكهنة جميعا .

وقد ذكرت الشريعة عيد المظال ضمن الأعياد الثلاثـة الأولى التى قررت الاحتفـال بها في بيت الرب .. اذ جاء في سـفر الخروج : « ثلاث مرات تعيد لى في السنة . تحفظ عيد الفطير .. وعيد الحصاد ، أبكار غلاتك التى تزرع في الحقل ، وعيد الفطير .. في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل . ثلاث مرات في السنة يظهر جميـع ذكورك أمام السيد الرب » (الخروج ٢٣ : ١٤ ـ ١٧) . وجاء في سفر اللاويين « أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ففيه عندما تجمعون غلة الأرض تعيدون عيدا للرب سبعة أيام . في اليوم الأول عطلة ، وفي اليوم الثانى عطلة وتأخذون لانفسكم في اليوم الأول ثمر أشجار بهجة وسعف النخل وأغصان أشجار غبياء وصفصاف الوادى . وتفرحون أمـام الرب الهكم سبعة أيام . تعيدونه عيدا للرب سبعة أيام في السنة فريضة دهرية في أجيالكم .. في مظال تسكنون سبعة أيام ..

لكى تعلم أجيالكم أنى فى مظال أسكنت بنى اسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر » (اللاويين ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٣) .

وقد وردت الطقوس التى قررتها الشريعة لذلك العيد فى سفر العدد ، اذ جاء فيه « فى اليوم الخامس عشر من الشهر السابع يكون لكم محفل مقدس . عملا ما من الشغل لا تعملوا . وتعيدوا عيدا للرب سبعة أيام . وتقربون محرقة وقود رائحة سرور للرب ثلاثة عشر ثورا أبناء بقر ، وكبشين ، وأربعة عشر خروفا حوليا، صحيحة تكون لكم . وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزيت ثلاثة أعشار لكل ثور من الثلاثة عشر ثورا وعشرات لكل كبش من الكبشين ، وعشر واحد لكل خروف من الأربعة عشر خروفا ، وتيسا واحدا من المعز ذبيحة خطية ، فضلا عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها . وفى اليوم الثانى أربعة عشر ثورا أبناء بقر ، وكبشين ، وأربعة عشر خروفا حوليا صحيحا وتقدمتهن وسكائبهن للثيران والكبشين والخراف حسب عددهن كالعادة ، وتيسا واحدا من المعز ذبيحة خطيئة ، فضلا عن المحرقة الدائمة مع سكائبهن . وفى اليوم الثالث أحد عشر ثورا ، وكبشين وأربعة عشر خروفا حوليا صحيحا وتقدمتهن وسكائبهن .. وتيسا واحدا ذبيحة خطيئة .. وفى اليوم الرابع عشرة ثيران وكبشين وأربعة عشر خروفا حوليا صحيحا وتقدمتهن وسكائبهن .. وتيسا واحدا من المعز ذبيحة خطيئة . .وفى اليوم الخامس تسعة ثيران وكبشين وأربعة عشر خروفا حوليا صحيحا وتقدمتهن وسكائبهن . وتيسا واحدا ذبيحة خطيئة .. وفى اليوم الخامس والسادس ثمانية ثيران وكبشين وأربعة عشر خروفا حوليا صحيحا وتقدمتهن وسكائبهن .. وتيسا واحدا ذبيحة خطيئة .. وفى اليوم السابع سبعة ثيران وكبشين وأربعة عشر خروفا حوليا صحيحا وتقدمتهن وسكائبهن .. وتيسا واحدا ذبيحة خطيئة .. وفى اليوم الثامن يكون لكم اعتكاف . وعملا ما من الشغل

لا تعملوا ، وتقربون محرقة وقودا رائحة سرور للرب ثورا واحدا وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية صحيحة وتقدمتهن وسكائبهن للثور والكبشين والخراف حسب عددهن كالعادة ، وتيسا واحدا ذبيحة خطيئة فضلا عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها ٠٠ هذه تقربونها للرب في مواسمكم ، فضلا عن نذوركم ونوافلكم من محرقاتكم وتقدماتكم وسكائبكم وذبائح سلامتكم » (العدد ٢٨ : ١٢ ـ ٣٩) ٠

وقد أوصت الشريعة بالاحسان الى المحتاجين فى ذلك العيد ، كما أوصت بالظهور بمظهر الفرح وتقديم القرابين لله شكرا على بركته ٠ اذ جاء فى سفر التثنية « تعمل لنفسك عيد المظال سبعة أيام عندما تجمع من بيدرك ومن معصرتك ، وتفرح فى عيدك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوى والغريب واليتيم والأرملة الذين فى أبوابك ٠ سبعة أيام تعيد للرب الهك فى المكان الذى يختاره الرب لان الرب الهك يباركك فى كل محصولك وفى كل عمل يديك فلا تكون الا فرحا ٠ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب الهك فى المكان الذى يختاره فى عيد الفطير ٠ وعيد الأسابيع ، وعيد المظال ، ولايحضروا أمام الرب فارغين ٠ كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب الهك التى أعطاك » (التثنية ١٦ : ١٣ ـ ١٦) ٠

وكانوا يقرأون التوارة كلها فى الهيكل فى عيد المظال كل سبع سنين ، اذ جاء فى سفر التثنية « فى نهاية السبع السنين ، فى ميعاد سنة الابراء ، فى عيد المظال ، حينما يجىء جميع اسرائيل لكى يظهروا أما مالرب فى المكان الذى يختاره ، تقرأ هذه التوراة أمام كل اسرائيل فى مسامعهم » (التثنية ٣١ : ١٠ و ١١)

وقد أهمل اليهود الاحتفال بهذا العيد أزمانا طويلة خلال

تاريخهم منذ استيلائهم على أرض فلسطين بقيادة يشوع بن نون وطوال عهد القضاة والملوك ، أى نحو ألف سنة ، اذ يقول نحميا الذى تزعم اليهود بعد عودتهم من السبى فى بابل « فى اليــوم الثانى اجتمع رؤوس آباء جميع الشعب والكهنة واللاويون الى عزرا الكاتب ليفهمهم كل الشريعة ، فوجدوا مكتوبا فى الشريعة التى أمر بها الرب عن يد موسى أن بنى اسرائيل يسكنون فى مظال فى العيد فى الشهر السابع ، وأن يسمعوا وينادوا فى كل مدنهم وفى أورشليم قائلين أخرجوا الى الجبل وأتوا بأغصــان زيتون برى وأغصان آس وأغصان نخل وأغصان أشجار غبياء ، لعمل مظال ، كما هو مكتوب • فخرج الشعب وجلبــوا وعملوا لأنفسهم مظال كل واحد على سطحه وفى دورهم ودور بيت الله وفى ساحة باب الماء وفى ساحة باب أفرايم • وعمل كل الجماعة الراجعين من السبى مظال وسكنوا فى المظال ، لانه لم يعمل بنو اسرائيل هكذا من أيام يشوع بن نون الى ذلك اليوم » (نحميا ٨ : ١٣ ــ ١٧) •

وقد أدخل اليهود فى أواخر عهد أمتهم مزيدا من المراســم البهيجة على عيد المظال • فكانوا فى موعد ذبيحة الصباح يحملون فى أيديهم الفاكهة وسعف النخيل وأغصان الآس والصفصــاف ويتجمعون فى ساحة هيكل أورشليم ثم يطوفون حول المذبح مرة كل يوم ، وسبع مرات فى اليوم السابع • وعندما توضع تقدمــة الصباح على المذبح كان أحد الكهنة يحمل أبريقا من الــذهب الى بركة سلوام عند سفح جبل الزيتون ويغترف ثلاث مــرات من الماء ثم يعود فى موكب صاخب بهيج مجتازا باب المــاء الى الهيكل ، حتى اذا بلغ ساحته تهتف الأبواق المقدسة هتاف الفرح • والكل بينذاك يرددون قول اشعياء النبى « فتستقون ميــــاه بفرح من ينابيع الخلاص » (اشعياء ١٢ : ٣) • حتى اذا وصل الكاهن الى أعلى درجات الهيكل ، راح يصب الماء فى وعاء فضى

موضوع فى الناحية الغربية من المذبح ، ثم يصب خمرا فى وعاء فضى آخر موضوع فى الناحية الشرقية ، وعندئذ يرنم الجميع مزامير التهليل ، حتى اذا بلغوا الآية القائلة « احمدوا الرب فانه صالح والى الأبد رحمته » كانت الجموع تلوح بما فى أيديها من الأغصان تلويح الفرح والانتصار . وكانوا فى المساء يروحون يغنون ويرقصون على ضوء منارتين عاليتين كانتا قائمتين فى دار النساء ، تحمل كل منهما أربعة مصابيح متلألئة ، فكانتا تلقيان ضوءهما على المدينة كلها .

٩ ـ عيد الأبواق

كان عيد الأبواق يقع فى أول الشهر السابع من الشهور العبرية ، وهو شهر ايثانيم الذى أصبح يسمى فيما بعد تسرى أو تشرين الأول ، وهو الذى نسميه اليوم أكتوبر . ويعتبر الحاخاميون هذا العيد يوم ميلاد العالم ، لانه موعد بذر البذور ، وكانوا فيه يهتفون بالأبواق فى كل أنحاء البلاد ، الا اذا وقع العيد فى يوم السبت فعندئذ لا يصح الهتاف بالأبواق الا داخل الهيكل ، وقد حرمت الشريعة القيام بأى عمل فى ذلك العيد وخصصته للعبادة وتقديم القرابين والذبائح فى الهيكل . اذ جاء فى سفر اللاويين « فى الشهر السابع فى أول الشهر يكون لكم عطلة ، تذكار هتاف البوق ، محفل مقدس ، عملا ما من الشغل لا تعملوا لكن تقربون وقودا للرب » (اللاويين ٢٣ : ٢٤ و ٢٥) وجاء فى سفر العدد « فى الشهر السابع ، فى الأول من الشهر يكون لكم محفل مقدس ، عملا ما من الشغل لا تعملوا . يوم هتاف بوق يكون لكم . وتعملون محرقة لرائحة سرور للرب ثورا واحدا ابن بقر وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية صحيحة ، وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزيت ، ثلاثة أعشار للثور وعشرين

للكبش وعشرا واحدا لكل خروف من السبعة الخراف ، وتيسا واحدا من المعز ذبيحة خطيئة للتكفير عنكم ، فضلا عن محرقة الشهر وتقدمتها والمحرقة الدائمة وتقدمتها من سكائبهن كعادتهن رائحة سرور وقوادا للرب » (العدد ٢٩ : ١ ـ ٥) ٠

١٠ ـ عيد الفوريم

وقد أنشأ اليهود فى أثناء السبى فى بابل عيدا لم يكن واردا فى شريعتهم ، اذ حدث فى عهد قمبيز ملك فارس وهو الذى تسمية التوراة « أحشويرش » ، انه كان قد تزوج امرأة يهودية تسمى « استير » وكان لها ابن عم يسمى « مردخاى » ٠ وكان ثمة رجل اسمه « هامان » رفعه الملك الى أعظم المراتب فى مملكته وأمر الجميع بأن يسجدوا له ، ولكن مردخاى اليهودى رفض السجود له فغضب هامان عليه وقرر قتله هو وجميع اليهود الذين فى الدولة ، وفعلا استطاع أن يقنع الملك بذلك ، ثم راح يلقى قرعة لتحديد اليوم المناسب لهلاك اليهود ٠ ولكن استير استطاعت من جانبها أن تقنع الملك بأن يعفو عن اليهود ، وأن يقتل هامان ، ويسمح لليهود بأن يقتلوا كل أعدائهم ، فقتل الملك وزيره هامان مصلوبا مع أبنائه العشرة ٠ وأما اليهود فقتلوا خلال بضعة أيام كل من وقع فى أيديهم من أعدائهم ، وقد بلغ من قتلوهم فى يوم واحد من أولئك الأعداء خمسة وسبعين ألفا ٠ ثم قرروا الاحتفال سنويا بذكرى اليومين اللذين انتهت فيهما هذه المذبحة ، وهما يوافقان الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار ٠ وهو الذى نسميه اليوم شهر مارس ٠ وأطلقوا عليهما اسم الفوريم ، وهى كلمة عبرية فى صيغة الجمع مفردها « فور » أى « القرعة » . مشيرين بذلك الى القرعة التى ألقاها هامان لتحديد اليوم الذى يهلك فيه اليهود ٠ وكان اليهود فى

يومى هذا العيد، يشربون ويصخبون ويغنون ويرقصون فى فرح وطرب • وقدجاء عن ذلك فى سفر استير « فضرب اليهود جميع اعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا• وقتل اليهود فى شوشن القصر (وهى مدينة سوسا عاصمة فارس) وأهلكوا خمسمائة رجل •• ثم اجتمع اليهود الذين فى شوشن فى الرابع عشر أيضا من شهر آذار وقتلوا فى شوشن ثلاثمائة رجل •• وباقى اليهود الذين فى بلدان الملك اجتمعوا•• وقتلوا فى شوشن ثلاثمائة رجل •• وباقى اليهود الذين فى بلدان الملك اجتمعوا •• وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفا •• فى اليوم الثالث عشر من شهر آذار ، واستراحوا فى اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم شرب وفرح • واليهود الذين فى شوشن اجتمعوا فى الثالث عشر والرابع عشر منه واستراحوا فى الخامس عشر وجعلوه يوم شرب وفرح •• وكتب مردخاى هذه الأمور وأرسل رسائل الى جميع اليهود الذين فى كل بلدان الملك أحشويرش القريبين والبعيدين ، ليوجب عليهم أن يعيدوا فى اليوم الرابع عشر من شهر آذار ، واليوم الخامس عشر منه ، فى كل سنة ، حسب الأيام التى استراح فيها اليهود من أعدائهم ، والشهر الذى تحول عندهم من حزن الى فرح • ومن نوح الى يوم طيب ليجعلوها أيام شراب وفرح •• ولان هامان بن همدانا الأجاجى عدو اليهود جميعا تفكر على اليهود ليبيدهم والقى فورا أى قرعة لافنائهم وابادتهم •• لذلك دعوا تلك الأيام فوريم على اسم الفور •• ويوما الفور هذان لا يزولان من وسط اليهود ، وذكرهما لا يفنى من نسلهم » (استير ٩ : ٥ ـ ٢٨) •

ومنذ انشاء هذا العيد أصبح اليهود يحتفلون به كل عام • وقد جاء فى سفر المكابيين أنهم كانوا يسمونه كذلك « يوم مردخاى » ، وكانوا يصومون طوال اليوم الثالث عشر من شهر

آذار ، ثم فى مساء ذلك اليوم يجتمعون فى هيكل أورشـــليم أو فى مجامع المدن والقرى ، وهناك يقرأون سفر استير ، حتى اذا وصلوا الى اسم «هامان» صرخ المجتمعون قائلين « الهلاك له» بينما يخشخش الأطفال بخشخيشات فى أيديهم ، ثم يتلون أسماء أبناء هامان العشرة بسرعة شديدة وفى نفس واحد للدلالة على أنهم صلبوا فى وقت واحد • ثم يقضون يومى العيـــد غارقين فى الشراب والغناء والرقص •

١١ ـ عيد التجديد

وقد أنشأ يهوذا المكابى « عيد التجديد » فى عام ١٦٥ قبـــل الميلاد ، تخليدا لذكرى تجديد الهيكل فى عهـــده ، اذ كـــان انطيوخوس ملك سوريا قد هاجم بلاد اليهود ودخل هيكل أورشليم وأشاع فيه الخراب ، ونهب نفائسه ، وفرض الديانة اليونانيـــة على الشعب اليهودى ، فاعتنقها كثيرون منهم • وقد تمرد متاتيا وخرج مع أبنائه الى الجبال وأعلن الحرب على أنطيوخوس • فلما مات خلفه فى زعامة المتمردين أكبر أبنائه يهوذا ، وهو الملقب بالمكابى ، وقد ظل هذا يقاتل حتى استطاع الاستيلاء عـــلى أورشليم ، وهناك وجد الهيكل وقد التهمت النار معظمه • ونجسه اليونان بوضع معبوداتهم فيه ، واذ لم يجد يهوذا وسيلة الى تطهير حجارته من الدنس الذى لحق بها حسب الشريعة اليهوديـــة ، هدمها وجاء بحجارة جديدة ، وأعاد بناء الهيكل من جديد ، وصنع له آنية جديدة ، ثم فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع من السنة العبرية وهو شهر كسلو ، دشن الهيكل ، وظل يقيـــم فيه الطقوس ويقدم الذبائح ثمانية أيام منذ ذلك اليوم ، وقرر أن يكون هذا عيدا دائما لليهود يحتفلون به مدة ثمانية أيام تبدأ فى اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلو من كل عام • وقد

أصبح اليهود يعتبرون هذا العيد من أهم وأعظم أعيادهم .
وكانوا يجعلون له من أسباب البهجة ما كانوا يجعلون لعيدى
الفصح والمظال ، فكانوا أثناءه يزينون مدخل الهيكل بتيجان من
الذهب ، ويضيئون كل الأنوار التى فى الهيكل وفى أورشليم ،
ولذلك كانوا يسمونه أيضا عيد الأنوار (آثار يوسيفوس ١٢:٧)

ولا يزال اليهود يحتفلون بهذا العيد حتى اليوم .

الفصل السابع

الكتب المقدسة عند اليهود

كان المصدر الاول للعقيدة اليهودية والشريعة اليهودية هو مجموعة الاسفار أى الكتب التى اصطلح علماء الدين على تسميتها بالعهد القديم ، أو التوراة بالمعنى الواسع لهذا اللفظ ، وهو الذى استخدمناه فى هذا الكتاب • وأما المصدر الثانى فهو مجموعة الشروح والتفسيرات والتطبيقات للمصدر الأول ، وهى المسماة بالتلمود • ونتكلم فيما يلى عن كل من هذين المصدرين :

١ ــ التوراة

وقد كان مدلول التوراة فى البداية ينصرف الى الخمسة الأسفار الأولى من العهد القديم ، وهى المسماة أسفار موسى ، ولكن هذا المدلول لم يلبث أن اتسع فشمل أسفار العهد القديم كلها • وقد قام بتدوين هذه الاسفار أشخاص عديدون ، عاشوا فى أزمنة متفاوتة على مدى نحو ألف عام • ولكنها كلها مكتوبة فى الأصل باللغة العبرية ، وان كانت بعض فصولها مكتوبة باللغة الآرامية التى أصبح اليهود يتكلمون بها أثناء السبى فى بابل وظلوا يتكلمون بها بعد عودتهم من السبى الى أورشليم • وتضم

التوارة ستة وأربعين سفرا • وقد جرى الاصطلاح على تسميتها من حيث موضوعها الى خمسة أقسام هى : الأسفار التشريعية • والأسفار التاريخية ، والاسفار الشعرية ، والاسفار النبوية • والأسفار التعليمية •

١ ـ الأسفار التشريعية :

أما الأسفار التشريعية ، فهى أسفار موسى الخمسة ، وهى الحجر الأساسى فى الشريعة اليهودية • وهى أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية • وتدل كثير من العبارات التى وردت فى هذه الأسفار على أن موسى النبى هو الذى كتبها بوحى من الله ، فقد جاء فى سفر الخروج « فقال الرب لموسى أكتب هذا تذكارا فى الكتاب » (الخروج ١٧ : ١٤) • وجاء فيه « فكتب موسى جميع أقوال الرب •• وأخذ كتاب العهد وقرأ فى مسامع الشعب » (الخروج ٢٤ : ٤و٧) • وجاء فى سفر التثنية « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى •• ولجميع شيوخ اسرائيل • وأمرهم موسى قائلا فى نهاية السبع السنين ، فى ميعاد سنة الابراء ، فى عيد المظال •• تقرأ هذه التوراة أمام كل اسرائيل • •اجمع الشعب • الرجال والنساء والأطفال والغريب الذى فى أبوابك لكى يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب الههم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة » (التثنية ٣١ : ٩ ـ ١٢) • وجاء فيه « فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب الى تمامها ، أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا ، خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون هناك شاهدا عليكم ، لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة » (التثنية ٣١ : ٢٤ ـ ٢٧) • كما جاء فى سفر يشوع « وكان بعد موسى

عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا ٠٠ كن متشددا وتشجع جدا لكى تتحفظ للعمل حسب كل الشريعة التى أمرك بها موسى عبدى ٠٠ لايبرح سفر هذه الشريعة من فمك ٠ بل تلهج فيه نهارا وليلا لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه » (يشوع ١ : ١و٧و٨) ٠ وجاء فيه « حينئذ بنى يشوع مذبحا للرب اله اسرائيل فى جبل عيبال كما أمر موسى عبد الرب بنى اسرائيل ، كما هو مكتوب فى سفر توراة موسى ٠٠ وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التى كتبها أمام بنى اسرائيل » (يشوع ٨ : ٣٠ ــ ٣٢) ٠ وجاء فيه « فتشددوا جدا لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب فى سفر شريعة موسى حتى لا تحيدوا عنها يمينا ولا شمالا » (يشوع ٢٣ : ٦)٠ أما الفصل الأخير من سفر التثنية الذى هو آخر أسفار موسى ٠ والذى أشير فيه الى موت موسى ، فقد كتبه كاتب آخر غيره كحاشية لهذا السفر ٠ والراجح أن الذى كتبه هو يشوع بن نون، تلميذ موسى وخليفته فى زعامة اليهود ٠

وقد أشير فى سائر أسفار العهد القديم الى أسفار موسى الخمسة ، وقد سميت «سفر موسى » (عزريا ٦ : ١٨) و « سفر شريعة موسى » (نحميا ٨ : ١) و « سفر شريعة الرب بيد موسى » (أخبار الأيام الثانى ٣٤ : ١٤) و « سفر الشريعة » (الملوك الثانى ٢٢ : ٨) و « سفر العهد » (أخبار الأيام الثانى ٣٤ : ٣٠) و « شريعة موسى » (عزرا ٧ : ٦) و « توراة موسى » (يشوع ٨ : ٣٢) ٠

وقد تضمنت أسفار موسى الخمسة الأحكام الأساسية للشريعة اليهودية ، وهى تشمل أحكام الشريعة الطقسية ، والشريعة الأدبية ، والشريعة الجنائية والشريعة الدينية متداخلة بعضها فى البعض الآخر ٠ وان كان كل سفر منها يعالج موضوعا أو بضعة موضوعات رئيسية :

(١) فسفر التكوين يشتمل على وصف الكيفية التى خلق بها الله العالم والانسان • كما يشتمل على قصة الطوفان • وبيان الآباء الأوائل للجنس البشرى قبل الطوفان وبعده ، وأخبار نوح وأبنائه حام وسام ويافث ، وذرية كل منهم ، ثم أخبار ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف ، ونزوح بنى يعقوب الى مصر مع أبيهم وبقائهم فيها تحت حكم المصريين •

(٢) وسفر الخروج يشتمل على قصة حياة موسى النبى واختيار الله له ليقود اليهود ويخرجهم من مصر • كما يشتمل على وصف رحلة اليهود بزعامة موسى فى صحراء سيناء ، وتسليم الله أحكام الشريعة لموسى ، واقامة خيمة الاجتماع ، وما صنعه موسى من المعجزات ليؤمن اليهود بالله ويخضعوا لشريعته •

(٣) وسفر اللاويين يشتمل على ما فرضته الشريعة من طقوس العبادة وطرائق تقديم القرابين والذبائح والمحرقات الى الله ، وتخصيص اللاويين وهم أبناء سبط لاوى للخدمة الدينية فى خيمة الاجتماع ، ووصف ما يرتدونه أثناء الخدمة من ملابس ، وما يقومون به من اجراءات لتطهير أنفسهم والاستعداد لأداء واجباتهم وممارسة الطقوس المنصوص عليها فى هذا السفر لعبادة الله ، بكل ما يليق به تعالى من هيبة ورهبة وتقديس •

(٤) وسفر العدد يشتمل على استكمال وصف رحلة اليهود فى صحراء سيناء والتعداد الذى أجراه موسى لاحصاء القادرين منهم على القتال ، وهم الذين تجاوزوا سن العشرين من الذكور ، وذلك فضلا عن تفصيل بعض الحوادث التى جاءت مجملة فى سفر الخروج ، وفضلا عن اضافة بعض شرائع جديدة الى الشرائع التى سبق ورودها فى سفرى الخروج واللاويين •

(٥) وسفر التثنية يشتمل على تكرار لسرد الأحـداث التى وقعت لليهود فى صحراء سيناء ، والمعجزات التى صنعها اللـه أمامهم والأحكام التى أنزلها الله عليهم ليتذكروها ويعتبروا بها ويعملوا على مقتضاها ، كما يشتمل على بيان بعض الشرائـع الجديدة وتنقيح بعض الشرائع التى سبق بيانها ، طبقا لمقتضى ما استجد من الأحوال والأحداث ٠

٢ ـ الاسفار التاريخية :

والأسفار التاريخية تتضمن فصولا من تاريخ اليهود منـذ استيلائهم على أرض كنعان بقيادة يشوع بن نون الى عهد المكابيين، وهى تشتمل على أربعة عشر سفرا ، منها أربعة أسفار ينقسم كل منها الى جزأين :

(١) فسفر يشوع هو أول الأسفار التاريخية ، وهو يشتمل على وصف مفصل لاستيلاء اليهود على أرض كنعان وتقسيمها بين أسباطهم ٠ والراجح أن يشوع بن نون هو الذى كتب هـذا السفر ، ويدل على ذلك عبارة وردت به ، اذ جاء فيـه « وكتب يشوع هذا الكلام من سفر شريعة الله » (يشوع ٢٦ : ٢٤) أى أنه كتب هذا السفر وألحقه بالأسفار التى كتبها موسى ٠ أما الآيات الأخيرة من هذا السفر التى تنبىء بموت يشوع بن نون ، فقد كتبها كاتب آخر كحاشية للسفر ٠

(٢) سفر القضاة وهو يتضمن تاريخ اليهود منذ أواخر عهد يشوع بن نون الى نهاية عهد شمشون ، ويشتمل على وصف الكيفية التى احتل بها اليهود بعض أرض كنعان التى لم يكن يشوع قـد احتلها ، ثم عبادة اليهود للاصنام وغارات الشعوب المحيطة بهم عليهم وقيام زعمائهم الذين يسمونهم بالقضاة بتوحيد صفوفهم لصد هذه

الغارات عنهم • كما يشتمل هذا السفر على بعض القصص التى تدل على تمرد اليهود على الله وفساد أخلاقهم ، ومنها قصة استيلاء سبط دان على لا يش (القضاة ١٨) وقصة ميخا والكاهن (القضاة ١٧ و ١٨) وقصة زنا ولواط سبط بنيامين ، ثم هلاك هذا السبط كله تقريبا (القضاة ١٩ ــ ٢١) • ويرجح بعض العلماء أن كاتب هذا السفر هو صموئيل النبى •

(٣) سفر راعوث وهو يتضمن قصة الفتاة الموآبية راعوث التى تزوجها بوعز فجاء من ذريتها منه الملك داود• وينسب البعض كتابة هذا السفر الى كاتب سفر القضاة وهو على الأرجح صموئيل النبى، اذ يتضح من سياقه أن حوادثه جرت فى أواخر عهد القضاة ، ومن ثم اعتبروه تكملة لهذا السفر •

(٤) سفر صموئيل ، وهو فى جزأين ويتضمن تاريخ اليهود أثناء حياة صموئيل النبى ، الذى كان قاضى اليهود وزعيمهم ونبيهم ، وصاحب الكلمة العليا فى كل شئونهم ، وهو الذى اختار لهم شاول أول ملوكهم ، ثم اختار لهم داود من بعده ، ولذلك يشتمل هذا السفر بجزأيه على تاريخ حياة الملك شاول ، وتاريخ حياة الملك داود • ويرجح البعض أن صموئيل النبى هو الذى كتب هذا السفر ، ما عدا الجزء الأخير منه الذى يتضمن الأحداث التىوقعت بعد موت صموئيل • بينما يرجح البعض الآخر أن الذى كتب هذا السفر هو الملك داود •

(٥) سفر الملوك ، وهو فى جزأين ، ويتضمن تاريخ اليهود منذ أواخر عهد الملك داود فى نحو عام ٩٧٢ قبل الميلاد الى أن سبى البابليون اليهود وأخرجوهم من بلادهم الى بابل فى نحو عام ٥٨٩ قبل الميلاد ، وفى خلال هذه المدة تم بناء هيكل أورشليم • كما أنه فى خلالها انقسمت مملكة اليهود بعد موت سليمان الى

مملكتين هما مملكة « يهوذا » ومملكة « اسرائيل » • ويعتقد بعض العلماء أن كاتب هذا السفر هو ارميا النبى ، فى حين يعتقد بعضهم الآخر ان كاتبه هو عزرا أو باروخ •

(٦) سفر أخبار الأيام ، وهو في جزأين ، ويتضمن شرحا تفصيليا وتكميليا للاحداث التى وردت فى سفر صموئيل وفى سفر الملوك ، مع اهتمام واضح بابراز الناحية الكهنوتية فى هذه الأحداث • ويرجح العلماء أن كاتب هذا السفر هو عزرا ، معتقدين أنه كتب هذا السفر فى كتاب واحد مع سفرى عزرا ونحميا ، لان هذين السفرين الأخيرين يكملان سفر أخبار الأيام من الناحية التاريخية ، ولان الثلاثة أسفار مكتوبة كلها بطريقة واحدة وبأسلوب واحد •

(٧) سفر عزرا ، ويتضمن تاريخ اليهود فى فترة خضوعهم لحكم الفرس ، وعودة بعضهم من السبى الى أورشليم بزعامة زر بابل ، ثم عودة البعض الآخر بزعامة عزرا • وقد تم فى هذه الفترة ترميم هيكل أورشليم • وقد كان هذا السفر فى الأصل مكتوبا بعضه باللغة العبرية والبعض الآخر باللغة الارامية • ويرجح العلماء أن كاتب هذا السفر هو عزرا •

(٨) سفر نحميا ، ويتضمن تكملة لتاريخ اليهود فى فترة خضوعهم لحكم الفرس • ومن أبرز الاحداث التى أشار اليها عودة نحميا الى أورشليم ليعيد بناء أسوارها • والاصلاحات الدينية التى قام بها هو وعزرا • ويعتقد بعض العلماء كما رأينا أن كاتب هذا السفر هو عزرا ، فى حين يعتقد البعض الآخر أن كاتبه هو نحميا، مدللين على ذلك بكثير من العبارات التى يشير فيها الى نفسه بصيغة المتكلم ، ولا سيما أنه يقول فى بداية السفر « كلام نحميا ابن حكليا » (١ : ١) •

(٩) سفر طوبيا ، ويتضمن قصة رجل يهودى من سبط نفتالى يسمى طوبيا وكان ممن سباهم الأشوريون الى بلادهم ، كما يتضمن قصة ابنه المسمى طوبيا أيضا • ويرجح العلماء أن طوبيا وابنه قد كتبا هذا السفر باللغة الكلدانية أو اللغة العبرانية • وقد ورد هذا السفر ضمن الترجمة اليونانية للعهد القديم التى تسمى الترجمة السبعينية ، والتى قام بها علماء اليهود فى الاسكندرية بتكليف من بطليموس فيلادلفوس ، ولكن المتأخرين من علماء اليهود استبعدوها ضمن أسفار أخرى تسمى « الأبوكريفا » أى الأسفار السرية أو المخفاة •

(١٠) سفر استير ، ويتضمن قصة فتاة يهودية من سبط بنيامين اسمها استير وقد تزوجها ملك الفرس الذى تسميه التوراة « أحشويرش » • ومن أبرز أحداث هذه القصة أن الملك أصدر أمره بالقضاء على اليهود فى كل أنحاء البلاد ، فاستطاعت استير أن تقنعه بالعفو عنهم ، وبتمكينهم من القضاء على أعدائهم • وقد كتب هذا السفر باللغة العبرية ولكنه تتخلله كثير من الألفاظ الفارسية • وأما كاتبه فغير معروف ، وتدخل بعض فصوله ضمن أسفار « الأبوكريفا » • ويحتل سفر استير مكانة ممتازة عند اليهود ، لانهم يعتبرونه رمزا لخلاصهم •

(١١) سفر يهوديت ، ويتضمن سيرة أرملة يهودية تدعى يهوديت ، انقذت اليهود من جيش نبوخذ ناصر بأن قتلت قائده بحيلة دبرتها له • وكاتب هذا السفر غير معروف ، وهو يدخل ضمن أسفار الأبوكريفا •

(١٢) سفر المكابيين ، وهو فى جزأين ، ويتضمن تاريخ اليهود تحت حكم المكابيين أبناء الكاهن اليهودى متاتيا • وقد كتب بعض هذا السفرفى الأصل باللغة العبرية،وبعضه الآخر باللغة اليونانية أما كاتبه فغير معروف • وهو يدخل ضمن أسفار الأبوكريفا •

(١٣) سفر سوسنة ، وهو من أسفار الأبوكريفا الملحقة بسفر دانيال ، ويتضمن امرأة يهودية اسمها سوسنة أراد شيخان من قضاة اليهود اغراءها فلما رفضت الصقا بهـا تهمة كاذبة وحكما عليها بالموت ، فأنقذها دانيال النبى • وقد كتب هذا السـفر فى الأصل باللغة الآرامية أو العبرية • أما كاتبه فغير معروف •

٣ ـ الأسفار الشعرية :

والأسفار الشعرية تتضمن قصصا وتراتيل وابتهالات وأمثال وأناشيد ومراث منظومة كلها بأسلوب شعرى ، وهى تشتمل عـلى ستة أسفار :

(١) سفر أيوب ، ويتضمن قصة رجل بار يسمى أيوب ، كان يعيش فى فلسطين فى عصر الآباء الأوائل لليهود ، وقد أصابتـه مصائب عظيمة ، ولكنه صبر ولم يفقد ايمانه بالله ولا ثقتـه برحمته ، فأنقذه الله من كل مصائبه وكافأه على صبره وايمانه ، وقد كتبت القصة فى قصيدة شعرية يتخللها كثير من الحوار حول السبب الذى من أجله يسمح الله بأن يتألم البار ، ويعتقد بعض العلماء أن كاتب هذا السفر هو موسى النبى ، بينما يعتقد البعض الآخر أن أيوب نفسه هو الذى كتبه بالسريانية ، ثم ترجمه موسى الى العبرية •

(٢) سفر المزامير ، ويتضمن مجموعة من القصائد الدينيـة التى كان اليهود يترنمون بها على صوت الآلات الموسيقية ولاسيما المزمار • ويشتمل هذا السفر على مائة وخمسين ترنيمة تسـمى مزمورا • وهى تسمى « مزامير داود » لان الملك داود وضع ثلاثة وسبعين مزمورا منها • وقد كان هو رئيس المرنمين فى بـلاد اليهود • أما باقى المزامير فقد وضع موسى واحدا منها ، ووضـع

سليمان اثنين ، ووضع المرنم آساف بن برخيا اللاوى اثنى عشر، ووضع المرنمون أبناء قورح أحد عشر • وأما باقى المزامير فان واضعها غير معروف وقد استمر تأليف هذه المزامير منذ عهده موسى الى عهد عودة اليهود من السبى فى بابل ، أى نحو ألف سنة •

(٣) سفر الأمثال ، ويتضمن مجموعة من عبارات الحكمة والموعظة وآداب السلوك مصوغة فى قالب شعرى • ويعتبر هذا السفر هو القانون الأدبى لليهود • وقد كتب الملك سليمان معظم عباراته • ولذلك يسمى أمثال سليمان • فى حين أن عددا من عبارات هذا السفر منسوب صراحة الى مؤلفين آخرين •

(٤) سفر الجامعة ، ويتضمن مجموعة من العبارات الشعرية التى كتبها الملك سليمان مفرغا فيها خلاصة تجارية فى الحياة ، وخبرة ما وجده فيها من خير أو شر •

(٥) سفر نشيد الانشاد ، ويتضمن قصائد غزل صوفى ، بأسلوب الرمز والمجاز • وقد ورد فى مقدمته أن الذى كتبه هو الملك سليمان •

(٦) سفر مراثى ارميا ، ويتضمن عبارات شعرية يرثى بها ارميا النبى أورشليم بعد خرابها على يد البابليين •

٤ ـ الأسفار النبوية :

أما الاسفار النبوية فتتضمن كلها نبوءات أنبياء اليهود عن الحوادث المستقبلة التى ستحل ببلاد اليهود وبلاد العالم كله • كما تتضمن عبارات التوبيخ لليهود على ما ارتكبوه طوال تاريخهم من شرور وآثام ، ومن تمرد على الله وعصيان لأحكامه ووصاياه • ويبلغ عدد هذه الأسفار سبعة عشر سفرا ، وهى أسفار : اشعياء ،

وارميا وباروخ وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى • وقد كتب كل من هؤلاء الأنبياء السفر الذى يحمل اسمه •

٥ ـ الأسفار التعليمية :

وأما الأسفار التعليمية فتتضمن مجموعة من المواعظ وآداب السلوك • قريبة فى موضوعها من سفرى الأمثال والجامعة وان كانت تختلف فى أسلوبها وصياغتها ، وهى تنحصر فى سفرين من أسفار الأبوكريفا وهما :

(١) سفر الحكمة ، وقد نسبه البعض الى الملك سليمان ، ولكن الراجح أنه مكتوب فى الأصل باللغة اليونانية • وفى وقت متأخر كثيرا عن وقت الملك سليمان •

(٢) سفر حكمة يشوع بن سيراخ • والراجح أنه مكتوب فى الأصل باللغة العبرية ، وان كاتبه هو يشوع بن سيراخ الذى يحمل اسمه •

٢ ـ التلمود

يعتقد اليهود أن لشريعتهم قسمين ، أولهما هو الشريعة المكتوبة ، وهو الذى يسمونه التوراة ، أو بالعبرية « توارة مسيكيبيت » • وثانيهما هو الشريعة الشفوية ، أو بالعبرية « توارة مشيبيل بى » ، وهو ما يسمونه أيضا بالتقليد ، أو الفقه الذى نشأ عن تدوين أحكامه فيما بعد ما يسمونه « التلمود » أى « التعليم » أو « كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم » • ويزعم اليهود أن الله أعطى لموسى الشريعة غير المكتوبة مع الشريعة المكتوبة حين خاطبه على الجبل

في صحراء سيناء ، وأن موسى أعطى هذه الشريعة غير المكتوبة لهارون وأليعازر ويشوع ، ثم أعطاها هؤلاء للقضاة والأنبياء ، ثم أعطاها هؤلاء لمجامع اليهود وكهنتهم وكتبتهم ، بيد أن زعمهم هذا لا دليل عليه ، والراجح أن بعض أحكام هذه الشريعة غير المكتوبة التي وردت بعد ذلك في التلمود يرجع الى العصر الذي أنشأ فيه اليهود المجامع حين كانوا مسبيين في بلاد البابليين والأشوريين ، وقد نسوا اللغة العبرية وأصبحوا يتكلمون باللغة الآرامية ، فكانت مهمة شيوخ المجامع أن يفسروا لليهود الشريعة المكتوبة باللغة العبرية وأن يشرحوها حتى يفهموها فكانت هذه التفاسير والشروح هي نواة التلمود ·

وينقسم التلمود في صورته الأخيرة التي انتهى اليها بعد تدوينه الى قسمين رئيسيين هما « المشنة » و « الجمارة » :

أما « المشنة » فكلمة عبرية معناها « الترديد » أو « التكرار » لأنهم يعتبرون المشنة هي صورة الشريعة ، وهي تشتمل على بعض التفاسير والأحكام التي يزعم اليهود أنها من عهد موسى ، كما تشتمل على التقاليد المتوارثة ، وعلى اجتهاد بعض الفقهاء الدينيين في مختلف العصور ، بحيث أصبحت تضم كل قوانين اليهود الدينية والمدنية ، ولا سيما ما يتعلق بالذبائح والتقدمات والطهارة والنجاسة والزراعة والحصاد والأعياد والمواسم وشريعة الزواج والطلاق والعقوبات الجنائية وقواعد المعاملات المالية ·

وأما « الجمارة » فهي تفسير « المشنة » ، اذ كثرت التقاليد واتسع نطاق الشروح المتشعبة للشريعة اليهودية ، وتضاربت الأحكام الصادرة من المجامع في الشئون المختلفة ، فجمع بعض علماء اليهود هذه التقاليد والشروح والأحكام وقاموا بتدوينها ، فكانت تلك هي « الجمارة » ، وقد ظلت صفحاتها تزداد مع الزمن

حتى بلغت نحو عشرين مجلدا ضخما ، وقد احتشد فيها عدد هائل من الفتاوى المتناقضة ، والتفسيرات المتعارضة • والشروح التى تنطوى على كل صور المغالطة والتحايل ، وتزييف الحقائق وتحليل الحرام وتحريم الحلال •

واليهود يقدسون التلمود حتى ليعتبرونه أهم من التـــوراة ، ويعتبرون أن ما جاء به من أقوال الشيوخ والفقهاء أفضل من أقوال موسى وسائر الأنبياء • بل لقد بلغ من أهمية التلمود لدى بعض اليهود المعروفين بالبروشيم أنهم لا يقرأون التوراة ، ويستقون كل معلوماتهم الدينية من التلمود •

الفصل الثامن

الطوائف الدينية عند اليهود

ظهرت بين اليهود بعد عودتهم من السبى فى بابل كثير من الطوائف الدينية ، التى كانت لا تفتأ تتصارع فيما بينها كما تتصارع الأحزاب السياسية · وقد أصبح لبعضها بالفعل نفوذا سياسيا ، فكانت تلجأ الى القوة والعنف والى المكائد والمؤامرات فى محاربة خصومها الدينيين والسياسيين · ومن أشهر الطوائف التى بلغتنا أخبارها الطوائف الآتية :

١ ـ الفريسيون

الفريسيون هم طائفة من الفقهاء الدينيين عند اليهود · وقد كانوا يعتقدون انهم ممتازون بما لهم من دراية بأحكام الشريعة اليهودية وتفسير غوامضها ،ولذلك اتخذوا لانفسهم اسم الفريسيين وهو فى اللغة العبرية يدل على القوم المفروزين أو المميزين ، اذ اعتبروا أنفسهم الفئة التى ينحصر فيها وحدها قول الله فى سفر اللاويين « وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى » (اللاويين ٢٠ : ٢٦) ، ومن ثم اصطنعوا مظهر الزهد والتعالى والكبرياء ، وأضفوا على أنفسهم كثيرا من ألقاب الكرامة والتبجيل والعلم ، فكانوا يسمون أنفسهم « السوفريم » أى الفقهاء ، و «الشابمهيريم» أى المفكرين الأحرار ، و « التالميدى شكاييم » أى تلاميذ الحكماء ·

وقد نشأت طائفة الفريسيين فى عهد المكابيين للمحافظة على الشريعة اليهودية من اختلاطها بالعقائد والأفكار اليونانية ، وصيانة الأحكام الشفهية التي يسمونها التقليد والتي يعتقدون انها انحدرت اليهم من الآباء الأوائل • ويبدو أنهم كانوا خلفاء الحسيديين المذكورين في سفر المكابيين، وهم قوم كانوا يتظاهرون بالورع والتقوى ، فكانوا يسمون أنفسهم « القديسين » ، وقد اشتركوا في الثورة المكابية ضد الملك انطيوخوس ابيفانوس فيما بين عامى ١٧٥ و ١٦٣ قبل الميلاد • وقد اشتهر الفريسيون بهذا الاسم في عهد يوحنا هركانس في أواخر القرن الثانى قبل الميلاد • وكان يوحنا هذا من تلاميذهم ، غير أنه لم يلبث ان غضب عليهم وانضم الى أعدائهم الصدوقيين • ثم عمل ابنه اسكندر على ابادتهم ، بيد أن زوجته اسكندرة التى خلفته على العرش عام ٧٨ قبل الميلاد رضيت عنهم ، وجعلت منهم مستشاريها ، فقوى نفوذهم، وسيطروا على الحياة الدينية لليهود •

وقد حصر الفريسيون همهم في دراسة الشريعة اليهودية وتفسيرها والافتاء في قضاياها ، فجعلوا الطاعة الشكلية للناموس هي أساس الصلاح الديني ، وتمادوا في التمسك بحرفية العبارات ، حتى انتفى لديهم المعنى الروحي للشريعةالشفوية التي توارثوها منذ عهد موسى ، حتى أصبح لها المقام الأول والأهمية العظمى لديهم • وقد ازداد سلطانهم على حياة اليهود حتى استعبدوهم ، فلم يتركوا لهم شيئا في حياتهم للارادة الحرة ، ولكي يحافظوا على هذا السلطان ويحتفظوا لانفسهم بمالهم لدى الشعب من مكانة ونفوذ ، كانوا يلجأون الى التظاهر بالتقوى والمبالغة في الصلاح ، على الرغم من فسادهم وضلال قلوبهم ، واذ كان من مظاهر التمسك بالشريعة وضع العصائب على الجباه ، والأهداب في أطراف الثياب ، كانوا يجعلون عصائبهم أعرض من عصائب سائر الناس ، وأهدابهم أطول من أهداب سائر الناس ، ليكون

مظهرهم أكثر مهابة ووجاهة وتميزا ، وكانوا يستأثرون بالمجالس الأولى في الولائم والمقاعد الأولى في المجامع ، ويفرضون على الناس ان يخاطبوهم في تبجيل بالغ قائلين « ياربي » أى «ياسيدى ومعلمي وأستاذى » واذا صلوا كانوا يتعمدون أن يقيموا صلاتهم في الميادين ورؤوس الشوارع لكي يراهم الناس ، واذا صاموا كانوا يقطبون أساريرهم لكي يعلم الناس أنهم صائمون رياء وتظاهروا بالورع والتقوى ٠

وعلى الرغم مما كان الفريسيون يتظاهرون به من هذا الورع وهذه التقوى ، كانوا في باطنهم وفي دخيلة أنفسهم فاسقين داعرين ، يضعون على مناكب الناس احمالا فوق أحمال من الواجبات والفرائض والنوافل الدينية في كل حركاتهم وسكناتهم حتى ليجعلوهم مكبلين بأغلال من حديد ٠ وأما هم فيتفننون في أعضاء أنفسهم من هذه كلها والتهرب منها بعدد لا حصر له من الحيل والألاعيب والفتاوى الصارخة البطلان ، حرصا على مصالحهم واستمساكا بشهواتهم ومآربهم ٠ ومن أمثلة ذلك أنه لم يكن جائزا في تقاليد اليهود أن يتجاوزوا منازلهم في يوم السبت مسافة تزيد على ألفي ياردة ، بيد أن الفريسيين لكي لا يحرموا أنفسهم من الولائم التي كانت تقام في مكان يبعد عن هذه المسافة ، كانوا يضعون في عشية السبت بعض الأطعمة على بعد ألفي ياردة من منازلهم ، فكانوا بذلك يخلقون مسكنا مفتعلا لهم يمكنهم أن يسيروا بعده ألفي ياردة أخرى ٠ كما أن الشريعة كانت تحرم حمل أى شيء يوم السبت الى خارج البيت ، فكان الفريسيون لكي يتخلصوا من هذا القيد يضعون أبوابا ونوافذ في شوارع المدينة، وبذلك تصير المدينة كلها بمثابة بيت كبير يمكنهم أن يحملوا داخه ما يشاءون من الأشياء ٠ وكان من أبرز الأمثلة كذلك على تلاعب الفريسيين بأحكام الشريعة ، أن الشريعة كانت تلزم الابن بأن يعول والديه في حالتي الشيخوخة والعوز ، غير أن الفريسيين كانوا

يتيحون للابن أن يتهرب من هذا الالتزام كذلك بحيلة ماكرة ، اذ كانوا يشيرون عليه اذا طالبه والده بأن يذهب الى الهيكل ويتفق مع الكهنة على أن يوقف كل أمواله وممتلكاته على الهيكل ، فيعجز الوالدان بذلك عن أن يأخذا منه شيئا ، حتى اذا توقفا بعد ذلك عن مطالبته ذهب واسترد كل ممتلكاته من الكهنة نظير دفع نسبة معينة من المال • ومن ثم يستمر الوقف صوريا فقط ، وغير نافذ المفعول • وعلى هذا القياس كان الفريسيون يخالفون أوامر الشريعة ومحرماتها : فاذا أشرف ثور مثلا على الموت فى يوم مقدس، لم يكن جائزا لليهود ذبحه ، ولكنهم كانوا يحللون لهم ذلك بشرط أن يأكل كل واحد منه قطعة صغيرة جدا من لحمه ، ليبدو أنه ذبحه مضطرا لأكلة ضرورية ، واذا أراد يهودى أن يشترى ما يباع بالوزن أو الكيل فى يوم مقدس ، لم يكن ذلك جائزا ، ولكنهم كانوا يحللونه له بشرط أن ينطق باسم ما يشترى أو وزنه أو كيله، وبشرط ألا يدفع ثمنه الا فى اليوم التالى • وكان الزنا من أبشع الجرائم فى الشريعة اليهودية ، وكانت عقوبتها الموت ، ولكن الفريسيين كانوا يحللون الزنا اذا حدث فى الخفاء التام ولم يعلم به أحد •

وعلى الرغم من هذه الخلاعة وهذه الرقاعة التى كان الفريسيون يتصفون بها ، كانوا يبالغون فى تظاهرهم بالتعمق فى دراسة الشريعة الى درجة الحذلقة السمجة ، والتنطع البغيض ، فقد توصلوا مثلا فى هذه الدراسة الحرفية الى أنه يوجد فى الشريعة مائتان وثمانية وأربعون أمرا بعدد أعضاء جسم الانسان، وثلاثمائة وخمسة وستون نهيا بعدد العروق والشرايين ، أو بعدد أيام السنة، ومجموع الكل ستمائة وثلاثة عشر بعدد الحروف التى فى الوصايا العشر • وعلى الرغم من أنه جاء فى سفر التثنية « كل الكلام الذى أوصيكم به احرصوا لتعملوه ، لاتزد عليه ولا تنقص منه » (التثنية ١٢ : ٣٢) • الا أن من حذلقة الفريسيين التى كانوا

يجعلون بها حياة اليهود عبئا ثقيلا لا يمكن احتماله ، ما أضافوه الى فرائض الشريعة ــ ولا سيما فرائض الطهارة ــ من طقوس يكاد يكون من المستحيل تنفيذها ، حتى على أكثر الناس تمسكا بالدين وطاعة لفرائضه ، فقد أضافوا الى هذه الفرائض عــددا لا يحصى من الاغتسال ،ومن ذلك وجوب غسل الأيدى مرارا ، قبل كل أكل ، وعند كل عودة من السوق ، فان لم يجد اليهودى ماء لهذا الغرض فليفتش عنه الى أربعة أميال. وكانت لديهم بهذا الخصوص جملة فرائض تحتوى على ست وعشرين صلاة ينبغى تلاوتها أثناء غسل الأيدي والأواني على المائدة . وكانوا يعتبرون اهمال هــذا بمنزلة قتل النفس انتحارا ، اذ يؤدى الى الحرمان من الحياة الأبدية وقد خصص التلمود أغلب أبوابه لاجراءات الغسل ، وكأنها هى أهم أركان الشريعة اليهودية ، مع أن المقصود بها كان تطهير الجسم كسبيل الى تطهير الروح ، ولكنهم غسلوا الجسم وتركوا الروح ملطخة بالأدران والأوحال. ولعل مما يدمغ الفريسيين بالفساد شهادة التلمود نفسه عنهم ، اذ قسمهم الى سبعة أقسام، ووصف ستة أقسام منهم بأنهم فريسيون زائغون زائفون ، فلم يستثن منهــم الا قسما واحدا اعتبرهم فريسيون حقيقيون .

وكان من أبرز ما يهتم به الفريسيون اقتناص الوثنيــين ليقنعوهم باعتناق الديانة اليهودية ، معتقدين أن ذلك مغنمــا كبيرا ينالون به أعظم الجزاء . ولكنهم ما أن ينجحوا فى اقتناص واحد من هؤلاء الوثنيين لديانتهم حتى يبذروا فيه بذور مفاسدهم ومساوئهم وريائهم . أما اذا رفض الوثنيون اعتناق الديانة اليهودية ناصبهم الفريسيون عــداء شرسا ، وتجنبوهم فى تأفف وازدراء واحتقار ، معتبرين اياهم من الانجاس الملاعين الذين يحل قتلهــم واغتيال أموالهم واحراق مدنهم وديارهم .

وكان الفريسيون ينقسمون فيما بينهم الى شيعتين ، احداهما

يتزعمها «هلليل» الذى كان قد عاد من بابل الى فلسطين • وكانت هذه الشيعة أقرب الى التسامح مع الأجانب وعدم النفور من مخالطتهم ومجاراتهم فى بعض تقاليدهم ، نظرا لاكتسابهم كثيرا من عاداتهم أثناء السبى فى بلاد بابل وأشور • والشيعة الأخرى يتزعمها « شماى » ، وكانت هذه الشيعة هى الأشد عداوة للأجانب والأكثر تزمتا فى التزام أحكام الشريعة فى حرفية جامدة لا تقبل تطويرا ولا تحريرا ولا تفسيرا يبعد بها قيد أنملة عن اللفظ الحرفى، ولو كان هذا التفسير يتفق مع روح النص وحكمته • ومع ذلك فقد كانوا يجدون لكل نص مخرجا يعفيهم هم أنفسهم من تطبيقه كما سبق أن رأينا •وكان من أشهر الفريسيين كذلك فى أواخر عهد الأمة اليهودية « غمالائيل » الذى كان من أبرز أعضاء السنهدريم ، وقد ذكر بولس الرسول أنه تتلمذ عليه فى شبابه قبل أن يعتنق المسيحية •

وقد كان الفريسيون أقوى الطوائف الدينية اليهودية وكان لهم على اليهود نفوذ عظيم ، فكانوا هم زعماءهم وقادتهم ومرشديهم فى أمور دينهم ودنياهم ، وموضع الاحترام العظيم لديهم • فكانوا اذا مروا بهم يقفون اجلالا لهم ويسجدون أمامهم ، ولا يخاطبون أحدهم الا قائلين « ربى ربى » أى « سيدى سيدى » أو « معلمى معلمى » •

بيد أنه كانت لدى اليهود طائفة دينية أخرى ذات نفوذ عظيم تنافس به نفوذ الفريسيين ، وتلك هى طائفة الصدوقيين التى كانت لا تفتأ تناوىء الفريسيين وتخالفهم فى الرأى وتدخل معهم فى خصومات ومجادلات لاتنتهى ، وقد كان للنزاع بين هاتين الطائفتين أثر كبير فى المجتمع اليهودى كما سيتبين لنا فيما يلى :

٢ ـ الصدوقيون

ينسب الصدوقيون أنفسهم الى صديق بن أخيطوب سليل اليعازر بن هارون ، وكان أحد الكاهنين العظيمين فى عهد الملك داود • ثم انفرد بالكهنوت الأعظم فى عهد الملك سليمان • وقد احتفظت سلالته برئاسة الكهنوت حتى عصر المكابيين ، فأصبح خلفاؤه وزمرتهم معروفين بالصدوقيين ، وكانوا يتألفون من رؤساء الكهنة وكبار رجال الكهنوت •

وكان الصدوقيون طبقة ارستقراطية عريضة الثراء عظيمة النفوذ • ولذلك كانت حريصة على استرضاء السلطة الحاكمة فى بلاد اليهود، ولو كانت هذه السلطة من المستعمرين اليونان أو الرومان المتجبرين على اليهود المستعبدين لهم • فكان كل الهدف الذى يرمى اليه الصدوقيون أن تظل الأوضاع مستقرة ليحتفظوا بمالهم من ثروة ونفوذ ومن ثم كانوا يعملون على مساندة المستعمرين وتثبيت أقدامهم والقضاء على كل ثورة يقوم بها الشعب للخلاص منهم أو الحد من طغيانهم • فكان المستعمرون من جانبهم يساندون الصدوقيين ويمنحونهم من النفوذ ما يكفل سيطرتهم على اليهود سيطرة كاملة ولا سيما انهم كانوا بحكم سلطانهم الذين يشرفون على الهيكل ، ويهيمنون على الكهنوت ويملكون السلطة الدينية والمدنية على اليهود بحكم أن أغلبية أعضاء المجلس الأعلى وهو السنهدريم كانت تتألف منهم ، كما كان منهم كل الذين يحتلون المراكز الرفيعة فى البلاد • ومن ثم كانوا على الرغم من قلة عددهم هم أكثر اليهود ثراء وأوسعهم ثقافة وأقدرهم على التأثير فى توجيه مصائر الأمة كلها ، وبذا أصبح نفوذهم السياسى يفوق نفوذهم الدينى ويسانده فى الوقت نفسه ، وقد أدى بهم ذلك الى الحاجة الدائمة الى مداهنة السلطات الحاكمة الوثنية ، من يونانية ورومانية • والاختلاط بها ، ومجاراتها فى كثير من عاداتها

وتقاليدها ولو كانت تلك العادات والتقاليد تخالف الشريعــــة اليهودية مخالفة صارخة ، بل لقد راحوا يشجعون الشعب عـــلى الاحتذاء بهم في ذلك ، ومن ثم لم يعودوا يهتمون بالدين ، وانما أصبحوا قوما ما ديين دنيويين ، يعيشون عيشة التنعم والرفاهية ، ويأكلون في صحاف من الذهب والفضة ، ويلبسون الحرير والارجوان ، ويسكنون القصور الفخمة الفاخرة ، ويسعون الى جمع المال من الشعب بكل حيلة وبكل وسيلة ، مهما كانت غير شريفة أو غيـر رحيمة أو غير كريمة • وقد جعلوا لتصرفاتهم تلك شـــعارا يبررها من ثقافتهم التى انتحلوها من الفلسفة اليونانيـــة ، اذ اعتنقوا مذهب الأبيقوريين الذى يدعو الى انتهاب كل ما فى الحياة من لذائذ جسدية ومتعات مادية ، لانه لاحياة فى اعتقادهم الا فى هذه الدنيا ، فلا آخرة ولا نعيم ولا جحيم ولا ثواب ولا عقاب ، ومن ثم أنكر الصدوقيون القيامة بعد الموت ، قائلين ان النفس تموت مع الجسد ، وأنكروا وجود الأرواح وكل الكائنات الروحانية ماعدا الله وحده ، فلا شيء فى الكون عندهم غير المادة والحركة • كما أنكروا الوحى الالهى الى الانبياء أو الى غيرهم من البشر ، فلم يعترفوا الا بما نطق الله به بنفسه على جبل سيناء ، وقد أدى بهم ذلك الى أنهم أنكروا صحة كل الأسفار الدينية الواردة فى العهـد القديم ، ما عدا أسفار موسى الخمسة ، وأنكروا كل الشريعة الشفهية التى كان اليهود يؤمنون بصحتها ويعملون بمقتضاها ، كما أنكروا كل تعاليم الشيوخ وكل ما كانوا يسمونه بالتقليد ، وكل تفسـير لظاهر النصوص الواردة فى أسفار موسى ، وكانت لهم مجموعـة من القوانين البالغة الصرامة التى يطبقونها بغير رحمة على كل من يخالف النظم التى يضعونها ، أو الأوامر التى يصدرونها ، ولا سيما عن طريق مجلسهم الأعلى وهو السنهدريم ، حتى لقـــد اشتهروا بين الشعب بأصحاب الأيدى الساخنة ، أى الملطخة بالدماء ، لانهم لم يكونوا يتورعون عن قتل أى انسان يقاومهم أو يتصـدى

لسلطانهم • ولذلك كان الشعب يخشاهم ويكرههم كراهية شديدة •

وكانت الخصومات لاتفتأ محتدمة بين الصدوقيين والفريسيين بسبب انكار الصدوقيين لمعتقدات الفريسيين ولا سيما الشريعة الشفوية وتقاليد الشيوخ وعدم ايمانهم بالقيامة والدينونة فى اليوم الأخير ، ووجود الأرواح والملائكة ، وبسبب اختلاط الصدوقيين بالحكام الوثنيين والتشبه بهم فى عاداتهم وتقاليدهم • وقد احتدم الخلاف بين هاتين الطائفتين واشتد تنافسهما السياسى والدينى منذ عهد الملك المكابى يوحنا هركانس الذى عاش فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد • وكان هركانس يميل فى أول الأمر الى الفريسيين ويعتبر نفسه من تلاميذهم ، بيد أنه حدث أنه أقام وليمة لزعمائهم ، فقام واحد منهم يسمى لعازر وطلب اليه أن يعزل نفسه عن رئاسة الكهنوت ، لانه لا يليق لهذا المنصب حسب الشريعة ، اذ كانت أمه من السبايا فى عهد أنطيوخوس أبيفانوس ، فغضب هيركانس لهذه الاهانة غضبا شديدا ، وانقلب على الفريسيين وانضم الى أعدائهم الصدوقيين ، وظل خلفاؤه يتبعون سياسته هذه حتى مات الاسكندر أحد خلفائه عام ٧٨ قبل الميلاد وخلفته زوجته اسكندرة ، فانضمت الى جانب الفريسيين ، فراح هؤلاء ينتقمون من الصدوقيين وقتلوا منهم عددا عظيما • وهكذا ظل الصراع محتدما بين الطائفتين الى عهد انتهاء الأمة اليهودية • وكان من بعض مظاهر هذا الصراع أن الفريسيين كانوا يستوجبون شراء الذبائح التى تقضى الشريعة بتقديمها فى الهيكل من صندوق أموال الهيكل ، فى حين كان الصدوقيون يعتبرون أموال الهيكل من حقهم فلا يجوز شراء الذبائح منها ، وانما من الأموال التى يتبرع بها الشعب لهذا الغرض • وكان الفريسيون يستوجبون حرق الذبائح والقوابين التى يتقدم بها الشعب على المذبح ، فى حين كان الصدوقيون يصرون على أن

يأخذوا هذه الذبائح والتقدسات لانفسهم ، واذ كان الصدوقيون يتاجرون فى الحمام الذى تقضى الشريعة بتقديمه ضمن الذبائح ويبيعونه في حوانيت يملكها زعماؤهم ولا سيما رئيس الكهنة حنان وأبناؤه . وكانوا يسمونها « الشاتوجوت » ، تعمدوا أن يلزموا الناس بمضاعفة المناسبات التى زعموا أن الشريعة تقضى بتقديم الحمام فيها ضمن القرابين على المذبح ومن ثم ارتفع سعر الحمام ارتفاعا كبيرا لم يكن فقراء اليهود يطيقونه • ومن ثم أراد غمالائيل زعيم الفريسيين أن يقطع عليهم سبيل هذا التلاعب والاستغلال فأفتى بتخفيض المناسبات التى ينبغى فيها تقديم الحمام ضمن القرابين ، واذ كان الناس يطيعون غمالائيل طاعة عمياء ، عملوا بفتواه فانخفض سعر الحمام الى أكثر من ربع ثمنه الأول ، ومن ثم كانت تلك ضربة شديدة للصدوقيين اصحاب حوانيت الحمام ، ولا سيما حنان وأبنائه ، بيد أن هذه المناوشات بين الصدوقيين والفريسيين لم يكن من شأنها أن تنال من نفوذ الصدوقيين وسلطانهم وتأثيرهم على الحياة العامة فى بلاد اليهود بحكم الصلة الوثيقة التى كانت تربطهم بالمستعمرين اليونان والرومان الذين كانوا يسيطرون على البلاد سيطرة تامة • وكان من أبرز شخصيات الصدوقيين فى أواخر عهد الأمة اليهودية رئيسا الكهنة «حنان» و «قيافا» اللذان كانت لهما الزعامة فى مجلس السنهدريم ، أعظم سلطة فى البلاد •

٣ ـ الكتبة

الكتبة فى اصطلاح التوراة هم نساخ الشريعة وفقهاؤها ومعلموها ومفسروها وحافظو نصوصها المكتوبة وتقاليدها الشفهية ، كما كان من وظائفهم الخدمة فى الهيكل تحت اشراف الكهنة ، والجلوس على كرسى القضاء فى المجامع المحلية ، ولذلك

أصبحوا معروفين أيضا بالناموسيين أى علماء الناموس الـــذى هو القانون أو الشريعة ، كما أصبحوا معروفين بالفقهاء والمعلمين، فضلا عن أنهم أصبحوا معروفين بالربيين ، لانهم كانوا يقومون بتلقين تعاليم الرب ٠

وقد نشأت طائفة الكتبة فى الأصل عن أن ملوك العهد القديم كانوا يتخذون لانفسهم كتبة ونساخا من طائفة الكهنة ورجــال الدين ، أو من موظفى الدولة المثقفين ، ثم فى أثناء سبى اليهود فى بابل ازدادت اختصاصات الكتبة ، فأضيف اليها تعليم الشريعة لليهود الذين كادوا أن ينسوا هذه الشريعة وهم بعيدون عــن بلادهم ، بل نسوا فعلا اللغة العبرية التى كانت هذه الشريعــة مكتوبة بها ، حتى اذا أصبح من المتعذر على الكتبة الجمع بـــين وظائفهم الحكومية وهذه الاختصاصات الملقاة على عاتقهم تفرغوا بتدوين الشريعة وتعليمها وتفسيرها ٠ ثم بعد السبى ولمـــدة مائتين من السنين ، أى الى عهد سمعان المكابى فى أواســـط القرن الثالث قبل الميلاد ٠ كان الكهنة هم الكتبة فى نفس الوقت، ثم لم يلبث اختصاص الكتبة بعد ذلك أن انفصل عن اختصــاص الكهنوت ، فأصبح الكتبة طائفة مستقلة ، وقد انتشروا فى كل بلاد اليهود ، يعلمون الشريعة ويقيمون لانفسهم أحيانا مـدارس أو حلقات يلقون فيها دروسهم على من يتتلمذون عليهم ٠ وقد أصبحت فتاوى كثير من مشاهير أولئك الكتبة تقليدا ، أى شريعة شفهية يعتبرها اليهود فى منزلة الشريعة المكتوبة ٠ وقد كثر عدد الكتبة فى عهد المكابيين ، وبلغوا أوج نفوذهم على اليهود فى القرن الأخير قبل المسيح ، ومن أشهر الكتبة الذين ورد ذكرهم فى التوراة عزرا الذى تزعم اليهود بعد رجوعهم من السبى ، وكان كاهنا وكاتبا فى نفس الوقت ، وقد بذل مجهودا كبيرا فى تلقين اليهود أحـــكام شريعتهم بعد أن كانوا قد نسوها أثناء السبى نسيانا يـــكاد أن يكون تاما ٠ وكان بين الكتبة أشخاص متواضعو المكانة ، فى حين

كان بينهم أشخاص من ذوى المنزلة المرموقة فى المجتمع اليهودى ، فكان بعضهم أعضاء فى السنهدريم ٠

واذ كان الكتبة فى الواقع فرقة من فرق الفريسيين ، كانوا يشابهونهم فى معتقداتهم وضيق أفقهم وحذلقتهم وصرامة تعليمهم فى الظاهر على الرغم من فساد باطنهم وريائهم وتحايلهم على التهرب هم أنفسهم من تنفيذ أى شىء مما يكبلون به الناس من فرائض وقيود يعجزون عن احتمالها ، فضلا عن ولعهم الذى لاحدود له بالجدل فى المسائل الدينية ، جدلا سخيفا عقيما شكليا لاطائل تحته ولا جدوى من ورائه ، ولم يكونوا يتورعون فى جدلهم وتلفيق وصاياهم حتى عن المغالطة الصارخة والكذب الفاضح ، ولذلك خاطبهم ارميا النبى قائلا « كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا ؟ حقا انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب ٠٠ رفضوا كلمة الرب فأية حكمة فيهم ؟ » (ارميا ٨ : ٧ ـ ٩)

٤ ـ النثينيم

النثينيم طائفة من اليهود يعنى اسمهم باللغة العبرية « المكرسون » وقد كرسهم الملك داود فى بداية الأمر ليكونوا بمثابة عبيد يتخصصون لخدمة الهيكل والكهنة ٠ وكان موسى النبى قد فعل مثل ذلك من قبل ، اذ خصص جماعة المديانيين لخدمة خيمة الاجتماع والكهنة (العدد ٣١ : ٤٧) ٠ ثم خصص شمعون جماعة الجبعونيين لهذه الغاية بعد أن أعفاهم من القتل ، فكانوا يجلبون الحطب اللازم للمذبح والماء اللازم للذبائح ولغير ذلك من الأغراض فى خيمة الاجتماع (يشوع ٩ :٢٢ـ٢٧) بيد أنه حين قام الملك سليمان ببناء الهيكل لم يكن عدد النثينيم المخصصين لهذه الخدمات كافيا ، فعين سليمان عددا آخر من العبيد لمساعدتهم ٠

وحين قام الأشوريون والبابليون بسبي اليهود ، سبوا طائفة النثينيم معهم · حتى اذا سمح دارا ملك الفرس بعودة اليهود الى بلادهم كان عدد اللذين عادوا مع زربابـل مـن النثينيـم والعبيد المساعدين لهم ثلاثمائة واثنين وتسعين (عزرا ٢ :٥٨، نحميا ٧ : ٦٠) · وكان عدد اللذين عادوا بعد ذلك مع عزرا مائتين وعشرين (عزرا ٨ : ١٧ ــ ٢٠) ·

ويبدو مما سلف ، ومما ورد في التوراة أن النثينيـــم لم يكونوا من أصل يهودى · وانما كانوا من المديانيـــين والجبعونيين والعبيد وغيرهم من أبناء الشعوب غير اليهوديـة الذين كان اليهود يأسرونهم فى الحروب · وكان بعضهم ينتسبون الى القائد أو رب البيت الذى يخضعون له (عزرا ٢ : ٤٨ و ٥٠ و٥٣ ، الأخبار الأول ٥ : ١٩ ــ ٢١ ، الاخبار الثانى ٢٦:٧) في حين كان بعضهم الآخر يقيمون فى مساكن مخصصة لهم على الهضاب المحيطة بالهيكل (نحميا ٣ : ٣٦ ، ١١ : ٣ و ٢١) ، أو يقيمون في بعض القرى القريبة من أورشليم (عزرا ٢ : ٧٠ ، نحميا ٧ : ٧٣) ·

وعلى الرغم من أن النثينيم لم يكونوا معدودين من الكهنة أو اللاويين ، فقد كانت وظيفتهم تعتبر وظيفة دينية ، لانهـا بالرغم من بساطتها تتعلق بخدمة الهيكل · وقد أقسموا على أن يسيروا على مقتضى الشريعة اليهودية ، وأن يعتبروا أنفسهم مع زوجاتهم وأبنائهم يهودا بكل معنى الكلمة (نحميا ١٠ : ٢٨ و ٢٩) · واذ كانوا معدودين من خدام الهيكل كانوا يعفـون من كل الضرائب التى كان يعفى منها رجال الدين ولا سيـــما ضرائب الجزية والخراج والخفارة (عزرا ٧ : ٢٤) ·

٥ ــ الأسينيون

كان الأسينيون فرقة من فرق الفريسيين ظهرت فى أواخـر

القرن الثالث قبل الميلاد ، وان لم يكن قد ورد ذكرها فى الكتاب المقدس ، وانما تحدث عنها التلمود ، كما تحدث عنها المؤرخ اليهودى يوسيفوس ، والفيلسوف اليهودى فيلون . وهى فرقة لم يزد عدد أفرادها فى يوم من الأيام عن الأربعمائة ، وقد تطرفت فى معتقداتها ، فاعتزلت المجتمع وعاشت فى البرارى الواقعة فى الجزء الجنوبى من فلسطين ولا سيما حول البحر الميت ولذلك لم يكن كثيرون من اليهود يعلمون عنها شيئا ، ولم يكن لها أى أثر فى الحياة اليهودية العامة . وربما كانت هذه الطائفة قد نشأت فى الأصل بالاسكندرية خلال القرن الثانى قبل الميلاد واقتبست بعض المذاهب الفلسفية التى كانت شائعة بها ، ولا سيما مذهب فيثاغورس . وكان لهم نظام يتبعونه فى الانضمام الى طائفتهم والارتقاء فى درجاتها ، وما يتطلبونه من مواثيق وأقسام ، وما يزاولونه من مراسم سرية ، يشبه الى حد كبير المذاهب السرية التى كانت شائعة لدى اليونان ، كمذهب العقيدة الأورفية والعقيدة الديونيسية والعقيدة الديمترية ، التى كانت لها طقوس سرية يزاولونها فى الخفاء ويبالغون فى احاطتها بالسرية الكاملة .

وقد انتهج الأسينيون على مقتضى المعلومات التى وصلتنا عنهم حياة التخلى عن مطالب الدنيا والمبالغة فى الاغتسال مرارا عديدة كل يوم . وكانوا فى الغالب يمتنعون عن الزواج ويعيشون فيما بينهم حياة مشتركة ، مكتفين فى غذائهم بالحبوب والفواكه ، وممتنعين عن أكل اللحوم ، لانهم كانوا يكرهون سفك دم الحيوان ، حتى أنهم كانوا لا يدخلون هيكل أورشليم بسبب ما كان الكهنة يذبحونه فيه من ذبائح . بل انهم استقلوا عن الهيكل فى كل شعائرهم وطقوسهم وأسرارهم الدينية . واحترفوا معالجة الأمراض بالعقاقير النباتية واخراج الأرواح النجسة من الناس بالصلوات والادعية والتعاويذ . ولذلك ربما

يكون اسمهم قد اشتق من مهنتهم هذه ، وهى مهنة « الآسين» أى الأطباء باللغة الآرامية ، وهو ذات اللفظ المستخدم فى اللغة العربية للدلالة على الاطباء ، لان اللغتين من أصل واحد • بيد أن الاسينيين كانوا حريصين على أن يظهروا بمظهر القوم الذين يكسبون عيشهم عن طريق العمل الشاق ولاسيما الزراعة ، فكان كل من أئتمنهم يرتدى ثوبا أزرق ، ويشد زنارا حول خصره ويحمل فأسا فى يده • وكانت لهم قوانين صارمة يتبعونها فيما بينهم ، فاذا خالف أحد هذه القوانين أو أفشى أسرار مذهبهم أصدروا عليه أقسى الأحكام ، ولا سيما الموت • وكان نبيهم الذى يعتبرونه امامهم ومرجعهم فى عقيدتهم هو النبى عاموس ، دون سائر الأنبياء •

بيد أن طائفة الأسينيين لم تظل متميزة أو معروفة فى المجتمع اليهودى زمنا طويلا اذ سرعان ما عادت فاندمجت فى طائفة الفريسيين التى كانت فى البداية قد انبثقت منها ، فأصبحت داخلة فى زمرتهم ولم يمد للاسينيين رأى مستقل فى أى شأن من الشئون ، واندثرت ذكراهم فلم يعد يذكرهم أحد فى القرن الأخير قبل الميلاد •

٩ ـ المنذورون

لم يكن المنذورون أو النذيرون طائفة يجمعها حزب أو يضمها اتفاق فى المعتقدات والآراء ، وانما كانوا أفرادا من الرجال أو النساء نذروا أنفسهم أو نذرن أنفسهن لعبادة الله • وكان النذير ينذر نفسه اختيارا لمدة أسبوع أو شهر أو سنة أومدى الحياة ، أو كان ينذره أبواه منذ ولادته غالبا مدى الحياة ، كما حدث بالنسبة لشمشون ، وصموئيل النبى ، ويوحنا المعمدان •

وقد وردت فى سفر العدد الشريعة التى وضعها الله للنذير،

اذ جاء فيه « وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم اذا انفرز رجل أو امرأة لينذر تذر النذير لينتذر للرب ، فعن الخمر والمسكر يفترز ٠٠ كل أيام نذره افترازه لايمر موسى على رأسه الى كمال الأيام التى انتذر فيها للرب يكون مقدسا ويربى خصل شعر رأسه ٠٠ يوم تكمل أيام انتذاره يؤتى به الى باب خيمة الاجتماع فيقرب قربانا للرب خروفا واحدا حوليا صحيحا محرقة ونعجة واحدة حولية صحيحة ذبيحة خطية وكبشا واحدا صحيحا ذبيحة سلامة ، وسل فطير من دقيق ٠٠ فيقدمها الكاهن أمام الرب ٠٠ ويحلق النذير لدى باب خيمة الاجتماع رأس انتذاره ، ويأخذ شعر رأس انتذاره ويجعله على النار التى تحت ذبيحة السلامة » (العدد ٦ : ١ ــ ١٩) ٠

ولم يكن من الشروط المفروضة على النذير أن يهجر العالم ويعتزل الناس وانما كان عليه أن يلتزم حياة الطهارة الكاملة، ولذلك كانوا يقرنونه بالنبى ، اذ جاء فى سفر عاموس « وأقمت من بنيكم أنبياء ومن فتيانكم نذيرين ٠ لكنكم سقيتم النذيرين خمرا وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتنبأوا » (عاموس ٢ : ١١ و ١٢) ٠

وكانت الحالة الغالبة أن المرأة اذا كانت عاقرا طلبت الى الله أن يهبها ولدا وتعهدت أن تجعله نذيرا لله ٠ فقد كانت أم شمشون عاقرا ، وقد جاء فى سفر القضاة « فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها ها أنت عاقر لم تلدى ولكنك تحبلين وتلدين ابنا ، والآن فاحذرى ولا تشربى خمرا ولا مسكرا ولا تأكلى شيئا نجسا ٠ فها أنك تحبلين وتلدين ابنا ولا يعل موسى رأسه ، لان الصبى يكون نذيرا لله من البطن » (القضاة ١٣ : ٣ ــ ٧) ٠ وكانت حنة أم صموئيل النبى عاقرا ، وقد جاء فى سفرصموئيل « فقامت حنة ٠٠ فصلت الى الرب ٠٠ ونذرت نذرا ، وقالت

يارب ٠٠ ان نظرت نظرا الى مذلة أمتك ٠٠ بل أعطيت أمتك زرع بشر فانى أعطيه للرب كل أيام حياته ، ولا يعلو رأسه موسى ٠٠ وكان فى مدار السنة أن حنة حبلت وولدت ابنا ودعت اسمه صموئيل ٠٠ وأتت به الى الرب فى شيلوه والصبى صغير ٠ وقالت ٠٠ قد أعرته للرب ٠٠ جميع أيام حياته هو عارية للرب» (صموئيل الأول ١ : ١ ـ ٢٨) ٠ وكانت اليصابات أم يوحنا المعمدان عاقرا ، وقد جاء فى انجيل لوقا انها كانت تصلى الى الله مع زوجها زكريا ليهبهما الله ابنا ٠٠ فظهر له ملاك الرب فقال له الملاك لا تخف يازكريا لان طلبتك قد سمعت وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ٠٠ وكثيرون سيفرحون بولادته ، لانه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لايشرب. ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لوقا ١ : ٥ ـ ١٥) وهكذا كان هؤلا النذيرون الثلاثة من أعظم أنبياء اليهود وقضاتهم ٠ وكان هناك نذيرون كثيرون غيرهم لم يبلغوا هذه الدرجة ، ولكنهم كانوا يلتزمون بشريعة النذير مددا متفاوتة وان كانوا متفرقين لاتجمع بينهم طائفة ولا تتألف منهم جماعة ٠

٧ ـ السامريون

السامريون هم سكان السامرة ، وكان المقصود بها قبل سبى اليهود الى بابل المملكة اليهودية الشمالية ، وهى مملكة اسرائيل أو كان المقصود بها هو عاصمة هذه المملكة ٠ ثم غزا سرجون الثانى ملك أشور السامرة عام ٧٢٢ قبل الميلاد ، وسبى أغلب سكانها ، فلم يترك فيها الا بعض الفقراء المعدمين ٠ ثم أتى بشعوب من مختلف البلاد الأشورية ليقيموا فى السامرة بدل سكانها الأصليين ، فاختلط هؤلاء بالبقية الباقية من فقراء السامريين ٠ وظل كل شعب من الشعوب التى جلبها الأشوريون يعبد آلهته الأصلية ٠ بيد أنه حدث أن راحت الوحوش البرية

تهاجمهم وتفتك بهم ، فاعتقدوا أن اله أرض اليهود غاضب عليهم ، وانه هو الذى سلط هذه الوحوش عليهم لينتقم منهم ، فاستغاثوا بملك آشور طالبين اليه ان يرسل اليهم أحد كهنة اليهود ليعلمهم فرائض اله أرض اليهود حتى يسترضوه ويتقوا غضبه ، فأرسل اليهم الملك كاهنا أقام فى بيت ايل وراح يلقنهم أسفار التوراة ولاسيما أسفار موسى الخمسة • فعبدوا اله اليهود ، ولكنهم ظلوا مع ذلك يعبدون معه آلهتهم القديمة • ثم لم تلبث البقية الباقية من السامريين أن اختلطت بهم وصاهرتهم وشاركتهم فى عباداتهم وعاداتهم المختلفة • وقد أوضحت التوراة ذلك فى سفر الملوك ، اذ جاء فيه « فى السنة التاسعة لهوشع (ملك اسرائيل) أخذ ملك أشور السامرة وسبى اسرائيل الى أشور وأسكنهم فى حلج وخابور نهر جوزان وفى مدن مادى •• وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضا عن بنى اسرائيل، فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها • وكان فى ابتداء سكنهم هناك أنهم لم يتقوا ألرب فأرسل الرب عليهم السباع فكانت تقتل منهم ، فكلموا ملك أشور قائلين أن الأمم الذين سبيتهم وأسكنتهم فى مدن السامرة لا يعرفون قضاء اله الأرض فأرسل عيلهم السباع فهى تقتلهم لانهم لا يعرفون قضاء اله الأرض • فأمر ملك آشور قائلا ابعثوا الى هناك واحدا من الكهنة الذين سبيتموهم من هناك فيذهب ويسكن هناك ويعلمهم قضاء اله الأرض ، فأتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن فى بيت ايل وعلمهم كيف يتقون الرب ، فكانت كل أمة تعمل آلهتها ، ووضعوها فى بيوت المرتفعات التى عملها السامريون كل أمة فى مدنها التى سكنت فيها : فعمل أهل بابل سكوت بنوت وأهل كوث عملوا نرجل ، وأهل حماة عملوا أشيما ، والعويون عملوا نبحز وترتاق ، والسفروايميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار

لأدرملك وعتملك الهى سفروايم فكانوا يتقون الرب ويعلمون لأنفسهم من أطرافهم كهنة مرتفعات كانوا يقربون لاجـــلهم فى بيوت المرتفعات ، كانو ايتقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين سبوهم من بينهم · الى هذا اليوم يعملون كعاداتهم الأولى ، لا يتقون الرب ولا يعملون حسب فرائضهم وعوائدهم ولا حسب الشريعة والوصية التى أمر بها الرب بنى يعقوب الذى جعل اسمه اسرائيل ·· فكان هؤلاء الأمم يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم وأيضا بنوهم وبنو بنيهم ، فكما عمل آباؤهم هـكذا هم عاملون الى هذا اليوم » (الملوك الثانى ١٧ : ٦ ــ ٤٠) ·

حتى اذا سمح دارا ملك الفرس لليهود بالعودة الى أورشليم وترميم هيكلهم بزعامة زربابل ، طلب السامريون أن يشتركوا مع بقية اليهود فى ترميم الهيكل · لكن اليهود رفضوا طلبهم . لانهم اختلطوا بالوثنيين وعبدوا آلهتهم ، فلم يعد دمهم يهوديـا خالصا · فحقد السامريون على اليهود وعملوا على تعطيلهم عما اعتزموه ، اذ جاء فى سفر عزرا أنهم « تقدموا الى زربابـــل ورؤوس الآباء وقالوا لهم نبنى معكم لأننا نظيركم نطلب الهكم، وله قد ذبحنا من أيام أسرحدون ملك أشور الذى أصعدنـا الى هنا · فقال لهم زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء اسرائيـل ليس لكم ولنا أن نبنى بيتا لالهنا ، ولكننا نحن وحدنا نبنى للرب اله اسرائيل ·· وفى ملك أحشويرش ·· كتبوا شكوى عـلى سكان يهوذا وأورشليم · وفى أيام أرتحتشتا كتب بشـــلام ومثردات وطبئيل وسائر رفقائهم الى أرتحتشتا ملك فارس ·· ليعلم الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك الينا قد أتوا الى أورشليم ويبنون المدينة العاصية الردية ·· ليكن معلوما لـدى الملك أنه اذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها لايؤدون جزية ولا خراجا ولا خفارة ، فأخيرا تضر الملوك» (عزرا ٤ : ١ ــ ١٣) وبذلك نجح السامريون فى تعطيل بناء أورشـليم وترميـم

الهيكل ومن ثم اشتدت العدواة بينهم وبين اليهود منذ ذلك التاريخ ، أى منذ نحو عام ٤٠٠ قبل الميلاد • وقد بلغ من عنف هذه العداوة أن أصبح اليهود لاينطقون باسم السامريين معتبرينه نجسا ، وأصبحوا يتجنبون توجيه أى حديث اليهم أو المرور بأى مكان يسكنونه أو الدخول فى أى معاملة معهم من قريب أو بعيد • كما أصبحوا يحتقرونهم احتقارا شديدا يبلغ درجة التقزز والنفور ، ويلعنونهم فى مجامعهم ، ويعتبرونهم ملعونين من الله •

وقد حدث أن أحد كهنة اليهود وهو منسى بن يهوياداع بن الياشيب رئيس كهنة اليهود كان متزوجا من ابنة سنبلط الحورونى ، الذى تزعم السامريين فى معاداة اليهود حين رفضوا أن يشاركوهم فى ترميم هيكل أورشليم فطرده نحميا زعيم اليهود من الكهنوت • فبنى له سنبلط هيكلا على جبل جرزيم فى نحو عام ٤٣٢ قبل الميلاد لينافس به هيكل أورشليم ، فأصبح هذا هو هيكل السامريين • وقد ظل قائما هناك حتى هدمه يوحنا هركانس رئيس كهنة اليهود فى نحو عام ١٢٨ قبل الميلاد • ولكن السامريين أعادوا بناءه فى مكانه الأول ، فظل قائما هناك حتى هدمه الرومان مرة أخرى بعد ثورة السامريين فى القرن الخامس بعد الميلاد • وقد أصبح السامريون يقدسون جبل جرزيم بسبب هيكلهم الذى أقاموه عليه ، وهو الذى يسمى اليوم جبل الطور ، وهم لا يزالون حتى اليوم يحجون اليه ثلاث مرات فى السنة ليذبحوا الذبائح بمناسبة عيد الفصح وعيد الأسابيع وعيد المظال •

ولا يعترف السامريون من أسفار العهد القديم الا بأسفار موسى الخمسة ، المعروفة بالأسفار الخمسة السامرية وهى مكتوبة باللغة العبرية المدونة بالحروف الفينيقية القديمة •

وقد أدخلوا عليها بعض التغييرات التى تتفق مع عقائدهم الدينية الخاصة ، وقد امتزجت معتقداتهم بكثير من الأفكار والطقوس الوثنية التى أخذوها عن الشعوب التى خالطوها فى فترة سبى اليهود فى بابل ، وعبدوا آلهتها زمنا طويلا ٠

وقد كانت السامرة هى مركز السامريين ، وكانت تقع فى وسط فلسطين ، وقد ظلت كذلك حتى استولى عليها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ قبل الميلاد ونقل سكانها الى شكيم وأسكن بدلا منهم مقدونيين وسوريين ، ثم فى عام ١٢٨ قبل الميلاد هدمها يوحنا هركانس ودكها دكا ، ولكنها أعيد بعد ذلك بناؤها وألحقها القائد الرومانى بومبى عام ٦٣ قبل الميلاد بمقاطعة سوريا ، ثم أعاد هيرودس الكبير بناءها ودعاها سيباسطة ، تزلفا الى أغسطس قيصر لان هذا هو الاسم المؤنث من سيباسطوس الذى هو الاسم اليونانى لذلك الامبراطور الرومانى ٠ وفى عام ٦ قبل الميلاد أقام عليها أغسطس قيصر حاكما رومانيا ٠ ثم هدمها القائد الرومانى فسياسيان وأقام على أنقاضها مدينة سماها « نيوبوليس » ، وهى التى نعرفها اليوم باسم «نابلس»٠ ولا تزال بقية ضئيلة من السامريين تعيش فى هذه المدينة محتفظة بمعتقداتها وتقاليدها ، وهى لاتفتأ تحتفل بأعيادها فى موضع هيكلها القديم فوق جبل جرزيم ثلاث مرات كل عام ، وتعتقد أنها السلالة الوحيدة ليعقوب ، وأنها الجديرة وحدها باسم الاسرائيليين ، وأن مدينتها « نابلس » هى العاصمة المقدسة ، وليس أورشليم ٠

٨ ــ الجليليون

يطلق شعب الجليليين عموما على سكان الجليل وهو الجزء الشمالى الجبلى من فلسطين ، وقد امتد حتى شمل كل منطقة

يزرعيل • وقد سكن الجليل فى الأصل أسباط يساكر وزبولون ونفتالى وأشير ، ولكنه لم يلبث أن أصبح مأهولا بكثير من الوثنيين ، ولا سيما الكنعانيين ، ولذلك كان اليهود يسمونه « جليل الأمم » أى « جليل الوثنيين » ، ولا سيما حين سبى الأشوريون أهل الجليل الى أشور ، فبقيت فيه أقلية من اليهود امتزجت بخليط من الوثنيين وتأثرت بعاداتهم وعباداتهم • ثم أصبح الجليل جزءا من مملكة هيرودس الكبير ، ثم آلت من بعده الى ابنه هيرودس أنتيباس • وقد كان الجليليون بحكم اختلاطهم بالوثنيين أقل تزمتا فى تطبيق الشريعة اليهودية وأكثر تسامحا مع غيرهم من الشعوب غير اليهودية ، ولذلك كان عامة اليهود يكرهونهم ويحتقرونهم ويعتبرونهم ملعونين من الله كالسامريين • ومع أن يهود الجليل كانوا كغيرهم من اليهود يتكلمون بعد العودة من السبى باللغة الآرامية ، فانهم كانوا ينطقونها بلهجة خاصة تجعل من السهل تمييزهم عن غيرهم من سائر اليهود •

وقد اشتهرت بين الطوائف الدينية لليهود فرقة كانت تسمى فرقة الجليليين الذين كانوا ينتسبون الى رجل يسمى يهوذا الجليلى • ويبدو أنهم كانوا فرعا من فروع الفريسيين أو الأسينيين ، وان كانوا قد سلكوا فى منهجهم مسلك العدوان والعنف • وقد حدث فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد أن كيرينيوس والى سوريا من قبل الامبراطور الرومانى أغسطس قيصر أصدر أمرا باحصاء اليهود • تمهيدا لتنظيم فرض الضرائب عليهم فاعتبر يهوذا الجليلى وأتباعه أن هذا التصرف يخالف الشريعة اليهودية لانه يفرض على اليهود حاكما وثنيا ويجعلهم عبيدا يدينون له بالطاعة والولاء ويؤدون الجزية اليه ، ومن ثم أعلنوا العصيان ممتنعين عن تنفيذ الأمر الصادر بالاحصاء ، ثم فى هذه الأثناء أراد هيرودس الكبير حاكم اليهود أن يتزلف

الامبراطور ، فأمر برفع تمثال النسر الروماني الضخم فـــوق واجهة هيكل أورشليم ، وحينئذ انفجر مرجل الغضب فى قلوب فرقة الجليليين ، وذهب اثنان منهم وانتزعا النسر بالقوة مـــن موضعه ، ومن ثم أمر الرومان هيرودس بقتل كل المتمردين وعلى رأسهم يهوذا الجليلى ، وأبناؤه وذووه جميعا ·

كما كانت ثمة فرقة أخرى تدعى فرقة الجليليين ، وكـان هؤلاء من أنصار حاكم الجليل هيرودس انتيباس وقد ثاروا ضد الوالى الرومانى بيلاطس البنطى ، فما كان من بيلاطس الا أن هاجمهم بجنوده وقتلهم وهم يقدمون ذبائحهم فى هيكل أورشليم فاختلطت دماؤهم بدماء ذبائحهم · وقد كانت مثل هذه المذابح أمرا مألوفا فى تلك الأيام ، فكان أى تمرد ضد الحاكم أو ضد أمر من أوامره يعطيه المبرر الكافى على الفور لأن يذبح آلاف الناس دفعة واحدة ، فى سهولة وبساطة متناهية ، ودون أن يثير ذلك شيئـا مـــن الدهشة أو الاستغراب وانما يتقبله الناس ــ وقد اعتادوا عـــلى الوحشية والطغيان ــ فى سكون واستكانة واستسلام ·

الباب الثالث

أخلاق اليهود

الفصل الأول

شرور اليهود وآثامهم

كان اليهود منذ نشأتهم الأولى من أكثر الشعوب شرورا وآثاما ، ووحشية واجراما ، وخيانة وغدرا ، وخبثا وخداعا ، ورياء والتواء ، وخسة وجبنا ، وتعصبا وغرورا ، ونهما وجشعا ، وانغماسا فى الدعارة والعهارة ، والشهوات والملذات، وتكالبا على المكاسب والمغانم ، والسلب والنهب ، يفرطون فى أعراضهم ليصلوا الى أغراضهم ، ويبيعون ذمتهم وكرامتهم وشرفهم ، بل وديانتهم وايمانهم بالله ، فى سبيل قليل من المال ، أو قدر ضئيل من النفوذ والجاه • وكانوا على الدوام أهل شقاق ونفاق ، وتمرد وعصيان • يثيرون الفتن أينما كانوا، ويدبرون المؤمرات ضد الأمم الأخرى ، ويحيكون المكائد بعضهم ضد البعض الآخر • حتى اذا غضب الله عليهم وعاقبهم ، راحوا يولولون شاكين باكين متمسكنين معترفين بشرورهم ملتمسين عفو الله عنهم وغفرانه لهم • فاذا عفا عنهم وغفر لهم عادوا الى ما كانوا فيه ، بل الى أبشع وأشنع مما كانوا فيه من شر ومكر وضلال وانحلال • ومن ثم كان أبناؤهم لايفتأون يلومونهم ويوبخونهم ويصرخون فى وجوههم ، ناعتين اياهم بأقبح النعوت ، منذرين اياهم بما سيحل بهم من عقاب ، ومن دمار وخراب •

فقد جاء مثلا فى سفر اشعياء « اسمعى أيتها السماوات ، واصغى أيتها الأرض لان الرب يتكلم : ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصوا على . الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه . أما اسرائيل فلا يعرف ، شعبى لا يفهم . ويل للامة الخاطئة . الشعب الثقيل الاثم . نسل فاعلى الشر . أولاد مفسدين .. كل الرأس مريض وكل القلب سقيم . ومن أسفل القدم الى الرأس ليس فيه صحة .. رؤسائك متمردون .. لذلك .. تاركو الرب يفنون » (اشعياء ١ : ٢ ـ ٢٨) .

وجاء فى سفر ارميا « طوفوا فى شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا فى ساحاتها . هل تجدون انسانا أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها ؟ . وان قالوا حى هو الرب فانهم يحلفون بالكذب .. ضربتهم فلم يتوجعوا . أفنيتهم وأبوا قبول التأديب . صلبوا وجوههم أكثر من الصخر .. من أجل ذلك يضربهم الأسد من الوعر . ذئب المساء يهلكهم . يكمن حول مدنهم . كل من خرج منها يفترس . لان ذنوبهم كثرت . تعاظمت معاصيهم .. بنوك (يا أورشليم) تركونى وحلفوا بما ليست آلهة .. ولما اشبعتهم زنوا وفى بيت زانية تزاحموا . صاروا حصنا معلوفة سائبة . صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه .. اصعدوا على أسوارها واضربوا .. انزعوا أفنانها لانها ليست للرب ، لانه خيانة خاننى بيت اسرائيل وبيت يهوذا يقول الرب .. لذلك .. هاأنذا أجلب عليكم أمة من بعيد يابيت اسرائيل .. أمة قوية .. أمة لا تعرف لسانها ولا تفهم ما تتكلم به .. فيأكلون حصادك وخبزك .. يأكلون غنمك وبقرك .. يهلكون بالسيف مدنك الحصينة .. اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم .، الذين لهم أعين ولا يبصرون . لهم آذان ولا يسمعون .. صار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد .. خطاياكم منعت الخير عنكم ، لانه وجد فى شعبى أشرار ..

بيوتكم ملآنة مكرا ٠٠ عظموا واستغنوا ٠٠ سمنوا ٠٠ تجاوزوا
فى أمور الشر ٠٠ لم يقضوا فى دعوى اليتيم ٠٠ وبحق المساكين
لم يقضوا ٠ أفلاجل هذه لا أعاقب يقول الرب ؟ أو لا تنتقم نفسى
من أمة كهذه ؟ » (ارميا ٥ : ١ ــ ٢٩) ٠ ــ « هكذا قـال رب
الجنود ٠٠ أقيموا حول أورشليم مترسة ٠ هى المدينة المعاقبة ٠
كلها ظلم فى وسطها ٠ كما تنبع العين مياهها ، هكذا تنبـع هى
شرها ٠ ظلم وخطف يسمع فيها ٠٠ تأدبى يا أورشليم ٠٠ لئـلا
أجعلك خرابا ٠٠ لانهم من صغيرهم الى كبيرهم كل واحد مولع
بالربح ، ومن النبى الى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب ٠٠ لـم
يخزوا خزيا ، ولم يعرفوا الخجل ٠٠ لذلك يسقطون بـين
الساقطين ٠٠ انهم لم يصغوا لكلامى وشريعتى رفضـوها ٠٠
محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لى » (ارميا٦:١٦ــ٢٠)ــ
« ها انكم متكلون على كلام الكذب الذى لا ينفع ٠ أتسرقـون
وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتبخرون للبعـل وتسيرون
وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ، ثم تأتون وتقفون أمـامى فى
هذا البيت الذى دعى باسمى عليه ؟ ٠٠ هل صار هذا البيت
الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكم ؟ ٠٠ أفاياى
يغيظون يقول الرب ؟ ٠٠ أليس أنفسهم لأجل خزى وجوههم ؟ ٠
ما غضبى وغيظى ينسكبان على هذا الموضع ، على الناس وعـلى
البهائم وعلى شجر الحقل وعلى ثمر الأرض ، فيتقدان ولا ينطفئان
٠٠ ساروا فى مشورات وعناد قلبهم الشرير وأعطوا القفا لا الوجه
فمن اليوم الذى خرج فيه آباؤكم من أرض مصر الى هذا اليوم
أرسلت اليكم كل عبيدى الأنبياء ٠٠ فلم يسمعوا لى ولم يميلوا
آذانهم ، بل صلبوا رقابهم ٠ أساؤوا أكثر من آبائهم ٠٠ باد
الحق وقطع فى أفواههم ٠٠ لذلك ها هى أيام تأتى يقول الرب ٠٠
تصير جثث هذا الشعب أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض ٠٠
وأبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صـوت الطرب

وصوت الفرح ، صوت العريس وصوت العروس ، لان الأرض تصير خرابا » (ارميا ٧ : ٨ ـ ٣٤) ٠ ـ « ياليت لى فى البرية مبيت مسافرين فأترك شعبى وأنطلق من عندهم لانهم جميعا زناة ، جماعة خائنين ، يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب ٠٠ لانهم خرجوا من شر الى شر ، واياى لم يعرفوا يقول الرب ٠٠ كان صاحب يسعى فى الوشاية ويختل الانسان صاحبه ولايتكلمون بالحق ٠٠ علموا ألسنتهم التكلم بالكذب وتعبوا فى الافتراء٠٠ بالمكر أبوا أن يعرفونى يقول الرب ٠٠ لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش ٠ بفمه يكلم صاحبه بسلام وفى قلبه يضع له كمينا ٠ أعاقبهم على هذه يقول الرب ؟ أم لا تنتقم نفسى من أمة كهذه؟٠ أجعل أورشليم رجما ومأوى بنات آوى ، ومدن يهوذاأجعلهاخرابا بلا ساكن ٠٠ لم يسمعوا لصوتى ٠٠ بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التى علمهم اياها آباؤهم ٠٠ لذلك ٠٠ ها أنذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا وأسقيهم ماء العلقم، وأبددهم فى أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم » (ارميا ٩ : ٢ ـ ١٦) ٠ ـ « هل نسيتم شرور آبائكم وشرور ملوك يهوذا وشرور نسائهم وشروركم وشرور نسائكم التى فعلت فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم ؟ لم يذلوا الى هذا اليوم ولا خافوا ولا سلكوا فى شريعتى ٠٠ لذلك هكذا قال رب الجنود ٠٠ ها أنذا أجعل وجهى عليكم للشر ولأقرض كل يهوذا ٠ وآخذ بقية يهوذا الذين جعلوا وجوههم للدخول الى أرض مصر ليتغربوا هناك فيفنون كلهم فى أرض مصر ٠ يسقطون بالسيف ، وبالجوع يفنون ، من الصغير الى الكبير ٠ بالسيف والجوع يموتون ويصيرون حلفا ودهشا ولعنة وعارا ٠ وأعاقب الذين يسكنون فى أرض مصر (من اليهود) كما عاقبت أورشليم بالسيف والجوع والوباء ٠ ولايكون ناج ولا باق لبقية يهوذا الآتين ليتغربوا هناك فى أرض مصر ليرجعوا الى أرض يهوذا التى يشتاقون الى الرجوع لأجل السكن فيها ٠٠ ها أنذا أسهر

عليهم للشر لا للخير فيفنى كل رجال يهوذا الذين فى أرض مصر بالسيف والجوع حتى يتلاشوا » (ارميا ٢٤ : ٩ ـ ٢٧) ٠

وجاء فى سفر حزقيال « ان اثم بيت اسرائيل ويهوذا عظيم جدا جدا ، وقد امتلات الأرض دماء ٠٠ لانهم يقولون الرب قد ترك الأرض والرب لايرى ٠ وأنا أيضا عينى لاتشفق ولاأعفو ٠ أجلب طريقهم على رؤوسهم » (حزقيال ٩ : ٩ و ١٠) ٠ ـ « هكذا قال السيد الرب : أيتها المدينة السافكة الدم ٠٠ الصانعة أصناما لنفسها لتتنجس بها ٠ قد أثمت بدمك الذى سفكت ونجست نفسك بأصنامك التى عملت ٠٠ فلذلك جعلتك عارا للامم وسخرة لجميع الأراضى ٠ القريبة اليك والبعيدة عنك يسخرون منك يا نجسة الاسم ياكثيرة الشغب ٠ هوذا رؤساء اسرائيل كل وحد حسب استطاعته كانوا فيك لاجل سفك الدم ٠ فيك أهانوا أبا وأما ٠ فى وسطك عاملوا الغريب بالظلم ٠ فيك اضطهدوا اليتيم والارملة ٠٠ كان فيك أناس وشاة لسفك الدم ٠٠ فى وسطك عملوا رذيلة ٠ فيك كشف الانسان عورة أبيه ٠٠ انسان فعل الرجس بامرأة قريبه ٠ انسان نجس كنته برذيلة ٠ انسان أذل فيك أخته بنت أبيه ٠ فيك أخذوا الرشوة لسفك الدم ، أخذت الربا والمرابحة وسلبت أقرباءك بالظلم ونسيتنى يقول الرب ٠٠ أنا الرب تكلمت ، وسأفعل ٠٠ أبددك بين الأمم وأذريك فى الأراضى ٠٠ وتتدنسين بنفسك أمام عيون الامم وتعلمين انى أنا الرب ٠٠ أجمعكم بغضبى وسخطى وأطرحكم ٠٠ أنفخ عليكم بنار غضبى فتسكبون فى وسطها ٠٠ فتعلمون أنى أنا الرب، سكبت سخطى عليكم ٠٠ آكلوا نفوسا ٠٠ أكثروا أراملها فى وسطها ٠ كهنتها خالفوا شريعتى ونجسوا أقداسى ٠٠ رؤساؤها فى وسطها كذئاب خاطفة خطفا لسفك الدم ، لاهلاك النفوس ، لاكتساب كسب ٠٠ ظلموا ظلما وغصبوا غصبا واضطهدوا الفقير والمسكين وظلموا الغريب ٠٠ فسكبت

سخطي عليهم ، أفنيتهم بنار غضبى ، جلبت طريقهم على رؤوسهم يقول السيد الرب » (حزقيال ٢٢ : ٣ ــ ٣١) ٠

وجاء في سفر باروخ « قد خطئنا الى الرب الهنا ، ولم يرتد سخط الرب وغضبه عنا ٠٠ لناخزى الوجوه ٠٠ لرجال يهوذا وسكان أورشليم ولملوكنا ورؤسائنا وكهنتنا وأنبيائنا وآبائنا ، لاننا خطئنا أمام الرب وعصيناه ٠ من يوم أخرج الرب آباءنا من أرض مصر الى هذا اليوم مازلنا نعصى الرب الهنا ونعرض عن استماع صوته ٠ فلحق بنا الشر واللعنة ٠٠ لم نسمع لصوت الرب الهنا ولا لجميع كلام الأنبياء الذين أرسلهم الينا ومضينا كل واحد على اصرار قلبه الشرير عابدين آلهة أخرى صانعين الشر أمام عينى الرب الهنا ٠٠ فأقام الرب كلامه الذى تكلم به علينا وعلى قضاتنا الذين يقضون فى اسرائيل وعلى ملوكنا ورؤسائنا وعلى رجال اسرائيل ويهوذا جالبا علينا شرا عظيما بحيث لم يحدث تحت السماء بأسرها مثل ما أحدثه فى أورشليم ٠٠ حتى أكل بعضنا لحم ابنه والآخر لحم ابنته ، وأخضعهم تحت أيدى جميع الممالك التى حولنا وجعلهم عارا ودهشا فى جميع الشعوب الذين شتتهم الرب بينهم ، فاذا هم فى الانحطاط بدل الرفعة ، لاننا خطئنا الى الرب الهنا غير سامعين لصوته ٠٠ لنا ولآبائنا خزى الوجوه ٠٠ لان الرب تكلم علينا بجميع هذا الشر الذى حل بنا ، ونحن لم نستعطف وجه الرب تائبين كل واحد عن أفكار قلبه الشرير ٠ فسهر الرب على الشر وجلبه الرب علينا ٠٠ اننا خطئنا ونافقنا وأثمنا ٠٠ وقد لحق الشر بنا ٠٠وها اننا اليوم فى الجلاء حيث شتتنا للتعيير واللعنة والعقاب لأجل جميع آثام آبائنا الذين ارتدوا عن الرب الهنا ٠٠ زاغوا عن شريعة الله ولم يعرفوا رسومه ولم يسلكوا فى طريق وصايا الله ولم يسيروا فى سبل التأدب ببره » (باروخ ١ ــ ٤)

الفصل الثانى

غرور اليهود وتعصبهم

كان اليهود على الدوام ـ على الرغم من انهم شعب صغير حقير ـ أكثر الشعوب غرورا وتعصبا لجنسهم • فهم ينظرون الى غيرهم من الشعوب غير اليهودية نظرة التعالى والازدراء • مهما كان شأنها ، ومهما بلغت سطوتها أو حضارتها أو عراقتها أو اتساع رقعتها • وكانوا يلقبون هذه الشعوب بالأمم احتقارا لها واستصغارا لشأنها • وكانوا يعتبرون أرض هذه الشعوب نجسة ، اذا مسها يهودى تنجس ووجب عليه أن يبادر الى تطهير نفسه على مقتضى أحكام الشريعة • فحين كان التاجر اليهودى يعود الى بلاده ، كان يخلع نعليه وينفض الغبار العالق بهما من بلاد الأمم الأخرى ، ويغسل جسمه وثيابه • وقد كان أحقر يهودى مهما بلغ من وضاعة الشأن يشمخ بأنفه قائلا « أنا ابن ابراهيم » وحتى حين كان يستعبدهم الغزاة من كل جنس ويدوسون بالأقدام على أعناقهم ، كانوا يصعرون خدودهم قائلين « نحن ذرية ابراهيم ، ولم نكن عبيدا لأحد قط »! •

وقد استمد اليهود هذا الغرور وهذا التعصب من بعض عبارات وردت فى التوراة ، تشير الى أنهم الشعب المختار من الله ، ناسين أو متناسين أنهم تمردوا على الله وتنكروا لشريعته وخالفوا وصاياه ، فنبذهم الله • وألغى وعوده لهم ونقض عهوده معهم •

وقد كان من تلك العبارات التى تشبث بها اليهود ما ورد فى سفر التكوين اذ جاء فيه « قل لبنى اسرائيل أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وانقذكم من عبوديتهم ٠٠ وأتخـذكم لى شعبا وأكون لكم الها ٠٠ » (الخروج ٦ : ٦و٧) وجاء فيـه « أما موسى فصعد الى الله فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى اسرائيل ٠٠ ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من جميع الشعوب ٠ فان لى كل الأرض ، وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » (الخروج ١٩ : ٣ ـ ٦) ٠ وجاء فيه « وأسكن فى وسط بنى اسرائيل وأكون لهم الها » (الخروج ٢٩ : ٤٥) ٠وجاء فى سفر اللاويين « أنا الرب الهكم الذى ميزكم عن الشعوب » (اللاويين ٢٠ :٢٤) ٠ وجاء فيه « وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لى » (اللاويين ٢٠: ٢٦) ٠ وجاء فى سفر التثنية « قد أخذكم الرب وأخرجكم من كور الحديد من مصر لكى تكونوا له شعب ميراث » (التثنية ٤ : ٢٠) ٠ وجاء فيه « أنت شعب مقدس للرب الهك ٠ اياك قـد اختار الهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ٠ ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لانكم أقل من سائر الشعوب بل من محبـة الرب اياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم » (التثنية ٧ : ٦ ـ ٨) ٠ وجاء فيه « الرب انما التصق بآبائك ليحبهم ،فاختار من بعدهم نسلهم الذى هو أنتم فوق جميع الشعوب » (التثنية ١٠ : ١٥) ٠ وجاء فيه « لانك شعب مقدس للرب الهك وقـد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشـعوب الذين على وجه الأرض » (التثنية ١٤ : ٢) ٠ وجاء فيه «واعدك الرب اليوم أن تكون له شعبا خاصـا ٠٠ وان يجعلك مستعليا عـلى جميع القبائل التى عملها فى الثنـاء والاسم والبهـاء، وأن تكون شعبا مقدسا للرب الهك » (التثنية ٢٦ : ١٨و ١٩)٠ وجاء فى سفر صموئيل قول الملك داود « أية أمة على الأرض مثل

شعبك اسرائيل الذى سار الله ليفتديه لنفسه شعبا ويجعل له اسما .. الذى افتديته لنفسك من مصر ، من الشعوب وآلهتهم . وثبت لنفسك شعبك اسرائيل . شعبا لنفسك الى الأبد ، وانت يارب صرت لهم الها » (صموئيل الثانى ٧ : ٢٣ و ٢٤) . وجاء فى سفر الملوك قول الملك سليمان « واغفر لشعبك .. لانهم شعبك وميراثك الذين أخرجت من مصر .. لانك أنت أفرزتهم لك ميراثا من جميع شعوب الأرض » (الملوك الأول ٨ : ٥٠ ـ ٥٣) . وجاء فى سفر المزامير « طوبى للامة التى الرب الهها ، الشعب الذى اختاره ميراثا لنفسه » (المزمور ٣٣ : ١٢) . وجاء فيها « لان الرب قد اختار يعقوب لذاته واسرائيل لخاصته » (المزمور ١٣٥ : ٤) . وجاء فى سفر اشعياء « أما أنت يا اسرائيل عبدى ، يايعقوب الذى اخترته نسل ابراهيم خليلى الذى أمسكته من أطراف الأرض ومن أقطارها دعوته . وقلت لك أنت عبدى اخترتك ولم أرفضك . لاتخف لانى معك ، لاتتلفت لأنى الهك . قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى . انه سيخزى ويخجل جميع المغتاظين عليك . يكون كلا شىء مخاصموك ويبيدون . تفتش على منازعيك ولا تجدهم . يكون محاربوك كلا شىء وكالعدم » (اشعياء ٤١ : ٨ ـ ١٢) . وجاء فيه « هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا اسرائيل . لاتخف لانى فديتك . دعوتك باسمك . أنت لى ، اذا اجتزت فى المياه فأنا معك وفى الأنهار فلا تغمرك . اذا مشيت فى النار فلا تلذع ، واللهيب لا يحرقك . لانى أنا الرب الهك قدوس اسرائيل مخلصك .. صرت عزيزا فى عينى مكرما وأنا قد أحببتك » (اشعياء ٤٣ : ١ ـ ٤) .

وقد كان تنفيذ الله لكل هذه الوعود التى بذلها لليهود مشروطا بشرط ، هو أن يخلصوا له ويعملوا بتعاليمه ووصاياه ، فاذا لم يفعلوا شملهم الله بغضبه وأنزل عليهم نقمته . اذ جاء

في سفر التثنية « ان سمعت سمعا لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب الهك مستعليا على جميع قبائل الأرض .. ولكن ان لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك . يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد اليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعا » (التثنية ٢٨ : ١ و ١٥ ــ ٢٠) . غير أن اليهود على الرغم من انكارهم لله وتنكرهم له ومخالفتهم لجميع وصاياه في كل أطوار تاريخهم ظلوا ينشدقون بهذه العبارات التي تصفهم بأنهم شعب الله المختار ، وأنهم الشعب المقدس الذى فضله الله على كل الشعوب ، وجعل نفسه الها له دون كل الشعوب . فكان هذا هو أساس غرور اليهود وتعصبهم .

وقد فهم اليهود كل نصوص التوراة على ضوء هذه النظرة الخاطئة التي ظلوا ينظرون بها الى أنفسهم . ومن ذلك أنهم ظنوا أن شعبهم وحده هو الطاهر الرفيع المنزلة عند الله ، وأما كل الشعوب الأخرى فهي نجسة حقيرة ، مستندين في ذلك الى ما ورد في سفر التثنية ، اذ جاء فيه « متى أتى بك الرب الهك الى الأرض التي أنت داخل اليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك .. لا تقطع لهم عهدا ولاتشفق عليهم ولا تصاهرهم . بنتك لاتعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك ، لانه يرد ابنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى .. لانك أنت شعب مقدس للرب الهك .. ان قلت في قلبك هؤلاء الشعوب أكثر مني فكيف أقدر أن أطردهم . فلا تخف منهم . أذكر ما فعله الرب الهك بفرعون وجميع المصريين .. هكذا يفعل الرب الهك بجميع الشعوب التي أنت خائف من وجهها » (التثنية ٧ : ١ ــ ٦ و ١٧ ــ ١٩) .
وواضح في هذا النص أن الله أراد به تحذير اليهود من مخالطة

الوثنيين لئلا يصيروا وثنيين مثلهم ويتركوا عبادة الله · ولكن اليهود لم يعملوا بهذه الوصية وانما خالطوا الشعوب الأخرى وعبدوا آلهتها ، فكان أنبياؤهم وزعماؤهم لا يفتأون يوبخونهم على ذلك · ومن ذلك ما ذكره نحميا الذى تزعم اليهود عند رجوعهم من السبى فى بابل الى أورشليم اذ يقول « فى تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى ، بل بلسان شعب وشعب ، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناسا ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلا لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم · أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك اسرائيل ·· وكان محبوبا الى الله فجعله الله ملكا على كل اسرائيل ؟ هو أيضا جعلته النساء الأجنبيات يخطىء · فهل نسكت لكم أن تعلموا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضد الهنا بمساكنة نساء أجنبيات ؟ » (نحميا ١٣ : ٢٣ ــ ٢٧) · ومن ذلك ما ذكره عزرا الذى تزعم اليهود كذلك بعد رجوعهم من السبى ، اذ يقول « تقدم الى الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب اسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم من الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والأموريين ، لانهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الاراضى » (عزرا ٩ : ١و ٢) · ومع أن اليهود خالطوا الشعوب الأخرى وعبدوا آلهتها كما تدل على ذلك هذه النصوص وغيرها ، ظلوا مع ذلك يعتبرون أنفسهم جنسا ممتازا على سائر الشعوب وظلوا يعتبرون أنفسهم « الشعب المختار » و « الزرع المقدس » ·

وقد فسر اليهود ما ورد فى التوراة من وصايا بشأن الأخ والصاحب والقريب على أنها تنصرف الى اليهود وحدهم ، لانهم لا يعتبرون غير اليهودى أخا ولا صاحبا ولا قريبا ، وانما

يعتبرونه عدوا • ومن تلك النصوص ما جاء في سفر اللاويين، اذ يقول الله « بالعدل تحكم لقريبك •• لاتبغض أخاك في قلبك • انذارا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطيئة » (اللاويين ١٩ : ١٥ ـ ١٧) • ومن ثم فان اليهود يعتبرون أن كل هذه المحظورات جائزة لهم في معاملتهم مع الشعوب الأخرى غير اليهودية ولعل مما ساعد على تماديهم في هذا الفهم أن الشريعة حرمت على اليهودي اقراض اليهودي بالربا وأباحت له ذلك مع غير اليهودي ، اذ جاء في سفر التثنية « لا تقرض أخاك بربا • ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا • للاجنبي تقرض بربا ولكن لاخيك لا تقرض بربا » (التثنية ٢٣ : ١٩ و٢٠) • كما أن الشريعة حرمت على اليهودي استعباد اليهودي وأباحت له استعباد غير اليهودي ، اذ ورد في سفر اللاويين « اذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد • كأجير ، كنزيل يكون عندك • الى سنة اليوبيل يخدم عندك ، ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود الى عشيرته • وأما عبيدك واماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم • منهم تقتنون عبيدا واماء • وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم ، منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكا لكم ، وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك • تستعبدونهم الى الدهر » (اللاويين ٢٥ : ٣٩ ـ ٤٦) • وقد حرمت الشريعة على اليهودي أكل لحم حيوان ميت وحللت له أن يعطيه أو يبيعه للغرباء والأجانب من غير اليهود ، اذ جاء في سفر التثنية « لا تأكلوا جثة ما • تعطيها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبي » (التثنية ١٤ : ٢١) •

وهكذا تمسك اليهودمن التوراة بالنصوص التي تغذي شرورهم وتعصبهم ، في حين أنهم تعاموا عن النصوص التي تفضح شرورهم وتفصح عن غضب الله عليهم •

الفصل الثالث

ظلم اليهود

وقد أمر الله اليهود فى التوراة بالعدل ، اذ قال لهم فى سفر اللاويين « لا ترتكبوا جورا فى القضاء · لاتأخذوا بوجه مسكين · ولا تحترم وجه كبير ، بالعدل تحكم لقريبك » (اللاويين ١٩ : ١٥) ·

ولكن اليهود كانوا من أكثر الشعوب ظلما لغيرهم ولبعضهم البعض ، حتى لقد صرح أنبياؤهم منددين بهم موبخين اياهم على ما ارتكبوا من مظالم ، اذ جاء فى سفر عاموس « ياأيها الذين يحولون الحق أفسنتينا ويلقون البر الى الأرض ·· انهم فى الباب يبغضون المنذر ويكرهون المتكلم بالصدق · لذلك من أجل انكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمح · بنيتم بيوتا من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها وغرستم كروما شهية ولا تشربون خمرها · لانى علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة أيها المضايقون البار ، الآخذون الرشوة الصادون البائسين فى الباب · لذلك يصمت العاقل فى ذلك الزمان لانه زمان ردىء » (عاموس ٥ : ٧ ــ ١٣) ، وجاء فى سفر ميخا « قد باد التقى من الأرض ، وليس مستقيم بين الناس · جميعهم يكمنون للدماء · يصطادون بعضهم بعضا بشبكة · اليدان الى الشر مجتهدتان · الرئيس طالب والقاضى بالهدية ،

والكبير متكلم بهوى نفسه ·· أحسنهم مثل العوسج وأعدلهم من سياج الشوك ·· لا تأتمنوا صاحبا ، لاتثقوا بصديق ، احفظ أبواب فمك عن المضطجعة في حضنك ، لان الابن مستهين بالأب، والبنت قائمة على أمها ، والكنة على حماتها وأعداء الانسان أهل بيته » (ميخا ٧:٢-٦) · وجاء فى سفر صفنيا « ويل للمتمردة النجسة ، المدينة الجائرة (أورشليم) ·لم تسمع الصوت · لم تقبل التأديب ·· رؤساؤها فى وسطها أسود زائرة · قضاتها ذئاب مساء لايبقون شيئا الى الصباح · أنبياؤها متفاخرون أهل غدرات ، كهنتها نجسوا القدس · خالفوا الشريعة · الرب عادل فى وسطها لايفعل ظلما ·· أما الظالم فلا يعرف الخزى ·· لذلك فانتظرونى يقول الرب ·· لأصب عليهم سخطى ، كل حمو غضبى فى جبل قدسى · وأبقى فى وسطك شعبا يائسا مسكينا » (صفنيا ٣ : ١ ـ ١٢) ·

ولعل من أبلغ القصص التى تنطق بظلم اليهود بعضهم بعضا قصة آخاب ملك اسرائيل وزوجته ايزابيل مع نابوتاليزرعيلى، التى وردت فى سفر الملوك ، اذ تقول القصة « انه كان لنابوت اليزرعيلى كرم فى يزرعيل بجانب آخاب ملك السامرة (عاصمة اسرائيل) · فكلم آخاب نابوت قائلا أعطنى كرمك فيكون لى بستان بقول ، لانه قريب بجانب بيتى فأعطيك عوضه كرما أحسن منه ·· فقال نابوت لآخاب حاشا لى من قبل الرب أن أعطيك ميراث آبائى · فدخل آخاب بيته مكتئبا ·· فدخلت عليه ايزابيل امرأته ·· ثم كتبت رسائل باسم آخاب وختمتها بخاتمه وأرسلت الرسائل الى الشيوخ والاشراف الذين فى مدينته ، الساكنين مع نابوت · وكتبت فى الرسائل تقول ·· أجلسوا نابوت فى رأس الشعب ، وأجلسوا رجلين من بنى بليمال (أى من الأشرار) تجاهه ليشهدا قائلين قد جدفت على الله وعلى

الملك ، ثم أخرجوه · وارجموه فيموت ·· ففعل رجال مدينته ··
أجلسوا نابوت فى رأس الشعب وأتى رجلان من بنى بليعال
جلسا تجاهه ، وشهد رجلا بليعال على نابوت أمام الشعب
قائلين قد جدف نابوت على الله وعلى الملك ،فأخرجوه خارج
المدينة ورجموه بحجارة فمات ·· ولما سمعت ايزابيل أن نابوت
قد رجم ومات قالت ايزابيل لآخاب قم رث كرم نابوت اليزرعيلى ··
ولما سمع آخاب أن نابوت قد مات قام آخاب لينزل الى كرم نابوت
اليزرعيلى ليرثه » (الملوك الأول ٢١ : ١ ــ ١٦) ·

الفصل الرابع

وحشية اليهود

تجرى فى عروق اليهود مع دمائهم وحشية بشعة شنيعة متأصلة فيهم متغلغلة فى كيانهم وفى أعماق وجدانهم . وقد كانت هذه الوحشية من أبرز صفاتهم منذ نشأتهم ، وظلت تلازمهم فى كل أطوار تاريخهم ، وفى كل مظاهر حياتهم . فهم تسيطر عليهم على الدوام نزعة عنيفة مخيفة الى القسوة الجنونية ، وولع حقود مضطرم بالقتل والذبح والشنق والخنق والحرق والرجم والتنكيل والتعذيب وتقطيع الأوصال وابادة الناس بالجملة واشعال النار فى المدن واشاعة الدمار فى كل مكان يقع فى قبضتهم . لا يعرفون فى ذلك رحمة ، ولا يدفعهم عنه شعور ، ولا يمنعهم عن ارتكابه دين ولا عقيدة ولا ضمير . كأنهم ذئاب جائعة ، أو كلاب مسعورة ، أو خنازير أصابها الجنون ، أو أعماها الغضب ، فهى لا تفتأ تنشب أنيابها وتضرب مخالبها فى كل ما يصادفها من أحياء . وهى أبدا لا يروى عطشها غير الدماء . ولا يشفى غليلها الا أن ترى الأرض حواليها مفروشة بالجثث والأشلاء .

وقد زخرت التوراة بصور فظيعة مروعة من وحشية اليهود منذ بداية تاريخهم حتى اندثار أمتهم . فان بنى يعقوب الذين

أصبحوا معروفين بعد ذلك ببني اسرائيل ، وهم الآباء الأوائل لليهود ، تآمروا فيما بينهم على قتل أخيهم الصغير يوسف غيرة منه وحقدا عليه ، اذ جاء في سفر التكوين «فذهب يوسف وراء اخوته فوجدهم في دوثان · فلما ابصروه من بعيد قبلما اقترب اليهم احتالوا له ليميتوه ، فقال بعضهم لبعض هوذا هذا صاحب الأحلام قادم ، فالآن هلم نقتله ونطرحه في احدى الآبار ، ونقول وحش ردىء أكله » (التكوين ٣٧ : ١٧ ـ ٢٠)·

ولانعلم شيئا عمافعله اليهود حين كانوافي مصر ، لان التوراة لم تذكر من ذلك شيئا ، ولكننا نعلم من التوراة أنهم منذ خروجهم من مصر بزعامة موسى النبي ، عادت طبيعتهم الوحشية الى الظهور في أوضح وأقبح وأقسى صورها · وقد ورد في سفر التثنية المبدأ الذي كانوا يطبقونه في حروبهم وغزواتهم، اذ جاء فيه « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ، فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وان لم تسألك بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك · هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا · وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريما (أى تبيدها ابادة) : الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين » ·. التثنية ٢٠ : ١٠ ـ ١٧) ·

ولم يلبث اليهود بعد خروجهم من مصر أن هاجموا الأموريين، وقد جاء عن ذلك في سفر العدد « وأرسل اسرائيل رسلا الى

سيحون ملك الأموريين قائلا دعني أمر في أرضك ٠٠ فلم يسمح سيحون ٠٠ فضرب اسرائيل بحد السيف وملك أرضه من أرنون الى يبوق الى بني عمون ٠٠ ثم تحولوا في طريق باشان فخرج عوج ملك باشان للقائهم ٠٠ فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد وملكوا أرضه » العدد ٢١ : ٢١ _ ٣٥) ٠

ثم أغار اليهود بعد ذلك على المديانيين ، وقد جاء في سفر العدد أنهم « قتلوا كل ذكر ٠ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم ٠ وسبى بنو اسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم ، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم ٠٠ وكان النهب فضلة الغنيمة التي اغتنمها رجال الجند من الغنم ستمائة وخمسة وسبعين ألفا ، ومن البقر اثنين وسبعين ألفا ، ومن الحمير واحدا وستين ألفا ، ومن نفوس الناس من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ، جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفا » (العدد ٣١ : ٧ _ ١١ ، ٣٢ _ ٣٥) ٠

وعبر اليهود الى شرقي الأردن ، وهاجموا مدينة أريحا ٠ وقد جاء في سفر يشوع أنهم « أخذوا المدينة وحرموا (أي أبادوا) كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » (يشوع ٦ : ٢ و ٢١) ثم هاجموا مدينة عاى ٠٠ « ودخلوا المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار ٠٠ وخربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت ٠٠ وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاى ٠٠ وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا ٠٠ فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفا ،

جميع أهل عاى ·· لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبهـــا اسرائيل ·· وأحرق يشوع عاى وجعلها تلا أبديا خرابـــا الى هذا اليوم ، وملك عاى علقه على الخشبة الى وقت المساء ، وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجـــارة عظيمة » (يشوع ٨ : ١٩ ـ ٢٩) · وحين سمع ملوك البلاد المجاورة بما فعله اليهود بمدينة عاى تحالف خمسة منهم لصد هجومهم ،ولكن اليهود هاجموهم وهزموهم « فهرب أولئك الخمســـــة الملوك واختبأوا فى مغارة فى مقيدة ·· فقال يشوع دحرجوا حجارة عظيمة على فم المغارة ·· وأما أنتم فلا تقفوا بل اســعوا وراء أعدائكم ·· ولما انتهى يشوع وبنو اسرائيل من ضربهم ضربـة عظيمة جدا حتى فنوا ·· رجع جميع الشعب ·· فقال يشــوع افتحوا فم المغارة وأخرجوا الى هؤلاء الخمسة الملوك ·· وكان لما أخرجـــوا أولئـــك الملوك ·· أن يشـــوع دعـــا كل رجال اسرائيل وقال لقواد رجال الحرب الذين ساروا معه تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك ، فتقدموا ووضـــعوا أرجلهم على أعناقهم ·· وضربهم يشوع بعد ذلك ونقهلم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء · وكان عند غروب الشمس أن يشـــوع أمر فأنزلوهم عن الخشـــب وطرحوهم فى المغارة التى اختبأوا فبها ووضعوا حجارة كبيـرة على فم المغارة ·· وأخذ مقيدة فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم (أى قتل) ملكها هو وكل نفس بها · لم يبق شاردا ، وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا ·· ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكان اسرائيل معه الى لبئة وحارب لبئة ·· فضربها بحد السيف وكل نفس بها · لم يبق منها شاردا ، وفعل بملكها كمـا فعل بملك أريحا · ثم اجتاز يشوع وكان اسرائيل معه من لبئة الى لخيش ونزل عليها وحاربها · وضربها بحد السيف وكـل

نفس بها .. حينئذ صعد هورام ملك جازر لاعانة لخيش وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شاردا .. ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من لخيش الى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها .. ثم صعد يشوع وجميع اسرائيل معه من عجلون الى حبرون وحاربوها ، وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها . لم يبق شاردا .. ثم رجع يشوع وكل اسرائيل معه الى دبير وحاربها وأخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف وحرموا كل نفس بها : لم يبق شاردا .. فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها . لم يبق شاردا ، بل حرم كل نسمة .. فضربهم يشوع من قادش برنيع الى غزة وجميع أرض جوشن الى جبعون ، وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة » (يشوع ١٠ : ١٦ ـ ٤٣) . وهكذا قتل اليهود واحدا وثلاثين ملكا من ملوك الشعوب التى كانت تقطن أرض كنعان شرقى الأردن واستولوا على ممالكهم وأبادوا شعوبهم » (يشوع ١٢ : ١ ـ ٤٣) ثم أغار سبطا يهوذا وشمعون على الكنعانيين والفرزيين . وقد جاء عن ذلك فى سفر القضاة « فقال يهوذا (أى سبط يهوذا) لشمعون (أى سبط شمعون) أخيه أصعد معى فى قرعتى لكى نحارب الكنعانيين ، فأصعد أنا أيضا معك فى قرعتك . فذهب شمعون معه فصعد يهوذا ، ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم فضربوا منهم فى بازق عشرة آلاف رجل . ووجدوا أدونى بازق فى بازق فى ربوة ، وضربوا الكنعانيين والفرزيين . فهرب أدونى بازق ، فتبعوه وأمسكوه وقطعوا اباهم يديه ورجليه .. وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار . وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والجنوب والسهل . وسار

يهوذا على الكنعانيين الساكنين فى حبرون ٠٠ شيشاى وأخيماى، وتلماى ٠ وسار من هناك على سكان دبير ٠٠ وذهب يهوذا مع شمعون أخيه وضربوا الكنعانيين سكان صفاه وحرموهـا (أى أبادوا أهلها) ودعوا اسم المدينة حرمة ٠ وأخذ يهوذا غـزة وتخومها وأشقلون وتخومها وعقرون وتخومها » (القضاة ١ : ٣ ـ ١٨) ٠

وتبدو وحشية اليهود فى أبشع صورها فى انتقام يربعل المسمى جدعون أحد قضاة اليهود من أهل سكوت أثناء حربه مع المديانيين ، اذ جاء فى سفر القضاة « وجاء جدعون الى الأردن وعبر هو والثلاثمائة رجل الذين معه معيين ومطاردين ٠ فقال لأهل سكوت أعطوا أرغفة خبز للقوم الذين معى لانهم معيون وأنا ساع وراء زبح وصلمناع ملكى مديان ، فقال رؤساء سكوت هل أيدى زبح وصمناع بيدك الآن حتى نعطى جندك خبزا ؟ فقال جدعون لذلك عندما يدفع الرب زبح وصلمناع بيـدى أدوس لحمكم مع أشواك البرية بالنوارج ٠٠ ورجع جدعون بن بوآش من الحرب ٠٠ وأمسك غلاما من أهل سكوت وسأله فكتب له رؤساء سكوت وشيوخها سبعة وسبعين رجلا ٠ ودخل الى أهل سـكوت وقال هوذا زبح وصلمناع اللذان عيرتمونى بهما قائلين هـل أيدى زبح وصلمناع بيدك الآن حتى نعطى رجالك المعيـين خبزا ، وأخذ شيوخ المدينة وأشواك البرية والنوارج وعلم بها أهل سكوت (أى أدبهم) » (القضاة ٨ : ٤ ـ ١٦) ٠

كما تبدو وحشية اليهود فى أبشع صورها كذلك فيما فعله قاض آخر من قضاتهم وهو أبيمالك بن جدعون ، اذ قتل سبعين من اخوته ليتسلط على اليهود فى مكان أبيه ، فقد جاء فى سفر القضاة « وذهب أبيمالك بن يربعل (وهو جدعون) الى شكيم الى اخوة أمه ، وكلمهم وجميع عشيرة بيت أبى أمه قائلا تكلمـوا

الآن فى آذان جميع أهل شكيم ، أيما هو خير لكم : أأن يتسلط عليكم سبعون رجلا بنى يربعل ، أم أن يتسلط عليكم رجل واحد ؟ واذكروا انى أنا عظمكم ولحمكم ٠ فتكلم اخوة أمه عنه فى آذان كل أهل شكيم بجميع هذا الكلام ٠ فمال قلبهم وراء أبيمالك لانهم قالوا أخونا هو ، وأعطوه سبعين شاقل فضة من بيت بعل بريث فاستأجر بها أبيمالك رجالا بطالين طائشين فسعوا وراءه ٠ ثم جاء الى بيت أبيه فى عفرة وقتل اخوته بنى يربعل سبعين رجلا على حجر واحد » (القضاة ٩ : ١ ــ ٥) ٠

ولم تكن أعمال أبيمالك الأخرى أثناء توليه القضاء لليهود أقل وحشية مما فعله مع اخوته ٠ ومن ذلك ما فعله مع مدينة شكيم اليهودية ، اذ جاء فى سفر القضاة « فقام أبيمالك وكل الشعب الذى معه ليلا وكمنوا لشكيم ٠٠ وحارب أبيمالك المدينة كل ذلك اليوم وأخذ المدينة وقتل الشعب الذى بها وهدم المدينة وزرعها ملحا ٠٠ وسمع كل أهل برج شكيم فدخلوا الى صرح بيت ايل بريث ، فأخبر أبيمالك أن كل أهل برج شكيم قد اجتمعوا ٠ فصعد أبيمالك الى جبل صلمون وكل الشعب الذى معه وأخذ أبيمالك الفؤوس بيده وقطع غصن شجرة ورفعه ووضعه على كتفه وقال للشعب الذى معه مارأيتمونى أفعله فأسرعوا افعلوا مثلى ، فقطع الشعب أيضا كل واحد غصنا وساروا وراء أبيمالك ووضعوها على الصرح وأحرقوا عليهم الصرح بالنار ، فمات أيضا جميع أهل برج شكيم نحو ألف رجل وامرأة » (القضاة ٩ : ٣٤ ــ ٤٩) ٠

وجاء فى سفر القضاة أيضا « وفى تلك الأيام كان سبط الدانيين يطلب له ملكا للسكن ٠٠ فأرسل بنودان من عشيرتهم خمسة رجال منهم ٠٠ لتجسس الأرض وفحصها ٠٠ فذهب الخمسة الرجال الى لايش ورأوا الشعب الذى فيها ساكنين بطمأنينة

كعادة الصيدونيين مستريحين مطمئنين ٠٠ وجاءوا الى اخوتهم، الى صرعة أشتاؤل ٠٠ فقالوا قوموا نصعد اليهم لاننا رأينا الأرض وهوذا هى جيدة جدا ٠٠ عند مجيئكم تأتون الى شعب مطمئن والأرض واسعة الطرفين ٠٠ فارتحل من هناك من عشيرة الدانيين من صرعة وأشتاؤل ستمائة رجل متسلحين بعدة الحرب٠ وجاؤوا الى لايش ، الى شعب مستريح مطمئن وضربوهم بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار ، ولم يكن من ينقذ لانها بعيدة عن صيدون ولم يكن لهم أمر مع انسان ٠٠ فبنوا المدينة وسكنوا بها ، ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذى ولد لاسرائيل» (القضاة ١٨ : ١ ــ ٢٩) ٠

وقد سيطرت على اليهود شهوة القتل الجماعى وسفك بحور من الدماء فى مذابح هائلة مروعة كما رأينا فيما سلف ٠ وقد جاء فى سفر الملوك « فضرب بنو اسرائيل من الآراميين مائة ألف رجل فى يوم واحد » (الملوك الأول ٢٠ : ٢٩) ٠ وفى عهد خضوع اليهود للفرس استطاعت الفتاة اليهودية استير أن تحظى باعجاب امبراطور الفرس فتزوجها ، كما استطاعت أن تستصدر أمرا من الامبراطور بتمكين اليهود من الانتقام من أعدائهم ، فلما صدر الأمر بذلك بدأ اليهود سلسلة من المذابح قتلوا أثناءها ضمن من قتلوا خمسة وسبعين ألفا دفعة واحدة ٠ ثم جعلوا ذكرى أيام هذه المذابح عيدا لهم هو الذى لا يزال يسمى ، «عيدالفوريم» ولا يزالون يحتفلون به حتى اليوم ، اذ جاء فى سفر استير « فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك ، وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا ، وقتل اليهود فى شوشن القصر (عاصمة فارس) وأهلكوا خمسمائة رجل ٠٠ فقال الملك لأستير الملكة ٠٠ ما هى طلبتك بعد فتقضى ٠ فقالت استير ان حسن عند الملك فليعط غدا أيضا لليهود فى شوشن أن يعملوا

كما فى هذا اليوم ، ويصلبوا بنى هامان العشرة على الخشبة ، فأمر الملك أن يعملوا هكذا ٠٠ فصلبوا بني هامان العشرة ٠ ثم اجتمع اليهود الذين فى شوشن فى اليوم الرابع عشر أيضا من شهر آذار وقتلوا فى شوشن ثلاثمائة رجل ٠٠ وباقى اليهود الذين فى بلدان الملك ٠٠ قتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفا ٠٠ فى اليوم الثالث عشر من شهر آذار واستراحوا فى اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم شرب وفرح ٠ واليهود الذين فى شوشن اجتمعوا فى الثالث عشر والرابع عشر منه واستراحوا فى الخامس عشر وجعلوه يوم شرب وفرح ٠٠ وكتب مردخاى ٠٠ الى جميع اليهود الذين فى كل بلدان الملك أحشويرش ٠ الغريبين والبعيدين يوجب عليهم أن يعيدوا فى اليوم الرابع عشر من شهر آذار واليوم الخامس عشر منه فى كل سنة ٠٠ ليجعلوها أيام شرب وفرح ٠٠ لذلك دعوا تلك الأيام فوريم ٠٠ ويوما الفور هذا لايزولان من وسط اليهود وذكرهما لايفنى من نسلهم» (أستير ٩ : ٥ ــ ٢٨) ٠

وحتى الملك داودالذى يعتبره اليهود مفخرتهم فى كل العصور ، فعل ما كان يفعله أكثر اليهود وحشية ٠ اذ جاء فى سفر صموئيل « فجمع داود كل الشعب وذهب الى ربة (عاصمة العمونيين المسماة اليوم عمان) وحاربهم وأخذها ، وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم وكان على رأس داود ، وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا ، وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم فى أتون الآجر ٠ وهكذا فعل بجميع مدن بنى عمون ، ثم رجع داود وجميع الشعب الى أورشليم » (صموئيل الثانى ١٢ : ٢٩ ــ ٣١) ٠

ومن أمثلة الوحشية الصارخة كذلك ما فعله أيضا ملك :

اذ جاء في سفر أخبار الأيام « وأما أمصيا فتشدد واقتاد شعبه وذهب الى وادى الملح وضرب من بنى ساعير عشرة آلاف ، وعشرة آلاف أحياء سباهم بنو يهوذا وأتوا بهم الى رأس سالع وطرحوهم على رأس سالع فتكسروا أجمعون » (أخبار الأيام الثانى ٢٥ : ١١ و ١٢) ٠

وكان ملوك اليهود يقتلون كل منافسيهم وكل من تحوم حوله شبهة المعارضة لهم ولو كانوا من أقرب الأقربين اليهم ٠ ومن أمثلة ذلك أن سليمان ما أن جلس على العرش حتى قتل كل من يخشاهم وكان منهم أخوة أدونيا (الملوك الأول ٢) ٠ ويهورام ملك يهوذا فعل مثل ذلك اذ جاء في سفر الأيام ، واضطجع يهوشافاط مع آبائه ٠٠ وملك يهورام ابنه عوضا عنه ٠٠ وكان له اخوة بنو يهوشافاط عزريا ويحيئيل وزكريا وعزرياهو وميخائيل وشفطيا ٠٠ فقام يهورام على مملكة أبيه وتشدد وقتل جميع اخوته بالسيف وأيضا بعضا من رؤساء اسرائيل » (أخبار الأيام الثانى ٢١ : ١ ـ ٤) ٠ وارستبولس ما أن جلس على العرش كذلك حتى اعتقل أمه وقتلها ، كما قتل أخاه أنتيجونوس ، وزج ببقية اخوته في السجن ٠ وبعد موت أرستبولس أخرجت زوجته سالومى اخوته من السجن ونادت بأحدهم ـ وهو يوحنا المسمى اسكندر نيبوس ـ ملكا ، وقد قام أحد اخوته ينازعه فى الملك فقتله ٠ وقد قتل كل أعضاء السنهدريم ، وكانوا سبعين من شيوخ اليهود وكهنتهم ، كما قتل أغلب أبنائه وأقاربه والمحيطين به ومنهم زوجته التى كان يحبها مريمناوأبناؤه اسكندر وارستبولس وانتباتروس،وزوج أخته يوسفوقريبهكورثوبانوس وأصدقاؤه دوسيتوس وجادياس وكستوبار ودوزيتاوس ٠ وقد قتل فى مذبحة واحدة مائة من الفريسيين ٠ وعندما اقتربت ساعة موته أراد أن تكون بلاده كلها فى مناحة فأمر باستدعاء

شيوخ اكبر العائلات ثم اغلق عليهم ملعب الخيل وامر بذبحهم جميعا في اللحظة التي يموت هو فيها ٠

بيد ان أفظع صور الوحشية لدى اليهود انهم كانوا يقدمون ابناءهم ضحايا للالهه الوثنيه التي ظلوا يعبدونها طوال تاريخهم ، اذ كانوا يذبحون اولئك الأبناء وهم أطفال ابرياء على مذابح تلك الالهه أو يحرقونهم بالنار بين ايدى تماثيلها ٠ ومن الامثله التي ذكرتها التوراة عن ذلك ان احازين يوناتان ملك يهوذا قدم ابنه ذبيحة للآلهه الوثنية (الملوك الثانى ١٦ : ١ ــ ٣) ٠ وهكذا فعل منسى ملك يهوذا (الملوك الثانى ٢١ : ١و٢و٦) ٠ وجاء في سفر الملوك أن يهود السامرة « كانوا يحرقون بنيهم بالنار لادر ملك وعنملك الهى سفروايم » (الملوك الثانى ١٧ : ٣٠) وقال ارميا النبي أن اليهود « بنوا مرتفعات توفه التي في وادى ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار » (ارميا ٧ : ٣١) ٠

وقد صرخ أنبياء اليهود متألمين من وحشيتهم وشغفهم بالقتل وتعطشهم الى الدماء ،اذ جاء في سفر حزقيال « قد كثرتم قتلاكم في هذه المدينة وملأتم آزقتها بالقتلى ٠ لذلك هكذا قال السيد الرب :قتلاكم الذين طرحتموهم في وسطها هم اللحم وهى القدر واياكم أخرج من وسطها ٠ قد فزعتم من السيف ،فالسيف أجلبه عليكم يقول السيد الرب ٠٠ بالسيف تسقطون ٠٠ أقضى عليكم ٠٠ فتعلموا أني أنا الرب الذى لم تسلكوا في فرائضه » (حزقيال ١١ : ٦ ــ ١٢) ٠ واذ كان الأنبياء يوبخون اليهود على شرورهم ، امتدت وحشية اليهود حتى الى آنبيائهم ، فقتلوا بعضهم وعذبوا بعضهم الآخر أشد عذاب ، وقد كان ارميا النبى من أعظم أنبياء اليهود ، ومع ذلك فانهم حين وبخهم ضربوه ، وعذبوه في المقطرة ، ثم سجنوه ، ثم ألقوه في الجب حيث غاص في الوحل ٠ اذ جاء في سفر ارميا « وسمع فشحور بن أمير

الكاهن ، وهو ناظر أول فى بيت الرب ، ارميا يتنبأ بهذه الكلمات ٠ فضرب فشحور ارميا النبى وجعله فى المقطرة التى فى باب بنيامين الأعلى الذى عند بيت الرب » (ارميا ٢٠ : ١و٢) ـ « وكان لما فرغ ارميا من التكلم بكل ما أوصاه الرب أن يكلم كل الشعب به أن الكهنة والأنبياء وكل الشعب أمسكوه قائلين موتا تموت ٠٠ فكلم ارميا كل الرؤساء وكل الشعب قائلا الرب أرسلنى لأتنبأ على هذا البيت وعلى هذه المدينة بكل الكلام الذى سمعتموه ٠٠ فالآن أصلحوا طرقكم وأعمالكم واسمعوا لصوت الرب الهكم ٠٠ أما أنا فها أنذا بيدكم ٠٠ اصنعوا بى كما هو حسن ومستقيم فى أعينكم ٠ لكن اعلموا علما أنكم ان قتلتمونى تجعلون دما زكيا على أنفسكم وعلى هذه المدينة وعلى سكانها ٠٠ فقام أناس من شيوخ الأرض وكلموا كل جماعة الشعب قائلين ان ميخا المورشتى تنبأ فى أيام حزقيا ملك يهوذا وكلم كل شعب يهوذا هكذا ٠٠ هل قتلا قتلة حزقيا ملك يهوذا ؟ ٠٠ وقد كان رجل أيضا تنبأ باسم أوريا بن شمعيا من قرية يعاريم فتنبأ على هذه المدينة وعلى هذه الارض بكل كلام ارميا ، ولما سمع الملك يهوياقيم وكل أبطاله وكل الرؤساء كلامه طلب الملك أن يقتله ، فلما سمع أوريا خاف وهرب وأتى الى مصر ، فأرسل الملك يهوياقيم أناسا الى مصر ٠٠ فأخرجوا أوريا من مصر وأتوا به الى الملك يهوياقيم فضربه بالسيف وطرح جثته فى قبور بنى الشعب ، ولكن يد أخيقام بن شافان كانت مع ارميا حتى لا يدفع ليد الشعب ليقتلوه » (ارميا ١٦ : ٨ ـ ٢٤) ـ « وكان ارميا النبى محبوسا فى دار السجن فى بيت يهوذا ، لان صدقيا ملك يهوذا حبسه قائلا لماذا تنبأت » (ارميا ٣٢ : ٢و٣) ـ « وكان لما أصعد جيش الكلدانيين عن أورشليم من وجه جيش فرعون ، ان ارميا خرج من أورشليم لينطلق الى أرض بنيامين ، اذا هناك ناظر الحراس اسمه يرئيا بن شلميا بن حننيا ، فقبض على ارميا

النبى ٠٠ وأتى به الى الرؤساء ، فغضب الرؤساء على ارميا وضربوه وجعلوه فى بيت السجن فى بيت يوناثان الكاتب ٠٠ فأقام ارميا فى دار السجن » (ارميا ٣٧ : ١١ ــ ٢١) ٠ ــ « وسمع شفطيا بن متان وجدليا بن فشحور ويوخل بن شلميا وفشحور بن ملكيا الكلام الذى كان ارميا يكلم به كل الشعب ٠٠ فقال الرؤساء للملك ليقتل هذا الرجل ٠٠ فقال الملك صدفيا ها هو بيدكم ٠٠ فأخذوا ارميا والقوه فى جب ملكيا ابن الملك الذى فى دار السجن ودلوا ارميا بحبال ٠٠ ولم يكن فى الجب ماء بل وحل ، فغاص ارميا فى الوحل » (ارميا ٣٨ : ١ ــ ٦) ٠

حتى اذا ضاق اليهود ذرعا بارميا وتوبيخه لهم على شرورهم وآثامهم تخلصوا منه نهائيا ، بأن قتلوه ٠ وكذلك ورد فى التقليد اليهودى أن اليهود قتلوا نبيا آخر من أعظم أنبيائهم حين اشتد فى توبيخهم ، وهواشعياء النبى ، وقد قتلوه بأبشع وسيلة ، اذ نشروه بالمنشار ٠

الفصل الخامس

جبن اليهود

وعلى الرغم من وحشية اليهود وشراستهم ، كانوا جبناء بطبيعتهم ، لانه لا يكون متوحشا شرسا الا الجبان ، فان الشجاع لايكون الا كريما رحيما شهما ، يأنف من مهاجمة الضعيف ويعفو عن القوى اذا وقع تحت رحمته .

والاشارات كثيرة فى التوراة الى ما فى طبيعة اليهود من جبن متأصل فيهم ، وقد وضح جليا فى تلك الاشارات أن الجبن كان صفة من صفاتهم المعروفة عنهم ، فقد جاء مثلا فى سفر الخروج « فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم ، واذا المصريون راحلون وراءهم ، ففزعوا جدا وصرخ بنو اسرائيل الى الرب ، وقالوا لموسى هل لانه ليست قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين ، لانه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية؟ فقال موسى للشعب لاتخافوا .. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (الخروج ١٤ : ١٠ ـ ١٤) .

وجاء فى سفر العدد أن موسى أرسل جواسيس ليجيئوا بمعلومات عن أرض كنعان التى كان اليهود يريدون الاغارة

عليها ، فلما عاد الجواسيس « اخبروه وقالوا قد ذهبنا الى الارض التى ارسلتنا اليها ، وحقا انها تفيض لبنا وعسلا وهذا تمرها . غير ان الشعب الساكن في الارض معتز والمدن حصينه عظيمة جدا . وايضا قد راينا بنى عناق هناك . العمالقه ساكنون فى ارض الجنوب ،والحثيون واليبوسيون والاموريون ساكنون فى الجبل ، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الاردن . لكن كالب انصت الشعب الى موسى وقال اننــا نصعد ونمتلكها لاننا قادرون عليها . واما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا لانقــدر ان نصعد الى الشعب لانهم اشد منا . . جميع الشعب الذين راينا فيها آناس طوال القامة . وقد رآينا هناك الجبابرة ، بنى عناق من الجبابرة ، فكنا فى أعيننا كالجراد ، وهكذا كنا فى اعينهم . فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليله ، . وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى اسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا فى ارض مصر ، او ليتنا متنا فى هذا القفر . ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض لنسقط بالسيف . تصــير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس خيرا لنا ان نرجع الى مصر؟ . فقال بعضهم لبعض نقيم رئيسا ونرجع الى مصر ، فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بنى اسرائيـــل ، ويشوع بن نون وكالب بن يفنة من الذين تجسسوا الأرض مزقا ثيابهما وكلما كل جماعة بنى اسرائيل قائلين الأرض التى مررنا فيها لنتجسسها . . جيدة جداجدا . . تفيض لبنا وعســلا . . لاتخافوا من شعب الأرض . . لاتخافوهم . ولكن قال كل الجماعة أن يرجما بالحجارة » (العدد ١٣ : ٢٧ ـ ٣٣ ، ١٤ : ١ ـ ١٠).

وجاء في سفر التثنية أن موسى قال لليهود موبخا اياهم على جبنهم « جئناالى قادش برنيع ، فقلت لكم قد جئتم الى جبـــل الأموريين . . اصعد تملك . . لاتخف ولا ترتعب ، فتقدمتم الى جميعا وقلتم دعنا نرسل رجالا قدامنا ليتجسسوا لنا الأرض . .

فأخذت منكم اثني عشر رجلا ·· وصعدوا الى الجبل وأتوا الى وادي اشكول وتجسسوه · وأخذوا في ايديهم من اثمار الارض ونزلوا به الينا ··وقالوا جيدة هى الأرض ·· لكنكم لم تشاءوا ان تصعدوا ·· تمرمرتم في خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا الى أيدى الأموريين لكي يهلكنا · الى اين نحن صاعدون ؟ قد اذاب اخوتنا قلوبنا قائلين شعب أعظم وأطول منا · مدن عظيمة محصنة الى السماء · وأيضا قد رأينا بنى عناق هناك · فقلت لكم لا ترهبوا ولاتخافوا منهم ·· وقعدتم في قادش أياما كثيرة ·· والأيام التي سرنا فيها من قادش برنيع حتى عبرنا وادى زارد كانت ثماني وثلاثين سنة ، حتى فنى كل الجيل رجال الحرب من وسط المحلة » (التثنية ١ : ١٩ ــ ، ٢ : ١٤) ·

ولعل أصدق دليل على ما كان معروفا عن اليهود من الجبن ، ذلك النص الذى ورد فى سفر التثنية متضمنا الاجراءات التي يجب على اليهود اتباعها قبل الدخول فى أى حرب ، اذ جاء فيه « اذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلا ومراكب ، قوما أكثر منك فلا تخف منهم ·· عندما تقتربون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم اسمع يا اسرائيل · أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم ، لا تضعف قلوبكم · لاتخافوا ولا ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم ·· ثم يخاطب العرفاء الشعب قائلين من هو الرجل الذى بنى بيتا جديدا ولم يدشنه · ليذهب ويرجع الى بيته ·· ومن هو الرجل الذى غرس كرما ولم يبتكره ، ليذهب ويرجع الى بيته ·· ومن هو الرجل الذى خطب امرأة ولم يأخذها ، ليذهب ويرجع الى بيته ·· ثم يعود العرفاء ، يخاطبون الشعب ويقولون من هو الرجل الخائف والضعيف القلب ، ليذهب ويرجع الى بيته لئلا تذوب قلوب

اخوته مثل قلبه ، وعند فراغ العرفاء من مخاطبة الشعب يقيمون رؤساء جنود على رأس الشعب » (التثنية ٢٠ : ١ ــ ٩) فماذا كان يحدث عند اتباع هذا الاجراء ؟ جاء في سفر القضاة أنه أثناء حرب اليهود مع المديانيين « قال الرب لجدعون ٠٠ ناد في آذان الشعب قائلا من كان خائفا ومرتعدا فليرجع وينصرف من جبل جلعاد ٠ فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفا وبقي عشرة آلاف » (القضاة ٧ : ٢و ٣) وهكذا فان أكثر من ثلثي الجيش اليهودى فر من الميدان قبل أن يبدأ القتال ، لانه كان « خائفا ومرتعدا »!!

ومن أمثلة جبن اليهود التي وردت في التوراة كذلك انه كان هناك قوم من أصل يوناني نزحوا من جزيرة كريت واحتلوا شواطيء فلسطين وتسميهم التوراة بالفلسطينيين ٠ وقد هاجموا اليهود في عهد شاول أول ملوك دولتهم التي كانوا يسمونها اسرائيل ٠ فجاء في سفر صموئيل « وجمع الفلسطينيون جيوشهم للحرب فاجتمعوا في سوكوه التي ليهوذا ٠٠ واجتمع شاول ورجال اسرائيل ونزلوا في وادى البطم واصطفوا للحرب للقاء الفلسطينيين ٠ وكان الفلسطينيون وقوفا على جبل من هنا ، واسرائيل وقوفا على جبل من هناك والوادى بينهم ٠ فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات من جت طوله ست أذرع وشبر ، وعلى رأسه خوذة من نحاس ٠٠ وقناة رمحه كنول النساجين ٠٠ فوقف ونادى صفوف اسرائيل وقال لهم ٠٠ اختاروا لأنفسكم رجلا ولينزل الى ، فان قدر أن يحاربنى ويقتلنى نصير لكم عبيدا ، وان قدرت عليه أنا وقتلته تصيرون أنتم عبيدا وتخدموننا ٠٠ أنا عيرت صفوف اسرائيل هذا اليوم ٠ أعطونى رجلا فنتحارب معا ٠ ولما سمع شاول وجميع اسرائيل كلام الفلسطينى هذا ارتاعوا وخافوا جدا ٠٠ وكان الفلسطينى يتقدم

ويقف صباحا ومساءا أربعين يوما ٠٠ وجميع رجال اسرائيل لما رأوا الرجل هربوا منه وخافوا جدا » (صموئيل الأول ١٧ : ١ ـ ٢٤) ٠ ولعل مما يدعو الى السخرية أن هـذا الفلسطينى الذى ظل ملك اسرائيل وجميع جنوده مرتاعين منه أربعين يوما متوالية وهربوا منه وخافوا جدا ، دون أن يجرؤ واحد منهم على أن يقترب منه ليقاتله على الرغم من تحديه لهم وتعييره اياهم ، جاء صبى صغير بعد ذلك من رعاة الغنم وضربه بحجر فى رأسه بمقلاع فقتله ٠ وكان هذا الصبى هو داود الذى أصبح ملك اليهود فيما بعد (صموئيل الأول ١٧ : ١٢ ـ ٥٨) ٠

الفصل السادس

غدر اليهود وخيانتهم

ومن أبرز صفات اليهود كذلك ما جبلوا عليه منذ نشـأتهم من الغدر والخيانة ، لانهم اذ اتصفوا بالجبن ، واذ كانت الخسة والدناءة من صفات الجبناء ، اتصفوا بكل ما يتصف به الخسيس دنيء النفس من الغدر بمن اطمأن اليه ، والخيانة لمن ائتمنـــه ووثق فيه ٠

وقد وردت فى التوراة كثير من قصص الغدر والخيانـــة التى ارتكبها اليهود ، ويكفينا أن نشير هنا الى بعض منـــها ، تمثلت فيها كل خسة اليهود ودناءتهم :

فقد ورد فى سفر التكوين « خرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض ٠ فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها ٠٠ وأحب الفتاة ٠٠ فكلم شكيم حمور أباه قائلا خذ لى هذه الصبية زوجة ٠٠ فخرج حمور أبو شكيم الى يعقوب ليتكلم معه ، وأتى بنو يعقوب من الحقل ٠٠٠ وتكلم حمور معهم قائلا شكيم ابنى قد تعلقت نفسه بابنتـــكم أعطوه اياها زوجة ٠ وصاهرونا ٠ تعطوننا بناتكم وتأخـذون لكم بناتنا ، وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم ٠ اســـكنوا

واتجروا فيها وتملكوا بها ٠٠ دعونى أجد نعمة فى أعينكم ، فالذى تقولون لى أعطى ٠ كثروا على جدا مهرا وعطية ، فاعطى كما تقولون ٠٠ فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور اباه بمكر ٠٠ فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر ، ان نعطى أختنا لرجل أغلف ٠ لانه عار لنا ٠ غير أننا بهذا نواتيكم : ان صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر ، نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبا واحدا ٠٠ فحسن كلامهم فى عينى حمور وفى عينى شكيم بن حمور ٠٠ ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر ٠٠ فأتى حمور وشكيم ابنه الى باب مدينتهما وكلما أهل مدينتهما قائلين، هؤلاء القوم مسالمون لنا فليسكنوا فى الأرض ٠٠ نأخذ لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا ٠ غير أنه بهذا فقط يواتينا القوم على السكن معنا لنصير شعبا واحدا ٠ بختننا كل ذكر كما هم مختونون فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة ، واختتن كل ذكر ، كل الخارجين من باب المدينة ٠ فحدث فى اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين ان ابنى يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر ، وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف ٠٠ ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة ٠٠ غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه ، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ، ونساءهم وكل ما فى البيوت » (التكوين ٣٤ : ١ ـ ٢٩) ٠

وجاء فى سفر القضاة أن عجلون ملك موآب انتصر فى الحرب على اليهود ، فأرسل اليه اليهود هدية مع رجل يسمى أهود بن جيرا البنيامينى ٠٠ « فعمل أهود لنفسه سيفا ذا حدين طوله ذراع ، وتقلده تحت ثيابه على فخذه اليمنى ، وقدم الهدية لعجلون ملك موآب ٠ وكان عجلون رجلا سمينا جدا ٠ وكان لما

انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملى الهدية ، وأما هـــو فرجع من عند المنحوتات التى لدى الجلجال وقال : لى كلام سر اليك أيها الملك • فقال صه • وخرج من عنده جميع الواقفين لديه • فدخل اليه أهود •• وقال •• عندى كلام الله اليك • فقام عن الكرسى • فمد أهود يده اليسرى وأخذ السيف عــن فخذه اليمنى وضربه فى بطنه • فدخل القائم أيضا وراء النصل وطبق الشحم وراء النصل ، لانه لم يجذب السيف من بطنـــه • فخرج أهود •• ولما خرج جاء عبيده •• واذا سيدهم ساقط على الأرض ميتا » (القضاة ٣ : ١٢ ــ ٢٥) •

وجاء فى سفر القضاة أيضا أن سيسرا قائد جيش الكنعانيين هاجم اليهود ، فهزمه اليهود بقيادة قاضيهم باراق •• « فنزل سيسرا عن المركبة وهرب على رجليه •• الى خيمة ياعيل امرأة حابر القينى (وهى يهودية) ، لانه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبين حابر القينى • فخرجت ياعيل لاستقبال سيسرا وقالت له مل ياسيدى مل الى • لا تخف • فمال اليها الى الخيمة وغطته باللحاف • • فقال لها اسقينى قليل ماء لانى قد عطشت، ففتحت وطب اللبن وأسقته ثم غطته • فقال لها قفى ببـــاب الخيمة ، ويكون اذا جاء أحد وسألك أهنا رجل أنك تقولـــين لا • فأخذت ياعيل امرأة حابر وتد الخيمة وجعلت الميتدة فى يدها وقارت اليه وضربت الوتد فى صدغه فنفذ الى الأرض وهـــو متثقل فى النوم ومتعب فمات ، واذا بباراق يطارد سيسرا فخرجت ياعيل لاستقباله وقالت له تعال فاريك الرجل الذى أنت طالبه • فجاء اليها واذا سيسرا ساقط ميتا والوتد فى صدغه » (القضاة ٤ : ١٥ ــ ٢٢) • ٨

وجاء فى سفر المكابيين أن انطيوخوس ملك سوريا أعلن الحرب على سمعان المكابى رئيس كهنة اليهود ، وأرسل اليه جيشا بقيادة

كندباوس ·· « فصعد يوحنا من جازر وأخبر سمعان ابـــاه بما صنع كندباوس ، فدعا سمعان ابنيه الاكبرين يهوذا ويوحنا وقال لهما ·· الآن فاني قد شخت وانتما برحمة الله قد بلغتمـا أشدكما فقوما مقامي ·· واخرجا وقاتلا ·· وكان بطلماوس بن أبوبس (وهو يهودى) قد أقيم قائدا فى بقعة أريحا ، وكان عنده من الفضة والذهب شيء كثير . وكان صهر الكاهن الأعظم (وهو سمعان) ، فتشامخ في قلبه وطلب أن يستولى على البلاد ، وقد نوى الغدر بسمعان وبنيه حتى يهلكهم · وكان سمعان يجول في مدن البلاد ينظر في مهامها ، فنزل الى أريحا هو ومتاتيـــا ويهوذا ابناه ··فأنزلهم بن أبوبس بحصن كان قد بناه يقال له دوق وهو يضمر لهم الغدر ، وصنع لهم مأدبة عظيمة ، وأخفى هناك رجالا ، فلما سكر سمعان وبنوه قام بطلماوس ومن معـــه وأخذوا سلاحهم ووثبوا على سمعان فى المأدبة وقتلوه هو وابنيه وبعضا من غلمانه ، وخان خيانة عظيمة ، وكافأ الخير بالشر ، ثم كتب لبطلماوس بذلك وأرسل الى الملك أن يوجـــه اليـــه جيشا لنصرته فيسلم اليه البلاد والمدن ، ووجه قوما الى جازر لاهلاك يوحنا (ابن سمعان) ، وأنفذ كتبا الى رؤساء الألوف أن يأتوه حتى يعطيهم فضة وذهبا وهدايا ، وأرسل آخـــرين ليستولوا على أورشليم وجبل الهيكل » (المكابيون الأول ١٦) ·

وكان اليهود يخونون حتى رئيس كهنتهم ، بل حتى هيـكل أورشليم ذاته الذى كانوا يعتبرونه مفخرتهم وأقدس مكان فى بلادهم · اذ جاء في سفر المكابيين « حين كانت المدينة المقدسة عامرة آمنة ·· لما كان عليه أونيا الكاهن الأعظم من الورع ·· ان رجلا اسمه سمعان من سبط بنيامين كان مقلدا الوكالة عـلى الهيكل ، وقعت مخاصمة بينه وبين الكاهن الأعظم لأجل ظلم جناه (سمعان) على المدينة ، واذ لم يمكنه التغلب على أونيا انطلق الى أبولونيوس ·· وكان اذ ذاك قائدا فى بقاع سوريا وفينيقية ،

وأخبره ان الخزانة التي في أورشليم مشحونة من الأموال بما لا يستطاع وصفه ٠٠ فيتهيأ للملك ادخال ذلك كله في حوزته ٠ ففاوض أبولونيوس الملك ٠٠فاختار هليودوروس قيم المصالح وأرسله وأمره بجلب الأموال المذكورة ٠٠ فلما جاء أورشليم أحسن الكاهن الأعظم ملتقاه فحدثه بما كوشفوا به ٠٠فذكر له الكاهن الأعظم أن المال هو ودائع للارامل واليتامى ٠٠ ثم ان الأمر ليس على ما وشى به سمعان المنافق ٠٠ فلا يجوز بوجه من الوجوه هضم الذين ائتمنوا قداسة الموضع ومهابة وحرمة الهيكل٠ لكن هليودوروس بناء على أمر الملك أصر على حمل الأموال الى خزانة الملك » (المكابيون الثاني ٣ : ١ ــ ١٣) ٠

وجاء أيضا في سفر المكابيين « وكان أنه بعد وفاة سيلبه كوس واستيلاء أنطيوخوس الملقب بالشهير على الملك طمع ياسون أخو أونيا (رئيس الكهنة) في الكهنوت الأعظم ، فوفد على الملك ووعده بثلاثمائة وستين قنطار فضة وبثمانين قنطارا من دخل آخر ٠٠ فأجابه الملك الى ذلك فتقلد الرئاسة ٠ وما لبث أن صرف شعبه الى عادات الأمم ٠٠ وأبطل رسوم الشريعة ٠٠ فتمكن الميل الى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الأجانب بشدة فجور ياسون الذي هو كافر لا كاهن أعظم ٠٠ وبعد مدة ثلاث سنين وجه ياسون منلاوس ٠٠ ليحمل أموالا للملك ٠٠ فتزلف الى الملك ٠٠ وأحال الكهنوت الأعظم الى نفسه بأن زاد ثلاثمائة قنطار فضة على ما أعطى ياسون ٠ ثم رجع ومعه أوامر الملك ، ولم يكن على شيء مما يليق بالكهنوت الأعظم ، وانما كانت له أخلاق غاشم عنيف وأحقاد وحش ضار ٠ وهكذا فان ياسون الذي ختل أخاه ختله آخر فطرده وفر الى أرض بني عمون ٠٠ فرأة منلاوس أنه قد أصاب فرصة فسرق من الهيكل آنية من الذهب أهدى بعضها الى اندرونكس (الحاكم اليوناني) ، وباع بعضها في صور والمدن التي بجوارها ٠٠ فخلا منلاوس بأندرونكس وأغراه بأن يقبض على أونيا ،فصار الى أونيا وخدعه بمكر وعاقده بقسم حتى حمله على الخروج ٠٠

ثم اغتاله من ساعته .. واستقر منلاوس فى الرئاسة .. وكان لا يزداد الا خبثا » (المكابيين الثانى ٤ : ٧ ـ ٥٠) .

كما جاء فى سفر المكابيين « فى ذلك الزمان تجهز أنطيوخوس لغزو مصر ثانية .. وأرجف قوم أن أنطيوخوس قد مات ، فاتخذ ياسون (الذى خلعه منلاوس من رئاسة الكهنوت) جيشا ليس بأقل من ألف نفس وهجم على المدينة بغتة .. فطفق ياسون بذبح أهل وطنه بغير رحمة .. حتى كأن نصرته هذه انما كانت على أعداء لا على بنى أمته . لكنه لم يحز الرئاسة .. فهرب ثانية الى أرض بنى عمون .. فلما بلغت الملك هذه الحوادث اتهم اليهود بالانتقاض عليه فزحف من مصر .. وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة ، ويذبحوا المختبئين فى البيوت .. فهلك ثمانون ألف نفس فى ثلاثة أيام .. ولم يكتف بذلك بل اجترأ ودخل الهيكل الذى هو أقدس موضع فى الأرض كلها وكان دليله منلاوس (رئيس الكهنة) الخائن الشريعة والوطن ، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين .. ومضى » (المكابيين الثانى ٥ : ١ ـ ١٦) ـ «وفى السنة المائة والتاسعة والأربعين بلغ أصحاب يهوذا (المكابى) أن أنطيوخوس أوباتور قادم على اليهودية بجيش كثيف ومعه ليسياس .. ومعهما جيش من اليونان مؤلف من مائة وعشرة آلاف رجل . وخمسة آلاف وثلاثمائة فارس ، واثنين وعشرين فيلا وثلاثمائة عجلة ذات مناجل ، فانضم اليهم منلاوس (وكان قد استبعد من رئاسة الكهنوت) وجعل يحرض أنطيوخوس بكل نوع من المراسة غير مبال بخلاص الوطن ، بل كان همه أن يرد الى الرئاسة » (المكابيين الثانى ١٣ : ١ ـ ٣) .

وهكذا لم يكن اليهود يتورعون عن أن يغدروا حتى بوطنهم، ويخونوا حتى أبناء جنسهم فى سبيل تحقيق مطامعهم وشهوات نفوسهم ،وكان قدوتهم فى هذا الغدر وهذه الخيانة هم زعماؤهم ورؤساء كهنتهم !!

الفصل السابع

رياء اليهود ونفاقهم

وكان الرياء والنفاق من أبرز صفات اليهود ، يتظاهرون عن طريقه بالولاء ليخفوا غدرهم ، ويتظاهرون بالاخلاص ليخفوا خيانتهم ، ويتظاهرون بالضعف والمسكنة ليخفوا وحشيتهم وشراستهم ، ويتظاهرون بالقداسة والتقوى ليخفوا خلاعتهم وعهارتهم ، يتقربون الى ذوى السلطان بابتساماتهم الصفراء لينالوا أغراضهم ، ثم يتآمرون عليهم ، ولا يستثنون من ذلك حتى الله ، اذ يتزلفون اليه بالشكوى والبكاء حتى اذا استجاب لهم يتمردون عليه ويكفرون به ويبتعدون عنه ، ويعبدون آلهة أخرى ويدينون لها من دونه بالخضوع والولاء • وقد امتلأت أسفار التوراة بقصص ريائهم ونفاقهم ، وشكوى أنبيائهم من هذا الرياء والنفاق ، وغضب الله عليهم لهذا السبب ، وتهديده اياهم بالهلاك والفناء •

ومن ذلك أن سكان أورشليم حين حاصرها البابليون أرادوا أن يسترضوا الله فأعتقوا عبيدهم العبرانيين بعد أن تعهدوا أمام الله بذلك ، حتى اذا فك البابليون الحصار فترة قصيرة وخيل اليهم أن الخطر قد زال ، أرغموا العبيد على العودة اليهم ، اذ

جاء في سفر ارميا « حين كان نبوخذ ناصر ملك بابل وكل جيشه يحاربون اورشليم وكل مدنها ٠٠ الكلمه التي صارت الى ارميامن قبل الرب بعد قطع الملك صدقيا عهدا مع كل الشعب الذى فى أورشليم لينادوا بالعتق ، أن يطلق كل واحد عبده وكل واحد أمته العبراني والعبرانية حرين حتي لا يستعبدهما ٠٠ فلما سمع كل الرؤساء وكل الشعب الذين دخلوا فى العهد أن يطلقوا كل واحد عبده ،وكل واحد أمته حرين ، ولا يستعبدوهما بعد اطاعوا وأطلقوا ، ولكنهم عادوا بعد ذلك فأرجعوا العبيد والاماء الذين أطلقوهم احرارا واخضعوهم عبيدا واماء ، فصارت كلمة الرب الى ارميا ٠٠ عدتم ونجستم اسمي وأرجعتم كل واحد عبده وكل واحد امته الذين اطلقتموهم أحرارا لأنفسكم وأخضعتموهم ليكونوا لكم عبيدا واماء ٠٠ لم تسمعوا لى لتنادوا بالعتق كل واحد الى اخيه وكل واحد الى صاحبه ٠ ها أنذا أنادى لكم بالعتق يقول الرب للسيف والوباء والجوع ٠٠ الناس الذين تعدوا عهدى ، الذين لم يقيموا كلام العهد الذى قطعوه أمامي ٠٠ رؤساء يهوذا ورؤساء اورشليم الخصيان والكهنة وكل شعب الأرض ٠٠ أدفعهم ليد أعدائهم وليد طالبى نفوسهم فتكون جثثهم اكلا لطيور السماء ووحوش الأرض » (ارميا ٣٤ : ١ ـ ٢٠) ٠

وكان اليهود فى نفس الوقت الذى يقدمون فيه الذبائح والمحرقات لله ويكثرون الصلاة فى هيكله ، متظاهرين بتقواه والتماس رضاه ،كانوا يرتكبون كل أنواع الشرور والجرائم والآثام ٠ فلم يكن تقربهم الى الله بالقرابين والصلاة وسائر الطقوس الا رياء ونفاقا لا يجوزان على الله ، ومن ثم جاء فى سفر ارميا « هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل ٠ ضموا محرقاتكم الى ذبائحكم وكلوا لحما ، لانى لم أكلم أباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة ٠

بل انما أوصيتهم بهذا الأمر قائلا اسمعوا صوتى فأكون لكم الها .. وسيروا في كل الطريق الذى أوصيكم به .. فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم الشرير، وأعطوا القفا لا الوجه .. صلبوا رقابهم .. باد الحق وقطع عن أفواههم .. لذلك ما هى أيام تأتى يقول الرب .. أبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح .. لان الأرض تصير خرابا » (ارميا ٧ : ٢١ ـ ٣٤) . كما جاء عن ذلك في سفر اشعياء « لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب . وأتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات . وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر . حينما تاتون لتظهروا أمامى ، من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دورى ؟ لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة .. أعيادكم كرهتها نسى .. فحين تبسطون ايديكم أستر عينى عنكم ، وان كثرتم الصلاة لا أسمع . ايديكم ملآنة دما . اغتسلوا . تنقوا . اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى . انصفوا المظلوم . اقضوا لليتيم . حاموا عن الأرملة .. أن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لان فم الرب تكلم » (اشعياء ١ : ١١ ـ ٢٠) . كما جاء فى سفر اشعياء « فقال السيد (الرب) لان هذا الشعب قد اقترب الى بفمه وأكرمنى بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عنى » (اشعياء ٢٩ : ١٣) . وجاء فى سفر حزقيال « بأفواههم يظهرون أشواقا وقلبهم ذاهب وراء كسبهم» (حزقيال ٣٣ : ٣١) .

ومن قصص الرياء والنفاق التى وردت فى التوراة ما فعلته الأرملة اليهودية الجميلة يهوديت مع اليفانا قائد جيش الأشوريين حين كان يحاصر أورشليم ، ثم جاء فى سفر يهوديت أنها «استحمت وأدهنت بأطياب نفيسة ، وفرقت شعرها ، وجعلت تاجا على رأسها .. ولبست الدمالج والسواسن والقرطة والخواتم وتزينت بكل زينتها .. وحملت وصيفتها زق خمر واناء زيت ودقيقا..

وكان أنها لما نزلت من الجبل عند تبلج النهار لقيتها طلائع الاشوريين فامسكوها ‥ فاجابت اني بنت للعبرانيين وقد هربت من بينهم ‥ لانهم استخفوا بكم وابوا ان يستسلموا لكم ‥ فلاجل هذا فكرت في نفسى وقلت أنطلق الى امام الامير اليفانا لأخبره باسرارهم واعلمه من أى مدخل يستطيع ان يظفر بهم ‥ ثم اخذوها الى خيمة اليفانا واخبروه بها ، فلما دخلت عليه أصطيد أليفانا لساعته بعينيها · فقال له اشراطه من يزدرى بشعب العبرانيين ولهم نسوة مثل هذه جميلات ، ألسن آهلا لان نقاتلهم لأجلهن · واذ رات يهوديت اليفانا جالسا في الخيمة المنسوجة من أرجوان وذهب وزمرد وجواهر ‥ خرت له ساجدة على الآرض ‥ حينئذ قال لها اليفانا لتطب نفسك ولايكن فى قلبك روع ‥ وأما شعبك فلو لم يزدروا بى لما أشرعت رمحى عليهم ‥ والان فقولى لى لآى سبب فارقتهم واثرت المجيء الينا · فقالت ‥ ليحيى نبوخذ ناصر ملك الأرض ولتحى قوته التى فيك لتأديب جميع الانفس الغاوية ، لانه لا الناس فقط يخضعون له بك بل وحوش البر أيضا تنقاد له ، لان ذكاء عقلك قد شاع فى جميع الأمم وأهل العصر كلهم يعلمون أنك أنت وحدك صالح وجبار فى جميع مملكته وحسن سياستك مشهور فى جميع الأقاليم ‥ ولعلم بنى اسرائيل بأنهم قد آهانوا الههم قد حل رعبك عليهم ، وفضلا عن ذلك فان الجوع قد أخذ منهم وهم معدودون فى الموتى من عوز الماء حتى عزموا أن يذبحوا بهائمهم ليشربوا دماءها ‥ وبما أن أمتك قد علمت بهذا هربت من عندهم وقد بعثنى الرب لأخبرك بهذا ‥ فقال لها أليفانا قد أحسن الله اليك اذ أرسلك أمام الشعب لتسلميه أنت الى أيدينا ‥ حينئذ أمرهم أن يدخلوها موضع خزائنه ‥ وأوصى بما يعطى لها من مائدته ‥ فأدخلها عبيده الخيمة التى أمر بها ‥ وكان فى اليوم الرابع أن أليفانا صنع عشاء لعبيده

وقال لبوغا خصية انطلق الآن وأقنع تلك العبرانية بأن ترضى بالاقامة معي طوعا ، فانه عار عند الآشوريين أن تسخر المراة من الرجل وتمضي عنه نقية . فدخل حينئذ بوغا على يهوديت .. فاجابته يهوديت من أنا حتى أخالف سيدي ؟ كل ما حسن وجاد في عينيه فانا أصنعه .. ثم قامت وتزينت بملابسها ودخلت فوقفت أمامه . فاضطرب قلب أليفانا لانه كان قد اشتدت شهوته .. وقال لها أليفانا أشربي الآن واتكئي بفرح فانك قد ظفرت أمامي بحظوة فقالت يهوديت أشرب يا سيدي من أجل أنها قد عظمت نفسي اليوم أكثر من جميع أيام حياتي .. ففرح أليفانا بازائها وشرب من الخمر شيئا كثيرا جدا أكثر مما شرب في جميع حياته .. ولما أمسوا أسرع عبيده الى منازلهم ، وأغلق بوغا ابواب المخدع ومضى . وكانوا جميعهم قد ثقلوا بالخمر .. وكانت يهوديت وحدها في المخدع وأليفانا مضطجع على السرير نائما لشدة السكر ، فأمرت يهوديت جاريتها أن تقف خارجا أمام المخدع وتترصد . ووقفت أمام السرير .. (ثم) دنت من العمود الذي في رأس السرير فحلت خنجره المعلق به مربوطا ، واستلته ثم أخذت بشعر رأسه .. ثم ضربت مرتين على عنقه فقطعت رأسه ، ونزعت خيمة سريره عن العمد ودحرجت جثته عن السرير . وبعد هنيهة خرجت وناولت وصيفتها رأس أليفانا وأمرتها أن تضعه في مزودها ، وخرجت » (يهوديت ١٠ ـ ١٣) .

ومن قصص الرياء والنفاق كذلك ما فعلته استير زوجة ملك الفرس اليهودية ، كي يعفو زوجها الملك عن اليهود ، اذ جاء في سفر أستير أنها « لبست ملابس مجدها ، ولما تبرجت ببزة الملك .. اتخذت لها جاريتين فكانت تستند اليهما كأنها لم تكن تستطيع أن تستقل لكثرة ترفها ورخوصتها ، والجارية الأخرى كانت تتبع مولاتها رافعة أذيالها المنسحبة على الأرض . وكان احمرار وجهها وجمال عينيها ولمعانهما يخفي كآبة نفسها

المنقبضة بشدة خوفها ، فدخلت كل الابواب بابا بابا ، ثم وقفت قبالة الملك حيث كان جالسا على عرش ملكه بلباس الملك مزينا بالذهب والجواهر ومنظره رهيب . فلما رفع وجهه ولاح من اتقاد عينيه غضب صدره سقطت الملكة واستحال لون وجهها الى صفرة ، واتكات راسها على الجارية استرخاء . فحول الله روح الملك الى الحلم فاسرع ونهض عن العرش مشفقا وضمها بذراعيه حتى ثابت الى نفسها وكان يلاطفها بهذا الكلام : مالك يا أستير ؟ .. لا تخافى .. هلمى والمسى الصولجان . واذ لم تزل ساكتة أخذ صولجان الذهب وجعله على عنقها وقبلها وقال لماذا لا تكلمينى ، فأجابت وقالت انى رايتك ياسيدى كانك ملاك الله فاضطرب قلبى هيبة من مجدك ، لانك عجيب جدا يا سيدى ووجهك مملوء نعمة . وفيما هى تتكلم سقطت ثانية وكان يغشى عليها ، فاضطرب الملك وكان جميع اعوانها يلاطفونها » وقد نجحت استير بهذه الطريقة لا فى استصدار أمر من الملك بالعفو عن اليهود فحسب ، بل نجحت فى استصدار امر الملك كذلك بتمكين اليهود من الانتقام من أعدائهم ، فقتلوا منهم ما يقرب من مائة ألف فى بضعة أيام . (استير ١٥ و ١٦) .

ومن أمثلة نفاق اليهود لحكامهم ما ورد فى الخطاب الذى أرسله باروخ بن نيريا نيابة عن اليهود المسبيين فى بابل الى يهود أورشليم يطلبون اليهم فيه الصلاة من اجل نبوخذ ناصر ملك بابل الذى استعبدهم وأذلهم . اذ جاء فى هذا الخطاب « صلوا من أجل حياة نبوخذ ناصر ملك بابل وحياة بلشصر ابنه لكى تكون أيامهما كأيام السماء على الأرض ، فيؤتينا الرب قوة وينير عيوننا ونحيا تحت ظل نبوخذ ناصر ملك بابل وظل بلشصر ابنه ونتعبد لهما أياما كثيرة ونحن نائلون لديهما حظوة » (باروخ ١ : ١١ و ١٢) . ويقول اليهود فى هذا الخطاب « اننا خطئنا ونافقنا وأثمنا أيها الرب الهنا فى جميع

رسومك · لينصرف غضبك عنا · فقد بقينا نفرا قليلا فى الأمم الدين شتتنا بينهم ·· انقذنا وأنلنا حظوة امام وجوه الــدين أجلونا » (باروخ ٢ : ١٢ ـ ١٤) ·

وجاء في سفر المكابيين أنه في عهد خضوع اليهود لليونان « خرج من اسرائيل أبناء منافقون فاغروا كثيرين قائلين هـلم نعقد عهدا مع الآمم حولنا فاننا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة · فحسن الكلام في عيونهم · وبادر نفر من الشعب وذهبوا الى الملك فاطلق لهم أن يصنعوا بحسب أحكام الأمم · فابتنــوا مدرسة في أورشليم على حسب سنن الامم ·· وارتدوا عن العهد المقدس وما زجوا الأمم وباعوا أنفسهم لصنيع الشر » (المكابيين الأول ١ : ١٢ ـ ١٦) ·

وجاء في سفر المكابيين أيضا « في السنة المائة والحاديــة والخمسين خرج ديمتريوس بن سيليوكوس من روما وصــعد في نفر يسير الى مدينة بالساحل وملك هناك ·· وجلس ديمتريوس على عرش ملكه · فأتاه جميع رجال النفاق والكفر من اسرائيل، وفي مقدمتهم ألكيمس وهو يطمع أن يصير كاهنا أعظم ووشوا على الشعب عند الملك قائلين ان يهوذا (المكابى) واخوته قــد أهلكوا أصحابك وطردونا من أرضنا · فالآن أرسل رجلا تثق به يذهب ويفحص عن جميع ما أنزله بنا وببلاد الملك من الدمار ويعاقبهم مع جميع أعوانهم » (المكابيين الأول ٧ : ١ ـ ٧) · وجاء فيه « وكان بعد وفاة يهوذا (زعيم اليهود) أن المنافقين برزوا في جميع تخوم اسرائيل ·· فاختار بكيديس (الحــاكم اليوناني) الكفرة منهم وأقامهم رؤساء على البلاد · فكانوا يتطلبون أصحاب يهوذا ويتفقدونهم ويأتون بهم الى بكيديس فينتقم منهم، (المكابيين الأول ٩ : ٣٣ ـ ٣٦) ·

الفصل الثامن

الجاسوسية عند اليهود

واذ اتصف اليهود بالغدر والخيانة • كما اتصفوا بالرياء والنفاق ، اكتملت لهم الصفات اللازمة للجواسيس • فبرعوا في الجاسوسية والأندساس بين الشعوب لخداعها واستغلال ثقتها فيهم للاطلاع على أسرارها وخباياها ، ثم استخدام هذه الاسرار والخبايا في السطو على هذه الشعوب والقضاء عليها •.كما كانوا لا يتورعون عن أن يتجسسوا بعضهم ضد البعض الآخر في صراعهم الذى لم ينقطع أبدا •

ومن الأمثلة التى ذكرتها التوراة عن تجسس اليهود ما ورد عن تجسسهم على أرض كنعان قبل أن يغيروا عليها ، ونجاحهم فى ذلك على الرغم من قوة الشعوب التى تجسسوا عليها وشدة بأسها ، اذ جاء فى سفر العدد أن موسى اختار اثنى عشر رجلا يمثل كل منهم سبطا من أسباط اسرائيل الاثنى عشر •• « فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا الى الجنوب واطلعوا الى الجبل وانظروا الأرض ما هى ، والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ وكيف هى الأرض التى هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة ؟ وما هى المدن التى هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون ؟ وكيف هى الأرض

أسمينة أم هزيلة ؟ أفيها شجر أم لا ؟ . وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض . وأما الأيام فكانت أيام باكورات العنب . فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رحوب في مدخل حماة . صعدوا الى الجنوب وأتوا الى حبرون . وكان هناك أخيمان وشيشاي وتلماي بنو عناق .. وأتوا الى وادى أشكول وقطفوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدفرانة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين ، فدعى ذلك الموضع وادى أشكول ، بسبب العنقود الذى قطعه بنو اسرائيل من هناك . ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوما ، فساروا حتى آتوا الى موسى وهارون وكل جماعة بنى اسرائيل ، الى برية فاران ، الى قادش ، وردوا اليهما خبرا والى كل الجماعة وأروهم ثمر الأرض ، وأخبروه وقالوا قد ذهبنا الى الأرض التي أرسلتنا اليها ، وحقا انها تفيض لبنا وعسلا ، وهذا ثمرها . غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جدا . وأيضا قد رأينا بنى عناق هناك ، العمالقة ساكنون في أرض الجنوب ، والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل ، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن .. ولكن كالب أنصت الشعب الى موسى وقال اننا نصعد ونمتلكها لاننا قادرون عليها . وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا لانقدر أن نصعد الى الشعب لانهم أشد منا .. الأرض التى مررنا فيها لنتجسسها هى أرض تأكل سكانها . وجميع الشعب الذين رأينا فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق من الجبابرة . فكنا في أعيننا كالجراد ، وهكذا كنا في أعينهم» (العدد ١٣ : ١٧ ـ ٣٣) .

وجاء في سفر العدد أيضا « فأقام اسرائيل في أرض الأموريين ، وأرسل موسى ليتجسس يعزير فأخذوا قراها وطردوا الأموريين الذين هناك » (العدد ٢١ : ٣١ و ٣٢) .

وجاء في سفر يشوع « فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا قائلا اذهبا انظرا الأرض وأريحا • فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب ، واضطجعا هناك • فقيل لملك أريحا هوذا قد دخل الى هنا الليلة رجلان من بني اسرائيل لكي يتجسسا الأرض • فأرسل ملك أريحا الى راحاب يقول أخرجي الرجلين •• فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما وقالت •• خرج الرجلان •• اسعوا سريعا وراءهما •• وأما هي فأطلعتهما على السطح ووارتهما بين عيدان كتان •• وقالت •• ان رعبكم قد وقع علينا •• لاننا قد سمعنا كيف يبس الرب مياه بحر سوف قدامكم عند خروجكم من مصر •• وما عملتموه بملكي الأموريين الذين في عبر الأردن •• سمعنا فذابت قلوبنا •• فأنزلتهما بحبل من الكوة •• وقالت لهما أذهبا الى الجبل لئلا يصادفكما السعاة •• وصرفتهما فذهبا •• وجاءا الى الجبل ولبثا هناك ثلاثة أيام حتى رجع السعاة • وفتش السعاة في كل الطريق فلم يجدوهما ، ثم رجع الرجلان ونزلا عن الجبل وعبرا وأتيا الى يشوع بن نون وقصا عليه كل ما أصابهما ، وقالا ليشوع أن الرب قد دفع بيدنا الأرض كلها ، وقد ذاب كل سكان الأرض بسببنا »(يشوع ٢ : ١ ــ ٢٤) •

وجاء في سفر يشوع أيضا « وأرسل رجالا من أريحا الى عاي التي عند بيت آون شرقي بيت ايل وكلمهم قائلا اصعدوا تجسسوا الأرض •• فصعد الرجال وتجسسوا عاي ، ثم رجعوا الى يشوع وقالوا له • لا يصعد كل الشعب بل يصعد نحو ألفي رجل أو ثلاثة آلاف رجال ويضربوا عاي • لاتكلف كل الشعب الى هناك لانهم قليلون » (يشوع ٧ : ٢و٣) •

وجاء في سفر القضاة « في تلك الأيام كان سبط الدانيين يطلب له ملكا للسكن لانه الى ذلك اليوم لم يقع لــــه نصيب في

سبط من أسباط اسرائيل • فأرسل بنودان من عشيرتهم خمسة رجال منهم ، رجالا بني بأس من مصرعة ومن أشتاؤل لتجسس الأرض وفحصها •• فذهب الخمسة الرجال وجاءوا الى لايش ورأوا الشعب الذين فيها ساكنين بطمأنينة كعادة الصيدونيين مستريحين مطمئنين •• وليس لهم أمر مع انسان •• وجاءوا الى اخوتهم الى صرعة واشتاؤل •• فقالوا قوموا نصعد اليهم لاننا رأينا الأرض وهوذا هي جيدة جدا وأنتم ساكتون •• لا تتكاسلوا عن الذهاب لتدخلوا وتملكوا الأرض • عند مجيئكم تأتون الى شعب مطمئن والأرض واسعة الطرفين •• مكان ليس فيه عوز لشيء مما في الأرض » (القضاة ١٨ : ١ ــ ١٠) •

وجاء في سفر صموئيل « فقام شاول ونزل الى برية زيف ومعه ثلاثة آلاف رجل منتخبي اسرائيل لكي يفتش على داود •• وكان داود مقيما في البرية • فلما رأى أن شاول قد جاء وراءه الى البرية ، أرسل داود جواسيس وعلم باليقين أن شاول قد جاء» (صموئيل الأول ٢٦ : ٢ ــ ٤) •

كما جاء في سفر صموئيل أن أبشالوم ابن الملك داود تمرد على أبيه وأراد أن يغتصب عرشه •• « وأرسل أبشالوم جواسيس في جميع أسباط اسرائيل قائلا : اذا سمعتم صوت البوق فقولوا قد ملك أبشالوم في حبرون » (صموئيل الثاني ١٥ : ١٠) •

الفصل التاسع

تمرد اليهود

وقد اشتهر اليهود في كل عصورهم بالتمرد والعصيان واثارة الشغب • فكانوا على الدوام يتمردون على حاكمهم سواء أكان يهوديا أم غير يهودى • بل كانوا دائما يتمردون على ربهم ويعصونه ويثورون على أوامره وأحكامه ، وكانوا يتمردون على أنبيائهم وينكلون بهم أو يقتلونهم ، فلم تكن حياتهم تخلو أبدا من الخصومات والمنازعات والمشاحنات والاضطرابات والتدمير والتخريب واشعال النار وسفك الدماء •

فقد ظل اليهود يتمردون على موسى نبيهم وزعيمهم طوال أربعين عاما منذ أن أخرجهم من مصر ، حتى مات بعد أن بلغ بهم حدود أرض كنعان • اذ جاء في سفر الخروج « فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم واذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جدا •• وقالوا لموسى هل لانه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ؟ • ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟• أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين ، لانه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية ؟ » (الخروج ١٤ : ١٠ ــ ١٢) ــ « وأتى كل جماعة بني اسرائيل الى برية سين التي بين ايليم وسيناء في اليوم الخامس

عشر من الشهر الثانى بعد خروجهم من أرض مصر ، فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل على موسى وهارون فى البرية . وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر ، اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ، فانكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع » (الخروج ١٦ : ١ ـ ٣) . ـ « ثم ارتحل كل جماعة بنى اسرائيل من برية سين .. ونزلوا فى رفيديم ، ولم يكن ماء ليشرب الشعب .. وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش ، فصرخ موسى الى الرب قائلا ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرجموننى » (الخروج ١٧ : ١ ـ ٤) .

ولم يلبث اليهود بعد أن تمردوا على موسى نبيهم أن تمردوا على الله ربهم ، اذ انتهزوا فرصة غياب موسى وهو يخاطب الله على الجبل فأقاموا لانفسهم عجلا ذهبيا وعبدوه .. « فقال الرب لموسى اذهب انزل ، لانه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ، زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم . صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب واذا هو صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم » (الخروج ٣٢ : ٧ ـ ١٠) .

وجاء فى سفر العدد « وكان الشعب كأنهم يشتكون شرا فى أذنى الرب ، وسمع الرب فحمى غضبه .. فعاد بنو اسرائيل أيضا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما . قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا ، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم . والآن قد يبست أنفسنا .. فلما سمع موسى الشعب يبكون .. ساء ذلك فى عينى موسى ، فقال موسى للرب لماذا

أسأت الى عبدك ولماذا لم أجد نعمة فى عينيك حتى انك وضعت ثقل هذا الشعب على ، ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلى ولدته حتى تقول لى أحمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع ، من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب ، لانهم يبكون على قائلين أعطنا لحما لنأكل . لا أقدر أنا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لانه ثقيل على ، فان كنت تفعل بى هكذا فاقتلنى قتلا ان وجدت نعمة فى عينيك فلا أرى بليتى » (العدد ١١ : ١ ـ ١٥) .

وقد تمرد على موسى حتى أقرب الناس اليه وهما أخوه هارون ، واخته مريم ، اذ جاء فى سفر العدد « وتكلمت مريم وهارون على موسى .. فقالا هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضا ؟ .. فحمى غضب الرب عليهما » (العدد ١٢ : ١ ـ ١٩)

ثم استمر تمرد اليهود على موسى ولا سيما حين أرسل موسى بعض الجواسيس الى أرض كنعان ، وقرروا عند عودتهم أن شعوب تلك الأرض أقوى من اليهود وأن اليهود يعجزون عن طردهم منها .. « فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى اسرائيل ، وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا متنا فى هذا القفر .. أليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر ؟ فقال بعضهم لبعض نقيم رئيسا ونرجع الى مصر ، فسقط موسى وهارون على وجهيهما .. ويشوع بن نون وكالب بن يفنه .. كلما كل جماعة بنى اسرائيل قائلين .. لا تتمردوا على الرب .. ولكن قال كل الجماعة أن يرجما بالحجارة » (العدد ١٤ : ١ ـ ١٠) . ـ « وكلم الرب موسى وهارون قائلا حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ قد سمعت تذمر بنى اسرائيل الذى يتذمرونه على . قل لهم حى أنا يقول الرب لافعلن بكم كما تكلمتم

فى أذنى • فى هذا القفر تسقط جثثكم •• وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ،ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر •• أنا الرب قد تكلمت : لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على • فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون » (العدد ١٤ : ٢٦ ـ ٣٥) •

وجاء فى سفر العدد أيضا « وأخذ قورح بن يصهار بن قهات ابن لاوى وداثان وأبيرام ابنا آلياب وأون بن فالت بنو رأوبين يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل ، مائتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوى اسم ، فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما ، ان كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ؟ فلما سمع موسى سقط على وجهه ، ثم كلم قورح وجميع قومه قائلا •• كفاكم يابنى لاوى •• أقليل عليكم أن اله اسرائيل أفرزكم من جماعة اسرائيل ليقربكم اليه لكى تعملوا خدمة مسكن الرب •• وتطلبون أيضا كهنوتا ؟ انك أنت وكل جماعتك متفقون على الرب • وأما هارون فما هو حتى تتذمروا عليه ؟ فأرسل موسى ليدعو داثان وابيرام ابنى آلياب • فقالا لانصعد ،أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا فى البرية حتى تترأس علينا أيضا ترؤسا ؟ •• لا نصعد •• فاغتاظ موسى جدا وقال •• حمارا واحدا لم آخذ منهم ،ولا أسأت الى أحد منهم •• وكلم الرب موسى وهارون قائلا افترزوا من بين هذه الجماعة فانى أفنيهم فى لحظة •• فقام موسى •• فكلم الجماعة قائلا اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم ولا تمسوا شيئا مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم » (العدد ١٦ : ١ ــ ٢٣) •

وجاء فى سفر التثنية « فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب الى تمامها أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد

الرب قائلا خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب ليكون هناك شاهدا عليكم ، لانى آنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتي • اجمعوا الى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض . لانى عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لانكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم » (التثنية ٣١ : ٢٤ ـ ٢٩) • وجاء في سفر التثنية أيضا « جيل أعوج ملتو • الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم ؟ » (التثنية ٣٢ : ٥و٦) •

وقد تمرد أبشالوم ابن الملك داود على أبيه وأعلن عليه الحرب لكى يغتصب عرشه •• « وكانت الفتنة شديدة ، وكان الشعب لايزال يتزايد مع أبشالوم ، فأتى مخبر الى داود قائلا ان قلوب رجال اسرائيل صارت وراء أبشالوم • فقال داود لجميع عبيده الذين معه فى أورشليم قوموا بنا نهرب لانه ليس لنا نجاة من وجه أبشالوم • أسرعوا للذهاب لئلايبادرويدركناوينزل بنا الشر ويضرب المدينة بحد السيف •• فخرج الملك وجميع بيته وراءه •• وكانت جميع الأرض تبكى بصوت عظيم •• وآما داود فصعد فى مصعد جبل الزيتون • كان يصعد باكيا وراسه مغطى ويمشي حافيا وجميع الشعب الذين معه غطوا كل واحد رأسه وكانوا يصعدون وهم يبكون •• وأما أبشالوم وجميع الشعب رجال اسرائيل فأتوا الى أورشليم » (صموئيل الثانى ١٤ ـ ١٦) •

وقد جاء فى سفر ارميا « صار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد » (ارميا ٥ : ٢٣) ـ « كلهم عصاة متمردون » (ارميا ٦ : ٢٨) ـ « فقال الرب •• لم يسمعوا لصوتى •• بل سلكوا

وراء عناد قلوبهم » (ارميا ٩ : ١٣ و ١٤) ـ « وها انتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير حتى لا تسمعوا لى » (ارميا ١٦ : ١٢) ٠

وجاء في سفر حزقيال « رأيت ٠٠ منظر شبه مجد الرب ٠٠ وسمعت صوت متكلم ، فقال لى ٠٠ أنا مرسلك الى بنى اسرائيل، الى أمة متمردة ، قد تمردت على ، وآباؤهم عصوا على الى ذات هذا اليوم ٠ والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنـــــا مرسلك اليهم هكذا قال السيد الرب ٠٠ وهم ان ســـمعوا وان امتنعوا ، لانهم بيت متمرد ٠٠ فلا تخف منهم ومن كلامهم لاتخف، لأنهم قريس وسلاء لديك ، وأنت ساكن بين العقارب ٠ مـــن كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب ٠ لانهم بيت متمرد ٠ وتتكلم معهم بكلامى ان سمعوا وان امتنعوا لانهم متمردون » (حزقيال ١ : ٢٧ و ٢٨ ، ١٢ ـ ٧) ٠ وجاء فيه « كان الى كلام الرب قائلا يا ابن آدم أنت ساكن في وسط بيت متمرد ٠ الذين لهم أعين لينظروا ولا ينظرون ٠ لهم آذان ليسمعوا ولا يسمعون لانهم بيت متمرد » (حزقيال ١٢ : ١ و ٢) ٠

الفصل العاشر

اليهود أهل شقاق ومؤامرات

كان اليهود منذ نشأتهم مقسمين الى اثني عشر سبطا ينتسب
كل سبط منها الى واحد من أبناء يعقوب الاثنى عشر ، وكان
كل سبط بمثابة قبيلة مستقلة ومتفصلة عن الأسباط الاخرى .
وقد ظل هذا الاستقلال والانفصال قائما بين أسباط اليهود طوال
اقامتهم فى مصر ، ثم طوال اقامتهم فى شبه جزيرة سيناء . ثم طوال
عهد القضاة . وحتى حين جعل اليهود عليهم ملكا يخدمهم جميعا
ظل الاستقلال والانفصال بين الاسباط قائما ، وظل اليهود الى
آخر عهدهم واندثار أمتهم يفاخرون بالانتساب الى أسباطهم
الأولى . وكان الشقاق لا يفتأ ناشبا بين هذه الأسباط لا يخمد
أبدا ، وقد ينقلب أحيانا الى حرب فيما بينهم تؤدى الى فناء
الألوف المؤلفة منهم . وفضلا عن هذا الشقاق بين أسباط اليهود
كان الشقاق لا يفتأ ناشبا أيضا بين أحزابهم السياسية وطبقاتهم
الاجتماعية ، وطوائفهم الدينية . وكانت المؤامرات لاتنقطع
فيما بين أولئك جميعا . كما كانت مؤامرات اليهود لا تنقطع ضد
حكامهم سواء أكان من بنى جنسهم أو من ملوك الأمم الأخرى
التى كانت تسيطر عليهم . ويبدو ذلك جليا فى الخطاب الذى
أرسله « أرتاكسركسيس » ملك الفرس الذى تسميه التوراة
« أرتحتشتا » الى الولاة الخاضعين له ، اذ جاء فى سفر استير

ں ارتحششتا الأكبر المالك من الهند الى الحبشة ، على المائــــة ـ لسبعة والعشرين اقليما ، الى الرؤساء والقواد الــــذين فى ـ سنه ٠٠ انى مع كونى متسلطا على شعوب كثيرين وقد أخضعت ـ ـكونة بأسرها تحت يدى لم أحب ان أسىء استغلال مقدرتى العظيمة ، ولكننى حكمت بالرحمة والحلم حتى يقضوا حياتهم بلا خوف وبسكينة ويتمتعوا بالسلام الذى يصبو اليــــه كل بشر ٠ فسألت أصحاب مشورتى كيف يتم ذلك ، فكان ان واحدا منهم يفوق كل من سواه فى الحكمة والأمانة ، وهو ثانى الملك ، اسمه هامان قال لى ان فى المسكونة شعبا متشتتا له شرائع جديـــدة ، يتصرف بخلاف عادة جميع الأمم ويحتقر أوامر الملوك ويفسد نظام جميع الأمم بفتنته ٠ فلما وقفنا على هذا رأينا أن شعبـــا واحدا متمرد على جميع الناس ٠ طائفة ٠٠ تخالف أوامرنـــا وتقلق سلام واتفاق جميع الأقاليم الخاضعة لنا ، أمرنا أن كل من يشير اليهم هامان ٠٠ يبادون بأيدى أعدائهم ٠٠ حتى اذا هبط أولئك الناس الخبثاء فى الجحيم فى يوم واحد يرد الى مملكتنا السلام الذى أقلقوه » (استير ١٣ : ١ ــ ٧) ٠

وقصص شقاق اليهود ومؤمراتهم تملأ أسفار التوراة ، وقد بدأت منذ عهد ابراهيم أول سلالة اليهود وجدهم الأكبر ، اذ جاء فى سفر التكوين «وكان ابرام غنيا جدا فى المواشى والفضة والذهب ٠٠ ولوط (ابن أخيه) ٠٠ كان له أيضا غنم وبقـــر وخيام ٠ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معا ، اذ كانت أملاكهما كثيرة ، فلم يقدراأن يسكنا معا ، فحدثت مخاصمة بين رعـــاة مواشى ابرام ورعاة مواشى لوط ٠٠ فقال ابرام للوط ٠٠ اعتزل عنى ، ان ذهبت شمالا فأنا يمينا ، وان يمينا فأنـــا شمالا » (التكوين ١٣ : ٢ ــ ٩) ٠

وجاء فى سفر يشوع « وبنى بنو رأوبين وبنو جاد ونصف

سبط منسى هناك مذبحا على الأردن ٠٠ ولما سمع بنو اسرائيل اجتمعت كل جماعة بنى اسرائيل فى شيلوه لكى يصعدوا اليهم للحرب ٠٠ وكلموهم قائلين ٠٠ ما هذه الخيانة التى خنتم بها اله اسرائيل بالرجوع اليوم عن الرب ، ببنيانكم لأنفسكم مذبحا لتتمردوا اليوم على الرب ؟ » (يشوع ٢٢ : ١٠ ـ ١٦) ٠

وجاء فى سفر القضاة « واجتمع رجال (سبط) أفرايم ٠٠٠ وقالوا ليفتاح (قاضى اليهود وزعيمهم) لماذا عبرت لمحاربة بنى عمون ولم تدعنا للذهاب معك ؟ نحرق بيتك عليك بنار ٠ فقال لهم يفتاح : صاحب خصام شديد كنت أنا وشعبى مع بنى عمون وناديتكم فلم تخلصونى من يدهم ٠ ولما رأيت أنكم لا تخلصون وضعت نفسى فى يدى وعبرت الى بنى عمون فدفعهم الرب ليدى ٠ فلماذا صعدتم على اليوم هذا لمحاربتى ؟ وجمع يفتاح كل رجال جلعاد وحارب (سبط) أفرايم ٠٠ فسقط فى ذلك الوقت من أفرايم اثنان وأربعون ألفا » (القضاة ١٢ : ١ ـ ٦) ٠ وجاء فى هذا السفر « فاجتمع بنو بنيامين (أى سبط بنيامين) من المدن الى جبعة لكى يخرجوا لمحاربة بنى اسرائيل ، وعد بنو بنيامين فى ذلك اليوم من المدن ستة وعشرين ألف رجل مخترطى السيف، ما عدا سكان جبعة الذين عدوا سبعمائة رجل منتخبين ٠٠ وعد رجال اسرائيل ماعدا بنيامين اربعمائة ألف رجل مخترطى السيف وخرج رجال اسرائيل لمحاربة بنيامين ٠ فخرج بنو بنيامين من جبعة وأهلكوا من اسرائيل فى ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل ٠٠ وتشدد الشعب رجال اسرائيل وعادوا فاصطفوا للحرب ٠٠ فخرج بنيامين للقائهم من جبعة فى اليوم الثانى وأهلك من بنى اسرائيل أيضا ثمانية عشر ألف رجل ٠٠ وصعد بنو اسرائيل على بنى بنيامين فى اليوم الثالث ٠٠ وأهلك بنو اسرائيل من بنيامين فى ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف رجل ومائة رجل ٠٠ وهرب رجال بنيامين برعدة ٠٠ ولكن القتال أدركهم ٠٠ فسقط من بنيامين

ثمانية عشر ألف رجل ·· وشدوا وراءهم الى جدعون وقتلوا منهم ألفى رجل · وكان جميع الساقطين من بنيامين خمسة وعشرين ألف رجل مخترطى السيف فى ذلك اليوم ·· ورجع رجال بنى اسرائيل الى بنى بنيامين وضربوهم بحد السيف من المدينة بأسرها، حتى البهائم ، حتى كل ما وجد ،وأيضا جميع المدن التى وجدت أحرقوها بالنار » (القضاة ٢٠ : ١٤ ـ ٤٨) ·

وجاء فى سفر الملوك « ويربعام بنى نباط أفرايمى (أى من سبط أفرايم) ، من صرده عبد لسليمان ·· رفع يده على الملك ·· وطلب سليمان قتل يربعام، فقام يربعام وهرب الى مصر ، الى شيشق ملك مصر ، وكان فى مصر الى وفاة سليمان ·· ولما سمع جميع أسرائيل بأن يربعام قد رجع أرسلوا فدعوه الى الجماعة وملكوه على جميع اسرائيل لم يتبع بيت داود الا سبط يهوذا وحده » (الملوك الأول ١١ : ٢٦ و ٤٠ ، ١٢ : ٢٠) · وهكذا أدى هذا الشقاق الذى وقع بعد موت سليمان الى انقسام مملكة اسرائيل الى مملكتين احداهما هى مملكة يهوذا وتضم سبطى يهوذا وبنيامين، ويملك عليها رحبعام بن سليمان ، والأخرى هى مملكة اسرائيل وتضم باقى أسباط اليهود ويملك عليها يربعام بن نباط ·

وجاء فى سفر الملوك كذلك « حينئذ أرسل أمصيا (ملك يهوذا) رسلا الى يهواش بن يهواحاز بن ياهو ملك اسرائيل قائلا هلم نتراء مواجهة ·· فصعد يهواش ملك اسرائيل وتراءيا مواجهة هو وأمصيا ملك يهوذا ·· فانهزم يهوذا أمام اسرائيل وهربوا كل واحد الى خيمته · وأما أمصيا ملك يهوذا بن يهواش بن أخزيا فأمسكه يهواش ملك اسرائيل فى بيت شمس وجاء الى أورشليم وهدم سور أورشليم ·· وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن الملك ورجع الى السامرة » (الملوك الثانى ١٤ : ٨ ـ ١٤) · وجاء فيه « أرسل آحاز

(ملك يهوذا) رسلا الى تغلث فلأسر ملك آشور قائلا أنا عبدك وابنك · اصعد وخلصني من يد ملك آرام ومن يد ملك اسرائيل القائمين على ، فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن بيت الملك وأرسلها الى ملك آشور هدية ، فسمع له ملك آشور وصعد ملك آشور الى دمشق وأخذها وسباها الى قير وقتل رصين ، وسار الملك آحاز للقاء تغلث فلأسر ملك آشور الى دمشق » (الملوك الثانى ١٦ : ٧ ــ ١٠) · وهكذا كان ملوك اليهود يستعين أحدهم فى الصراع مع الآخر بملك الأشوريين أعدائهم ويستعديه كل منهم على الآخر ·

وجاء فى سفر أخبار الأيام « كانت حرب بين أبيا (ملك يهوذا) ويربعام (ملك اسرائيل) · وابتدأ أبيا فى الحرب بجيشين من جبابرة القتال أربعمائة ألف رجل مختار · ويربعام اصطف لمحاربته بثمانمائة ألف رجل مختار · وقام أبيا على جبل صماريم الذى فى جبل أفرايم وقال اسمعونى يايربعام وكل اسرائيل · أمامكم أن تعرفوا أن الرب اله اسرائيل أعطى الملك على اسرائيل لداود ·· فقام يربعام بن نباط عبد سليمان بن داود وعصى سيده ، فاجتمع اليه رجال بطالون بنو بليعال وتشددوا على رحبعام بن سليمان · وكان رحبعام فتى رقيق القلب فلم يثبت أمامهم · والآن أنتم تقولون انكم تثبتون أمام مملكة الرب بيد بنى داود وأنتم جمهور كثير ومعكم عجول ذهب قد عملها يربعام لكم آلهة ·· فيا بنى اسرائيل لاتحاربوا الرب اله آبائكم لانكم لا تفلحون ولكن يربعام جعل الكمين يدور ليأتى خلفهم ·· فالتفت (سبط) يهوذا ، واذا الحرب عليهم من قدام ومن خلف ·· وهتف رجال يهوذا ·· فانهزم بنو اسرائيل من أمام يهوذا ·· وضربه أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من اسرائيل خمسمائة ألف رجل مختار ·· فذل بنو اسرائيل فى ذلك الوقت » (أخبار الأيام الثانى ١٣ : ٢ ــ ١٨) · وجاء فى هذا السفر « فى السنة

السادسة والثلاثين لملك آسا صعد بعشا ملك اسرائيل على (مملكة) يهوذا وبنى الرامة لكيلا يدع أحدا يخرج أو يدخل الى آسا ملك يهوذا • وأخرج آسا فضة وذهبا من خزائن بيت الرب وبيت الملك وأرسل الى بنهدد ملك آرام الساكن فى دمشق قائلا ان بينى وبينك وبين أبى وأبيك عهدا • هوذا قد أرسلت لك فضة وذهبا ، فتعال انقض عهدك مع بعشا ملك اسرائيل فيصعد عنى • فسمع بنهدد للملك آسا وأرسل رؤساء الجيوش التى له على مدن اسرائيل فضربوا عيون ودان وآبل المياه وجميع مخازن مدن نفتالى • فلما سمع بعشا كف عن الرامة وترك عمله • فأخذ آسا الملك كل يهوذا فحملوا حجارة الرامة وأخشابها التى بنى بها بعشا وبنى بها جبع ومصفاة » (أخبار الايام الثانى ١٦ : ١ ـ ٦) • وجاء فيه « قتل فقح بن رمليا (ملك اسرائيل) فى (مملكة) يهوذا مائة وعشرين ألفا فى يوم واحد •• وسبى بنو اسرائيل من اخوتهم مائتى ألف من النساء والبنين والبنات ونهبوا أيضا منهم غنيمة وافرة وأتوا بالغنيمة الى السامرة » (أخبار الأيام الثانى ٢٨ : ٦ ـ ٨) •

وجاء فى سفر المكابيين « فى السنة المائة والحادية والخمسين (أثناء سيطرة اليونان على اليهود) خرج ديمتريوس بن سيليوكوس من روما •• وجلس ديمتريوس على عرش ملكه ، فأتاه جميع رجال النفاق والكفر من اسرائيل وفى مقدمتهم ألكيمس ، وهو يطمع أن يصير كاهنا أعظم ووشوا على الشعب عند الملك قائلين ان يهوذا (المكابى زعيم اليهود) واخوته قد أهلكوا أصحابك وطردونا من أرضنا ، فالآن أرسل رجلا تثق به يذهب ويفحص عن جميع ما أنزله بنا وببلاد الملك من الدمار ويعاقبهم مع جميع أعوانهم • فاختار الملك بكيديس •• وأرسله هو وألكيمس الكافر وقد قلده الكهنوت وأمره أن ينتقم من بنى اسرائيل • فسارا وقدما

أرض يهوذا فى جيش كثيف وانفذا رسلا الى يهوذا واخوتـــه يخاطبونهم بالسلام مكرا • فلم يلتفتوا الى كلامهما لأنهم رآوهمـــا قادمين فى جيش كثيف ، واجتمعت الى الكيمس وبكيديس جماعة الكتبة (فقهاء اليهود) يسألون حقوقا • ووافى الحسيديون وهـــم المقدمون فى بنى اسرائيل يسألونهما السلم لانهم قالوا ان مـــع جيو شه كاهنا من نسل هارون فلا يظلمنا • فخاطبهم خطاب سلام وحلف لهم قائلا أنا لا نريد بكم أو بأصحابكم سوءا فصدقوه ، فقبض على ستين رجلا منهم وقتلهم فى يوم واحد •• اذ نكثوا العهد والحلف الذى حلفوه ، وارتحل بكيديس عن أورشليم ونزل ببيت‌زيت وأرسل وقبض على كثيرين من الذين كانوا قد خذلوه وعلى بعض من الشعب وذبحهم على الجب العظيم • ثم سلم البلاد الى ألكيمس (اليهودى) وأبقى معه جيشا يؤازره ، وانصرف بكيديس الى الملك • وكان ألكيمس يجهد فى تولى‌الكهنوت‌الأعظم واجتمع اليه جميع المفسدين فى الشعب واستولوا على أرض يهوذا، وضربوا اسرائيل‌ضربة عظيمة • ورأى‌يهوذا جميع‌الشر الذى‌صنعه ألكيمس ومن معه فى بنى اسرائيل ، وكان فوق ما صنـــعت الأمم (الوثنيون) • فخرج الى جميع حدود اليهودية مما حولها وأنزل نقمته بالقوم الذين خذلوه فكفوا عن مهاجمة البلاد ، فلما رأى ألكيمس أن قد تقوى يهوذا ومن معه وعلم أنه لايستطيع الثبات أمامهم رجع الى الملك ووشى عليهم بجرائم ، فأرسل الملك‌نكانور أحد رؤسائه المشهورين ، وكان عدوا مبغضا لاسرائيل وأمره بابـــادة الشعب ، فوفد نكانور على أورشليم فى جيش كثير وأرسل‌الى‌يهوذا واخوته يخاطبهم بالسلام مكرا •• وعلم يهوذا أن مواجهته كانت مكرا فأجفل منه •• فلما رأى نكانور أن مشورته قد كشفت‌خرج لملاقاة يهوذا بالقتال •• فسقط من جيش نكانور نحو خمسة آلاف رجل وفر الباقون الى مدينة داود • وبعد هذه الأمور صعد نكانور الى جبل صهيون ، فخرج بعض الكهنة من المقادس وبعض شيوخ

الشعب يحيونه تحية السلم ويرونه المحرقات المقربة عن الملك ، فاستهزأ بهم وسخر منهم وتقذرهم وكلمهم بتجبر ، وأقسم بغضب قائلا ان لم يسلم يهوذا وجيشه الى يدى فسيكون متى عدت بسلام انى أحرق هذا البيت ، وخرج بحنق شديد ·· ثم ألحم الجيشان القتال ·· فانكسر جيش نكانور وكان هو أول من سقط فى القتال · ولما سمع ديمتريوس بأن نكانور وجيوشه قد سقطوا فى الحرب، عاد ثانية فأرسل الى أرض يهوذا بكيديس وألكيمس (اليهودى) ومعهما الجناح الأيمن ، فانطلقا في طريق الجلجال ونزلا عند مشالوت بأربيل فاستوليا عليها وأهلكا نفوسا كثيرة ¹ وفى الشهر الأول من السنة المائة والثانية والخمسين نزلا على أورشليم ، ثم زحفا وانطلقا الى بئيروت فى عشرين ألف راجل وألفى فارس · وكان يهوذا قد نزل بلاشع ، معه ثلاثة آلاف رجل منتخبين · فلما رأوا كثرة عدد الجيوش خافوا خوفاشديدا، فجعلكثيرون ينسابون من المحلة ولم يبق منهم الا ثمانمائة رجل ·· والتحم القتال ·· وسقط يهوذا وهرب الباقون · فحمل يوناثان وسمعان يهوذا أخاهما ودفناه فى قبر آبائه ·· وكان بعد موت يهوذا أن المنافقين برزوا فى جميع تخوم اسرائيل وظهر كل فاعلى الاثم ·· فاختار بكيديس الكفرة منهم وأقامهم رؤساء على البلاد ، فكانوا يتطلبون أصحاب يهوذا ويتفقدونهم ويأتون بهم الى بكيديس فينتقم منهم ويستهزىء بهم ·· فحل باسرائيل ضيق عظيم ·· فاجتمع جميع أصحاب يهوذا وقالوا ليوناثان انه منذ وفاة يهوذا أخيك لم يقم له كفء يخرج على العدو ·· فنحن نختارك اليوم رئيسا لنا وقائدا مكانه تحارب حربنا ·· فقبل يوناثان ·· ومات ألكيمس فى ذلك الزمان ·· فلما رأى بكيديس أن ألكيمس قد مات رجع الى الملك وهدأت أرض يهوذا سنتين · وبعد ذلك ائتمر المنافقون من اليهود كلهم وقالوا ها ان يوناثان والذين معه فى منازلهم هادئون مطمئنون فهلموا الآن نحمل عليهم بكيديس فيقبض عليهم أجمعين فى ليلة

واحدة ، وانطلقوا وأشاروا عليه بذلك ، فقام وسار في جيش عظيم وبعث سرا بكتب الى جميع نصرائه في اليهودية ان يقبضوا على يوناثان والذين معه فلم يجدوا الى ذلك سبيلا لان مشورتهم انكشفت لهم ، ثم قبضوا على خمسين رجلا من البلاد وهم أرباب الفتنة وقتلوهم . وانصرف يوناثان وسمعان ومن معهما الى بيت حجلة في البرية وبنى مهدومها وحصنها . ولما علم بكيديس حشد جميع جمهوره وراسل حلفاءه في اليهودية (من اليهود) وزحف ونزل على بيت حجلة وحاربها أياما كثيرة ونصب المجانيق .. وأن يوناثان ترك سمعان أخاه في المدينة وخرج في عدد من الجند وانتشر في البلاد .. وخرج سمعان ومن معه من المدينة وأحرقوا المجانيق وقتلوا بكيديس فانكسر . واذ ذهبت مشـــورته .. استشاط غضبا على الرجال المنافقين الذين أشاروا عليه بالخروج الى البلاد وقتل كثيرين منهم وأزمع الانصراف الى أرضه .. وأخذ يوناثان يحاكم الشعب واستأصل المنافقين من اسرائيـل ــ وفي السنة المائة والستين صعد الاسكندر الشهير ابن أنطيوخوس وفتح بطلماوس فقبلوه فملك هناك . فسمع ديمتريوس الملك فجمع جيوشا كثيرة جدا وخرج لملاقاته في الحرب . وأنفذ ديمتريوس الى يوناثان كتبا في معنى السلم متقربا اليه .. وسمع الاسكندر الملك بالمواعيد التي عرضها ديمتريوس على يوناثان .. وكتب كتبا وبعث اليه بها .. قائلا .. نقيمك اليوم كاهنا أعظم في أمتك وتسمى ولى الملك وتهتم بما لنا وتبقى في مودتنا ، وأرسل اليه أرجونا وتاجا من ذهب . فلبس يوناثان الحلة المقدسة .. وذكر ذلك لديمتريوس ، فشق عليه .. وجمع الاسكندر الملك جيوشا عظيمة ونزل تجاه ديمتريوس . فانتشب القتال بين الملكـــين ، فانهزم جيش ديمتريوس .. وسقط ديمتريوس في ذلك اليوم .. وكتب الاسكندر الملك الى يوناثان أن يقدم لملاقاته .. واجتمـــع عليه رجال مفسدون من اسرائيل ، رجال منافقون ووشوا به ،

فلم يصغ الملك اليهم ·· وأعزه الملك ·· وأقامه قائداوشريكافى الملك ·· وجمع ملك مصر (بطليموس) جيوشا كثيرة ·· وحاول الاستيلاء على مملكة الاسكندر ·· فلما سمع الاسكندر قـــدم لمقاتلته ·· فقطع زبديئيل العربى رأس الاسكندر وبعث به الى بطليموس ·· وفى اليوم الثالث مات بطليموس ·· ومـــلك ديمتريوس ·· فانطلق قوم (من اليهود) من مبغضى أمتهم مـــن الرجال المنافقين الى الملك وأخبروه بأن يوناثان يحاصر القلعة ·· فلما بلغ ذلك يوناثان ·· اختار بعضا منشيوخ اسرائيل والكهنة، وأخذ من الفضة والذهب والحلل وسائر الهدايا شيئا كثيرا وانطلق الى الملك فى بطولمايس فنال حظوة لديه · ووشى به قوم من الأمة من أهل الشقاق · الا أن الملك عامله كما كان أسلافه يعاملونه ·· وأقره فى الكهنوت الأعظم » (المكابيين الأول ٧ ــ ١٠) ·

وقد استمر اليهود فى شقاقهم ومؤامراتهم الى آخر تاريخهم ، حتى أنهم حين عزم الرومان على القضاء عليهم وحاصروا أورشليم بقيادة تيطس سنة ٧٠ ميلادية · كانوا منقسمين داخل أورشليم الى حزبين : حزب يتزعمه رجل يسمى شمعون ، ومعه خمســة عشر ألف مقاتل ، وكان يحتل جزءا من المدينة ، وحزب آخــر يتزعمه رجل يسمى يوحنا ، ومعه تسعة آلاف مقاتل ، وكان يحتل جزءا آخر من المدينة · ويقول المؤرخ اليهودى يوسيفوس أن أهالى أورشليم نالهم من الصراع بين هـــذين الحزبين أكثر مما نالهم من الرومان ·

الفصل الحادى عشر

جشع اليهود وعبادتهم المال

ولعل أشهر صفة لصقت باليهود فى كل عصور التاريخ هى جشعهم البشع ونهمهم الذى لا يشبع ولا يرتوى الى المال والكسب الحلال أو غير الحلال . يسعون اليه بكل حيلة ويتبعون كل وسيلة ولو خاضوا فى سبيله الأهوال وتمرغوا فى الأوحال .وفى سبيله يبيعون ضميرهم وذمتهم ويتنازلون عن كرامتهم وكبريائهم ويدفعون ثمنا له ماء وجوههم وأعراض نسائهم ، متوسلين اليه بالدهاء والمكر والخديعة والغش والنصب والنهب والرشوة والربا والربح الحرام والاحتيال على الارامل واغتيال حقوق الأيتام ، حتى صرح أنبياؤهم متوجعين منهم .. متفجعين لهم منددين بهم مرددين كلمات الغضب التى يصبها الله عليهم ، اذ يقول ارميا النبى « من صغيرهم الى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبى الى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب »(ارميا ٦ : ١٣) . ويقول اشعياء النبى « التفتوا جميعا الى طرقهم كل واحد الى الربح » (اشعياء ٥٦ : ١١) . وقد كان رؤساء الكهنة أنفسهم يشتغلون بالتجارة سرا ويجنون من ورائها أرباحا طائلة ، وقد أنشأ رئيس الكهنة حنان وأبناؤه حوانيت بجانب الهيكل تسمى « الشاتوجوت » ، وكانوا يبيعون فيها الحمام الذى تقضى الشريعة بتقديمه ذبيحة ، وقد عمدوا الى مضاعفة المناسبات التى يتحتم على الشعب تقديم الحمام فيها ، فتضاعفت بذلك مكاسبهم .

وقد حرمت الشريعة على اليهود اقراض أموالهم بالربا لابناء جنسهم ، وان كانت قد حللته لهم بالنسبة للاجانب ، اذ جاء فى سفر التثنية « لا تقرض أخاك بربا • ربا فضة او ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا • للاجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا » (التثنية ٢٣ : ١٩ و ٢٠) • ولكن اليهود كانوا يقرضون الجميع بالربا ، لافرق فى ذلك بين يهودى وأجنبى ، اذ يقول نحميا « وكان صراخ الشعب (اليهودى) ونسائهم عظيما على اخوتهم اليهود •• وكان من يقول حقولنا وكرومنا وبيوتنا نحن راهنوها حتى نأخذ قمحا فى الجوع • وكان من يقول قد استقرضنا فضة لخراج الملك على حقولنا وكرومنا• والآن لحمنا كلحم اخوتنا وبنونا كبنيهم وها نحن نخضع بنينا وبناتنا عبيدا ، ويوجد من بناتنا مستعبدات وليس شيء فى طاقة يدنا وحقولنا وكرومنا للآخرين • فغضبت جدا حين سمعت صراخهم وهذا الكلام ، فشاورت قلبى فى وبكت العظماء والولاة وقلت لهم انكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه وأقمت عليهم جماعة عظيمة ، وقلت لهم نحن اشترينا اخوتنا اليهود الذين بيعوا للامم حسب طاقتنا وأنتم أيضا تبيعون اخوتكم فيباعون لنا فسكتوا ولم يجدوا جوابا • وقلت ليس حسنا الأمر الذى تعلمونه• أما تسيرون بخوف الهنا ؟ •• فلنترك هذا الربا ، ردوا لهم هذا اليوم حقولهم وكرومهم وزيتونهم وبيوتهم والجزء من مائة الفضة والقمح والخمر والزيت الذى تأخذونه منهم ربا » (نحميا ٥ : ١ ــ ١١) •

وكان اليهود يقترضون الأموال بربا زهيد ، ثم يقرضونها بربا فاحش ، فيربحون الفرق وهو الذى يسمونه المرابحة ، وفى ذلك يقول حزقيال النبى مخاطبا أورشليم « أخذت الربا والمرابحة وسلبت أقرباءك بالظلم • ونسيتينى يقول السيد الرب » (حزقيال ٢٢ : ١٢) • ويقول : « •• ظلم الفقير والمسكين واغتصب

اغتصابا ولم يرد الرهن ٠٠ وأعطى بالربا وأخذ المرابحة ٠
افيحيا ؟ لا يحيا ٠ قد عمل كل هذه الرجاسات فموتا يموت ٠٠
دمه يكون على نفسه » (حزقيال ١٨ : ١٢ و ١٣) ٠

ولما كانت المناصب العليا هي السبيل الى اكتساب الثروات الضخمة ، ولا سيما مناصب رئاسة الكهنوت والقضاء ، كان اليهود يتكالبون على هذه المناصب تكالبا بشعا ، وكانت سبيلهم اليها فى الغالب هى الرشوة ، فكانوا يرشون ويرتشون ، وفى سبيل ذلك يرتكبون كل اثم وكل ظلم وكل جريمة ٠ ولذلك خاطب اشعياء النبى أورشليم قائلا « رؤساؤك متمردون ٠ كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا ٠ ولا يقضون لليتيم ، ودعوى الأرملة لا تصل اليهم » (اشعياء ١ : ٢٣) ٠ وقال عاموس النبى « من أجل أنكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمح ، بنيتم بيوتا من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها ، وغرستم كروما شهية ولا تشربون خمرها ٠ لانى علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة ، أيها المضايقون البار الآخذون الرشوة الصادون البائسين عن الباب » (عاموس ٥ : ١١ و ١٢) وقال ميخا النبى « اسمعوا هذا يارؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت اسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم ٠ الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم ٠ رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالأجر وأنبياؤها يعرفون بالفضة ٠٠ لذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل ، وتصير أورشليم خربا » (ميخا ٣ : ٩ ـ ١٢) ٠ ومن الأمثلة التى ذكرتها التوراة عن الرشوة ماورد فى سفر صموئيل، اذ جاء فيه «وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لاسرائيل ، ولم يسلك ابناه فى طريقه بل مالا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوجا القضاء » (صموئيل الأول ٨ : ١ ـ ٣) ٠ وجاء فى سفر المكابيين « وكان بعد وفاة سيليوكوس واستيلاء أنطيوخوس الملقب بالشهير على الملك طمع ياسون أخو أونيا فى الكهنوت الأعظم

(وكان أونيا هو الكاهن الأعظم) ، فوفد على الملك ووعـــده بثلاثمائة وستين قنطار فضة وبثمانين قنطارا من دخل آخر ، وما عدا ذلك ضمن له مائة وخمسين قنطارا غيرها ·· فأجـابه الملك الى ذلك فتقلد الرئاسة ·· وبعد ثلاث سنين وجه ياســون منلاوس ليحمل أموالا للملك ويفاوضه فى أمور مهمة ، فتزلف الى الملك وأطرى عظمة سلطانه وأحال الكهنوت الأعظم الى نفسه بأن زاد ثلاثمائة قنطار فضة على ما أعطى ياسون ، ثم رجع ومعه أوامر الملك ، ولم يكن على شيء مما يليق بالكهنوت الأعظم ، وانما كانت له أخلاق غاشم عنيف وأحقاد وحش ضار ·· واستــولى منلاوس على الرئاسة » (المكابيين الثانى ٤ : ٧ ــ ١٧) · وجاء فيه «فولىجورجياس قيادة البلاد ··وناصب اليهود حربا متواصلة· وكذلك الأدوميون الذين كانت لهم حصون ملائمة كانوا يرغمون اليهود ، ويقبلون المهاجرين من أورشليم ويتجهزون للحرب · فابتهل (اليهود) الذين مع (يهوذا) المكابى وتضرعوا الى الله·· ثم هجموا على حصون الأدوميين ·· فأهلكوا منهم عشرين ألفا، وفر تسعة آلاف منهم الى برجين حصينين ·· فخلف المكابى سمعان ويوسف وزكا وعددا من أصحابه لمحاصرتها وانصرف الى مواضع أخرى كانت أشد اقتضاء له · غير أن الذين كانوا مع ســـمعان استغواهم حب المال فارتشوا من بعض الذين فى البرجين وخلوا سبيلهم بعد أن أخذوا منهم سبعين ألف درهم ·· فلما أخبر المكابى بما وقع ، جمع رؤساء الشعب (اليهودى) وشكا ما فعلوا مـــن بيع اخوتهم بالمال ، اذ أطلقوا أعداءهم عليهم » (المكابيين الثانى ١٠ : ١٤ ــ ٢١) ·

وقد دفع الجشع والنهم الى المال بالهيود الى السرقة أيضا ، اذ جاء فى سفر ارميا « اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا ··· أتسرقون وتقتلون وتزنون وتخلفون كذبا ·· ثم تأتون وتقفون

أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه ؟ ٠٠ هل صـــــار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكم ؟ » (ارميا ٧ : ٢ ــ ١١) ٠ وجاء فى سفر هوشع « ٠٠ كذب وقتل وسرقة وفسق ٠٠ أعاقبهم على طرقهم وأرد أعمالهم عليـــهم » (هوشع ٤ : ٢ و ٩) ٠ وجاء فى سفر يشوع « فقال الرب ليشوع ٠٠ قد أخطأ اسرائيل بل تعدوا عهدى الذى أمرتهم به ، بل أخذوا من الحرام بل سرقوا ، بل أنكروا ، بل وضعوا فى أمتعتـــهم » (يشوع ٧ : ١٠ و ١١) ٠

الفصل الثاني عشر

دعارة اليهود

ومن أبرز الصفات التي اشتهر بها اليهود كذلك دعارتهم وعهارتهم ، واشتهاؤهم البهيمي الذى لا يخمد وتعطشهم الحيوانى الذى لايرتوى ، وانحطاطهم فى اشباع غرائزهم السافلة الدنيئة الى الدرجة التى لايتصورها العقل ، ولا تنحط اليها حتى البهائم والحيوانات • فلم يكن الرجل منهم — فى سبيل اطفاء جذوة شهوته — ليتورع عن أن يزنى مع أمه أو أخته ، أو خالته أو عمته ، أو زوجة أبيه أو زوجة أخيه أو زوجة ابنه ، أو زوجة خاله أوزوجة عمة ، أو أم زوجتة • بل لم يكن الرجل منهم ليتورع عن أن يزنى مع رجل مثله ، بل لم يكن ليتورع عن أن يزنى مع بهيمة من الاناث ، كما لم تكن المرأة لتتورع عن أن تزنى مع بهيمة من الذكور • وقد شاعت هذه الأنواع البشعة الفظيعة من الزنا بينهم ، حتى فاقوا فى قذارتهم وتعفن مجتمعهم أكثر الشعوب الوثنية دعارة وعهارة وقذارة وتعفنا • ومن ثم فرضت الشريعة الموسوية أقسى العقوبات على هذه الجرائم الخلقية الفاحشة الفاضحة ، وقد وضعت قائمة مفصلة بها ، حتى تقف فى وجه تيارها الجارف وتحد من انتشارها العنيف المخيف • فقد جاء فى سفر اللاويين « عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف •• عورة امرأة

أبيك لا تكشف ٠٠ عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها ٠٠ عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها ٠٠ عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف ٠٠ عورة أخت أبيك لا تكشف ٠٠ عورة أخت أمك لا تكشف ٠٠ عورة أخي أبيك لا تكشف ٠٠ الى امرأتـــــه لاتقترب ٠٠ عورة امرأة أخيك لا تكشف ٠٠ ولا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك ٠ ولا تضاجع ذكرا مضاجعة امرأة ٠٠ ولا تجعل مع بهيمة مضجعك ٠٠ ولا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها ٠ انــه فاحشة ٠٠ كل من عمل شيئا من هذه الرجاسات تقطع الانفس التي تعملها من شعبها » (اللاويين ١٨ : ٧ ــ ٢٩) ٠ وجاء فيــــــه « اذا زنى رجل مع امرأة ، فاذا زنى مع امرأة قريبه فانه يقتل الزاني والزانية ٠ واذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه ، انهما يقتلون كلاهما ٠ دمهما عليهما ٠ واذا اضطجع رجل مع كنته (زوجة ابنه) فانهما يقتلان كلاهما ٠ قد فعــلا فاحشة ، دمهما عليهما ٠ واذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا ، انهما يقتلان ٠ دمهما عليهما ٠ واذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة ٠ بالنار يحرقونــــه واياهما ٠٠ واذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فانه يقتل والبهيمة يميتونها ، واذا اقتربت امرأة الى بهيمة لنزائها ، تميت المــــرأة والبهيمة ٠ انهما يقتلان ٠دمهما عليهما ٠ واذا أخذ رجــــل اخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار ٠ يقطعان أمام أعين بني شعبهما ٠ قد كشف عورة أخته ٠ قد عرى قريبته ٠ يحملان ذنبهما ٠ واذا اضطجع رجل مع امرأة يحمل ذنبه ٠٠ عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف ٠ انــه عمه فقد كشف عورة عمه ٠ يحملان ذنبهما ٠ يموتان عقيمين ٠ واذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة ، قد كشف عورة أخيه ٠ يكونان عقيمين » (اللاويين ٢٠ : ١٠ ــ ٢١) ٠

بيد أنه على الرغم من قسوة العقوبات التى فرضتها الشريعة اليهودية على الزنا ، ظل اليهود منغمسين فيه بكل أنواعه ، ومختلف أساليبه ، وأقبح وأقذر صوره ، ولم يفتأ أنبياؤهم فى كل العصور ينددون بهم ويتشددون فى توبيخهم ولومهم معلنين غضب الله عليهم بسببه ٠ فلم يكن رجالهم يزدادون الا شهوة وعهرا ، ولم تكن نساؤهم يزددن الا تبرجا وفجورا ٠ فقد جاء فى سفر اشعياء « قال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن ، يصلع السيد هامة بنات صهيون ، يعرى الرب عورتهن ، ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة ، والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق ٠٠ والخواتم وخزائم الأنف والثياب المزخرفة ٠٠ والمرائى والقمصان ٠٠ فيكون عوض الطيب عفونة وعوض المنطقة حبل ، وعوض الجدائل قرعة ، وعوض الديباج مسح ٠٠ رجالك (يا أورشليم) يسقطون بالسيف ، وأبطالك فى الحرب ، فتئن وتنوح أبوابها وهى فارغة تجلس على الأرض »(اشعياء ٣ : ١٦ ـ ٢٥) ٠ وجاء فى سفر ارميا « بنوك (يا أورشليم) تركونى ٠٠ ولما أشبعتهم زنوا ، وفى بيت زانية تزاحموا ٠ صاروا حصنا معلوفة سائبة ٠ صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه ٠ أما أعاقب على هذا يقول الرب ؟ أو ما تنتقم نفسى من أمة كهذه ؟»(ارميا ٥ : ٧ ـ ٩) وجاء فى سفر حزقيال « هكذا قال السيد الرب لأورشليم ٠٠ كنت عريانة وعارية فمررت بك ٠٠ وسترت عورتك ٠٠ وألبستك مطرزة ٠٠ وكسوتك بزا ، وحليتك بالحلى فوضعت اسوزة فى عنقك ووضعت خزامة فى أنفك وأقراطا فى أذنيك وتاج جمال على رأسك ٠٠ وخرج لك اسم فى الأمم لجمالك ٠٠ فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك وسكبت زناك على كل عابر فكان له ٠٠ وضعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها ٠٠ وفى كل

رجاستك وزناك لم تذكرى أيام صباك اذ كنت عريانة وعارية فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة ٠٠ لكل الزوانى يعطون هدية ٠ أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشوتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك ، وصار فيك عكس عادة النساء فى زناك ٠٠ فلذلك يازانية اسمعى كلام الرب ٠٠ هكذا قال السيد الرب ٠ من أجل أنه أنفق نحاسك وانكشفت عورتك بزناك بمحبيك ٠٠ لذلك ها أنذا أجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم ٠٠ وأحكم عليك أحكام الفاسقات ٠٠ وأسلمك ليدهم فيهدمون قبتك ٠٠ وينزعون عنك ثيابك ويأخذون أدوات زينتك ويتركونك عريانة وعارية ٠٠ ويرجمونك بالحجارة ويقطعونك بسيوفهم ويحرقون بيوتك بالنار ٠٠ وأكفك عن الزنا » (حزقيال ١٦ : ١ـ ٤١) ٠ وجاء فى سفر هوشع « اسمعوا قول الرب يابنى اسرائيل ٠٠ الزنا والخمر والسلافة تخلب القلب ٠٠ لذلك تزنى بناتكم ويعشق بناتكم متى انتهت منادمتهم زنوا زنا » (هوشع ٤ : ١ـ ١٨) ٠

وقد ملأت قصص الزنا أسفار التوراة منذ بدايتها ، وهى تملأ تاريخ اليهود منذ نشأتهم : فقد زنت ابنتا لوط مع أبيهما ، اذ جاء فى سفر التكوين « وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه ٠٠ وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ٠ هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه ٠٠ فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ٠وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة انى قد اضطجعت البارحة مع أبى ٠ نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه ٠٠ فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ٠

فحبلت ابنتا لوط من أبيهما • فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين الى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى ، وهو أبو بني عمون الىاليوم » (التكوين ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨) • وقد زنى رأوبين باحدى سرارى أبيه يعقوب الذى هو اسرائيل ، اذ جاء في سفر التكوين « ثم رحل اسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر ، وحدث اذ كان اسرائيـــــل ساكنا في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه » (التكوين ٣٥ : ٢١ و ٢٢) • وقد زنا يهوذا رأس سبط يهوذا بزوجة ابنه فأنجب منها أبوين من آباء اليهود هما فارص وزارح ، اذ جاء في سفر التكوين « وأخذ يهوذا زوجة لعيـــر بكره اسمها ثامار •• وكان عير بـكر يهوذا شريرا •• فأماته الرب •• ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا • ثـــم تعزى يهوذا فصعد الى جزاز غنمه ، الى تمنة •• فأخبرت ثامار وقيل لها هوذا حموك صاعد الى تمنة ليجز غنمه ، فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة •• فنظرها يهوذا وحسبها زانية •• فمال اليها على الطريق وقال هاتى أدخل عليك ، لانه لم يعلم أنهـــا كنته • فقالت ماذا تعطيني لكى تدخل على • فقال انى أرســل جدى معزى من الغنم • فقالت هل تعطيني رهنا حتى ترســـله؟ فقال ما الرهن الذى أعطيك ؟ فقالت خاتمك وعصـــابتـــك وعصاك التي في يدك ،فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه ••وفي وقت ولادتها اذا في بطنها توأمان (هما فارص وزارح) » • (التكوين ٣٨ : ٦ ـ ٣٠) •

وحتى داود ملك اليهود زنى مع زوجة جاره ، ثم قتـــــله وتزوجها ، وهى التى أنجب منها سليمان • اذ جاء في ســـفر صموئيل « كان عند تمام السنة •• أن داود أرسل يؤآب وعبيده معه وجميع اسرائيل فأخربوا بني عمون وحاصروا ربة ، وأما

داود فأقام في أورشليم • وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد •• هذه بثشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى • فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها •• ثم رجعت الى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود •• فأرسل داود الى يوآب يقول أرسل الى أوريا الحثى ، فأرسل يوآب أوريا الى داود ، فأتى أوريا اليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب • وقال داود لأوريا انزل الى بيتك واغسل رجليك ، فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك • ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل الى بيته • فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا الى بيته ، فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟ فقال أوريا لداود ان التابوت (تابوت العهد) واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى الى بيتى لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتى ؟ وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر • فقال داود لاوريا أقم هذا اليوم أيضا وغدا أطلقك • فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء يضطجع في مضجعه مع عبيد سيده والى بيته لم ينزل • وفي الصباح كتب داود مكتوبا الى مواب وأرسله بيد أوريا ، وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت • وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب ، فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثى أيضا •• فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها • ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها الى

بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا ·· وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب ·· وضرب الرب الولد الذى ولدته امرأة أوريا لداود ·· وعزى داود بتشبع امرأته ودخل عليها واضطجع معها فولدت ابنا فدعا اسمه سليمان » (صموئيل الثانى ١١ : ١ ــ ٢٦ ، ١٢ : ١٦ و ٢٤) ·

وزنى أحد أبناء داود مع أخته ، اذ جاء فى سفر صموئيل « وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود ·· فاضطجع أمنون وتمارض فجاء الملك يراه ، فقال أمنون للملك دع ثامار أختى فتأتى وتصنع أمامى كعكتين فآكل من يدها · فأرسل داود ثامار الى البيت قائلا اذهبى الى بيت أمنون أخيك واعملى له طعاما · فذهبت ثامار الى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكا ·· وقال أمنون أخرجوا كل انسان عنى ، فخرج كل انسان عنه ، ثم قال أمنون لثامار ايتى بالطعام الى المخدع فآكل من يدك ، فأخذت ثامار الكعك الذى عملته وأتت به أمنون أخاها الى المخدع وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالى اضطجعى معى ياأختى · فقالت له لا يا أخى لاتذلنى ·· لاتعمل هذه القباحة، أما أنا فأين أذهب بعارى ·· والآن كلم الملك فانه لا يمنعنى منك · فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها» (صموئيل الثانى ١٣ : ١ ــ ١٤) ··

ولم يكن اليهود يدخلون مكانا الا يفسقون فيه · ومن ذلك ما ورد فى سفر العدد اذ جاء فيه « وأقام اسرائيل فى شطيم ، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب ، فدعون الشعب (اليهودى) الى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن » (العدد ٢٥ : ١ و ٢) · وحتى حين سبى البابليون اليهود الى بابل

واستعبدوهم هناك ، ظلوا على زناهم وفجورهم • ومن قصص ذلك ما ورد فى سفر دانيال اذ جاء فيه « وكان فى بابل رجل اسمه يوياقيم • وكان متزوجا امرأة اسمها سوسنة ابنة حلقيا ، جميلة جدا •• وكان يوياقيم غنيا جدا ، وكانت له حديقة تلي داره ، وكان اليهود يجتمعون اليه لأنه كان أوجههم جميعا ، وكان قد أقيم شيخان من الشعب (اليهودى) للقضاء فى تلك السنة وهما من الذين قال الرب فيهم ان الاثم صدر من بابل ، من شيوخ قضاة يحسبون مدبرى الشعب • وكانا يترددان الى دار يوياقيم فيأتيهما كل ذى دعوى • وكانت سوسنة متى انصرف الشعب عند الظهر تدخل وتتمشى فى حديقة رجلها ، فكان الشيخان يريانها كل يوم تدخل تتمشى فكلفا بهواها وأسلما عقولهما الى الفساد •• وكانا كلاهما مشغوفين بها ولم يكاشف أحدهما الآخر بوجده •• رغبة فى مضاجعتها • وكانا كل يوم يجدان فى الترقب لكي ينظراها ، وان أحدهما قال للآخر لننصرف الى بيوتنا فانها ساعة الغداء ، فخرجا وتفارقا • ثم انقلبا ورجعا الى الموضع فسأل بعضهما بعضا عن سبب رجوعه فاعترفا بهواهما ، وحينئذ اتفقا معا على وقت يمكنهما فيه أن يخلوا بها • وكان فى بعض الايام بينما هما يترقبان اليوم الموافق أنها دخلت مثل أمس فما قبل ومعها جاريتان فقط وأرادت أن تغتسل في الحديقة لانه كان حر • ولم يكن هناك أحد الا الشيخان وهما مختبئان يترقبانها ، فقالت للجاريتين ائتياني بدهن وغسول واغلقا أبواب الحديقة لاغتسل ، ففعلتا كما أمرتهما •• فلما خرجت الجاريتان قام الشيخان وهجما عليها ، وقالا ها ان أبواب الحديقة مغلقة ولا يرانا أحد ونحن كلفان بهواك فوافقينا وكوني معنا والا فنشهد عليك أنه كان معك شاب ولذلك صرفت الجاريتين عنك •• وصرخت سوسنة بصوت عظيم فصرخ الشيخان عليها ، وأسرع أحدهما وفتح أبواب الحديقة •• وفى الغد لما اجتمع

الشعب الى رجلها ، الى يوياقيم أتى الشيخان مضمران نية أثيمة على سوسنه ليهلكاها .. وقالا أمام الشعب ارسلوا الى سوسنة .. فأرسلوا .. فقال الشيخان اننا كنا نتمشى فى الحديقة وحدنا فاذا بهذه قد دخلت .. فأتاها شاب كان مختبئا ووقع عليها .. فصدقهما المجمع لانهما شيخان وقاضيان فى الشعب وحكموا عليها بالموت » (دانيال ١٣ : ١ ــ ٤١) . ووردت فى سفر ارميا اشارة الى اثنين من اليهود كانا يدعيان النبوءة أثناء السبى فى بابل ، وكانا زانيين ، اذ جاء فيه « وأنتم فاسمعوا كلمة الرب يا جميع السبى الذين أرسلتهم من أورشليم الى بابل . هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل عن آخاب بن قولايا وعن صدقيا بن معسيا اللذين يتنبآن لكم باسمى بالكذب ، ها آنذا أوقعهما ليد نبو خذراصر ملك بابل فيقتلهما أمام عيونكم ، وتؤخذ منهما لعنة لكل سبى يهوذا الذين فى بابل ، فيقال يجعلك الرب مثل صدقيا ومثل آخاب اللذين قلاهما ملك بابل بالنار ، من أجل أنهما عملا قبيحا فى اسرائيل وزنيا بنساء أصحابهما وتكلما باسمى كلاما كاذبا لم أوصهما به ، وأنا العارف والشاهد يقول الرب » (ارميا ٢٩ : ٢٠ ــ ٢٣) .

وقد انتشر الزنا بين اليهود انتشارا ذريعا على الرغم من أن عقوبته فى الشريعة هى الموت ، اذ تهاونوا فى تطبيق هذه العقوبة ، وقد شجعهم على تماديهم فى اقتراف هذا الاثم ان الشريعة لم تضع الا جزاء بسيطا على الزنا بالاماء اليهوديات ، اذ جاء فى سفر اللاويين «اذا اضطجع رجل مع امرأة اضطجاع زرع وهى أمة مخطوبة لرجل ولم تفد فداء ولا أعطيت حريتها فليكن تأديب . ولا يقتل لانها لم تعتق . ويأتى الى الرب بذبيحة لاثمه الى باب خيمة الاجتماع كبشا ذبيحة اثم ، فيكفر عنه الكاهن بكبش الاثم أمام الرب عن خطيئته التى أخطأ ، فيصفح له عن خطيئته » (اللاويين ١٩ : ٢٠ ــ ٢٢) . ولم يزد فى الشريعة

نص يحرم الزنا بالاجنبيات • كما أنه لو زنى يهودى بيهودية حرة غير مخطوبة ، لم تكن الشريعة تقضي بموته وانما كان كل جزائه أن يتزوجها أو يدفع لأبيها تعويضا ، اذ جاء في سفر الخروج « واذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها يمهرها لنفسه زوجة • ان أبى أبوها أن يعطيه اياها يزن له فضة كمهر العذارى » (الخروج ٢٢ : ١٦ و ١٧) • وقد استغل اليهود هذا النص ، فكان الآباء يحرضون بناتهم على الزنا ليتقاضوا التعويض المنصوص عليه ، ومن ثم ورد في الشريعة نص يحرم ذلك ، اذ جاء في سفر اللاويين « لاتدنس ابنتك بتعريضها للزنا لئلا تزنى الأرض وتمتلىء الأرض رذيلة » (اللاويين ١٩ : ٢٩) • بيد أنه على الرغم من هذا النص ظل اليهود في كل عصورهم يتاجرون بأعراض بناتهم ، كما يتاجرون بأعراض زوجاتهم واخواتهم ، معتبرين ذلك من الموارد السهلة لاكتساب الأموال وتكوين الثروات •

وقد شاع اللواط بين اليهود جنبا الى جنب مع الزنا ، ولذلك تعددت النصوص في الشريعة لتحريمه والحد من انتشاره ففرضت على اقترافه عقوبة الموت ، اذ جاء في سفر اللاويين « لاتضاجع ذكرا مضاجعة امرأة • انه رجس »(اللاويين١٨ :٢٢) ثم جاء فيه « اذا اضطجع رجل مع ذكر إضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا ، انهما يقتلان • دمهما عليهما » (اللاويين ٢٠ : ١٣) • ولكن اليهود ظلوا منغمسين في هذا الشذوذ القذر الذى تأنفه حتى الحيوانات •وكانوا يتكالبون عليه جميعا في نهم وجنون داعر وليس أدل على ذلك من تلك القصة البشعة التى وردت في سفر القضاة ، اذ جاء فيه : « كان رجل لاوى متغربا في عقاب جبل أفرايم ، فاتخذ له امرأة سرية من بيت لحم يهوذا ، فزنت عليه سريته ، وذهبت من عنده الى بيت أبيها •• وكانت هناك أياما • أربعة أشهر ، فقام رجلها وسار وراءها ليطيب

قلبها ويردها ومعه غلامه وحماران • فأدخلته بيت أبيها • فلما رآه أبو الفتاة فرح بلقائه •• ثم بكر فى الغد ، فى اليـــوم الخامس للذهاب ، فقال أبو الفتاة •• توانوا حتى يميل النهار، وأكلا كلاهما • ثم قام الرجل للذهاب هو وسريته وغـــلامه فقال له حموه أبو الفتاة ان النهار قد مال الى الغروب ، بيتوا الآن •• فلم يرد الرجل أن يبيت ، بل قام وذهب •• وفيما هم عند يبوس ، والنهار قد انحدر جدا قال الغلام لسيده تعال نميل الى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها ، فقال له سيده لا نميـل الى مدينة غريبة ، حيث ليس أحد من بنى اسرائيل هنا نعبر الى جبعة •• فعبروا •• وغابت لهم الشمس عند جبعة التى لبنيامين (أى سبط بنيامين) • فمالوا الى هناك • فدخل وجلس فى ساحة المدينة ، ولم يضمهم أحد الى بيته للمبيت • واذا برجل شيـخ جاء من شغله •• فرفع عينيه ورأى الرجل المسافر فى ساحـــة المدينة •• وجاء به الى بيته •• وفيما هم يطيبون قلوبهم اذا برجال المدينة •• أحاطوا البيت قارعين الباب وكلموا الرجل صاحب البيت الشيخ قائلين أخرج الرجل الذى دخل بيتـــــك لنعرفه (أى نزنى به) ، فخرج اليهم الرجل صاحب البيت وقال لهم لا يا اخوتى لا تفعلوا شرا • بعدما دخل هذا الرجل بيتى لاتفعلوا هذه القباحة • هوذا ابنتى العذراء وسريته دعـــونى أخرجهما •• وافعلوا بهما ما يحسن فى أعينكم • وأما هـــذا الرجل فلا تعملوا به هذا الأمر القبيح • فلم يرد الرجـال أن يسمعوا له ، فأمسك الرجل سريته وأخرجها اليهم خارجا فعرفوها (أى زنوا بها) ، وتعللوا بها الليل كله الى الصباح • وعنـــد طلوع الفجر أطلقوها ، فجاءت المرأة عند اقبال الصباح وسقطت عند باب بيت الرجل •• فقام سيدها فى الصباح وفتح أبـواب البيت وخرج واذا بالمرأة سريته ساقطة على باب البيت •• فقال لها قومى نذهب • فلم يكن مجيب • فأخذها على الحمار ••

ودخل بيته وأخذ السكين وأمسك سريته وقطعها مع عظامها الى اثنتى عشرة قطعة (على عدد أسباط اسرائيل) وأرسلها إلى جميع تخوم اسرائيل .. » (القضاة ١٩ : ١ ــ ٢٩) .

وقد بلغ اليهود فى اشباع شهواتهم الحيوانية من الانحطاط مايجعلهم مساوين للحيوانات ، بل أحط منها طبيعة . اذ كان رجالهم ونساؤهم يرتكبون الفحشاء حتى مع البهائم ، وقد انتشر هذا الشذوذ الدنيء الداعر بينهم انتشارا كبيرا وخطيرا تدل عليه النصوص المتعددة في الشريعة لتحريمه وفرض أقسى العقوبات على اقترافه ، اذ جاء فى سفر الخروج « كل من اضطجع مع بهيمة يقتل قتلا » (الخروج ٢٢ : ١٩) : وجاء فى سفر اللاويين « لاتجعل مع بهيمة مضجعك فتتنجس بها . ولا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها . انه فاحشة » (اللاويين ١٨ : ٢٣). وجاء فيه « اذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فانه يقتل والبهيمة تميتونها ؛ واذا اقتربت امرأة الى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة . انهما يقتلان . دمهما عليهما » (اللاويين ٢٠ : ١٥ و١٦) وجاء فى سفر التثنية « ملعون من يضطجع مع بهيمة ما » (التثنية ٢٧ : ٢١) .

بل لقد جعل اليهود من الزنا واللواط بأنواعها المختلفة طقسا دينيا يزاولونه فى هيكل أورشليم ذاته ، فيما يزاولون من الطقوس الوثنية . وكانت النساء ينذرن أنفسهن للزنا ، كما كان الرجال يزاولون اللواط كنوع من أنواع العبادة ، فكانوا يسمونهم المأبونين ، وقد ورد عن ذلك فى سفر هوشع « لأن روح الزنا قد أضلهم فزنوا من تحت الههم .. لذلك تزنى بناتكم .. يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع الناذرات الزنا .. متى انتهت منادمتهم زنوا زنا » (هوشع ٤ : ١٢ ــ ١٨) . وجاء فى سفر الملوك « يوشيا (ملك يهوذا) .. هدم بيوت المأبونين

التى كانت عند بيت الرب (هيكل أورشليم) ، حيث كانت النساء (الزانيات) ينسجن بيوتا للسارية (المعبد الوثنى) » (الملوك الثانى ٢٢ : ٣ ، ٢٣ : ٧) ٠

وهكذا كان اليهود أكثر الشعوب شهوة ، وأقذر الأجناس فسقا ، وأشد الناس تكالبا على الزنا والدعارة والعهارة والفجور ٠ وقد اتخذوا من أعراض نسائهم تجارة يجمعون عن طريقهـــا المال ٠ كما اتخذوا منها رشوة يصلون عن طريقها الى تحقيق مطامعهم وأغراض نفوسهم ، غير عابئين فى سبيل ذلك بشرف أو شريعة ، أو حرام أو حلال ٠

الباب الرابع

الحياة السياسية والحربية عند اليهود

الفصل الاول

الحياة السياسية عند اليهود

١ ـ نظام القبائل

نشأ اليهود منذ آبائهم الأوائل فى قبائل تحكمها النظم والتقاليد القبلية ، فقد كان جدهم الأول ابراهيم رئيسا لقبيلته التى هى زوجاته وأبناؤه وعبيده • وكذلك كان ابنه اسحق ، وكان حفيده يعقوب الذى هو اسرائيل • وكان رئيس القبيلة هو حاكمها وصاحب السلطان الأعلى على كل أفرادها ، وله عليهم حق القضاء وحق الحياة والموت • وقد عرفنا فيما سلف أن ابراهيم قد نشأ بمدينة « أور » الكلدانية التى كانت تقع في أرض ما بين النهرين ، في المنطقة التى نسميها اليوم بالعراق ، وأنه هاجر من هناك مع ذويه الى مدينة حاران التى كانت تقع على أحد فروع نهر الفرات فى بلاد الآراميين والتى نسميها اليوم سوريا • ثم رحل ابراهيم بعد ذلك مع زوجته سارة وابن أخيه لوط وعبيده ومواشيه ، وعبر الفرات الى أرض كنعان التى نسميها اليوم فلسطين ، فلقبوه هناك بالعبرانى ، وظل يتنقل بين أرجاء تلك الأرض يرعى غنمه • ولم يلبث أن أصبح يملك قطعانا عظيمة من الماشية ، كما أصبح ابن أخيه لوط يملك قطعانا عظيمة من الماشية كذلك ، واذ وقع بينهما خلاف اقتسما المراعى ، فاختار لوط السهول الواقعة على امتداد الضفة الشرقية لنهر الأردن والبحر الميت ، فى حين اختار ابراهيم أرض كنعان الواقعة غربى نهر الأردن •

فلما مات ابراهيم خلفه ابنه اسحق وأصبح رئيسا لقبيلته ، وقد أنجب ولدين هما عيسو ويعقوب • وكان المفروض بحكم التقاليد القبلية أن ينال الابن الأكبر وهو عيسو بركة أبيه ، ويخلفه فى رئاسة القبيلة باعتباره البكر ، ولكن التوراة تحدثنا بأن يعقوب احتال حتى حصل على بركة أبيه بدلا من عيسو • كما تحدثنا بأن عيسو باع بكوريته ليعقوب نظير وجبة من الطعام • فوقعت الخصومة والقطيعة بين الأخوين • ولم يلبث يعقوب أن رحل الى حاران وتزوج من ليئة وراحيل ابنتى خاله ، كما تزوج جاريتيهما ، وأنجب من نسائه الأربع اثنى عشر ولدا ، هم رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزيولون ودان ونفتالى وجاد وأشير ويوسف وبنيامين ، كما أنجب بنتا واحدة هى دينة • وهكذا كثر أبناؤه وأحفاده ، كما اغتنى جدا فكثر عبيده وكثرت ما شيته ، ومن ثم أصبح رئيسا لقبيلة كبيرة ، وعاد مع كل ذويه وأملاكه الى أرض كنعان ، وراح يتنقل بين أرجائها ، كما كان يفعل أبوه وجده ، وكما تفعل دائما قبائل الرعاة التى تبحث عن المراعى لماشيتها •

وقد حدث جوع فى أرض كنعان ، فهاجر يعقوب الذى كان يسمى كذلك اسرائيل الى مصر ، وهناك كان أحد أبنائه وهو يوسف قد أصبح ذا مكانة عظيمة لدى فرعون ، فنجح فى أن يهب أباه واخوته أرض جاسان التى كانت تقع فى الجزء الشرقى من الدلتا ، وكانت من أجود أراضى مصر ، ولا سيما بالنسبة لليهود الذين كانوا رعاة غنم • ولم يلبث أن تزايد عدد اليهود تزايدا عظيما ، حتى أصبحوا مئات الألوف ، ومن ثم انقسموا الى اثنى عشر قبيلة ، يرأس كل قبيلة منها أحد أبناء يعقوب الاثنى عشر ، وان كان يوسف قد أنجب ولدين فى مصر هما أفرايم ومنسى ، فاعتبرهما يعقوب ولدية ، وأصبح لكل منهما قبيلة

على اسمه معدودة من قبائل اليهود ، فلم يكن هناك قبيلة باسم يوسف أبيهما • كما أن قبيلة اللاويين تخصصت فيما بعد للكهنوت فلم تعد معدودة ضمن القبائل الاثنى عشر • وكانوا يسمون القبيلة بلغتهم العبرية « سبطا » أى جماعة يرأسها رئيس ،ومن ثم ظل كل رئيس هو المسئول عن قبيلته أو سبطه في شئونه الداخلية دون أى سلطان عليه من القبائل أو الأسباط الأخرى أو من رؤسائها ، وان كان كل سبط قد تضخم عدده فانقسم الى عشائر ، يتولى شئون كل منها شيخ • وقد ظل كل سبط من أسباط اليهود منذ عهد أبيهم يعقوب ، وطوال اقامتهم في مصر متميزا عن غيره من الأسباط ، كأنه قبيلة مستقلة ، وله رؤساؤه وعصبيته وتقاليده المميزة له • وكانت الحكومة المصرية تختار شيخا من كل سبط ليكون مسئولا عن شئون هذا السبط أمامها • فكان اليهود خاضعين للحكومة المصرية خضوعا كاملا عن طريق أولئك الشيوخ • وكان كل شيخ يتولى ابلاغ أوامر الحكومة الى سبطه ويتكفل بتنفيذ أوامرها الصادرة الى هذا السبط • وأداء الأعمال المكلفة به ، وجباية الضرائب المفروضة عليه • وقد قررت التوراة أن اليهود ظلوا خاضعين لحكم المصريين على هذه الصورة اربعمائة وثلاثين سنة (الخروج ١٢ : ٤٠) • حتى اذا أصبح اليهود عنصر تمرد وفتنة وخطر على مصر اشتدت فى معاملتهم ، ثم آخر الأمر طردتهم من أرضها •

وحتى حين تزعم موسى النبى اليهود عند خروجهم من مصر ، ظلوا يعيشون — على الرغم من اعتبارهم شعبا واحدا — كأنهم قبائل مستقلة ، فكانوا يتصرفون على هذا الأساس فى كل شئونهم ، وكان موسى نفسه يتصرف معهم على أساس هذه الحقيقة فى كل الأمور • فحين أراد أن يحصيهم مثلا أحصاهم سبطا سبطا • وحين أراد أن ينظم اقامتهم ورحيلهم فى صحراء سيناء جعل لكل سبط مكانا معينا يقيم فيه ، وترتيبا معينا

يلتزمه عند الرحيل ، وراية معينة تميزه عن غيره من الأسباط .
هذا وان كانت فترة وجود اليهود فى صحراء سيناء قد تميزت بخضوع جميع أسباطهم للزعامة السياسية والدينية لموسى النبى، بعد أن أثبت لهم أن أوامره اليهم انما يستمدها من الله ذاته . ومع ذلك لم ينقطعوا عن التمرد على هذه الزعامة طوال الأربعين سنة التى قضوها فى الصحراء ، وكانوا لا يفتأون يعودون الى بداوتهم الأولى كأنهم الخيل الجامحة أو الثيران الطليقة الهائجة ، حتى لقد جعلوا من حياة موسى شقاء متصلا ، وبكاء لا ينقطع الى الله وهو يتضرع اليه أن يعفيه من هذه الزعامة لذلك الشعب الذى وصفه الله نفسه بأنه صلب الرقبة ، وأنه شرير متذمر ، وأنه أعوج ملتو (الخروج ٣٢ : ٩ ، العدد ١٤ : ٢٦ ، التثنية ٣٢ : ٥) . ذلك أنهم لم يكونوا فى الواقع يتمردون على موسى وانما على الله نفسه ، بالرغم من أنه أعلن لهم أنه هو حاميهم وحاكمهم وملكهم . ولذلك قال الله عنهم « انهم جيل متقلب . أولاد لا أمانة فيهم .. اغاظونى بأباطيلهم .. انهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم .. ان يوم هلاكهم قريب » (التثنية ٣٢ : ٢٠ و ٢١ و ٢٨ و ٣٥) . بيد أن نزول شريعة الله على يد موسى فى هذه الفترة وبناء خيمة الاجتماع لعبادة الله ، وتعيين هارون وبنيه كهنة للخدمة الدينية ، كان مظهرا وان يكن شكليا فى حقيقته لخضوع اليهود بكل أسباطهم لسلطة عليا واحدة هى سلطة الله،وزعامة سياسية واحدة هى زعامة موسى،ورئاسة دينية واحدة هى رئاسة هارون والالتفاف حول معبد واحد هو خيمة الاجتماع . ولكننا مع كل ذلك لن نلبث أن نرى أن هذه الوحدة التى جمعت بين اليهود كانت مؤقتة وغير حقيقية وغير صادقة . فما أن أغار اليهود على فلسطين حتى قسموها بين أسباطهم أقساما مستقلة استقلالا ثابتا ودائما ، بحيث كانت القاعدة أنه لا يجوز أن يتحول نصيب سبط منهم الى سبط آخر ،

اذ جاء صراحة فى سفر العدد « فلا يتحول نصيب لبنى اسرائيل من سبط الى سبط ، بل يلازم بنو اسرائيل كل واحد نصيب سبط آبائه • وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها لكى يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بنى اسرائيل كل واحد نصيبه » (العدد ٣٦ : ٧ ـ ٩) •

٢ ـ نظام القضاة

وبعد أن احتل اليهود أرض فلسطين ، ظل كل سبط فى نصيبه الذى ناله عند التقسيم ، يعيش عيش الرعاة ، ولا تربط بين أى سبط من أسباطهم وبقية الأسباط أية رابطة ، الا اذا تعرضوا جميعا لغزو من الشعوب الأجنبية ، فكانوا عندئذ يجمعون شملهم ويختارون لأنفسهم زعيما يتولى قيادتهم ضد الشعب المغير • وحتى فى هذه الحالة لم يكن لهم جيش واحد موحد ، وانما كان كل سبط يبعث ببعض رجاله للقتال ، حتى اذا انتهت الحرب عاد كل رجل من المقاتلين الى سبطه ، وأصبح للزعيم الذى كان له الفضل فى انتصارهم مركزا ممتازا بينهم، فكان يقضى فى دعاواهم ، ولذلك كانوا يسمونه القاضى ، ولكنه لم تكن له أحيانا الا مكانة أدبية فحسب ، وحتى هذه المكانة الأدبية لم تكن تمتد الا الى عدد محدود من الأسباط ، ولفترة محدودة من الزمن • فلم تذكر التوراة الا بعض أسماء أولئك القضاة ، والا لمحات من أعمالهم ، فى أزمنة متفرقة ، وفترات متفاوتة ، وان كانت قد ذكرت أن عهد حكم القضاة استمر فى مجموعه نحو اربعمائة وخمسين سنة •

وقد كانت هذه الفترة كلها فترة تفكك كامل بين أسباط اليهود واضمحلال كامل لأمتهم • بل لقد كان يحدث أثناء هذه

الفترة أن تنشب الحرب بين سبط من أسباط اليهود وسبط آخر، أو بين بعض أسباطهم والبعض الآخر • وقد حدث أن سبط بنيامين أثار غضب باقى أسباط اليهود جميعا ، فقامت هذه الأسباط عليه وأفنته عن آخره تقريبا فى مذبحة مروعة قتل فيها اليهود من البنياميين خمسة وعشرين ألف رجل فى يوم واحد فلم يبق منهم الا ستمائة رجل اختبأوا فى مغارات الجبال ، ولم تكن سلطة القاضى تظهر على الاطلاق فى فض هذه المنازعات الدامية بين أسباط اليهود على الرغم من أن احترام اليهود للقاضى كان مستمدا فى أساسه من أن الله قد اختاره بناء على تضرعاتهم لينقذهم من أعدائهم ويقضى بينهم •

وربما كان المظهر الوحيد الذى يربط بين أسباط اليهود أثناء مدة حكم القضاة هو الاحتفالات الدينية التى كانوا يجتمعون أثناءها لعبادة الله فى خيمة الاجتماع التى كانوا قد أقاموها فى « شيلوه » ، وان كانوا طوال هذه المدة لم ينقطعوا عن التمرد على عبادة الله والعودة الى عبادة الأصنام ، فلم يكونوا يقصدون الى خيمة الاجتماع الا حينما تحيق بهم الأخطار ويحيط بهم الأعداء من كل جانب ، فيلجأون عندئذ الى بيت الله متباكين متمسكنين متظاهرين بالتوبة والندم ، طالبين العفو والمغفرة •

وعلى الرغم من أن آخر قضاة اليهود وهو صموئيل النبى كان من أفضل الناس فى عصره ، وكان رجلا تقيا حكيما عادلا فاضلا ، فان اليهود بسبب صلفهم وغروهم وزهوهم وتعلقهم بالمظاهر البراقة والاحتفالات الضخمة ، طلبوا اليه أن يقيم لهم ملكا كغيرهم من الشعوب التى كانت تحيط بهم ، على الرغم من أن الله فى شريعتهم هو ملكهم ، وعلى الرغم من أنهم كانوا شراذم من القبائل البدوية التى تجنح بطبيعتها الى النفور والعصيان والتمرد ، ولا يمكن أن تنقاد لرجل واحد يحكمها

ويكبح جماحها ويقسرها على طاعته أو الاستسلام لمشيئته • واذ كان صموئيل يعلم عنهم ذلك ساءه الطلب الذى طلبوه : ولجأ الى الله يستشيره ، فاستاء اللـه كذلك من ذلك الطلب ، وقال لصموئيل «اسمع لصوت الشعب فى كل ما يقولون لك ، لانهم لم يرفضوك أنت بل اياى رفضوا حتى لا أملك عليهم ، حسب كل أعمالهم التى عملوا من يوم أصعدتهم من مصر الى هـذا اليوم وتركونى وعبدوا آلهـة أخرى ، هـكذا هم عاملون بك أيضا • فالآن اسمع لصوتهم ولـكن اشهدن عليهم وأخبرهم بقضـاء الملك الذى يملك عليهم • فكلم صموئيل الشعب الذين طلبوا منه ملكا بجميع كلام الرب ، وقال هـذا يكون قضاء الملك الـذى يملك عليـكم ، ياخـذ بنيكم ويجعلهم لنفسـه ، لمراكبـه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه ويجعل لنفسـه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده ويعملون عـدة حربه وأدوات مراكبـه ، ويأخـذ بناتكم عطـارات وطباخات وخبازات ، ويأخـذ حقولـكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده • ويعشر زروعـكم وكرومكم ويعطى لخصيانه وعبيده ، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسـان وحميركم ويستعملهم لشغله ، ويعشر غنمكم وأنتم تكونون لـه عبيدا ، فتصرخون فى ذلك اليوم من وجـه ملككم الذى اخترتموه لانفسكم ، فلا يستجيب الرب فى ذلك اليوم • فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا لا بـل يكون علينا ملك فنكون نحن أيضا مثل سائر الشعوب ، ويقضى لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا » (صموئيل الأولى ٨ : ٨ ـ ٢٠) •

وقد أذعن صموئيل لليهود ، ولـكى لا يثير عوامل التنافس الشرسة بين أسباطهم ، ولا سيما الاسـباط القوية فى شـمال فلسطين وفى جنوبها اختار لهم ملكا من أصغر أسباطهم وهـو

سبط بنيامين ، الذى تقع أراضيه بين القسم الشمالى والقسم الجنوبى • وكان ذلك الملك هو شاول بن قيس الذى مسحه ملكا باعتباره مختارا من الله فى نحو عام ١٠٩٥ قبل الميلاد • وقد توخى فى اختياره أن يكون طويل القامة مهيب الهيأة حتى يحترمه اليهود •

٣ ـ نظام الملوك

وقد ساعد على أن يبدأ النظام الملكى بداية موفقة لدى اليهود عاملان جوهريان : كان أولهما أن صموئيل الذى كان اليهود جميعا يحترمونه ويطيعونه ويعتبرونه نبيا من الله ، هو الذى اختار الملك على أساس أن اختياره كان بوحى من الله ، وشمله برعايته ، فكان موضع الثقة والارتياح من الجميع • وكان العامل الثانى أن اليهود جميعا فى تلك الفترة كانوا مهددين بغزو الشعب اليونانى الأصل الذى كان يحتل شواطىء بلادهم وكانوا يسمونه الفلسطينيين ، فنجح شاول فى توحيد صفوف اليهود تحت قيادته ومجابهة ذلك الشعب المغير وهزيمته ، كما أنه هزم الموآبيين والعمونيين والآدوميين والعمالقة وغيرهم من الشعوب التى كانت لا تفتأ تغير على اليهود • بيد أنه لم يلبث أن تبين أن نجاح شاول انما كان مؤقتا وتحت ظروف خاصة ، وانه كان فى الحقيقة شخصا نزقا متهورا حقودا قليل الحظ من روح السياسة والحنكة التى يتطلبها الرجل الذى يتطلع الى توحيد شراذم اليهود المتنافسة المتنافرة المتخاصمة ليسيطر عليها ويجمعها تحت لوائه • كما انه كان أقل ذكاء من أن يدرك أن مركزه كملك انما يستند فى الاصل الى السلطة الدينية التى كان يمثلها صموئيل النبى • فلم يلبث أن تمرد على هذه السلطة ففقد بذلك سنده وعماد وجوده ، فلم يعد له حتى النفوذ الشكلى الذى ظل فترة من الزمن يتمتع به كملك لليهود ، وعادت السلطة الفعلية

والنفوذ الحقيقي لصموئيل الـــذى مهما كان من تمرد اليهود وعصيانهم ، فانه كان ممثلا لمشيئة الله لديهم ٠

ولم يلبث صموئيل أثناء حيـاة شاول ان اختـــار ملكا آخر لليهود ومسحه بالدهن المقدس باعتباره مختارا من الله ، وهو داود بن يس الذى كان من سبط يهوذا أقوى أســباط اليهود ، وكان فتى ممتازا اشتهر لدى اليهود جميعا بالذكاء والشجاعـة والاستقامة ، وكان متزوجا من ميكال ابنة الملك شاول ٠ فلـم يـلبث أن نشـب صراع مرير بين داود وشاول ٠ وقـــد وقف صموئيل فى صف داود فى هـــذا الصراع ، فاكتسب داود بذلك رعاية السلطة الدينية التى كان لها تأثير عظيم فى حيـــاة اليهود على الرغم من كل مظاهر تمردهم على الدين ٠ حتى اذا مات شاول فى احدى حروبه مع الفلسطينيين ، وكان داود فى حبرون ، جـاء اليه هناك ممثلون لكل أسباط اليهود واعترفوا به ملكا عليهم ٠ وكان ذلك فى نحو عام ١٠٤٨ قبل الميـلاد ، فاتخذ أورشليم عاصمة له ٠ واذ كان داود رجلا حكيما محنكا فى شئون السياسة والحرب عـلى الســواء اسـتطاع ان يرضى أسباط اليهود جميعا بالملاطفة والمداهنة والمجاملة وغير ذلك من مختلف الاساليب التى يجيدها أرباب السياسة والحرب ٠ بيـد أن نجاحه كان يقوم على دعامتين أساسيتين هما من جهـــة اهتمامه العظيم باحياء النعرة الدينية لدى اليهود ، اذ نقل تابوت العهد الذى كان اليهود يعتبرونه موضع فخرهم ، والذى كان حينئذ فى قرية يعاريم ، وجـــاء به الى أورشليم ، ووضع الكهنة والكهنوت تحت رعايته ، واختار رؤساء الكهنة من أنصـــاره والمقربين اليه ، حتى أصبحت الســـلطة الدينية منطوية تحت السلطة السياسية التى كان الملك هـــو المسيطر عليها والمـالك لزمامها ٠ ومن الجهة الاخرى بهر داود اليهود بانتصاراته على أعدائهم وتوسيع مملكتهم ، اذ استأنف الحرب مع الفلسطينيين

وهزمهم واستولى على بعض مدنهم ، كما هزم المؤآبيين والعمونيين والأدوميين والعمالقة وفرض الجزية عليهم جميعا ، وهزم الاراميين فى صوبة وفرض الجزية عليهم كذلك • وبذلك امتد نطاق الارض التى يسيطر عليها اليهود بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل • وقد كانت الظروف مواتية لداود فى ذلك بطريقة لم تتوفر لأحد من ملوك اليهود السابقين أو اللاحقين له ، اذ كانت الامبراطورية المصرية التى كانت صاحبة السيادة فى تلك المنطقة مشغولة فى ذلك الحين بمنازعاتها الداخلية عن الاهتمام بما يحدث فى ولاياتها الاسيوية ، كما كانت الامبراطورية الاشورية قد انهارت فلم تعد تتدخل كما كانت تفعل من قبل فيما يدور حولها امن معارك وحروب • وكانت بلاد سوريا التى كانت متحدة قوية فى الماضى قد تفتتت وانقسمت الى عدة ولايات صغيرة لا حول لها ولا قوة • وهكذا استطاع الملك داود فى غفلة من هذه القوى جميعا ان يدفع حدود بلاده الى أقصى ما يستطيع على حساب الشعوب الصغيرة المتاخمة له • بيد ان هذه المملكة التى استطاع ان يقيمها بمواهبه وبحكم الظروف التى واتته كانت قصيرة الأمد فلم تستمر أكثر من مدة حكمه التى لم تتجاوز فى مجموعها أربعين سنة ، ثم لم تلبث أن تقلصت وتآكلت أطرافها فى عهد ابنه سليمان •

وقد اتخذ داود كثيرا من مظاهر الدولة الملكية على غرار الممالك فى عصره ، فأقام أجهزة حربية وادارية ودينية تعاونه على ادارة الحكم ، واختار لرئاسة هذه الاجهزة بعض أقربائه والمقربين اليه الذين يثق فيهم ، فعين منهم قائدا للجيش ، ووزيرا ، ومستشارا ، ورئيسا للشرطة ، ورئيسا للحرس ، ورئيسين للكهنة ، واتخذ كثيرا من مظاهر السلطة والفخامة الاخرى التى تحيط بالملوك فى قصورهم • بيد أن المفاسد التى

تسود عـــادة قصور الملوك لم تلبث أن أخذت طريقها الى قصره، ولا سيما المؤامرات والدسائس وصور الفساد والدعارة • ولم يلبث ابنه أبشالوم أن جمع حوله بعض الانصار ودبر مؤامرة لاغتصاب العرش منه • ودارت الحرب بين أنصار الاثنين فانتهت بمقتل أبشالوم • ثم تمرد عليه رجل من سبط بنيامين اســـمه « شبع بن بكرى » وأراد الاطاحة به ، فأرسل اليه داود وقتله • ثم تمرد عليه أيضا ابنه الآخر « أدونيا » ، متحالفا في ذلك مع قائد الجيش وأحـد رئيسى الكهنة ، فأخمد داود فتنته ، ونادى بابنه سليمان خليفة له ، ثم مـات داود في نحو عـام ١٠١٥ قبل الميلاد وهو في السبعين من عمره بعد أن أقام لليهود مملكة استمرت أربعين عاما ، وبموته انهارت أسس هـــذه المملكة ، فظل اليهود يفخرون بها ويندبونها ويحلمون بعودتها حتى اليوم بعـد مرور نحو ثلاثة آلاف عـــام ، بيد أن اليهود على الرغـم من مشاعرهم تلك نحو داود لم يحدث أبدا أنهم اتحدوا تحت لوائه وحدة كاملة أصبحوا بها شعبا واحدا ونسوا معهـــا أسباطهم ، وانما لم تكن تفتأ تدور بين هـــذه الاسباط الخلافات والمشاحنات التى كانت تؤدى أحيانا الى الحروب والمذابح ، كما سيبدو لنا فيما يلي • فلم تكن مملكة داود الا شكلا مفتعلا للمملكة المتحدة ظاهريا ، في حين أنها تحتوى في داخلها على كل أسباب التفكك وعوامل التحلل والشقاق التى من شأنها بطبيعتها أن تؤدى بها الى السقوط والانهيار •

وقد ورث سليمان عن أبيه وهو في العشرين من عمره مملكة قائمة الدعائم مستكملة المقومات في مظهرها العام ، كما ورث عن أبيه حكمته ومقدرته السياسية ، فأقام مملكته على أقـــوى ركيزة بالنسبة لليهود وهى النعرة الدينية ، فشغل أسباطهم جميعا ببناء الهيكل واضعا نصب عينيه أن يكون هـــذا الهيكل هـــو الرمز لوحدتهم ، وأن يكون هو القبلة التى يتجهون اليها كشعب

واحد متحد · ولذلك أضفى عليه من الضخامة والفخامة ما لم يكن معهودا الا فى معابد الدول الكبرى ، وصاغ جدرانه وأروقته وأوانيه بمقادير تكاد أن تكون خيالية فى تلك الايام من الذهب والفضة والنحاس والاحجار الكريمة والاخشاب النادرة التى جلبها من مختلف أنحاء الارض ، حتى لقد احتاج فى بنائه الى أكثر من مائة وثمانين ألف عامل (الملوك الأول ٥ : ١٣ ـ ١٦) · واستغرق العمل فيه سبع سنوات كاملة (الملوك الأول ٩ : ٣٨). أصبح بعدها احدى عجائب الدنيا فى ذلك الزمان ، وأضفى على كهنته هيبة جعلتهم موضع التبجيل والطاعة لدى اليهود جميعا ، بينما جعل أولئك الكهنة تحت سلطته ورهن اشارته ، فاكتسب سليمان بذلك قوة كبيرة توطد دعائم مملكته، كما أنه فضلا عن ذلك انتهج السبل التى كان ينتهجها فى العادة ملوك زمانه لحماية أنفسهم وتأمين عروشهم ، فبادر فور جلوسه على العرش الى قتل أخيه أدونيا الذى كان يخشى منافسته · كما بادر الى قتل كل أعدائه ومناوئيه وعلى رأسهم يوآب قائد الجيش · وسارع الى استرضاء فرعون مصر والتزلف اليه تجنبا لغضبه عليه وتعبيرا عن خضوعه له ، فطلب الزواج من احدى بناته · كما تزوج من بنات كثير من ملوك وولاة البلاد المحيطة بمملكته ، على الرغم من أنهن جميعا كن وثنيات ولا تجيز له الشريعة اليهودية الزواج منهن · بل أنه بالغ فى اكرامهن ، فبنى هيكلا بالقرب من هيكل أورشليم لكل اله من آلهة أولئك الزوجات اللاتى تقول التوارة ان عددهن بلغ ألف زوجة · واذ اتفق أن كان عهد سليمان خاليا من الحروب تفرغ للانغماس فيما ينغمس فيه الملوك عادة من ألوان الترف والفخامة ومظاهر المجد والثراء ، فبنى لنفسه قصرا استخدم مقادير ضخمة تكاد أن تضارع المقادير التى استخدمها فى بناء الهيكل من الذهب والفضة والنحاس والاحجار الكريمة والاخشاب

النادرة · وقد توخى ان يجعله من الضـخامة والفخامة بحيث استغرق بناؤه ثلاثةعشر سنة ، كما بنى قصرا ثانيا لايقل ضخامة ولا فخامة لزوجاته الالف · وبنى قصرا ثالثا لزوجته المصرية ابنة فرعون تكريما لها وتعظيما لقدر أبيها الذى كان يرهبه أكثر من أى ملك آخر ويحسب له ألف حساب ·

وكان لسليمان ألف واربعمائة مركبة تقودها حاشيته التى كان يبلغ عددها اثنى عشر ألف فارس · واذ كان سـليمان شغوفا هـكذا بأسباب الوجاهة ومظـاهر الثراء راح يسعى لاكتساب المـال بكل وسيلة ممكنة ، فاشـتغل حتى بالتجارة ، وبنى لهذا الغرض اسطولا من السفن فى خليج العقبة ، لتـأتى له بالذهب والفضة والاحجار الكريمة والعاج والابنوس وغير ذلك من النفائس من الشواطىء الشرقية لافريقيا والشـواطىء الجنوبية لآسيا · كما راح يشترى من مصر المركبات والخيـل ويتاجر فيها فيبيعهـا بالثمن الغـالى للملـوك الحثيين والآراميين وغيرهم ·

وهكذا نرى أنه على قدر ما تسـلم سليمان من أبيـه مملكة توافرت لها مقومات النجاح والازدهار ، على قدر ما بذر فيها هو بذور الفشل والانهيار ، اذ اهتم أولا باحيـاء النعرة الدينية لدى اليهود ببناء هيكل أورشليم كعامل من عوامل التفافهم حول عرشـه ، ولكنه لم يلبث أن عبد الالهة الوثنية وبنى لها الهياكل بجوار هيكل أورشليم ذاته ، وبذلك أثار سخط اليهود جميعـا عليه ، ومن الجهة الاخرى أرضى غرورهم وازدهاءهم بفخامـة المظاهر الملكية التى وفرها لهم ولكنه لم يلبث ــ كى ينفق على هـذه المظاهر ــ أن فرض عليهم من الضرائب مـا أبهظهم وأثقل كاهلهم · وقد تعنت فى جبايتها منهم حتى ضاقوا بـه

ذرعا • وقد تمرد عليه بالفعل رجل من عبيده يسمى « يربعام بن نباط » من سبط أفرايم ، وأراد أن يطيح به ، فأراد سليمان أن يقتله فهرب الى مصر • ولكن سليمان لم يلبث أن مات فى نحو عام ٩٧٥ وكان فى الستين من عمره ، وقد ترك مملكته مهلهلة فى مهب الريح •

وفعلا لم يلبث هذا البناء المتماسك الاركان فى الظاهر أن انهار بمجرد موت سليمان ، فما جلس ابنه وخليفته رحبعام على العرش حتى اجتمعت اليه أسباط اليهود بزعامة يربعام بن نباط الذى سبق له أن تمرد على حكم سليمان وهرب الى مصر ، وطلبوا اليه لكى يبايعوه ملكا عليهم أن يعطيهم وعدا بأن يخفف النير الذى أثقله أبوه عليهم ويعفيهم من الضرائب الباهظة التى كان يجبيها منهم • فما كان من رحبعام الا أن قال لهم « أبى ثقل نيركم وأنا أزيدكم على نيركم • أبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب » ، وهكذا أثبت حماقته ورعونته وجهله بأخلاق اليهود الصلفين المتعجرفين ، فتمردت عليه كل أسباط اليهود وخرجت عن طاعته ، فلم يبق له فى مملكته الا السبط الذى ينتسب هو اليه وهو سبط يهوذا ، ولذلك أصبح اسمها « مملكة يهوذا » ، ولم ينضم اليه الا سبط بنيامين الذى كان صغيرا ضئيل الشأن بحيث لم يحسب له أحد حسابا • وأما باقى الاسباط العشرة فقد أقامت يربعام بن نباط ملكا عليها فى مملكة مستقلة أطلقت على نفسها « مملكة اسرائيل » ، وجعلت عاصمتها شكيم ، ثم السامرة ، بينما بقيت أورشليم عاصمة لمملكة يهوذا • وهكذا انفرط عقد المملكة اليهودية وبرزت من جديد نزعة القبائل والاسباط •

ولم يكن تاريخ اليهود بعد هذا الانقسام الا نزاعا مستمرا بين مملكتى يهوذا واسرائيل ، أو بالاحرى بين أسباط اسرائيل

١

المختلفة • واذ كان يربعام بن نباط ملك اسرائيل يعلم قيمة النعرة الدينية عند اليهود وخشى أن يتجه رعاياه بولائهم الدينى الى هيكل أورشليم فى مملكة يهوذا ، صنع صنمين على صورة عجلين من الذهب وأقام واحدا منهما فى « دان » والآخر فى « بيت ايل » ، أى فى شمال مملكته وجنوبها ، وطلب الى الاسباط العشرة التى تتكون منها مملكته عبادة هذين الصنمين وأقام لهما كهنة يؤدون طقوس عبادتهما ، وجعل نفسه رئيسا لأولئك الكهنة • ثم لم تلبث هذه العبادة الوثنية أن انتقلت أيضا الى مملكة يهوذا ، ففقدت بذلك الدولة اليهودية أول وأهم مقوماتها وهو الدين اليهودى • وفقدت فى ذات الوقت وحدتها التى وان ظلت ظاهرية وشكلية ، الا أنها كانت تضفى عليها صورة الدولة ، أو الدويلة على الاقل • فلم تلبث الحروب الداخلية أن نشبت بين أسباط مملكتى يهوذا واسرائيل • وقد ذكرت التوراة كثيرا من أنباء هذه الحروب ، ومن أمثلتها الحرب التى قامت بين أمصيا ملك يهوذا ويهواش ملك اسرائيل (الملوك الثانى ١٤ : ٨ ــ ١٤) • والحرب التى قامت بين أحاز ملك يهوذا وفقح بن رمليا ملك اسرائيل ، وفى هذه الحرب استنجد ملك يهوذا بملك الاشوريين أعداء اليهود مستعديا اياه على ملك اسرائيل (الملوك الثانى ١٦ : ٧ ــ ١٠) • والحرب التى قامت بين أبيا ملك يهوذا ويربعام ملك اسرائيل (أخبار الأيام الثانى ١٣ : ٢ ــ ١٨) • والحرب بين آسا ملك يهوذا وبعشا ملك اسرائيل (أخبار الايام الثانى ١٦ : ١ ــ ٦) • وغير ذلك من الحروب التى لا حصر لها • وقد ارتكب ملوك يهوذا وملوك اسرائيل كل ألوان العسف والعنف والظلم والاغتصاب والدعارة والفجور ضد رعاياهم ، وتزوجوا من الوثنيات ، وعبدوا الآلهة الوثنية • فكان اليهود تارة يتشبهون بملوكهم ، وتارة أخرى يصرخون بالشكوى منهم • بيد أن

الـذين كانوا لا ينقطعون عن المجاهرة بالتذمر ممـا يحدث من الملوك ورعاياهم على السواء هم الانبياء الصادقون الذين كانوا لا ينقطعون عن توبيخ أولئك وهؤلاء توبيخا قاسـيا ، ودعوتهم الى العودة لعبادة اللـه وطاعة وصاياه ، ولا سيما أنهم رأوا حتى كهنة هيكل أورشليم وحتى الـذين يدعون النبوة قـد طواهم الملوك تحت أجنحتهم فأصبحوا يرتكبون من الشرور أكثر ممـا يرتكب الجميع • ورأوا كهنة الاصنام وأنبياءهم أكثر من كهنة اللـه وأنبيائهم • وهـكذا كانت الـدولة في كل من مملكتي « يهوذا » و « اسرائيل » تقوم على سلطة سياسية مركزية فاسدة تساندها وتسير في ركابها سـلطة دينية أكثر فسادا • وأما اليهود أنفسهم ، فقد ظل كل سبط من أسباطهم يعيش مستقلا في أرضـه المخصصة له ، محتفظا بـكل صـفاته البدوية ، وأخلاقه البدائية التي لم يؤثر قيـام المملكة والملوك أي تأثير في تهذيبها أو صبغها بأي صبغة حضارية أو ثقافية • فلم تكن المملكة بالنسبة لليهود الا بناء ظاهريا كاذبا ، ولم يكن الملوك الا زعماء لشيوخ قبائل صحراوية لا يجمع بينهم تحت لوائه أي غرض من أغراض الدول والممالك الا غارة على عـدو أو صد غارة يقوم بها عدو • وأما فيما عدا ذلك فمجرد شكليات لا أثر لها ولا جدوى من ورائها •

ولم يكن قيام مملكة اليهود ذاتها سواء في اتحادها أوانقسامها الا نتيجة لمـا كانت تتعرض له القوى الكبرى المحيطة بفلسطين في ذلك الحين من انقسامات داخلية أو صراعات خارجية ، حتى اذا قويت شوكة الأشوريين خلال القرن الثامن قبل الميلاد أغاروا على الدويلات الصغيرة التي كانت تحيط بهم ، فلم يلبثوا أن اجتاحوا في نحو عام ٧٢١ قبل الميلاد مملكة اسرائيل التي كانت تتألف من عشرة أسباط من أسباط اليهود وأخذوا أهلها جميعا سبايا واستخدموهم عبيدا في مختلف البلاد التي كانت تخضـع

لسلطانهم ، ثم لم يلبث البابليون أن قويت شـــوكتهم كذلك فاجتاحوا في نحو عام ٥٨٨ قبل الميلاد مملكة يهوذا التي كانت تتألف من سبطي يهوذا وبنيامين ، وأخذوا أهلها جميعا ســـبايا أيضا واستخدموهم عبيدا في مختلف البلاد التي كانت تخضــع لسلطانهم ٠ وبذلك وقعت الأمة اليهودية كلها تحت نير عبودية الأشوريين والبابليين بعيدا عن أرض فلسطين التي سبق لهم أن اغتصبوها من أهلها واعتبروها أرضهم ومملكتهم ٠

٤ ـ نظام الحكم تحت سيطرة البلاد الأجنبية

كان اليهود في الفترة السابقـــة التي احتلوا فيهـــا أرض فلسطين يتكونون كما رأينا من اثني عشر قبيلة ، تســتقل كل قبيلة منها عن باقي القبائل في ادارتها الداخلية استقلالا يكاد أن يكون تاما ٠ ولم يكونوا سواء في عهد القضاة أو عهد الملوك يتمتعون بالاستقرار الذي تتمتع به الشعوب المستقلة ٠ وانما كانوا ـ على الرغم من بعض فترات استقلالهم الظاهـــرية ـ خاضعين في أغلب عهودهم للدول الكبرى أو الدول الصــغرى المحيطة بهم ، يعيشون في حماها ، أو يدفعون لها الجزية ، أو يدينون لها بالعبودية الكاملة ٠ وكانوا اذا تمردوا على هـــذه الدول لا تفتأ تغير عليهم وتؤدبهم تأديبا قاسيا وتنهب بلادهــم وتترك مدنهم وقراهم خرابا ٠ وكانوا في الغـــالب خاضــعين للامبراطورية المصرية ٠ ثم في فترات ضعف هذه الامبراطورية أو متـــاعبها ، كانوا يخضعون لســـطوة الأشـــــوريين أو البابليين ٠ وكانوا لا يفتأون يتعرضون لغارات الفلسطينيين والآراميين والموآبيين والعمونيـــين والأدوميـــين وغيرهم من الشعوب المجاورة لهم ٠ حتى اذا أجلاهم الأشوريون والبابليون أخيرا عن بلادهم وشتتوهم في مختلف البلاد الأخرى ، اندثرت أمتهم وأصبحوا عبيدا لسادتهم ، يسخرونهم في الأعمال الوضيعة والشاقة ٠ وقد تعمدوا أن يقتلوا في نفوسهم عصبيتهم القومية

ونعرتهم الدينية ليأمنوا تمردهم وعصيانهم • فلم يلبث اليهود بالفعل أن فقدوا شخصيتهم وعبدوا آلهة سادتهم الأشوريين والبابليين ، وتعودوا عاداتهم وتخلقوا بأخلاقهم •

حتى اذا قويت شوكة الدولة الفارسية بزعامة « قورش » الذى لم يلبث أن أخضع الميديين واستولى على كل البلاد التى كانت من قبل خاضعة للأشوريين والبابليين ، استطاع أحد اليهود المقربين اليه وهو دانيال النبى اقناعه بأن يسمح لليهود بأن يعودوا الى بلادهم ، فسمح لهم بذلك فى نحو عام ٥٣٨ قبل الميلاد ، فعاد فريق منهم ولا سيما من سبطى يهوذا وبنيامين وبعض الكهنة واللاويين المرتلين والعبيد ، يبلغ عددهم نحو خمسين ألفا ، بقيادة زربابل بن شألتئيل الذى أقامه قورش واليا عليهم تحت سلطان فارس ، وقد اعتزموا ترميم هيكل أورشليم وبنوا مذبحة وبدأوا يمارسون عليه طقوس العبادة برياسة يشوع بن يوصاداق ، ثم أعادوا بناء الهيكل فى عهد الملك دارا الذى جلس على عرش فارس فى نحو عام ٥٢١ قبل الميلاد • ثم فى عهد الملك « أرتاكسركسيس » الذى تسميه التوراة « أرتحتشتا » استطاع أحد كهنة اليهود المقربين اليه وهو « عزرا بن سرايا » اقناعه بأن يسمح بعودة فوج آخر من اليهود الى بلادهم ، فسمح بذلك ، فعاد عدد منهم الى أورشليم فى نحو عام ٤٥٨ قبل الميلاد بقيادة عزرا الذى أصبح واليا عليهم تحت سلطان فارس ، وجمع فى يده بين السلطة المدنية والسلطة الدينية • وقد انتهج منهج الصرامة والشدة فى تبصير اليهود بشريعتهم التى كانوا قد نسوها ، وقسرهم قسرا على انتهاجها • وكان هو على الأرجح الذى أعاد جمع أسفار التوراة وقام بتبويبها وتنظيمها ، واذ كانت مكتوبة باللغة العبرية التى نسيها اليهود فى السبى قام بتفسيرها لهم باللغة الآرامية التى أصبحوا يتكلمونها • ولم يلبث الملك أرتاكسركسيس أن أرسل

الى أورشليم رجلا يهوديا كان ساقيا له يسمى « نحميا بن حكليا » وقد عينه حاكما لليهود فى نحو عام ٤٤٤ قبل الميلاد وسمح له باعادة بناء سور أورشليم ، فظل هذا الرجل حاكما لليهود تحت سلطان فارس نحو ثلاثين عاما • وقد ظل اليهود منذ موت نحميا فى عام ٤١٥ قبل الميلاد ، تحكمهم الدولة الفارسية حكما مباشرا بواسطة وال تبعث به اليهم ، أو بواسطة رئيس كهنتهم • فكانت بلادهم ولاية من ولايات فارس ، وكانت تخضع لها خضوعا تاما فى كل شئونها الداخلية والخارجية •

ثم فى عام ٣٣٢ قبل الميلاد استولى الاسكندر الأكبر على كل ممتلكات الدولة الفارسية ومنها بلاد اليهود ، التى أصبحت تسمى اليهودية • حتى اذا مات الاسكندر عام ٣٢٣ قبل الميلاد وقسم قواده امبراطوريته فيما بينهم ، وأصبحوا ملوكا عليها ، كانت اليهودية من نصيب لاوميدون • ثم لم تلبث أن أصبحت مثار نزاع بين البطالمة خلفاء الاسكندر فى مصر والسيليوكيين خلفائه فى سوريا • اذ أن بطليموس الأول حاكم مصر زحف عام ٣١٩ قبل الميلاد على آسيا واستولى على اليهودية ، فظلت خاضعة لحكم البطالمة ، ثم نجح السيليوكيون ملوك سوريا فى الاستيلاء عليها ، اذ استطاع أحدهم وهو أنطيوخوس الثالث أن ينتزعها منهم فى عهد بطليموس الخامس عام ١٩٨ قبل الميلاد ، ومن ثم خرجت نهائيا من أملاك البطالمة ملوك مصر وظلت منذ ذلك الحين فى قبضة السيليوكيين ملوك سوريا اليونانيين • وقد اصبحت اليهودية ولاية خاضعة لملك سوريا • بل أن اليهود ورؤساء كهنتهم أنفسهم أصبحوا يتنافسون فى ارضاء أولئك الملوك ومداهنتهم والتزلف اليهم ، والتخلق بأخلاق اليونان واعتياد عاداتهم ، بل وعبادة آلهتهم واقامة الطقوس الوثنية التى تقتضيها هذه العبادة مهما كانت خليعة وداعرة ومهما كانت مخالفة للشريعة اليهودية مخالفة بشعة صارخة • وكان اليونان يحكمون

(م ٢٨ ـ اليهودية)

اليهود حكما مباشرا بواسطة وال يوناني وموظفين من اليونان • بيد أنهم كانوا يستعينون أحيانا بالسلطة الدينية لرئيس كهنة اليهود في سبيل تنفيذ أغراضهم : ومن ثم أصبح رئيس الكهنة في حقيقته لا يعدو أن يكون موظفا يونانيا • ولذلك كان اليهود يتكالبون على هــذا المنصب تكالبا نهما قبيحا ، ويتنافسـون للحصول عليه عن طريق أدنأ الوسائل وأقذر السبل من مكائـد ودسائس وخيانات واغتيالات • بل لقد كان بعضهم يسرق أموال خزانة هيكل أورشليم وآنيته الذهبية والفضية ليقدمها رشـوة للملك اليوناني حتى يعينه في هذا المنصب ، الذى كان شـاغله يستغله أسوأ استغلال ، ويكتنز عن طريقه أموالا فوق أموال ، يبتزها من الشعب باسم الله وباسم الدين ، بينما لم يكن هـو يعبد الها الا الملك اليوناني ، ولا يعرف من الدين الا أنه مورد لا ينضب للسلطة والثراء •

وقد حدث أن أنطيوخوس الرابع أراد أن تـكون الديانة اليونانية هي ديانة كل الممالك الخاضعة لليونان ، فسارع أغلب اليهود الى الاستجابة له ، وبنوا مذابح للآلهة اليونانية في كل المدن اليهودية ، بل في هيكل أورشليم ذاته ، وأحرقوا ما لديهم من أسفار التوراة ، ونبذوا كل أحكام الشريعة اليهودية • بيد أن كاهنا يهوديا يدعى متاتيا بن يوحنا بن سمعان من سـبط لاوى رفض التخلي عن ديانته اليهودية مع خمسة من أبنائه ، وأعلنوا التمرد على الملك ، وهربوا مـع بعض أنصارهـم الى الجبـال واتخذوها مركزا لعصيانهم • فلما مات متاتيا في نحو عام ١٦٧ قبل الميلاد خلفه في قيادة المتمردين ابنه يهوذا الذى كان يسمى مكابيوس ، ولذلك أصبحوا جميعا معروفين بالمكابيين • وقد جمع يهوذا حوله نحو ستة آلاف رجل وراح يغير على المدن اليهوديـة وينهبها ويقتل أهلها ثم يشعل فيها النار • فوجه اليه أنطيوخوس ملك سوريا جيوشه للقضاء على فتنته ، ولكن يهـوذا نجح في

الاستيلاء على أورشليم ورمم الهيكل وأعاد بناء المذبح ، وأخضع أجزاء من الجليل وأرض جلعاد ، وهاجم حبرون وأشدود • ولكن أنطيوخوس الرابع كان لا يفتأ يرسل الحملات لهزيمة يهوذا حتى اذا مات عام ١٦٣ قبل الميلاد ، واصل ابنه أنطيوخوس الخامس تلك الحملات ، ولكنه لم تلبث أن اضطرته ظروف الصراع على عرش سوريا الى أن عقد صلحا مع يهوذا المكابى وأقامه حاكما على اليهودية تحت سلطان ملك سوريا • بيد أنه فى عام ١٦١ قبل الميلاد قام ديمتريوس الابن الاكبر لسيليوكوس الرابع وقتل أنطيوخوس الخامس واغتصب عرشه ، ثم أرسل جيشا الى يهوذا فتمكن من هزيمته وقتله ، وأقام على اليهود حكاما من أذنابه • ولكن المكابيين اختاروا يوناثان أخا يهوذا لخلافته فى قيادة المتمردين ومن ثم تجدد القتال • ولكنه حدث فى هذه الأثناء أن الاسكندر بن أنطيوخوس الرابع أعلن نفسه ملكا على سوريا في مكان ديمتريوس ، ومن ثم عمل على أن يكسب اليهود الى جانبه فأقام يوناثان واليا لليهودية من قبله ، كما أقامه رئيسا للكهنة ، وبذلك عادت اليهودية من جديد خاضعة للملك اليونانى فى سوريا • وقد ظلت كذلك الى آخر عهد المكابيين ، وان كان بعض أولئك الولاة من المكابيين أضفوا على أنفسهم ألقاب الملوك ، ولا سيما منذ عهد يوحنا هركانس ، وأحاطوا أنفسهم بالمظاهر الملكية فعلا ، ولكنهم كانوا فى الواقع خاضعين خضوعا تاما للملوك اليونانيين فى سوريا ، وان كان أولئك الملوك قد اعتادوا أن يتركوا لليهود كل الشئون الداخلية المتعلقة بديانتهم وطقوسهم وتقاليدهم ، وما يدور حول كل ذلك بين طوائفهم من مناقشات ومنازعات ، الا اذا أدى ذلك الى أى خطر يهدد السلطة اليونانية على بلادهم ، وما لتلك السلطة من حقوق وامتيازات • وهكذا ظلت بلاد اليهود مستعمرة يونانية منذ أن استولى عليها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ قبل الميلاد الى أن تغلغل فيها النفوذ الرومانى ثم استولى عليها

الرومان بصفة رسمية عام ٦٣ قبل الميلاد ، وجعلوا منها ولاية رومانية ٠

وذلك أن الدلة الرومانية كان قد ارتفع شأنهـا واشتد ساعدها واستولت على أغلب دول العالم فى ذلك الحين ، ثم لم يلبث القائد الرومانى بومبى أن اتجه الى سوريا ليخضعها عام ٦٤ قبل الميلاد ٠ وكان اليهود قد سئموا الصراع بين أحفاد المكابيين على حكم اليهودية فأرسلوا الى بومبى يطلبون اليه أن تبسط روما حمايتها على اليهودية ٠ فدخل بومبى أورشليم عام ٦٣ قبل الميلاد ، وأقام أحد المكابيين وهو هركانس حاكما لليهودية تحت سيادة روما ، كما عينه رئيسا للكهنة ٠ وكان ثمة مجمع لشيوخ اليهود يقضى فى شئونهم الداخلية والدينية وهو المسمى بالسنهدريم ، فألغاه هركانس ، وقسم البلاد الى خمسة أقسام ، وأقام فى كل منها مجمعا يدير أموره تحت سلطان الرومان ٠ حتى اذا استولى يوليوس قيصر على روما عام ٤٩ قبل الميلاد بعد فرار بومبى ، كان ثمة رجل أدومى داهية فى اليهودية يملك نفوذا عظيما فيها ، فانحاز الى قيصر ضد بومبى ، ومن ثم عينه قيصر حاكما لليهودية عام ٤٨ قبل الميلاد ، فأصبح نائبا عن قيصر فى حكم البلاد ، وتفاقم أمره حتى لقد قسم أرض فلسطين بين أبنائه الخمسة ، فلم يبق لهركانس سوى منصب رئيس الكهنة ٠ حتى اذا انتهى الأمر بمقتل قيصر واستولى أنطونيوس على سلطته ، عين هيرودس أحد أبناء أنيباتر نائبا عنه فى حكم اليهودية ، ثم عينه ملكا عليها تحت سلطان روما عام ٣٩ قبل الميلاد ، وهو الذى اشتهر بعد ذلك بهيرودس الكبير ٠ واذ كان آخر سلالة ملوك المكابيين هو أنتيجونوس قتله هيرودس، فانتهى بذلك عهد المكابيين ، بعد أن حكموا اليهودية مائة وثلاثين عاما تحت سلطان الدولة اليونانية فى سوريا ، وان كانت قد

تخللت هذه المدة بعض فترات التمرد التى كان يبدو فيها اليهود وكأنهم أمة مستقلة •

وكان هيرودس الكبير يستمد سلطته من الرومان • وكان يبدى كل مظاهر الخضوع لهم ويسارع بكل وسيلة الى ارضائهم ومداهنتهم والتزلف اليهم ، حتى لقد أقام هيكلا لعبادة الامبراطور الرومانى فى أورشليم ذاتها ، وعلق على واجهة الهيكل تمثالا هائلا للنسر الرومانى على الرغم من أن اليهود يعتبرون اقامة ذلك الهيكل اهانة عظيمة لله وتجديفا فظيعا عليه ، ويعتبرون ذلك النسر صنما ينجس الهيكل ويدنسه • وكان هيرودس متقلبا كالحرباء ومنافقا عظيما ، اذ كان من أشد أنصار أنطونيوس والمتفانين فى طاعته والولاء له ، الا أنه ما أن بلغته أنباء انتصار أوكتافيوس على أنطيونيوس فى موقعة أكتيوم ، حتى هرع مهرولا الى أوكتافيوس ، مبديا خضوعه ، عارضا خدماته ، باذلا هداياه ، شأن العبيد الأذلاء ، فاستبقاه أوكتافيوس فى منصبه • وعندئذ واصل هيرودس سياسة خضوعه وتزلفه للامبراطور الرومانى الجديد الذى أصبح معروفا باسم « أغسطس قيصر » ، فأقام فى اليهودية مدينة جديدة سماها « قيصرية » ، كما قام بتغيير اسم السامرة فجعل اسمها « سباستيا » وهو الاسم اليونانى الذى يرادف اسم « أغسطس » اللاتينى • وقد أصبح يحكم البلاد حكما فرديا استبداديا ، ولا يقبل معارضة من أى شيخ من شيوخ اليهود ، أو هيئة من هيئاتهم ، لأوامره التى يستمدها من الرومان والتى يسارع الى تنفيذها بحذافرها ، حتى لقد تجاهل سلطة الهيكل ورؤساء الكهنة ، وحتى أنه لكى يتلافى كل مناقشة لأعماله من المجلس الأعلى الذى كان يضم كل أعيان اليهود ، والذى كان يسمى « السنهدريم » قتل أعضاءه جميعا ، وأعلن حكم الطغيان

والسلطان المطلق ، فقتل كل معارضيه وكل منافسيه وكل شخص يشتبه في أنه يخالفه أقل مخالفـــة في الرأى ولو كان من أقرب أقربائه أو المقربين اليه • وقد حدث أن عارضه بعض الفريسيين فقتل اثنين من زعمائهم ومائة من تلاميذهم في مذبحة واحدة• وقد تعددت في عهده مثل هذه المذابح التي يروح ضحيتهـــا المئات بل الآلاف من الناس • ولم يكن الرومان يتعرضون لـه في تصرفاته تلك ما دامت تتفق مع أغراضهم وتكفل خضـوع اليهودية خضوعا تاما لامبراطوريتهم ، ولا سيما أنهـم كانـوا يعرفون عن اليهود أنهم قوم متمردون مشاغبون لا تجدى معهم الا الشدة والقهر •

وقد أوصى هيرودس بتقسيم مملكته بعد موته بين ثلاثة من أبنائه هم فيلبس وهيرودس أنتيباس وأرخيلاوس ، فجعـل المناطق الواقعة شرقي بحر الجليل من نصيب فيلبس ، والجليـل وبيرية من نصيب هيرودس أنتيباس ، واليهودية والســامرة وأدومية من نصيب أرخيلاوس •وقد علق هيرودس تنفيذ هذه الوصية على تصديق أمبراطور الرومان أغسطس قيصر عليها • غير أن اليهود أرسلوا الى روما وفدا مؤلفا من خمسين من شيوخهم يبدون سخطهم على أسرة هيرودس ، ويطلبون أن يحكمهم الرومان مباشرة • وقد أيدهم في مطلبهم هذا ثمانية آلاف يهودى كانوا يقيمون في روما • ولكن أغسطس صادق على وصية هيرودس• وان كان لم يسمح لأى من أبنائه بأن يحمل لقب ملك وانما سماه « رئيس ربع » ، وقد انتهج أبناء هيرودس ذات السياسة التي كان ينتهجها أبوهم ، وهي الخضوع خضوعا مطلقــا للرومان ، والتسلط على اليهود تسلطا فرديا مطلقا وحشيا ، حتى لقد فزع اليهود الى الامبراطور الروماني من حكم أحدهم وهو أرخيلاوس فعزله الامبراطور سنة ٦ ميلادية ، وضم الاقليم الذى كان يحكمه

وهو اليهودية والسامرة وأدومية الى الممتلكات الرومانية ، وعين عليه واليا رومانيا يسمى كوبينوس ، فكان هذا هو أول وال رومانى يحكم اقليم اليهودية حكما مباشرا • أما هيرودس أنتيباس الذى أصبح واليا على الجليل وبيرية ، فقد انتهج أيضا سياسة أبيه فى التزلف الى الرومان ، فغير اسم مدينة « بيت صيدا » وجعل اسمها « جوليا » على اسم ابنة الامبراطور الرومانى أغسطس قيصر • حتى اذا مات أغسطس وجلس على عرش روما بعده طيباريوس بنى هيرودس مدينة جديدة على بحر الجليل سماها « طبرية » على اسم الامبراطور ، كما أصبح بحر الجليل نفسه يسمى بحر طبرية ، أو بحيرة طبرية • وكان هيرودس هذا كهيرودس أبيه طاغية متجبرا مستبدا برعاياه ، مستندا فى كل تصرفاته الى مساندة الرومان له ومساعدتهم اياه فى الاحتفاظ بسلطته ، وهو الذى قتل واحدا من أعظم الأنبياء وهو يوحنا المعمدان لأنه وبخه على اختطافه لهيروديا زوجة أخيه فيلبس ومعاشرتها معاشرة الزوجات • كما أنه اشترك فى محاكمة السيد المسيح والسخرية به واهانته • وأما فيلبس الذى أصبح واليا على المناطق الواقعة شمال شرقى بحر الجليل وتشمل ايطورية وتراخونيتس ، فانتهج أيضا سياسة أبيه وأخويه فى الخضوع خضوعا أعمى للرومان ومداهنتهم فأعاد بناء مدينة بانياس التى كانت تقع بالقرب من منابع الأردن وسماها « قيصرية » على اسم قيصر روما • وقد دعيت فيما بعد « قيصرية فيلبس » تمييزا لها عن مدينة « قيصرية » التى كانت تقع على شاطىء البحر ، كما أنه قام بتجديد وتجميل مدينة « بيت صيدا » التى أصبح اسمها « جوليا » على اسم ابنة أغسطس قيصر التى صارت أيضا زوجة طيباريوس قيصر • فلما مات فيلبس سنة ٣١ ميلادية عين الامبراطور الرومانى فى مكانه أغريبا ابن أرستبولس بن هيرودس الكبير ، فانتهج سياسة الهيرودسيين جميعا ازاء الرومان •

وهكذا خضعت بلاد اليهود للرومان بواسطة زمرة من الأدوميين الذين لم يكونوا من أصل يهودى ، وهم أنتيباتر وابنه هيرودس الكبير وأبناؤه وأحفاده ، وان كان الرومان قد حكموا كما رأينا جزءا من بلاد اليهود وهو اليهودية والسامرة حكما مباشرا ، بعد أن طردوا حاكم هذا الجزء وهو أرخلاوس بن هيرودس سنة ٦ ميلادية ، وعينوا له واليا رومانيا هو كوينوس ، على أن يكون مقر ولايته مدينة قيصرية ، وأن ينتقل الى أورشليم عاصمة اليهودية فى مواعيد معينة للفصل فى القضايا التى يعرضها عليه زعماء اليهود هناك · وكان لهذا الوالى الحق فى طلب المعونة من الوالى الرومانى لسوريا ، كلما دعت الحاجة الى ذلك · وقد تعاقب على هذه الولاية بعد كوينوس عدد من الولاة هم ماريوس أميفيوس ، ثم اينوس روفوس ، ثم فاليريوس كراتوس ، ثم بيلاتوس بونتيوس ، الذى أصبح معروفا باسم بيلاطس البنطى ، والذى طلب اليه اليهود أن يصادق على حكم الموت الذى أصدره على السيد المسيح · وكان أولئك الولاة الرومان متعالين متعجرفين متغطرسين ، يكرهون اليهود ويحتقرونهم ، وقد لمسوا فيهم الكبرياء الجوفاء والتعصب الأعمى ، وكل صفات العناد والتمرد والتذمر والخيانة والغدر وشهوة تدبير الدسائس والمؤامرات واشعال نار الفتنة والثورات فعاملوهم بكل حزم وصرامة ، وحكموهم حكما مباشرا سافرا ، وان كانوا بسبب ادراكهم لأهمية النزعة الدينية عند اليهود تركوا لهم بعض الحرية فى شئون دينهم التى لا تؤثر فى سيطرتهم عليهم · وفى ذات الوقت استخدموا رؤساء كهنتهم وشيوخهم أداة طيعة فى تنفيذ أغراضهم وتوطيد السلطة الرومانية فى بلادهم · وكان المجلس الأعلى لليهود وهو السنهدريم قد توقف بصورته القديمة منذ أن قتل هيرودس كل أعضائه وخول اختصاصاته الى مجلس آخر قام بتشكيله من بعض أذنابه · فلم

يلبث الرومان أن جعلوا من هذا المجلس هيئة صورية تضـــم شراذم من أنصارهم والضالعين معهم من رؤساء الكهنــة والكتبة والشيوخ • ومن ثم أصبح أولئك مجرد موظفين يرتهن بقاؤهم في مناصبهم برضاء السلطات الرومانيـــة عنهـــم ، ويقتصر اختصاصهم على الشئون الدينية البحتة لليهود ، والقضايا المدنية والجنائية التى لا تمس السياسة الرومانية فى البلاد من قريب أو بعيد • ولم يكن هذا المجلس يملك أن يصدر عقــوبة الموت على أحد مهما كانت جريمته ، وانما كان ذلك من سـلطة الوالى الرومانى وحده • بيد أن الرومان على الرغم من كل ذلك لــم يلبثوا أن ضاقوا ذرعا بما يسببه لهم اليهود من مشاكل مستمرة بمشاغباتهم ومشاحناتهم ومنازعاتهم الداخلية ومكائدهم المستمرة ضد حكامهم ، وضد بعضهم البعض الآخر ، فأرسلوا اليهم سنة ٧٠ ميلادية جيشـــا لتأديبهم بقيـــادة فسباسيان ، ثم بقيادة ابنــه تيطس ، فاقتحم أورشليم والمدن والقرى اليهودية الأخـــرى وأحرقها بالنار وأباد معظم أهلها ، وأخذ البقية القليلة الباقية منهم أسرى فتشتتوا فى كل أنحـــاء الأرض ، فانتهت بذلك الأمة اليهودية الى الأبد •

الفصل الثانى

الحياة الحربية عند اليهود

عرف اليهود الحروب وخاضوها منـذ نشأة جـدهم الأول ابراهيم ، اذ تروى لنا التوراة أن الحرب نشبت بين بعض ملوك المنطقة المحيطة بنهر الأردن ، وأن بعض أولئك الملوك هجموا على لوط ابن أخى ابراهيم الذى كان يقيم فى مدينة سدوم وأسروه واستولوا على أملاكه ، فلما علم ابراهيم بذلك ٠٠ « جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ، ثلاثمائة وثمانية عشر وتبعهـم الى دان وانقسم عليهم ليلا هو وعبيده فكسرهم وتبعهم الى حوبة التى فى شمال دمشق واسترجع كل الأملاك ، واسترجع لوطا أخاه أيضا وأملاكه والنساء أيضا والشعب » (التكوين ١٤ : ١ ـ ١٦) ٠
كما تروى لنا التوراة أن شمعون ولاوى ابنى يعقوب الذى هو اسرائيل حقدا على رجل يسمى شكيم ، وكان ابن ملك لاحدى المدن يسمى حمور فدخلا مدينته ٠٠ « وأخذ كل واحـد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنـه بحد السيف ٠٠ ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة ٠٠ غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقـل

أخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت » (التكوين ٣٤ : ١ ــ ٢٩) ٠

وقد قضى اليهود في مصر تحت حكم المصريين أربعمائة وثلاثين عاما ، كانت مصر أثناءها أقوى دولة حربية في العالم٠ وقد استخدمهم بعض الفراعنة في حروبهم ، فما من شك في أنهم عرفوا من المصريين كثيرا من اجراءات الحرب وتنظيماتها وأساليبها وخططها وخدعها وأسلحتها وكل ما تتطلبه من أسباب التجهيز والتحضير ووسائل الهجوم والدفاع ومعاملة الأسرى وتقسيم الغنائم والأسلاب ٠ حتى اذا خرج اليهود من مصر بزعامة موسى النبي كانوا على أتم دراية بذلك كله ، فاستعانوا به في حروبهم التي لم تنقطع منذ عبورهم البحر الأحمر ليجتازوا صحراء سيناء ، ثم منذ عبورهم نهر الأردن ليغتصبوا ارض فلسطين ، ثم طوال تاريخهم كله منذ وضعوا اقدامهم في تلك الأرض الى أن اندثرت أمتهم على يد الرومان سنة ٧٠ ميلادية ٠

ونحن نورد فيما يلي بعض التفصيلات التي استقيناها من التوراة عن حروب اليهود وما كانوا يستخدمون فيها من أسلحة وما يتبعون فيها من أساليب :

١ ــ أسلحة القتال ومعداته

كانت أسلحة القتال ومعداته عند اليهود أسلحة ومعدات بسيطة بدائية في طبيعتها وفي تطورها مع العصر الذي كانوا يعيشون فيه ٠ وكان بعض الأسلحة والمعدات يصلح للهجوم وبعضها الآخر يصلح للدفاع ، والبعض الثالث يصلح للغرضين معا ٠ وكان مما ورد ذكره في التوراة من هذه الأسلحة والمعدات بأنواعها المختلفة ما يلي : ــ

(١) العصا وكانت أكثر الأسلحة بساطة وبدائية · وقد ذكر اشعياء النبى استخدامها فى القتال والتأديب (اشعياء ١٠ : ٥ و ١٥) ·

(٢) المقلاع ، وكانت أداة مصنوعة من الجلد ذات طرفين رفيعين ومقبض عريض فى الوسط يوضع فيه حجر · وكان يمسك بالطرفين ثم يطوح المقلاع بشدة ثم يفلت أحد الطرفين فيندفع الحجر بقوة ويصيب العدو اصابة بالغة قد تقتله · وقد روت التوارة كيف قتل الملك داود وهو فى صباه أحد جبابرة الفلسطينيين المسمى جليات بواسطة المقلاع (صموئيل الأول ١٧ : ٤٩ و ٥٠) · وقد استخدم اليهود المقلاع فى القتال ضد المؤآبيين (الملوك الثانى ٣ : ٢٥) · وكان أبناء سبط بنيامين من أمهر الرماة بالمقلاع باليد اليمنى واليد اليسرى على السواء (القضاة ٢٠ : ١٦) ·

(٣) السهم والقوس · وكانوا يصنعون السهام من الخشب المرن أو النحاس (المزمور ١٨ : ٣٤) · وأما الأوتار فكانوا يصنعونها من الجلد أو شعر الخيل ، وكانوا يلقونها وهم مشاة أو على ظهور الخيل ، ويضعون فى أطرافها أحيانا السم (أيوب ٦ : ٤) أو جمرا من النار لاشعال الحريق فى معسكر العدو (المزمور ١٢٠ : ٤) ·

(٤) الرمح ، وكانوا يصنعونه من الحديد ويحملونه متفاخرين بثقله وطول ذراعه (صموئيل الأول ١٧ : ٧) ·

(٥) السيف ، وكانوا يصنعون حده من الحديد ، وقد يجعلونه ذا حدين (القضاة ٣ : ١٦) · وكانوا يضعونه فى غمد ويحملونه مدلى فى حزام يلفونه حول الخصر · وكان استلال

السيف من غمده دلالة على العزم على القتال (حزقيال ٢١ : ٣) وكما كان السيف سلاح هجوم ، كان سلاح دفاع كذلك .

(٦) الفأس ، وقد ذكره أرميا النبى بوصفه أداة هامة من أدوات القتال ، اذ قال « أنت لى فأس .. فأسحق بك الأمم وأهلك بك الممالك » (ارسيا ٥١ : ٢٠) .

(٧) الترس ، وهو لوح خشبى كان المحارب يتقى به ما يقذفه به عدوه من حجارة أو سهام أو رماح أو ضربات سيوف أوفؤوس أو جمرات نار . وكانوا يسمون الترس الكبير مجنا . وكانوا فى الغالب يغلفونه ببطانة من الجلد بعد أن يغمسوها مدة طويلة فى الزيت حتى لاتجف أو تتشقق (اشعياء ٢١ : ٥) . وكان المحارب يحمل الترس أو المجن بحزام من الجلد على ظهره ، حتى اذا بدأت المعركة انتزعه وحمله بيده اليسرى ليحتمى به ، بينما يستخدم يده اليمنى فى القتال ، وكان الملوك يصنعون لأنفسهم الترس أو المجن من المعادن النفيسة ولا سيما الذهب والفضة . وقد ذكرت التوراة أن الملك سليمان كان لديه مئتا ترس من الذهب الخالص (الملوك الأول ١٠ : ١٦ و ١٧) .

(٨) الخوذة وهى غطاء للرأس من الجلد أو النحاس كان يلبسه الملوك والقواد فى الحرب مزينا بالريش الملون أو غيره لحماية أنفسهم وتمييزهم عن سائر جندهم . ثم لم يلبث أن شاع استعماله بين المحاربين جميعا . فقد جاء فى سفر أخبار الملوك أن عزيا ملك يهوذا كان له جيش يبلغ تعداده أكثر من ثلاثمائة ألف مقاتل ، وأنه هيأ لهم جميعا أتراسا ورماحا وخوذا ودروعا وقسيا وحجارة مقاليع (أخبار الايام الثانى ٢٦ : ١٤)

(٩) الدرع وهو قميص من الجلد أو المعدن كان المقاتل

يغطي به ظهره وصدره وما تحت الصدر لحماية نفسه من ضربات العدو · وقد رأينا أن عزيا جهز به كل جنوده ، كما جاء في سفر الملوك أن آخاب كان يلبسه في معركة راموت جلعاد (الملوك الاول ٢٢ : ٣٤) ·

(١٠) المنطقة ، وهي حزام كان يطوق به المحارب خصره ويدلى منه سيفه الى جهة اليسار حتى يكون في متناول يده عندما يهم بالقتال (صموئيل الاول ١٨ : ٤) ·

(١١) المركبة الحربية ، وكانت مصنوعة من الحديد (يشوع ١٧ : ١٦ ــ ١٨ ، القضاة ١ : ١٩ ، ٤ : ٣) · وعلى الرغم من أن اليهود حين كانوا في مصر رأوا المصريين يستعملون هذه المركبات في حروبهم ، فانهم لم يستعملوها في حروبهم الأولى لأنهم لم تكن لديهم وسائل صناعتها ، على الرغم من أن أعداءهم كانوا يهزمونهم غالبا بواسطة هذه المركبات · وقد كان أول من استعمل المركبات الحربية في الحروب اليهودية هو الملك داود (صموئيل الثاني ٨ : ٤) · وقد جاء في سفر أخبار الأيام أنه « كان لسليمان أربعة آلاف مزود خيل ومركبات واثنا عشر ألف فارس ، فجعلها في مدن المركبات ومع الملك في أورشليم » (أخبار الأيام الثاني ٩ : ٢٥) ·

(١٢) المنجنيق ، وكان آلة من آلات الحرب تستخدمها الأمم قديما لهدم أسوار المدن ، وقد استخدمها اليهود في بعض حروبهم، وذكرها الأنبياء في نبوءاتهم (حزقيال ٤ : ٢ ، ٢١ : ٢٢) · وكان المنجنيق جذعا عظيما من شجر السنديان ينحتون أحد طرفيه على هيئة رأس الكبش ، ويجعلون طرفه حديدا مدببا يعلقونه في برج من الخشب المنصوب على دواليب ضخمة ، ثم يروحون يدفعون الجذع دفعا عنيفا نحو السور الذى يريدون هدمه ،

ويظلون يفعلون ذلك حتى يفتحون ثغرة فى السور ، ويقتحمون المدينة ٠

٢ ـ التجسس قبل القتال

وكان اليهود قبل أن يغيروا على بلد يبعثون اليه بالجواسيس لجمع المعلومات عن جودة أرضه أو رداءتها ، وعن قوة أبنائه أو ضعفهم ، وعن سهولة غزوه أو صعوبته ، وعما فيه من جبال وأودية وأسوار وحصون ، وما يستخدمه أهله من أسلحة ومعدات حربية ، وغير ذلك مما يهتم المحاربون بمعرفته عن أعدائهم ٠ فتروى لنا التوراة أنه حين ذهب بنو يعقوب الذين هم بنو اسرائيل الى مصر أثناء المجاعة ليشتروا قمحا ، وكان أخوهم يوسف عندئذ هو صاحب النفوذ الأكبر فى مصر فعرفهم ، ولكنه أراد أن يشتد معهم أول الأمر توبيخا لهم على تآمرهم على قتله حين كان صبيا صغيرا ، فتظاهر بأنه لا يعرفهم ٠٠ « وقال لهم جواسيس أنتم ٠ لتروا عورة الأرض جئتم » (التكوين ٤٢ : ٩) ٠ وحين أراد اليهود بعد خروجهم من مصر أن يغيروا على أرض كنعان التى هى فلسطين الحالية اختار زعيمهم موسى النبى اثنى عشر رجلا يمثلون أسباط اليهود الاثنى عشر ٠ ٠ « فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان ، وقال لهم اصعدوا من هنا الى الجنوب واطلعوا على الجبل ؛ انظروا الأرض ما هى ، والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ وكيف هى الأرض التى هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة ؟ وما هى المدن التى هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون ؟ وكيف هى الأرض أسمينة أم هزيلة ؟ أفيها شجر أم لا ؟ وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض ٠٠ فصعدوا وتجسسوا الأرض ٠٠ ثم رجعوا من تجسس الارض بعد أربعين يوما ٠٠ وقالوا ذهبنا الى الأرض التى أرسلتنا اليها ، وحقا انها تفيض لبنا وعسلا ٠٠ غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز

والمدن حصينة عظيمة جدا ٠ وأيضا قد رأينا بنى عناق هناك ، العمالقة الساكنون فى أرض الجنـوب ، والحثيـون واليبوسيون والأموريون ساكنون فى الجبل ، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن ٠٠ ولكن كالب ٠٠ قال اننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها ٠ وأما الرجال الذين صـعدوا معـه فقـالوا لا نقدر أن نصعد الى الشعب لأنهم أشد منا ٠٠ وقد رأينا هنـاك الجبابرة بنى عناق ٠٠ فكنا فى أعيننا كالجراد ، وهكذا كنا فى أعينهم » (العدد ١٣ : ١٧ ــ ٣٣) ٠٠ ثم ٠٠ « أرســل موسى ليتجسس يعزير فأخذوا قراها وطردوا الأموريين الذين هناك » (العدد ٢١ : ٣١ و ٣٢) ٠

وبعد موت موسى وتعيين يشوع بن نون خليفة له فى قيـادة اليهود ، أراد أن يواصل الاغارة على أرض كنعان غربى الأردن ٠٠ « فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا ، قائلا اذهبا أنظرا الأرض وأريحا ، فذهبا ودخلا بيت أمرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك ٠ فقيل لملك أريحا هوذا قد دخل الى هنـا الليلة رجلان من بنى اسرائيل لكى يتجسسا الأرض ٠ فأرسل ملك أريحا الى راحاب يقول أخرجى الرجلين ٠٠ فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما وقالت ٠٠ خرج الرجلان ٠٠ وأما هى ٠٠ فأنزلتهما من الكوة ٠٠ ثم رجع الرجلان ٠٠ وأتيا الى يشوع بن نون ٠٠ وقالا ليشوع ان الرب قد دفع بيدنا الأرض كلهـا ، وقد ذاب (أى خاف) كل سكان الأرض بسببنا » (يشوع ٢ : ١ ــ ٢٤) ٠ وبعد أن استولى يشوع بن نون على أريحا « أرسل يشوع رجـلا من أريحا الى عاى التى عند بيت آون شرقى بيت ايل ، وكلمهم قائلا اصعدوا تجسسوا الأرض ٠٠ فصعد الرجـال وتجسسوا عاى ، ثم رجعوا الى يشوع وقالوا له لا يصعد كل الشعب ، بـل يصعد نحو ألفى رجل أو ثلاثة آلاف رجـل ويضربوا عاى ٠

لا تكلف كل الشعب الى هناك لأنهم قليلون » (يشوع ٧ : ٢ و ٣) ٠

وفى عهد القضاة حدث أن أحد أسباط إليهود وهو سبط دان أراد أن يغتصب منطقة لايش ٠٠ « فأرسل بنو دان من عشيرتهم خمسة رجال منهم ٠٠ لتجسس الأرض وفحصها ٠٠ فذهب الخمسة الرجال وجاءوا الى لايش ورأوا الشعب الذين فيهـا ساكنين بطمأنينة ٠٠ وجاءوا الى اخوتهم ٠٠ فقالوا قوموا نصعد اليهم لأننا رأينا الأرض ، وهوذا هى جيدة جـدا ٠ ٠ لاتتكاسلوا من الذهاب لتدخلوا وتملكوا الارض ٠ عند مجيئكم تأتون الى شعب مطمئن ، والأرض واسعة الطرفين » (القضاة ١٨ : ١ ــ ١٠) ٠

وحين نشبت الحرب بين شاول وداود ملكى اليهود ٠٠ « كان داود مقيما فى السرية ٠ فلما رأى أن شاول قد جاء وراءه فى البرية ، أرسل داود جواسيس وعلم باليقين آن شاول قد جاء » (صموئيل الأول ٢٦ : ٢ ــ ٤) ٠ وقد حدث أن أرسل الملك داود بعض عبيده للتعزية فى موت ملك بنى عمون ٠٠ « فقال رؤساء بنى عمون لحانون سيدهم هل يكرم داود أباك فى عينيـك حتى أرسل اليك معزين ؟ أليس لاجل فحص المدينة وتجسسها وقلبها أرسل داود عبيده اليك ؟ » (صموئيل الثانى ١٠ : ٣) ٠ وحين تمرد أبشالوم ابن الملك داود على أبيه معتزما ان يغتصب عرشـه وأرسل أبشالوم جواسيس فى جميع أسباط اسرائيل قائلا اذا سمعتهم صـوت البوق فقولوا قد ملك أبشـالوم فى حبرون » (صموئيل الثانى ١٥ : ١٠) ٠

وهكذا كان **التجسس من وسائل اليهود** فى الحـرب ، وقـد عرفت **الأمم الأخرى عنهم ذلك فأصبحت** ترتاب فيهم وتسارع الى احياط كل محاولة يرمون من ورائهـا الى التجسس عليهـا والتلصص على أخبارها وأسرارها ٠

وكان يدخل فى حكم التجسس لدى اليهود أنهم اذا وقع فى أيديهم بعض الأسرى من أعدائهم راحوا يستجوبونهم وينتزعون منهم بأبشع وسائل التعذيب كل ما يمكنهم من الحقائق التى تفيدهم فى مقاتلة أعدائهم . ومن ذلك أن جدعون أحد قضاة اليهود أمسك غلاما من أهل مدينة سكوت وأجبره على أن يذكر له أسماء سبعين من شيوخ المدينة ، ثم أخذهم وغمرهم بالأشواك البرية وداسهم بالنوارج فمزقهم بهذه الطريقة النظيمة أبشع تمزيق (القضاة ٨ : ١٣ ــ ١٦) . كما حدث أن الملك داود فى حربه ضد العمالقة أسر عبيدهم وعرف منه موقعهم ، ثم هاجمهم وقضى عليهم (صموئيل الأول ٣٠ : ١ ــ ٢٠) .

٣ ــ قانون الحرب

وقد أورد سفر التثنية القانون الذى يجب على اليهود أن يعملوا بمقتضاه فى حروبهم ، اذ جاء فيه « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها ، استدعها الى الصلح ، فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وان لم تسالمك . بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا (أى فى أرض كنعان) . وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريما (أى تفنيها عن آخرها) : الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين » (التثنية ٢٠ : ١٠ ــ ١٧) .

كما جاء في سفر التثنية « متى أتى بك الرب الهك الى الارض التى أنت داخل اليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزين والحويين واليبوسيين ، سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب الهك أمـــامك وخربتهم ، فانك تحرمهم (أى تفنيهم) • لا تقطـــع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم • بنتك لا تعط لابنـــه وبنته لا تأخذ لابنك •• ولكن هكذا تفعلون بهـــم • تهـــدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواربهم وتحرقون تماثيلهم بالنار » (التثنية ٧ : ١ ـ ٥) •

٤ ـ اجراءات الاستعداد للحرب

وكان اليهود حين يزمعون شن حرب على شـــعب من الشعوب يتخذون بعض اجراءات الاستعداد والتنظيم :

(١) واذ كان للنعرة الدينية والسلطة الكهنونية المكانة الأولى لدى اليهود ، ولا سيما أنهم كانوا يعتقدون أن الله هـــو قائدهم الحقيقى والفعلى ، كان الكهنة والملوك يبدأون باستشارة اللـــه بوسائلهم الخاصة لمعرفة ما اذا كان يريدهم أن يخوضوا الحرب أم لا يريدهم أن يفعلوا ذلك • اذ جاء مثلا فى سفر القضاة ، فصعد جميع بنى اسرائيل وكل الشعب وجاءوا الى بيت ايل •• وأصعدوا محرقات وذبائح سلامة أمام الرب ، وهناك تابوت عهد الله فى تلك الأيام ، وفينحاس بن العازار بن هارون واقف أمامه •• قائلين أ أعود أيضا للخروج لمحـــاربة بنى بنيامين ؟ • • فقـــال الرب اصعدوا » (القضاة ٢٠ : ٢٦ و ٢٨) • وجاء فى سفر صموئيل « فسأل داود من الرب قائلا أ أذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين ؟ فقال الرب لداود اذهب وأضرب الفلسطينيين » (صموئيل الأول ٢٣ : ٢) • بل أن اليهود حين كانوا يعبـــدون الأصنام كانوا

يسألون أنبياء تلك الأصنام عما اذا كانوا يحاربون أم لا يحاربون • وقد كان من أولئك أخاب ملك اسرائيل ، وقد أراد أن يحارب الآراميين في راموت جلعاد فجمع الأنبياء الوثنيين : واستشارهم في ذلك ، اذ جاء في سفر الملوك « فجمع ملك اسرائيل الأنبياء نحو اربعمائة رجل وقال لهم أ أذهب الى راموت جلعاد للقتال أم امتنع • فقالوا اصعد فيدفعها السيد ليد الملك » (الملوك الأول ٢٢ : ٦) • ومع ذلك فقد هزمه الآراميون وقتلوه •

(٢) واذ كان اليهود معروفين بطبيعتهم بالجبن على الرغم من زهوهم وخيلائهم ، كما كانوا معروفين بالحرص الشديد على شهواتهم ومنافعهم الخاصة ، كان قادتهم حين يقترب موعد المعركة يستبعدون من المحاربين في صفوفهم كل خائف وكل من لديه منهم سبب من الأسباب يجعله حريصا على الحياة ، اذ جاء في سفر التثنية « ثم يخاطب العرفاء الشعب قائلين من هو الرجل الذى بنى بيتا جديدا ولم يدشنه ، ليذهب ويرجع الى بيته لئلا يموت في الحرب فيدشنه رجل آخر • ومن هو الرجل الذى غرس كرما ولم يبتكره ليذهب ويرجع الى بيته لئلا يموت فى الحرب فيبتكره رجل آخر ، ومن هو الرجل الذى خطب امرأة ولم يأخذها • ليذهب ويرجع الى بيته لئلا يموت فى الحرب فيأخذها رجل آخر • ثم يعود العرفاء يخاطبون الشعب ويقولون من هو الرجل الخائف والضعيف القلب ليذهب ويرجع الى بيته لئلا تذوب قلوب اخوته مثل قلبه » (التثنية ٢٠ : ٥ ـ ٨) • كما جاء في سفر التثنية « اذا اتخذ رجل امرأة جديدة فلا يخرج فى الجند ولا يحمل عليه أمر ما • حرا يكون فى بيته سنة واحدة ويسر امرأته التى أخذها » (التثنية ٢٤ : ٥) وكان القادة والكهنة يعملون فى الوقت ذاته على تشجيع الذين سيخوضون الحرب مؤكدين لهم أنه لا داعى للخوف لأن الله سيحارب عنهم ، مهما كانوا ضعفاء ،

وسيتغلب على أعدائهم مهما كان أولئك الأعداء أقوياء • اذ جاء في سفر التثنية « اذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلا ومراكب ، قوما أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب الهك الذى أصعدك من أرض مصر ، وعندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم اسمع يا اسرائيل • أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم • لا تضعف قلوبكم • لا تخافوا ولا ترتعبوا ولا ترهبوا وجوههم ، لأن الرب الهكم سائر معكم لكى يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم » (التثنية ٢٠ : ١ ـ ٤) • وتأكيدا لهذا المعنى الذى يفيد أن الله هو الذى يقود اليهود بنفسه، جاء في سفر التثنية «اذا خرجت في جيش على أعدائك فأحذر من كل شيء ردىء • ان كان فيك رجل غير طاهر من عارض الليل يخرج الى خارج المحلة •• ونحو اقبال المساء يغتسل بماء ، وعند غروب الشمس يدخل الى داخل المحلة •• لأن الرب الهك سائر فى وسط محلتك لكى ينقذك ويدفع أعداءك أمامك ، فلتكن محلتك مقدسة لئلا يرى فيك قذر شيء فيرجع عنك » (التثنية ٢٤ : ١ ـ ١٤) •

(٣) وبعد أن يستشير اليهود الله فى أمر حربهم ويستبعدوا الجبناء والحريصين على منافعهم من صفوفهم يبدأون تنظيم جيوشهم ، اذ جاء فى سفر التثنية « وعند فراغ العرفاء من مخاطبة الشعب يقيمون رؤساء جنود على رأس الشعب » (التثنية ٢٠ : ٩) • وكان هؤلاء الرؤساء يتفاوتون فى رتبهم ، فكان منهم الصغير الذى يرأس فرقة من عدد صغير من الجنود ، وكان منهم الكبير الذى يرأس فرقة من عدد أكبر من الجنود ، وكانت الفرقة تتكون عادة من عشرة جنود ، أو خمسين جنديا ، أو مائة جندى ، أو ألف جندى • على رأس كل منها قائد أو رئيس ، وكان يرأس الجميع قائد أعلى • وكان القائد الأعلى أحيانا فى عهد القضاة هو القاضى ، وفى عهد الملوك هو الملك • ولم يكن لليهود منذ نشأتهم

الى آخر عهد القضاة جيش واحد دائم ، وانما كان كل سبط يرسل عند خوض الحرب فريقا من أبنائه للقتال ، حتى اذا انتهت الحرب عاد كل فريق الى سبطه ، فلم يبدأ اليهود في تكوين جيش دائم الا في عهد الملوك ٠

(٤) حتى اذا استعد الجيش استعدادا كاملا ، يضرب الكهنة بالابواق رمزا للاستغاثة بالله ، واشارة للجنود كي يبدأوا الهجوم ٠ اذ جاء في سفر العدد « اذا ذهبتم الى حرب في أرضكم على عدو يضربكم تهتفون بالابواق فتذكرون أمام الرب الهكم وتخلصون من أعدائكم » (العدد ١٠ : ٩) ٠ فكان الجنود اذا سمعوا صوت البوق هتفوا جميعا هتافا عظيما ، اذ جاء في سفر يشوع « ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما » (يشوع ٦ : ٥) وجاء في سفر صموئيل « فقام رجال اسرائيل ويهوذا وهتفوا ولحقوا الفلسطينيين ٠٠ فسقطت قتلى الفلسطينيين ٠٠ ثم رجع بنو اسرائيل ٠٠ ونهبوا محلتهم » (صموئيل الاول ١٧ : ٥٢ و ٥٣)

٥ ـ أساليب القتال وعملياته

وكان اليهود يتخذون من الخطط الحربية وأساليب الهجوم والدفاع ما كان معروفا في عصرهم ، وقد اكتسبوا كثيرا من فنونه من الشعوب التي عاشوا معها ولا سيما المصريين ، وكذلك من الشعوب التي جاوروها أو حاربوها أو خضعوا لها ٠ ومن ذلك :

(١) حصار المدن واقامة الابراج والمتاريس حواليها من الحجارة والرمال ، وهدم أسوارها بالمجانيق ٠ ومثال ذلك ما فعله يوآب قائد جيش الملك داود ضد رجل أعلن التمرد على داود وتحصن في مدينة « آبل بيت معكة » ، اذ جاء في سفر

صموئيل أن يوآب وجنوده « جاءوا وحاصروه فى آبل بيت معكة وأقاموا مترسة حول المدينة فأقامت فى الحصار » (صموئيل الثانى ٢٠ : ١٥) . وجاء فى سفر حزقيال : « اجعل عليها (أى على أورشليم) حصارا وابن عليها برجا وأقم عليها مترسة .. وأقم عليها مجانق حولها » (حزقيال ٤ : ٢) . وكان المحاصرون للمدينة يقطعون عنها الماء ويمنعون دخول أى طعام اليها حتى تستسلم أو يموت أهلها عطشا وجوعا . وكانوا لا يفتأون يدقون أسوارها بالمجانيق ويتسلقونها بالسلالم ويقذفون المدافعين عنها بالسهام والنبال والمقاليع ، ويوقدون النار فى أبوابها الخشبية ، كما فعل أبيمالك أحد قضاة اليهود وهو يحاصر أحد أبراج مدينة تاباص ، اذ جاء فى سفر القضاة « وكان برج قوى فى وسط المدينة فهرب اليه جميع الرجال والنساء وكل أهل المدينة وأغلقوا وراءهم وصعدوا الى سطح البرج ، فجاء أبيمالك الى البرج وحاربه واقترب الى باب البرج ليحرقه بالنار » (القضاة ٩ : ٥١ و ٥٢) . فاذا كان اليهود هم الذين يحاصرهم اعداؤهم فى احدى مدنهم ، سارعوا الى حماية مصادر مياههم وموارد طعامهم ، والعمل على منع وصولها الى الاعداء ، كما سارعوا الى ترميم أسوار مدينتهم وتحصيناتها وقلاعها وأبراجها ، وزودوا جنودهم بالسلاح والعتاد ، ومن ذلك ما فعله حزقيا ملك يهوذا ، اذ جاء فى سفر أخبار الايام « ولما رأى حزقيا ان سنحاريب قد أتى ووجهه على محاربة أورشليم تشاور هو ورؤساؤه وجبابرته على طم مياه العيون التى هى خارج المدينة فساعدوه ، فتجمع شعب كثير وطموا جميع الينابيع والنهر الجارى فى وسط الارض قائلين لماذا يأتى ملوك أشور ويجدون مياها غزيرة ، وتشدد وبنى كل السور المنهدم وأعلاه الى الابراج وسورا آخر خارجا وحصن القلعة مدينة داود وعمل سلاحا بكثرة وأتراسا » (أخبار الايام الثانى ٣٢ : ٢ ـ ٥) . وكانوا يطلقون السهام والنبال والحجارة على الجيوش المحاصرة

لمدينتهم ليعوقوهم عن مهاجمة المدينة ، ويلقون شعلات ملتهبة على مجانيقهم ليحرقوها ويمنعوا أذاها عن أسوارهم ٠

(٢) ولا يفتأ اليهود يحاصرون المـــدينة التى يهاجمونها ، منتهجين كل وسيلة لفتح ثغرة فى أسوارها واقتحامها ، فاذا نجحوا فى ذلك ذبحوا سكان المدينة وكل مـــا فيها من الاحيـــاء بغير استثناء ، ثم أحرقوها بالنار ٠ ومثـــال ذلك أنه جـاء فى سفر يشوع ان اليهود اقتحموا أسوار مدينة أريحـــا « وصعد الشعب الى المدينة ٠٠ وحرموا (أى ذبحوا) كل ما فى المدينة من رجـــل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحـــد السيف ٠٠ وأحرقوا المدينة بالنـــار مع كل ما بها » (يشـــوع ٦ : ١٢ ــ ٢٤) ٠ ثم اقتحم اليهود مدينة عـــاى « وأما ملك عـــاى فأمسكوه حيـــا وتقدموا به الى يشوع ٠ وكان لمـــا انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عـــاى فى الحقـــل فى البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعا بحـــد السيف حتى فنوا ان جميع اسرائيل رجع الى عـــاى وضربوها بحد السيف ، فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم من رجـــال ونســـاء اثنى عشر ألفا ، جميع أهـــل عـــاى ٠ ويشوع لم يرد يـــده التى مـــدها بالمزراق حتى حرم (ذبح) جميع سكان عاى ٠٠ وأحرق يشوع عاى وجعلها تـــلا أبديا خرابا ، وملك عاى علقه على الخشبة الى وقت المســـاء ٠ وعند غروب الشمس أمـــر يشـــوع فأنزلوا جثته عـــن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة » (يشوع ٨ : ٢٣ ــ ٢٩) ٠ وحدث كذلك أن « أخـــذ يشوع مقيدة ٠٠ وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها ، لم يبق شـــاردا ٠٠ ثم جـــاز يشوع من مقيدة وكل اسرائيل معـــه الى لبنة وحارب لبنة ، فدفعها الرب هى أيضـــا بيد اسرائيل مع ملكها فضربها بحـــد السيف وكل نفس بها لم يبق شاردا وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا ٠ ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من لبنة الى لخيش ونزل

عليها وحاربها .. وضربها بحد السيف وكل نفس بهـا حسب كل ما فعل بلبنة . حينئذ صعد هورام ملك جـازر لاعانة لخيش وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شاردا ، ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معـه من لخيش الى عجلون فنزلوا عليهـا وحاربوها وأخذوها فى ذلك اليوم وضربوها بحـد السيف وضرب كل نفس بها فى ذلك اليوم .. ثم صعد يشـوع وجميع اسرائيل معـه من عجلون الى حبرون وحاربوها وأخذوها وضربوها بحـد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها . لم يبق شاردا .. فحرمها وكل نفس بها . ثم رجع يشوع وكل اسرائيل معـه الى دبير وحاربها وأخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف. وحرموا كل نفس بها . لم يبق شاردا .. فضرب يشـوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها . لم يبق شاردا ، بل حرم كل نسمة .. فضربهم يشـوع من قادش برنيع الى غزة وجميع أرض جوشن الى جبعون » (يشوع ١٠ : ٢٨ ـ ٤١) . ثم هاجم يشوع على رأس اليهود مدينة حاصور .. وضرب ملكها .. وضربوا كل نفس بها بحـد السيف . حرموهم . ولـم تبق نسمة . وأحرق حاصور بالنار .. وجـاء يشوع فى ذلك الوقت وقرض العناقيين من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عنـاب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل اسرائيل . حرمهم يشـوع مع مدنهم . فـلم يتبق عناقيون فى أرض اسرائيـل ». (يشوع ١١ : ١٠ و ١١ و ٢١ و ٢٢) . وكان اليهود يبلغون من الوحشية أحيانا حـدا بشعا ، حتى أنهم أثناء مجازرهم هذه يشقون بطون الحوامل ، اذ جـاء فى سفر الملوك أن منحيم ملك اسرائيل هاجم مدينة « تفصح » وذبح كل أهلها وأهلـك كل ما بها وشق بطون جميع حواملها (الملوك الثانى ١٥ : ١٦) .

(٣) وكانت الوسيلة الشائعة للقتال هى أن يصطف الجيشان المتقاتلان كل منهما فى مواجهـة الآخر ، ثم يشـتبك جنودهما

بالايدى مستخدمين العصى أو السيوف أو الخناجر أو الرماح أو المقاليع • بيد أنه كان يحدث أحيانا أ ن يتقدم من صفوف أحــد الجيشين المتقاتلين محارب ويتحدى جنود الجيش الآخر ان يخرج له ليصارعه • ومن أمثلة ذلك ما حدث بين داود النبى فى شبابه وجليـــات الفلسطينى ، اذ جـــاء فى سفر صـــموئيل « وجمع الفلسطينيون جيوشهم للحرب •• واجتمع شاول ورجال اسرائيل واصطفوا للحرب للقاء الفلسطينيين • وكان الفلسطينيون وقوفا على جبل من هنـــا واسرائيل وقوفا على جبل من هنـــاك والوادى بينهم • فخرج رجــل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات من جت طوله ست أذرع وشبر ، وعلى رأسه خوذة من نحاس ، وكان لابسا درعا حرشفيا ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس، وجرموقا نحاس على رجليه ، ومزراق نحاس بين كتفيه ، وقنـــاة رمحه كنول النساجين وسنان رمحه ستمائة شاقل حديد وحامــل الترس كان يمشى قدامه ، فوقف ونادى صفوف اسرائيل وقال لهم لمـــاذا تخرجون لتصطفوا للحرب ؟ •• اختاروا لانفسكم رجلا ولينزل الى ، فان قـــدر ان يحاربنى ويقتلنى نصير لكم عبيدا ، وان قدرت أنا عليه وقتلته تصيرون أنتم لنا عبيدا وتخدموننا •• ولمـــا سمع شاول وجميع اسرائيل كلام الفلسطينى هـــذا ارتاعوا جدا وخافوا جدا •• وكان الفلسطينى يتقدم ويقف صباحا ومساء أربعين يوما •• وجميع رجـــال اسرائيل لمـــا رأوا الرجل هربوا منه وخافوا جدا •• فقال داود لشاول •• عبدك يذهب ويحارب هـــذا الفلسطينى • فقال شاول لداود لا تستطيع أن تذهب الى هـــذا الفلسطينى لتحاربه لانك غلام وهو رجــل حرب منــذ صباه ، فقال داود لشاول •• قتل عبدك الاسد والدب •• وهـــذا الفلسطينى الاغلف يكون كواحد منهما •• وأخذ عصـــاه بيده وانتخب له خمسة حجارة ملس من الوادى •• ومقلاعه بيده •• وركض نحو الصف للقاء الفلسطينى •• ورمـــاه بالمقلاع ••

وقتله ·· فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات هربوا »
(صموئيل الاول ١٧ : ١ ــ ٥١) ·

٦ ــ الخدع والمخاتلات الحربية

ومما روته التوراة عما كان اليهود ينتهجونه من خدع ومخاتلات حربية ضد أعدائهم أثناء القتال يدلنا على أنهم برعوا فى تلك الاساليب التى اقتبسوها من غيرهم من الشعوب المحاربة ، فضلا عن أنها تتفق في الواقع مع اخلاقهم وطبائعهم ، التى من أبرزها المخادعة والمخاتلة · ومن أمثلة ذلك :

(١) الخدعة التى استطاع بها أبناء يعقوب قتل حمور ملك الحويين وكل شعب مدينته ، اذ جاء فى سفر التكوين « وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب ·· فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس الارض وأخذها واضطجع معها ·· وأحب الفتاة ·· فكلم شكيم حمور أباه قائلا خذ لى هذه الصبية زوجة ·· فخرج حمور أبو شكيم الى يعقوب ليتكلم معه ، وأتى بنو يعقوب من الحقل ·· وتكلم حمور معهم قائلا شكيم ابنى قد تعلقت نفسه بابنتكم · اعطوه اياها زوجة · وصاهرونا · تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا وتسكنون معنا وتكون الارض قدامكم ·· فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر ·· فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الامر ، ان نعطى أختنا لرجل أغلف ·· ان صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر ، نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم · فحسن الكلام فى عينى حمور وفى عينى شكيم بن حمور ·· وكلما أهل مدينتهما ·· فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة ، واختتن كل ذكر ·· فحدث فى اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين ان ابني يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينة أخذا كل واحد سيفه ، وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر ، وقتلا حمور

وشكيم ابنه بحد السيف ·· ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة » (التكوين ٣٤ : ١ ــ ٢٧) ·

(٢) الكمين الذى نصبه يشوع بن نون لاهــل مدينة عاى · اذ جاء فى سفر يشوع « فقــام يشوع وجميع رجال الحرب للصعود الى عاى ، وانتخب يشوع ثلاثين ألف رجل جبابرة بأس وأرسلهم ليلا وأوصاهم قائلا ·· أنتم تكمنون للمدينة من وراء المدينة ·· وأما أنا وجميع الشعب الذى معى فنقترب الى المدينة ، ويكون حينما يخرجون للقائنا كما فى الاول أننا نهرب أمامهم فيخرجون وراءنا حتى نجذبهم عن المــدينة ·· وأنتم تقومون من المكمن وتمتلكون المدينة ·· ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضربون المدينة بالنار ·· وخرج رجال المدينة للقاء اسرائيل للحرب ·· وهو لا يعلم أن عليه كمينا وراء المدينة ·· فأعطى يشوع وجميع اسرائيل انكسارا أمامهم ·· فسعوا وراء يشوع ·· فقــام الكمين بسرعة من مكانه وركضوا ·· ودخلوا المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار ·· ولمــا رأى يشوع وجميع اسرائيل أن الكمين قد أخذ المدينة ·· انثنوا وضربوا رجال عــاى ·· حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت » (يشو ٨ : ١ ــ ٢٢) ·

(٣) المكيدة التى دبرها جدعون قاضى اليهود فى حربه ضـد المديانيين ، اذ جــاء فى سفر القضاة « كان المديانيون والعمالقة وكل بنى المشرق حالين فى الوادى ·· وجــاء جدعون ·· وقسم الثلاثمائة رجل الى ثلاث فرق ، وجعــل أبواقا فى أيديهم كلهم وجرارا فارغة ومصابيح فى وسط الجرار ، وقال لهم انظروا الى وافعلوا كذلك ·· ومتى ضربت بالبوق أنا وكل الذين معى فاضربوا أنتم أيضــا بالابواق حول كل المحلة ·· فجاء جدعون والمائة رجل الذين معــه الى طرف المحلة فى أول الهزيع الاوسط ، وكانوا اذ ذاك قد أقامــوا الحراس فضربوا بالابواق وكسروا

الجرار التى بأيديهم ، فضربت الفرق الثلاث بالابواق وكسروا الجرار ، وأمسكوا المصابيح بأيديهم اليسرى والابواق بأيديهم اليمنى ليضربوا بها ‥ ووقفوا كل واحد فى مكانه حول المحلة ، فركض كل الجيش وصرخوا وهربوا ‥ فاجتمع رجال اسرائيل ‥ وتبعوا المديانيين » (القضاة ٧ : ١٢ ــ ٢٣) ٠

(٤) الحيلة التى احتال بها شمشون قاضى اليهود للانتقام من الفلسطينيين ، اذ جاء فى سفر القضاة « وذهب شمشون وأمسك ثلاثمائة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنبا الى ذنب ووضع مشعلا بين كل ذنبين فى الوسط ، ثم أضرم المشاعل نارا وأطلقها بين زروع الفلسطينيين ، فأحرق الاكداس والزرع وكروم الزيتون ٠ وضربهم ساقا على فخذ ضربا عظيما » (القضاة : ١٥ : ٤ ــ ٨) ٠

(٥) ما فعله الملك داود حين كان يحارب الفلسطينيين ، اذ تجمع هؤلاء فى واد يسمى وادى الرفائيين متوقعين أن يهاجمهم داود من الامام ٠ ولكن داود لم يفعل ذلك ، وانما خدعهم ودار من ورائهم وضربهم ساقا على فخذ ضربا عظيما » (القضاة : ١٥ : ٤ ــ ٨) ٠

(٦) ولعل أغرب طريقة هى التى استولى بها اليهود على أريحا ، لانها تقوم على طقوس دينية ، اذ جاء فى سفر يشوع « وكانت أريحا مغلقة مقفلة بسبب بنى اسرائيل ٠ لا أحد يخرج ولا أحد يدخل ‥ فدعا يشوع بن نون الكهنة وقال لهم احملوا تابوت العهد ، وليحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف أمام تابوت الرب ٠ وقالوا للشعب اجتازوا ودوروا دائرة المدينة ، وليجتز المتجرد أمام تابوت الرب ٠ وكان كما قال يشوع للشعب ٠ اجتاز السبعة الكهنة حاملين أبواق الهتاف السبعة أمام الرب وضربوا بالابواق ، وتابوت عهد الرب سائر وراءهم ، وكل متجرد سائر أمام الكهنة الضاربين بالابواق ، والساقة سائرة وراء تابوت العهد ، كانوا يسيرون ويضربون بالابواق ، وأمر يشوع الشعب قائلا لا تهتفوا ولا تسمعوا صوتكم ولا تخرج من

أفواهكم كلمة حتى يوم أقول لكم اهتفوا فتهتفون . فدار تابوت الرب حول المدينة مرة واحدة ، ثم دخلوا المحلة وباتوا فى المحلة . فبكر يشوع فى الغد . وحمل الكهنة تابوت الرب . والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة أمام تابوت الرب سائرون سيرا وضاربون بالابواق ، والمتجردون سائرون أمامهم والساقة سائرة وراء تابوت الرب . كانوا يسيرون ويضربون بالابواق . وداروا بالمدينة فى اليوم الثانى مرة واحدة ، ثم رجعوا الى المحلة . وهكذا فعلوا ستة أيام . وكان فى اليوم السابع أنهم بكروا عند طلوع الفجر وداروا دائرة المدينة على هــذا المنوال سبع مرات . فى ذلك اليوم فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات . وكان فى المرة السابعة عند ضرب الكهنة بالابواق أن يشوع قال للشعب اهتفوا لان الرب قد أعطاكم المدينة .. فهتف الشعب وضربوا بالابواق . وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتــافا عظيما فســقط السور فى مكانه ، وصــعد الشعب الى المدينة .. وأخذوا المدينة .. وحرموا (أى ذبحوا) كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفــل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » (يشوع ٦ : ١ ـ ٢١) .

٧ ـ معاملة الاسرى والسبايا

وكان اليهود فى الغــالب يقتلون الاسرى الــذين يقعون فى أيديهم أثناء القتال أو يشوهونهم ، بعــد تحقيرهم واهانتهم ، اذ جاء فى سفر يشوع « وأما ملك عــاى فأمسكوه حيــا وتقدموا به الى يشوع .. وأحرق يشوع عــاى وجعلها تلا أبديا خرابا .. وملك عــاى علقه على الخشبة الى وقت المساء . وعنــد غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عنـــد مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجارة عظيمة » (يشــوع ٨ : ٢٣ ـ ٢٩) . وجــاء فى سفر يشوع أيضــا « ثم رجع يشوع وجميع اسرائيل معــه الى المحلة فى الجلجال . فهرب أولئك

الخمسة الملوك واختبأوا فى مغارة فى مقيدة ٠٠ فقال يشوع افتحوا فم المغارة واخرجوا الى هؤلاء خمسة الملوك ٠٠ ففعلوا كذلك وأخرجوا اليه أولئك الملوك الخمسة من المغارة : ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموت وملك لخيش وملك عجلون ٠ وكان لما أخرجوا أولئك الملوك الى يشوع أن يشوع دعا كل رجال اسرائيل وقال لقواد رجال الحرب الذين ساروا معه تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك ، فتقدموا ووضعوا أرجلهم على أعناقهم ٠٠ وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء ٠ وكان عند غروب الشمس أن يشوع أمر فأنزلوهم عن الخشب وطرحوهم فى المغارة التى اختبأوا فيها ووضعوا حجارة كبيرة على فم المغارة » (يشوع ١٠ : ١٥ ـ ٢٧) ٠

وجاء فى سفر القضاة : فصعد يهوذا (أحد أسباط اليهود) ودفع الكنعانيين والفرزيين بيدهم فضربوا منهم فى بازق عشرة آلاف رجل ٠ ووجدوا أدونى بازق (وهو ملكها) فى بازق فحاربوه وضربوا الكنعانيين والفرزيين ، فهرب أدونى بازق فتبعوه وأمسكوه وقطعوا أباهم يديه ورجليه » (القضاة ١ : ٤ ـ ٦) ٠ كما جاء فى سفر القضاة « وكان زبح وصلمناع فى قرقر وجيشهما معهما ٠٠ وصعد جدعون (قاضى اليهود) ٠٠ وضرب الجيشين ٠٠ وأمسك ملكى مديان زبح وصلمناع ٠٠ فقام جدعون وقتل زبح وصلمناع » (القضاة ٨ : ١٠ ـ ٢١) ٠ وجاء فى سفر صموئيل «وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم وأخذ داود زمام القصبة من يد الفلسطينيين وضرب الموآبيين وقاسهم بالحبل ٠ وأضجعهم على الارض فقاس بجبلين للقتل وبحبل للاستحياء ٠٠ وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات » (صموئيل الثانى ٨ : ١ ـ ٣) ٠ وكان اليهود أحيانا يقتلون الاسرى بالجملة وبعشرات

الألوف دفعة واحدة ، اذ جاء في سفر أخبار الايام « وأما أمصيا (ملك يهوذا) فتشدد واقتاد شعبه وذهب الى وادي الملح وضرب من بني ساعير عشرة آلاف . وعشرة آلاف أحياء سباهم بنو يهوذا وأتوا بهم الى رأس سالع وطرحوهم على رأس سالع فتكسروا جميعا » (أخبار الايام الثاني ٢٥ : ١١ و ١٢) . وكانوا في بعض المدن كما رأينا يقتلون المحاربين وغير المحاربين ولو كانوا من النساء والاطفال ، اذ جاء في سفر التثنية « وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها (أى تبيدها) : الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحيويين واليبوسيين » (التثنية ٢٠ : ١٦ و ١٧) . وكان قتل الاسرى يحدث أحيانا بأبشع صورة تخطر على خيال الانسان ، اذ جاء في سفر صموئيل « فجمع داود كل الشعب وذهب الى ربة (وهى عمان الحالية) وحاربها وأخذها .. وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون آجر ، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون » . (صموئيل الثاني ١٢ : ٢٩ ـ ٣١) .

فاذا لم يقتل اليهود الاسرى كانوا يتخذونهم عبيدا ، ولو كانوا قد أسلموا أنفسهم اليهم باختيارهم وبدون قتال ، اذ جاء في سفر التثنية « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح ، فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك .. وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك » (التثنية ٢٠ : ١٠ ـ ١٤) . وقد حدث أن استعبد اليهود شعبا آخر بأسره استعبادا أبديا ، وهم سكان مدن جبعون والكفيرة وبئيروت ويعاريم ، الذين سمعوا بما فعله اليهود بقيادة يشوع بن نون

بسكان المدن المجاورة لهم ، فجاؤوا اليهم يستعطفونهم ، فوعدهم بأنهم لن يقتلوهم . ولكنهم جعلوهم عبيـــدا يحتطبون الحطب ويجلبون المـاء لليهود ولهيكلهم ، اذ جاء في سفر يشوع « وأما سكان جبعون لما سمعوا بما عملـــه يشوع بأريحا وعـــاى .. وكل ما عمل بملكى الاموريين .. فارتحل بنو اسرائيل وجـاءوا الى مدنهم في اليوم الثالث ، ومدنهم هي جبعون والكفيرة وبئروت وقرية يعاريم .. فأجابوا يشوع وقالوا .. نحن بيدك فافعل بنا ما هو صالح وحق في عينيك أن تعمل . ففعل بهم هـكذا .. وجعلهم يشوع في ذلك اليوم محتطبى حطب ومستقى مـاء للجماعة ولمذبح الرب الى هـذا اليوم » (يشـوع ٩ : ١ ـ ٢٦) . وكان اليهود يعاملون الاسرى أبشع معاملة ويسخرونهم في أكثر الاعمال ضعة ومشقة كما رأينا ، كاحتطاب الحطب وجلب المـاء وفلاحة الحقول وطحن الحنطة ورفع الاثقال وسائر خدمات البيوت وغسل أرجل سادتهم . واذ كان الاسير معتبرا مملوكا لسيده كان للسيد حق التصرف فيه كيف يشاء كأى متاع من أمتعته . وكان له حق بيعه متى شاء . وكان الثمن المحدد لشراء العبد بخسا جدا لدناءة شأنه ، فلم يكن يتجاوز بالعملة المتداولة في تلك الايام ثلاثين شاقلا ، أى ما لا تزيد قيمته في هـــذه الايام على أربعة جنيهات . وقد أجازت الشريعة لليهودى الذى تقع في يده احدى السبايا الجميلات أن يتزوجها بعد أن يحلق شعر رأسها وتقلم أظافرها ، وينزع عنها الثياب التى كانت ترتديها عند وقوعها في السبى (التثنية ٢١ : ١٠ ـ ١٤) .

٨ ـ الغنائم والاسلاب

كان اليهود اذا أغاروا على بلـد من البـلاد نهبوها ، وأخذوا كل ما فيها من غنائم وأسلاب ، اذ جاء في سفر التثنية « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها .. فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها

فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك »
(التثنية ٢٠ : ١٠ ــ ١٤) ٠

أما قاعدة تقسيم الغنائم فقد وردت فى سفر العــدد عندما حارب اليهود المديانيين بقيادة موسى النبى ، اذ جــاء فى هـــذا السفر « فتجندوا على مديان ٠٠ وقتلوا كل ذكر ٠ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم ٠٠ وكلم الرب موسى قائـــلا أحص النهب المسبى من الناس والبهائم أنت والعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة ، ونصف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين الى الحرب وبين كل الجماعة ٠ وارفع زكاة للرب ، من رجال الحرب الخارجين الى القتال واحدة ٠ نفسا من كل خمسمائة من الناس والبقر والحمير والغنم ٠ من نصفهم تأخذونهـــا وتعطونهـــا لالعازار الكاهن رفيعة للرب ٠ ومن نصف بنى اسرائيل تأخــذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم ، من جميع البهائم وتعطيها للاويين الحافظــين شعائر مسكن الرب » (العدد ٣١ : ٧ ــ ٣٠) ٠ وجاء فى سفر صموئيل ان الملك داود قال لرجاله بعد حربه مع كل اهل بيته ، وقد حدث أنه حين أغار نصيب الذى يقيم عند الامتعة ، فانهم يقتسمون بالسوية ٠ وكان من ذلك فصاعدا أنه جعلها فريضة وقضاء لاسرائيل » (صموئيل الاول ٣٠ : ٣٤ و ٣٥) وكانت عقوبة الذى يسرق من الغنائم قبل قسمتها هى الموت مع أهل بيته ، وقد حدث أنه حين أغــار اليهود على أريحا ، وأخذ رجـــل من سبط يهوذا يسمى عخان بن كرمى بعض الغنيمة لنفسه ، فحاكمه قائد اليهود يشوع بن نون ٠ وقــد جــاء عن ذلك فى سفر يشوع « فقال يشــوع لعخان ٠٠ اخبرنى الآن ماذا عملت ٠٠ فأجاب عخان يشوع وقال ٠٠ رأيت فى الغنيمة رداء شنعاريا نفيسا ومائتى شاقل فضــة ولســـان ذهب وزنه خمسون شاقلا ، فاشتهيتها وأخذتها وها هى مطمورة فى الارض وسط خيمتى ٠٠ فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضـــة

والرداء ولسان الذهب وبنيه وبنـــاته وبقره وحميره وغنمـه وخيمته وكل ما له وجمع اسرائيل معه وصعدوا بهم الى وادى عخور ٠٠ فرجمه جميع اسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ٠٠ وأقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة الى هذا اليوم » (يشوع ٧ : ١ ـ ٢٦) ٠

ومما ورد في التوراة عن نهب اليهود للشعوب التى يغيرون عليها أنه جـاء فى سفر التكوين « فحدث فى اليوم الثالث ٠٠ أن ابنى يعقوب شمعون ولاوى ٠٠ أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة يأمن وقتلا كل ذكر ٠٠ ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة ٠٠ غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما فى البيوت » (التكوين ٣٤ : ٢٥ ـ ٢٩) ٠

وجاء فى سفر العدد أن اليهود حـين حاربوا المديانيين ٠٠ « فتجندوا على مديان ٠٠ وقتلوا كل ذكر ٠ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم : أوى وراقم وصور ورابع ٠٠ وسبى بنو اسرائيل نســـاء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم ٠٠ وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتوا الى موسى والعازار الكاهن والى جماعة بنى اسرائيل بالسبى والنهب والغنيمة ٠٠ وكان النهب فضلة الغنيمة التى اغتنمها رجال الجند من الغنم ستمائة وخمسة وسبعين ألفا ، ومن البقر اثنين وسبعين ألفا ، ومن الحمير واحدا وستين ألفا ، ومن نفوس الناس من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفا » (العدد ٣١ : ٧ ـ ١٢ و ٣٢ ـ ٣٥) ٠

وجاء فى سفر يشوع ان اليهود حين استولوا على مدينة أريحا

أحرقوها بالنار وذبحوا كل ما بهـا من الاحياء حتى البهائم ٠٠ « انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزانة بيت الرب » (يشوع ٦ : ٢٤ » وحين استولى اليهود على مدينـة عـاى ، ذبحوا كل سكانها ٠٠ « لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها اسرائيل لانفسهم » (يشوع ٨ : ٢٧) ٠ وحين اسـتولى اليهود على مدن حاصور ومادون وشمرون وأكشاف ، ومدن العربة والكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والحويين، أحرقوا هـذه المدن وذبحو كل سكانها ٠٠ « وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو اسرائيل لانفسهم » (يشوع ١١ : ١٤) ٠

وجاء في سفر صموئيل ان اليهود حاربوا الفلسطينيين ٠٠ « فضربوا فى ذلك اليوم الفلسطينيين من مخماس الى أيلون ٠٠ وثار الشعب على الغنيمة فأخذوا غنما وبقرا وعجولا وذبحوا ٠٠ وقال شاول (ملك اليهود) لتنزل وراء الفلسطينيين ليلا وننهبهم الى ضوء الصباح » (صموئيل الاول ١٤ : ٣١ ــ ٣٦) ٠ كما جاء فى هـذا السفر ان الملك داود أغار على الفلسطينيين وانتصر عليهم ٠٠ « ورجع الشـعب (اليهودى) وراءه للنهب فقط » (صموئيل الثانى ٢٣ : ١٠) ٠

وجاء في سفر الملوك ان اليهود حاربوا الآراميين ٠٠ « فخرج الشعب (اليهودى) ونهبوا محلة الآراميين » (الملوك الثـانى ٧ : ١٦) ٠

وجاء فى سفر أخبار الايام أن بعض أسباط اليهود وهـم بنو رأوبين والجاديون ونصف سبط منسى ٠ ٠ أربعة وأربعـون ألفا وسبعمائة وستون من الخارجين في الجيش ، وعملوا حربا مع الهاجريين ويطور ونافيش ونوداب ، فانتصروا عليهم ٠٠ ونهبوا مواشيهم : جمالهم خمسين ألفا وغنما مائتين وخمسين ألفا وحميرا

ألفين ، وسبوا أناسا مائة ألف ·· وسكنوا مكانهم » (أخبار الايام الأول ٥ : ١٨ ــ ٢٢) · كما جاء في هــذا السفر أن آسا ملك يهوذا حارب الكوشيين وهزمهم ·· « وطردهم آسا والشعب الذي معه الى جرار ·· فحملوا (أي اليهود » غنيمة كثــيرة جــدا · وضربوا جميع المدن التي حول جرار ·· ونهبوا كل المدن ، لأنه كان فيها نهب كثير ، وضربوا أيضا خيام الماشية وساقوا غنما كثيرة وجمالا ثم رجعوا الى أورشليم » (أخبــار الايام الثاني ١٤ : ١٣ ــ ١٥) · وجاء في هذا السفر أن يهوشافاط ملك يهوذا حارب الآراميين والعمونيين والموآبيين ·· « فأتي يهوشافاط وشعبه لنهب أموالهم فوجدوا بينهم أموالا وجثثا وأمتعة ثمينــة بكثرة فأخذوها لانفسهم حتى لم يقدروا أن يحملوها · وكانوا ثلاثة أيام ينهبون الغنيمة لانها كانت كثيرة » (أخبار الايام الثاني ٢٠ : ٢٥) ·

٩ ــ الاحتفال بالانتصار

وكان اليهود حين يغيرون على شعب من الشعوب وينتصرون عليه يقيمون احتفالات صاخبة يطلقون فيا لانفسهم العنان ، معبرين عن فرحهم الهائج بالغناء والرقص والطرب على الدفوف · ومما ورد في التوراة عن ذلك أن اليهود حين استطاعوا عبور البحر الاحمر من مصر الى سيناء بعد انشقاق مياه البحر ، جـــاء في سفر الخروج « فخرجت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها ، وخرجت جميع النســـــاء وراءها بدفوف ورقص » (الخروج ١٥ : ٢٠) · وحين انتصر اليهود على الفلسطينيين بقيادة الملك شاول واستطاع داود أن يقتل جبارهم جليات جــاء في ســـفر صموئيل أنه « كان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطيني أن النساء خرجت من جميع مدن اسرائيل بالغناء والرقص للقاء شاول الملك بدفوف وبفرح وبمثلثات · فأجابت النساء اللاعبات

وقلن ضرب شـــاول ألوفه وداود ربواته » (صـمـوئيل الأول ١٨ : ٦ و ٧) • وحين حارب يهوشافاط ملك يهـوذا الموابيين والعمونيين وانتصر عليهم ، جـاء فى سفر أخبار الايام •• « ثم ارتد كل رجال يهوذا وأورشليم ويهوشافاط يرأسهم ليرجعوا الى أورشليم بفرح لأن الرب فرحهم على أعدائهم ، ودخلوا أورشليم بالرباب والعيدان والابواق الى بيت الرب » (أخبار الايام الثانى ٢٠ : ٢٧ و ٢٨) •

* * *

هذه نبذة قصيرة عن حروب اليهود فى العهد القديم قبـــل ميلاد السيد المسيح ، وما كانوا يستخدمونه فى هـــذه الحروب من الاسلحة ، وينتهجونه من أساليب القتال : استقيناها من أسفار التوارة وحدها ، لنكفل صحة ما فيها من وقائع ومعلومات •

الباب الخامس

الحياة الاجتماعية والاقتصادية عند اليهود

الفصل الأول

الحياة الاجتماعية عند اليهود

تكلمنا في الابحاث السابقة عن نشأة اليهود وعقيدتهم وبعض العوامل والعناصر التي كان لها أثر كبير في مجتمعهم قبل اندثار أمتهم • فلم يبق الا بعض التفصيلات عن حياتهم اليومية وعلاقاتهم الاجتماعية ، وما كانوا يزاولونه من أعمال ، ويمارسونه من عادات ، ويتمسكون به من تقاليد ، ويحافظون عليه من أصول المعاملة وآداب السلوك ، ويميلون اليه من ألوان المتعة واللهو والزينة والخيلاء ، ومن أسباب الفرح في أفراحهم ، ومن أساليب الحزن في أحزانهم • وكيف كانوا يتكلمون وكيف كانوا يكتبون ، وأي قسط نالوا من الحضارة ، وأي أثر كان لهم في الثقافة ، والى أي مدى يمكن اعتبارهم شعبا من الشعوب الجديرة بكل هذا الاهتمام الذي نالوه من العلماء والمفكرين والمؤلفين من رجال الدين وغير رجال الدين • منذ ميلاد السيد المسيح ، طوال ألفين من السنين •

١ ـ نظام الاسرة

نشأ المجتمع اليهودي على أساس نظام الاسرة ، الذي يقوم على السلطان المطلق لرب الاسرة • وقد بدأ الوجود اليهودي بأسرة جدهم الأول ابراهيم ، ثم ابنه اسحق ، ثم حفيده يعقوب الذي أصبح اسمه اسرائيل • وكان لاسرائيل اثنى عشر ولدا ، فأصبح لكل ولد منهم أسرة ، كانت قليلة العدد في البداية ثم لم يلبث أن تزايد عددها مع الايام حتى أصبحت قبيلة ، أو بالتعبير العبري أصبحت « سبطا » ، بالتفصيل الذي سبق أن أوردناه •

وكانت الاسرة تقوم على نظام الزواج الـــذى كان اليهود يعتبرونه واجبـــا مقدسا على كل شـاب • وكانت العادة أن يتم الزواج بطريق الشراء ، فكان الرجل يدفع ثمن المرأة التى يشتريها الى أبيها ، فتصبح ملكا له كأى متاع يملكه • وكان الاسم الذى يطلقه العبرانيون على الزوجة وهو « بولة » يعنى « المملوكة » وقد اشترى يعقوب زوجتيه راحيـل وليئـة من أبيهما لابان ، وقد أخذ الثمن لنفسه فقالتا غاضبتين « باعنا وقد أكل أيضـا ثمننا » (التكوين ٣١ : ١٥) واشترى بوعز زوجته راعوث قائلا لشيوخ مدينته « راعوث الموآبية امرأة محلون قد اشتريتهـا لى امرأة » (راعوث ٤ : ١٠) • واشترى هوشع النبى زوجته بالثمن قائلا « فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولثك شعير » (هوشع ٣ : ٢) • وكانوا يسمون هـذا الثمن فى بعض الاحيان مهرا (الخروج ٢٢ : ١٧) • وكان الرجل يشترى زوجته من أبيها الذى كان له الحق المطلق فى أن يقبل الزواج أو يرفضه • كما كان للاب الحق أحيانا فى أن يخطب لابنه ، ومن أمثلة ذلك أن شمشون قاضى اليهود طلب من أبيه أن يخطب له احـدى بنات الفلسطينيين ، ففعل أبوه ذلك (القضاة ١٤ : ١ ــ ٣) •

وكان الاتفاق على الزواج ودفع الثمن أو المهر يظل فى حكم الخطبة الى أن يقام حفل الزفاف ، فيأخذ الرجـــل زوجته الى داره • ولكن الشريعة اليهودية ، كانت تعتبر الفتاة المخطوبة فى حكم الزوجة ، فاذا زنت كانت تعاقبها بالموت كالمرأة المتزوجة (التثنية ٢٢ : ٢٣ و ٢٤) • كما أنها اذا اتضح بعد الدخول بها أنها لم تكن عذراء ، كانت الشريعة تعاقبها بالموت أيضـــا (التثنية ٢٢ : ٢٠ و ٢١) • وكانت الشريعة تحتم على رئيس الكهنة الا يتزوج الا من عذراء يهودية (اللاويين ٢١ : ١٠ ــ ١٤)

وكان اليهود الاوائل يتزوجون من أقاربهم الاقربين احتفاظا

بعنصرهم ، وتعصبا لجنسهم : فقد كان جدهم الاول ابراهيم مثلا متزوجا من أخته سارة (التكوين ١٩ : ١٢) وكان عمرام أبــو موسى النبى متزوجا من عمته يوكابد (الخروج ٦ : ٢٠) • كما كان الرجل يجمع بين المرأة وأختها ، كما فعل يعقوب ، اذ جمع بين الاختين راحيل وليئة (التكوين ٢٩ : ١٥ ــ ٣٠) • حتى جاءت الشريعة اليهودية على يــد موسى النبى فمنعت الزواج من الأم وامرأة الاب والاخت الشقيقة وغير الشقيقة وابنة الابن وابنة الابنة وابنة امرأة الاب المولودة من الاب ، والعمة ، والخالة وزوجة العم ، وزوجة الابن وزوجة الاخ • كما منعت الجمع بين الام وابنتها ، وبينها وبين ابنة ابنها ، وبينها وبين ابنة ابنتها ، ومنعت الجمع بين الاخت وأختها أثناء حياتها (اللاوين ١٨ : ٦ ــ ١٨) •

وكان اليهود حريصين فى البداية على أن يتزوجوا من جنسهم كما رأينا ، فكان مما يغضبهم أشــد الغضب أن يتزوج أحـــد أبنائهم من زوجة أجنبية • ومن ذلك أن عيســو بن اسحق بن ابراهيم تزوج امرأتين من الحثيين فكانتا كما جـــاء فى ســـفر التكوين « مرارة نفس » لابويه (التكوين ٢٦ : ٢٤) • بيد أنه لم يلبث زواج اليهود بالاجنبيات أن ازداد بالتدريج حتى كاد فى زمن القضاة والملوك أن يصبح هو القاعدة ، ولا سيما فى عهد عبادة اليهود للاوثان واختلاطهم بالوثنيين • وقد بــدأ ذلك منذ آبــاء اليهود أنفسهم من أبناء يعقوب : فقد تزوج يهوذا امرأة كنعانية (التكــوين ٣٨ : ٢) وتزوج يوسف امرأة مصرية (التكــوين ٤١ : ٤٥) • وما من شك فى أن اليهود تزوجوا من المصريين خلال الاربعمائة والثلاثين عاما التى قضوها فى بلادهم • حتى اذا تزعمهم موسى النبى نجد أنه هو نفسه تزوج امرأة مديانية (الخروج ٢ : ١٦) • ثم تسلم موسى الشريعة من اللــه فكانت تتضمن تحذيرا متكررا لليهود من أن يتزوجوا من الاجنبيـــات

الوثنيات (الخروج ٣٤ : ١١ ـ ١٦ ، التثنية ٧ : ١ ـ ٤ ، يشوع ٢٣ : ١٢ و ١٣) ومع ذلك فان اليهود ما بلغوا أثناء رحلتهم فى سيناء بلاد الموآبيين الوثنيين حتى تزوجوا من بناتهم (العدد ٢٥ : ١ ـ ٤) • ثم سبوا فى الحرب نساء المديانيين وتزوجوهن (العدد ٣١ : ١٧ ـ ٣٥) • وبعد أن اغتصب اليهود أراضى الشعوب الوثنية التى كانت تقيم فى أرض كنعان خالطوا الشعوب التى لم يتمكنوا من القضاء عليها ولا سيما الكنعانيين والصيدونيين والحويين والفلسطينيين وتزوجوا من هذه الشعوب (القضاة ٣ : ١ ـ ٧) • وقد تزوج بعض قضاة اليهود نساء أجنبيات ، ولا سيما شمشون (القضاة ١٤ : ١ ـ ٥) • أما فى عهد الملوك فقد كان ملوك اليهود هم قدوتهم فى الزواج من الأجنبيات : فقد تزوج الملك داود مثلا من نساء أجنبيات (صموئيل الأول ٢٥ : ٤٢ و ٤٣) وتزوج الملك سليمان من ابنة فرعون مصر ، كما تزوج نساء موآبيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثيات وغير ذلك ، حتى لقد كانت له كما جاء فى سفر الملوك « سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى » (الملوك الأول ٣ : ١ ، ١١ : ١ ـ ٨) • وتزوج آخاب ملك اسرائيل من ايزابيل ابنة ملك الصيدونيين (الملوك الأول ١٦ : ٢٩ ـ ٣١) وتزوج يهورام ملك يهوذا من ابنة ايزابيل هذه (الملوك الثانى ٨ : ١٦ ـ ١٨) • كما كان أخزيا ملك يهوذا هو ابن عثليا ابنة ايزابيل (الملوك الثانى ٨ : ٢٥ ـ ٢٧) • حتى اذا جاء الأشوريون والبابليون وأخذوا اليهود جميعا الى السبى فى بلادهم الوثنية اختلط اليهود بشعوب تلك البلاد وتزوجوا منها • فلما سمح الفرس لليهود بالعودة الى بلادهم رفض أغلبهم العودة لأنهم كانوا قد تزوجوا فى البلاد التى سكنوها واستقروا بها • وحتى الذين عادوا استمروا يتزوجون من بنات الشعوب الأخرى • وكان أول من فعل ذلك كهنة اليهود ورؤساء كهنتهم ، حتى ليقول نحميا الذى كان يتزعمهم « فى تلك الأيام

أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى ، بل بلسان شعب وشعب ٠٠ وكان واحد من بنى يوياداع بن الياشيب الكاهن صهرا لسنبلط الحورونى » (عزرا ٩ : ١ و ٢ ، ١٠ : ١٨ ، نحميا ١٣ : ٢٣ و ٢٤ و ٢٨) ٠ ثم فى عهد خضوع اليهود لليونان اختلطوا بهم وتزوجوا منهم ٠ وظلوا هكذا يتزوجون من الشعوب الأجنبية الاخرى الوثنية حتى انقض الرومان عليهم وقضوا على أمتهم ٠ بيد أن الشريعة اليهودية على الرغم من أنها حرمت على اليهود الزواج من الأجنبيات أباحت لهم الزواج من النساء اللاتى يأسروهن فى الحروب من الشعوب الأخرى ، وان كانت قد اشترطت لذلك بعض الشروط ، اذ جاء فى سفر الثنية « اذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب الهك الى يدك وسبيت منهم سبيا ورأيت فى السبى امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة ، فحين تدخلها فى بيتك تحلق رأسها وتقلم أظافرها وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد فى بيتك وتبكى أباها وأمها شهرا من الزمان ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها » (التثنية ٢١ : ١٠ ــ ١٣) ٠ وقد حدث أن زوج بعض اليهود بناتهم من عبيدهم الأجانب ، فقد جاء فى سفر الأيام « ولم يكن لشيشان بنون بل بنات ٠ وكان لشيشان عبد مصرى اسمه يرجع ، فأعطى شيشان ابنته ليرجع عبده امرأة » (أخبار الأيام الأول ٢ : ٣٤) ٠

وكان تعدد الزوجات جائزا عند اليهود ، ولم تكن الشريعة اليهودية تمنعه : فقد تزوج ابراهيم جد اليهود من أكثر من زوجة (التكوين ٢٥ : ١) ٠ وكذلك فعل عيسو (التكوين ٢٦ : ٣٤ و ٣٥) ويعقوب (التكوين ٣١ : ٤٨ ــ ٥٠) وجدعون (القضاة ٨ : ٣٠) وشاول (صموئيل الثانى ٥ : ١٣) وداود (صموئيل

الثانى ١٢ : ٨) وسليمان (الملوك الأول ١١ : ٣) ورحبعام (أخبار الأيام الثانى ١١ : ٢١) وأبيا (أخبار الأيام الثانى ١٣ : ٢١) ويوآش (أخبار الأيام الثانى ٢٤ : ٣) وكان يحدث كثيرا أن تكون احدى زوجات الرجل الواحد محبوبة لدى زوجها أكثر من غيرها • ولذلك أرادت الشريعة أن تتلافى بعض نتائج ذلك ، فكان من نصوصها أنه « اذا كان لرجل امرأتان احداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهة ، فان كان الابن البكر للمكروهة • فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا عن ابن المكروهة البكر ، بل يعرف بن المكروهة بكرا ليعطيه نصيبه اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية » (التثنية ٢١ : ١٥ — ١٧) •

وفضلا عن الزوجات كان اليهود يتزوجون السرارى ، وهن فى حكم الشريعة اليهودية زوجات شرعيات من جميع الوجوه ، وان كانت منزلتهن تقل عن سيدة البيت • فكان الرجل يشترى لنفسه ما يشاء من السراوى من بين الأسرى أو العبيد أو الفتيات اللاتى يبيعهن آباؤهن • وكان اتخاذ السرارى شائعا بين اليهود ولا سيما الأغنياء منهم • وممن ذكرت التوراة أنهم كانوا يملكون عددا من السرارى ابراهيم (٢٥ : ٥ — ٦) ويعقوب (التكوين ٣٠ : ١ — ٢٤) وجدعون (القضاة ٨ : ٣٠ و ٣١) وداود (صموئيل الثانى ٥ : ١٣ — ١٦) وسليمان (الملوك الأول ١١ : ١ و ٣) ورحبعام (أخبار الأيام الثانى ١١ : ٢١) •

وكان يحدث أن يتزوج اليهود كذلك بالجاريات • وكانت الزوجة نفسها اذا وجدت أنها عاقر أعطت جاريتها لزوجها لكى تلد له أبناء تنسبهم لنفسها • وقد فعلت ذلك سارة زوجة ابراهيم فأعطته جاريتها هاجر (التكوين ١٦ : ١ و ٢) • كما فعلت ذلك

راحيل زوجة يعقوب فأعطته جاريتها بلهة (التكوين ٣٠ : ١ ــ ١٢) ٠

وكان اليهود شغوفين بالزواج وبالزوجات شغفا يصرفهم عن كل شيء آخر سواه ، ويدفعهم حرصهم على ملازمة زوجاتهم فى بداية الزواج الى الاحجام عن خوض القتال والتخـاذل أمام أعدائهم ٠ وقد راعت الشريعة اليهودية نفسها ذلك ، اذ جاء فى سفر التثنية « اذا أتخذ رجل امرأة جديدة فلا يخرج فى الجنـد ولا يحمل عليه أمر ما ٠ حرا يكون فى بيته سنة واحـدة ويسر امرأته التى أخذها » (التثنية ٢٤ : ٥) ٠ وجاء فيـه كذلك « عندما تقربون من الحرب ٠٠ يخاطب العرفاء الشعب قائلين ٠٠ من هو الرجل الذى خطب امرأة ولم يأخذها ، ليذهب ويرجـع الى بيته » (التثنية ٢٠ : ٢ و ٥ و ٧) ٠

واليهود يعتبرون كثرة الأولاد هبة من الله (التكـوين ٤ : ١) ، ويعتبرون عقم المرأة خزيا لها وعارا يجللها ٠ وقـد كانت راحيل زوجة يعقوب عاقرا ، فلما وهبها الله ولدا قالت « قد نزع الله عارى » (التكوين ٣٠ : ٢٣) ٠ ومن ثـم كان اليهود يتباهون بكثرة الأولاد ، ويسجلون عـددهم فى فخـر وخيلاء ، اذ جاء فى سيرة بعض قضاتهم آنه كان لجدعون سبعين ولدا (القضـاة ٨ : ٣٠) وكان ليائير الجلعـادى ثلاثين ولدا (القضاة ١٠ : ٤) ٠ وكان لأبصان ثلاثين ولدا وثلاثين بنتـا (القضاة ١٢ : ٨) ٠ وكان لعبدون بن هليل الفرعتونى أربعـين ولدا وثلاثين حفيدا (القضاة ١٢ : ١٣ و ١٤) ٠ وقد بلغ حرص اليهود على أن يكون لكل رجـل منهم ولد من صلبه أن الشريعـة قضت بأنه اذا مات رجل دون أن ينجب ولدا كان يتحتم على أخيه أن يتزوج أرملته ، على أن يحمل الولد الأول الذى ينجبه منهـا اسم الأخ الذى مات ٠ وكان عارا كبيرا على الأخ أن يرفض فى

(م ــ ٣١ اليهودية)

هذه الحالة الزواج من أرملة أخيه (التثنيـة ٢٥ : ٥ ـ ١٠) ٠ وقد اشتهرت المرأة اليهودية بشغفها الشديد بالأولاد وفخرهـا بهم ، كما اشتهرت بقدرتها على الحمل والولادة مـرات كثـيرة (الخروج ١ : ٢٠) ٠ ولذلك ظل اليهود منذ نشأتهم يتكاثرون بسرعة عظيمة على الرغم من كل ما كانوا يتعرضون له من حروب ومجاعات وأوبئة ٠ فقد كانوا حـين دخـلوا مصر لا يتجاوزون السبعين رجلا غير النساء (التكوين ٤٦ : ٢٦ و ٢٧) ٠ فلما خرجوا من مصر بعد اربعمائة وثلاثين عاما كانوا قد بلغوا ستمائة ألف رجل من القادرين على الحرب (الخروج ١٢ : ٣٧) ، فاذا أضفنا اليهم العجائز والمرضى والأطفال والنساء تجاوز عددهم المليون ، ثم لم يلبثوا أثناء وجودهم في أرض كنعان أن أصبحوا بضعة ملايين ٠ وقد قضت الشريعة اليهودية ببعض الاجراءات الطقسية التى تتبعها الزوجة حين تلد ، اذ جاء فى سفر اللاويين « اذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام ، كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة ، وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها ٠ كل شىء مقـــدس لا تمس ، والى المقدس لا تجىء حتى تكمـل أيام تطهيرها ٠ وان ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها ، ثم تقييم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها ٠ ومتى كملت أيام تطهيرها لأجـل ابن أو ابنة تأتى بخروف حولى محرقة وفـرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية الى باب خيمة الاجتماع الى الكاهن فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها ٠ هذه شريعة التى تلد ذكرا أو أنثى ، وان لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخى حمام ، الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية ، فيكفر عنها الكاهن فتطهر » (اللاويين ١٢ : ١ ـ ٨) ٠ وقد منحت الشريعة اليهودية الابن البكر مكانة ممتازة بين اخوته ، فكان ينوب عن أبيه أثناء غيابه،وكان ينال نصيب اثنين من اخوته فى الميراث (التثنية ٢١

: ١٧) ، كما كان يختص ببركة أبيه التى كان لها شأن كبير عند اليهود • وكان البكر من الناحية الدينية مكرسا للرب (الخروج ٢٢ : ١٩) • وان كان الله قد اختار سبط اللاويين ليخدموه نيابة عن كل أبكار اليهود (العدد ٣ : ١١ ـ ٣١) • بيد أنه على الرغم من شغف اليهود بالأبناء وزهوهم بهم ، كانوا أحيانا يبيعونهم بسبب الفقر أو سدادا للدين (الخروج٢١:٧) • وقد ورد مثال لذلك فى سفر الملوك اذ جاء فيه « وصرخت الى أليشع امرأة من نساء بنى الأنبياء قائلة ان عبدك زوجى قد مات وأنت تعلم أن عبدك كان يخاف الرب ، فأتى المرابى ليأخذ ولدى له عبدين » (الملوك الثانى ٤ : ١) • وكان بعض الآباء يعرضون بناتهم للزنا ليكتسبوا من وراء ذلك • ولذلك جاء فى سفر اللاويين « لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنا » (اللاويين ١٩ : ٢٩) • وقد قضت الوصايا العشر على الأولاد باكرام أبيهم وأمهم ، فكان الذى يستخف بأبيه وأمه ملعونا فى الشريعة (التثنية ٢٧ : ١٦) • أما الذى يلعن أباه أو أمه فعقوبته فى الشريعة هى الموت (اللاويين ٢٠ : ١) •

وقد فرضت الشريعة اليهودية على الزوج والزوجة ألا يخون أحدهما أو كلاهما الرابطة التى تربط بينهما ، ففرضت أشد العقوبات على الزنا ، وقد جعلت اقترافه من الخطورة بحيث نصت عليه فى الوصايا العشر التى هى أساس الشريعة ، وقضت بالموت على الزوج اذا زنا بامرأة أخرى متزوجة أو مخطوبة ، كما قضت بالموت على الزوجة الزانية (التثنية ٢٢ : ٢٢) • وقضت بالموت على العذراء المخطوبة اذا زنت لأنها فى حكم الزوجة (التثنية ٢٢ : ٢٣) • وقضت أيضا بالموت على الزوجة اذا اكتشف زوجها عند الدخول بها أنها غير عذراء ، أى أنها سبق أن زنت قبل زواجها (التثنية ٢٢ : ١٣) • ومع ذلك فقد كان اليهود أكثر الشعوب ميلا الى الزنا فى أقبح وأقذر صورة ، حتى

لقد كان الرجل يزنى مع أمه أو أخته أو خالته أو عمته أو زوجة أبيه أو زوجة أخيه او زوجة ابنه أو زوجة خاله أو زوجة عمه أو أم زوجته ، بل لقد كانوا يزنون الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة ، بل لقد انحدروا الى أحط دركات الحيوانية فى أبشع صورها ، اذ كانوا يزنون حتى مع البهائم • وقد تغاضى أكثر اليهود عن أحكام الشريعة فى كل عصورهم • وقد شجعهم على ذلك أن الشريعة لم تضع الا جزاء بسيطا على الزنا بالاماء اليهوديات (اللاويين ١٩ : ٢٠ ـ ٢٢) • كما لم يرد فى الشريعة نص يحرم الزنا بالأجنبيات •

وكانت الزوجة هى التى ترعى شئون الأبناء وشئون المنزل عموما : فكانت تهيىء الطعام ، وتطحن الغلال ، وتجلب الماء من البئر ، وتغزل الصوف ، وتصنع الثياب • كما كانت ترعى الماشية • وكانت تستقبل الضيوف فى البيت ، وتغنى وترقص الاحتفالات • وقد تحدثت التوراة عن نساء يهوديات ذوات اقتدار ، منهن مريم أخت موسى التى كانت نبية (الخروج ١٥ : ٢٠) ، ومنهن المرأة التى اشتركت فى الحرب واستطاعت أن تقتل قائد الأعداء (القضاة ٩ : ٥٠ ـ ٥٤) ودبورة التى كانت قاضية لليهود (القضاة ٤ : ـ ٤ ـ ٩) • كما اشتغلت كثيرات من النساء بالسحر على الرغم من أن الشريعة كانت تقضى بموت الساحرة (الخروج ٢٢ : ١٨) •

وقد اشتهرت اليهوديات بالتبرج فى ملابسهن والخلاعة فى تصرفاتهن • فجاء فى سفر اشعياء « قال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن ، يصلع السيد هامة بنات صهيون • ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب •

والسلاسل والمناطق ٠٠ والخواتم وخـــزائم الأنف والثيـــاب المزخرفة ٠٠ والمرائى والقمصان ٠٠ فيكـــون عوض الطيب عفونة ، وعوض المنطقة حبل ، وعوض الجدائل قرعة ، وعوض الديباج زنار مسح » (أشعياء ٣ : ١٦ ـ ٢٤) ٠ غير أن المرأة اذا مات زوجها ، كانت تقضى التقاليد عليها بأن تلبس ثيـــابا خاصة (التكوين ٣٨ : ١٤ و١٩٠) ٠ وأن تنزع حليها وترخى شعر رأسها ٠

وكانت الشريعة تبيح الطلاق للرجـل بمحض ارادته متى شاء ولا تبيحه للمرأة ٠ ولم يكن طلاق الرجل لزوجتـه يتطلب منه الا أن يعطيها وثيقة بطلاقها ٠ ولكنه لا يستطيع بعد ذلك أن يردها اذا كانت قد تزوجت بعده رجلا آخر ، اذ جاء فى سـفر التثنية « اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته ٠ ومتى خرجت من بيته ذهبت وصـارت لرجل آخر ٠ فان أبغضها الرجل الآخر وكتب لها كتـاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته ، أو اذا مات الرجل الآخـر الذى اتخذها له زوجة ، لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست » (التثنية ٢٤ : ١ـ٥) ٠

٢ ـ الحيـاة المنزلية

كان الآباء الأوائل لليهود يسكنون ، كسائر الرعاة والبدو ، فى خيام يقيمونها من الجلود على أعمدة من الخشب ، ويضـمون شقائقها بالحبال ، ثم يثبتونهـا فى الأرض بالأوتـاد (اشـعياء ٥٤ : ٢) ٠ ولم يلبثوا أن اتقنوا صناعة الخيام هـذه فجعلوها ذات غرف عديدة ، وفرشوها بالأبسطة وفراء الماشية ، فكانوا ولا سيما الأغنياء منهم يوفرون فى خيامهم كثيرا من وسـائل

الراحة ومظاهر الثراء • وقد ظل اليهود يسكنون الخيام منذ نشأتهم حتى استقروا بعد مئات السنين فى أرض حبرون ، فبدأوا هناك يبنون البيوت ولا سيما في المدن والقرى •

وكان الفقراء ـ وقد ظلوا هم الأغلبية العظمى بين اليهود ـ يبنون بيوتهم بكتل من الطين أو القوالب الطينية ، ويصنعون سقوفها من أغصان الشجر يضمونها بعضها الى البعض الآخر ، ثم يغطونها بطبقة من الطين • وكان البيت فى الغالب يتكون من طابق واحد ذى غرفة واحدة ، تلاصقها حظيرة للماشية • أما الأغنياء فكانوا يبنون بيوتهم بالحجارة المنحوتة (عاموس ٥ : ١١) • ويجعلونها كثيرة الحجرات فسيحة الردهات متعددة الطبقات ، ذات سقوفَ من خشب الأرز الثمين (ارميا ٢٢ : ١٤) محوطة من أعلاها بسياج (التثنية ٢٢ : ٨) • وكانوا يخصصون بعض حجرات بيوتهم لاستقبال الضيوف وبعضها للطعام وبعضها للنوم • ويجعلون النوافذ للتهوية صيفا ، والمواقد للتدفئة شتاء (ارميا ٣٦ : ٢٢) • وكانوا يغلفون حوائط بيوتهم من الداخل بخشب لبنان ، ويزخرفونها بالذهب والفضة والعاج (الملوك الأول ٢٢ : ٣٩ ، المزمور ٤٥ : ٨ عاموس ٣ : ١٥) •

وكان فقراء اليهود يجلسون وينامون على الأرض أو الأبسطة الرخيصة • أما أغنياؤهم فكانوا يجلسون على المقاعد وينامون على الأسرة • وكانت مقاعدهم وأسرتهم تتناسب فى فخامتها وأناقتها مع ثرواتهم • فكان بعضهم يصنعها من الخشب أو الحديد (التثنية ٣ : ١١ ، نشيد الانشاد ٣ : ٩) • وأما كبار أثريائهم فكانوا يصنعونها من الذهب والفضة والعاج ويطعمونها بالجواهر الكريمة (عاموس ٦ : ٤) ، ويفرشونها بالحرير والديباج والأغطية الفاخرة (عاموس ٣ : ١٢ ، الأمثال ٧ : ١٦) •

وكان اليهود فى بداية عهدهم يتناولون طعامهم على قطعة

مستديرة من الجلد ذات عرى على جوانبها يمر بها خيط • فكانوا حين يأكلون يضعون هذه القطعة من الجلد على الأرض أو على بساط ، ثم اذا انتهوا من أكلهم جمعوا أطرافها بالخيط الذى يمر فى عراها ورفعوها • وكانوا يعجنون على هذه القطعة من الجلد عجين خبزهم • ولكن اليهود لم يلبثوا ولا سيما بعد عودتهم من السبى أن أصبحوا ـ وعلى الخصوص الأغنياء منهم ـ يتناولون طعامهم على موائد مرتفعة عن الأرض يجلسون حولها متكئين ، بحيث يكون وجه المتكىء متجها نحو المائدة وقدماه الى ظهر المقعد الجالس عليه ، وقد أسند مرفقه الأيسر الى وسادة ، واستخدم يده اليمنى فى تناول الطعام • وفى عهد خضوع اليهود لليونان ثم للرومان واقتباسهم عوائدهم ، كانت مائدة الطعام لديهم تتكون من ثلاث مناضد توضع فى هيئة ثلاثة أرباع مربع • بحيث يتسنى للخدم استخدام الفراغ المتروك بين المناضد الثلاث لتقديم الطعام للمتكئين • وكانت العادة أن رئيس الوليمة وهو رب البيت أو الضيف موضع التكريم أو أعظم الموجودين مقاما يجلس على رأس المائدة التى كانت توضع فى صدر المكان ، فى مواجهة باب الدخول الى غرفة الطعام (صموئيل الأول ٩ : ٢٢ ، متى ٢٣ : ٦ ، لوقا ١٤ : ٨ و ٩) وكان من التقاليد المتبعة أن رئيس الوليمة يبدأها بأن يتناول كأسا من الخمر ويشرب منها ثم يديرها على الجالسين جميعا ليشربوا منها جميعا أيضا •

وكان اليهود يضيئون منازلهم بواسطة السراج ، وهو وعاء من الفخار أو النحاس كانوا يضعون فيه سائلا قابلا للاشتعال كالزيت أو النفط أ والقطران ، ويغمسون فيه فتيلا ثم يشعلونه، ويبقونه مشتعلا فلا يطفئونه طول الليل ، لأن اطفاءه كان معتبرا لديهم دليلا على الفقر الشديد أو البيت المهجور •• (أيوب ١٨ : ٦ ، ارميا ٢٥ : ١٠) فى حين أنهم كانوا يعتبرون اضاءة السراج دليلا على الثروة والبركة (الأمثال ١٣ : ٩) •• كما

أنهم كانوا يعتبرونه دليلا على وفاء سيدة البيت وحسن تدبيرها (الأمثال ٣١ : ١٨) ٠

وكان اليهود يرتدون فى البداية ملابس تشبه تقريبا ما نراه فى هذه الأيام من ملابس البدو ورعاة الأغنام ، ثم أثناء وجودهم فى مصر تحت حكم المصريين ، تأثرت أزياء ملابسهم ولا شك بأزياء ملابس المصريين ٠ ثم حين احتلوا أرض كنعان وخالطوا الشعوب المختلفة تأثرت أزياؤهم كذلك بأزياء تلك الشعوب ٠ بيد أنهم لم يلبثوا — ولا سيما بعد السبى — أن أصبح لهم زى خاص بهم ٠

وكانت ملابس الرجل اليهودى العادى تتألف عادة من الثوب الداخلى، والرداء الخارجى، والعصابة، والحذاء ٠ فكان الثوب الداخلى قميصا من الصوف أو الكتان، لا يتجاوز الركبتين، و لاأكمام له ٠ ثم لم يلبث مع الوقت أن ازداد طوله وأضيفت الأكمام اليه ٠ وكان هذا هو المخصص للعمل اليومى ٠ أما الثوب الخارجى ، وكانوا يسمونه الرداء (متى ٥ : ٤٠) فكان شقة مربعة أو مستطيلة من النسيج يبلغ عرضها ستة أقدام ويبلغ طولها من ستة أقدام الى تسعة أقدام ٠ وكان الرجل يضعها على كتفه أو تحت ابطه ، ولكنه فى العادة كان يلفها حول جسده فوق ثوبه الداخلى، وكان يتغطى بها عند النوم اذا كان فقيرا ٠ وكانت الشريعة اليهودية تحتم وضع جدائل أو أهداب فى أطراف هذا الثوب الخارجى ، ذات عصابة أسمانجونية ، أى زرقاء اللون : ليتذكروا بها على الدوام وصايا ربهم ، اذ جاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهدابا فى أذيال ثيابهم فى أجيالهم ، ويجعلوا على هدب الذيل عصابة من أسمانجونى ، فتكون لكم هدبا فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التى أنتم

فاسقون وراءها ، لكي تذكروا وتعملوا كل وصاياى وتكونون مقدسين لالهكم » (العدد ١٥ : ٣٧ ـ ٤٠) ٠ وأما العصابة فهى قطعة مستطيلة ومطوية من النسيج كان يضعها الرجل على رأسه لوقايته من الشمس، أو كان يلفها حول رأسه على شكل عمامة ٠ وأما الحذاء ، فكان نعلا من الخشب أو الجلد يربطه الرجل الى قدمه بخيط أو سير من الجلد (التكوين ١٤ : ٢٣ ، اشعياء ٥ : ٢٧) ٠ ولما كان هذا النعل لا يقى الأقدام من أتربة الطريق وأوحاله ، اعتاد اليهود أن يخلعوا نعالهم عند دخول بيوتهم وغسل أقدامهم ٠ وكان من مظاهر التكريم للضيف عندهم أن يقدم صاحب البيت الماء لضيفه بمجرد دخوله عنده ليغسل قدميه (التكوين ٢٤ : ٣٢ ، لوقا ٧ : ٤٤) ٠ كما أنه كان من واجبات الخدم والعبيد فى بيوت الأثرياء حل سيور نعال سادتهم وغسل أقدامهم (مرقس ١ : ٧ ، يوحنا ١٣ : ١ ـ ١٦) ٠ وكان من ملابس اليهود كذلك حزام من الجلد أو الصوف أو البوص يسمونه المنطقة أو الزنار ٠ وكان الرجل يربطه على خصره حول ثوبه الداخلى ، ويستخدمه فى حمل نقوده (متى ١٠ : ٩) ٠ وكذلك فى حمل سلاحه (صموئيل الاول ٢٠ : ٨)٠ وكان اليهودى حين يسافر أو يذهب الى عمله يأخذ معه حقيبة من الجلد أو القماش ، يضع فيا زاده ويعلقها بسير من الجلد على كتفه ، وكانوا يسمونها الجراب (صموئيل الاول ١٧ : ٤٠) ٠ ومما قضت به الشريعة اليهودية ألا يلبس رجل ثياب امرأة ، أو أن تلبس امرأة ثياب رجل لان ذلك مكروه عند الله (التثنية ٢٢ : ٥) ٠ كما جاء فى سفر التثنية « لاتلبس ثوبا مختلطا صوفا وكتانا معا » (التثنية ٢٢ : ١١) ٠

أما ملابس النساء اليهوديات من عامة الشعب فلم تكن تختلف عن ملابس الرجال ، الا فى أن الرداء الخارجى للنساء كان أكثر اتساعا ، فكان يسمى المئزر أو الازار (مرقس ١٤ : ٥١) ٠

كما أن النســـاء كن يضعن على وجوههن اللثـــام أو البرقع (التكوين ٢٤ : ٦٥) ويحملن فى أيديهن المناديل أو يخفين بها وجوههن (الأعمال ١٩ : ١٢) • وكن يتحلين بالانواع الرخيصة من الجواهر ، كالاقراط فى آذانهن والخزامـــات فى أنوفهن ، والاساور فى أيديهن ، والخلاخيل فى أقدامهن •

وكان ثمة عند اليهود طبقات ممتازة تعيش على النمط الذى كانت تعيش عليـه الطبقات الممتازة من مثيلاتها عنـــد الامم الاخرى ، ولا سيما الملوك والكهنة والاغنياء ، وقـد أغرق ملوك اليهود ـ على الرغم من حقـارة شـــأن دولتهم ـ فى محاكاة ملوك أعظم الدول فى تلك العهود ، وما كانوا يحيطون به أنفسهم من مظاهر العظمة والفخامة والضخامة والثراء العريض ، وكثرة النساء والخدم والحشم والعبيد والجنود ، ولعـل سـيرة الملك سليمان أبرز مثـل لمـا كان عليه ملوك اليهود من شغف بتلك المظاهر الملكية الفاخرة ، فقد أقام لنفسه قصرا بلغ من ضخامته أن بناءه استغرق ثلاث عشرة سنة ، وبلغ من فخامته أنه استخدم فى تشييده وتزيينه وزخرفته أطنانا من الذهب والفضة والنحاس والعاج والابنوس وخشب الارز والحجارة الكريمة (الملوك الاول ٧ : ١ ـ ١٢ ، ١٠ : ١٤ ـ ٢٩) • وقد تزوج ألف امرأة (الملوك الاول ١١ : ١ ـ ٣) • وكانت ملابســـه من الحرير المطرز بالذهب والمرصع بالجواهر الكريمة • وكان من مظاهر تكريم الملوك لضيوفهم وكل من ينال رضاهم أن يهدوهم الثياب الفاخرة (الملوك الثانى ٥ : و ١٢) • أما الكهنة فقد كان لهم زى خاص يميزهم عن سائر الشعب ، ولا سيما قلانسهم أو عماماتهم التى كانوا يصنعونها من البوص والكتان (الخروج ٢٨ : ٣٩) • وأما ملابس رئيس الكهنة فكانت تشـــبه فى فخامتها ملابس المـلوك (الخروج ٢٨ : ١ ـ ٣٩) • وكان أغنياء اليهود يرتدون الملابس الحريرية الفاخرة • وكان كثيرون منهم فى عهـــد خضوعهم

لليونان ثم للرومان يرتدون الأزياء اليونانية أو الرومانية تشبها بهم وتذلفا اليهم • وقد اشتهرت النساء اليهوديات ولا سيما ذوات الثراء بالخلاعة والتبرج والمغالاة فى تزيين أنفسهن بالثياب الحريرية الشفافة ، والحلى الذهبية والفضية المرصعة بالجواهر الكريمة ، وقد ذكر اشعياء النبى بعض هذه الحلى وهو يصب سخطه ونقمته على رقاعة اليهوديات ومجونهن ، فكان منها الاوساور والعصائب والسلاسل والمناطق والخواتم والخزائم واهلة والحلقان والخلاخيل ذات الأجراس التى تخشخش حين يتمخطرن فى مشيتهن ، فضلا عن الروائح العطرية التى يتضمخن بها ، وجدائل الشعر التى يبرزن بها مفاتنهن ، والمرايا التى يمسكنها فى أيديهن ولا يفتأن ينظرن فيها مختالات بجمالهن ، ملفتات أنظار الناس بخلاعتهن وتبرجهن ورقاعتهن (اشعياء ٣ : ١٦ ــ ٢٤) • كما كان ثمة طوائف أخرى من اليهود تتعمد اتخاذ زى خاص بها يجعلها مميزة عن سائر الشعوب لتكون موضع التكريم ، والتبجيل ولا سيما الفريسيون الذين اذ كانت الشريعة اليهودية تقضى بوضع أهداب فى أطراف ثيابهم ، كانوا هم يجعلون أهدابهم أطول من أهداب سائر الناس ، واذ كان من مظاهر التمسك بالشريعة لدى اليهود أنهم كانوا يضعون عصائب على جباههم أو أذرعهم تتضمن بعض آيات التوراة ، كان الفريسيون يجعلون عصائبهم أعرض من عصائب سائر الناس (متى ٢٣ : ٥) •

وكان طعام الغالبية العظمى من اليهود ولا سيما فى عصر بداوتهم الاولى هو الخبز واللبن والزبد والعسل ولحم الماشية • ثم حين استقروا فى أرض حبرون ، أصبحوا يأكلون من نتاج حقول هذه الارض وحدائقها وكرومها • وكان من ذلك النتاج العدس والحنطة والشعير والفول والزيتون والتين والرمان والعنب والجميز ، والزيت والخمر والخل ، كما كانوا يأكلون

الطير والبيض والسمك والجراد ، وكانت نساء الفقراء يقمن بطبخ الطعام لعائلاتهن ، كما كن يقمن بطحن الغلال كل يوم على الرحى لخبز ذلك اليوم • ولم تكن وجبـــة الفقراء تتألف الا من الخبز ونوع واحد من البقول أو الخضراوات ، وكان فى الغالب هو العدس (التكوين ٢٥ : ٢٤) • وكانوا يتناولون ثلاث وجبات هى الافطار والغداء والعشاء • وكانت الوجبة الرئيسية عندهم هى العشاء ، اذ يكون جميع أفراد الاسرة قـد عـادوا من أعمالهم • وقد حددت الشريعة اليهودية ما يحل أكله من الاطعمة باعتباره طاهرا ، ومالا يحل أكله باعتباره نجسا • ومن الاطعمة التى اعتبرتها الشريعة طاهرة الجراد والجندب ، ومن الاطعمة التى اعتبرتها نجسة لحم الجمـــل والارنب والخنزير والنسر والباشق والنعامة والهـــدهد ، وكل البهـائم ذات الظلف غير المشقوق التى لا تجتر ، والتى تمشى على كفوفها ، وكل دبيب الطير الذى يمشى على أربع ، أو يمشى على بطنه ، وكل ما ليس له حرشف أو زعانف من أسماك البحر وما فى حكمها ، وغير ذلك ، بالتفصيل الذى سبق أن أوردناه عند الكلام عن الطهارة والنجاسة فى الشريعة اليهودية (اللاويين ١١ : ١ ـ ٤٧) • بيد أن اليهود لم يلبثوا ان تشبهوا بالامم التى خالطتهم أو سيطرت عليهم ، فلم يتمسكوا كثيرا بهـذه الاحكام التى فرضتها عليهم شريعتهم • فكانوا مثلا يرعون الخنازير (مرقس ١٥ : ١١ ـ ١٣، لوقا ١٥ : ١٥) • وكان بعضهن يقدم الخنازير ذبيحة للآلهـة الوثنية (اشعياء ٦٥ : ٤ ، ٦٦ : ١٧) • كما كان بعضهم يأكلون لحمها ، ولا سيما فى عهد خضوع اليهود لليونان (المكابيين الاول ٤٧ و ٥٠ ، المكابيين الثانى ٦ : ١٨ و ٢١ ، ٧ : ١) •

وكانت الشريعة اليهودية اذ تهتم بالطهـــارة ، تهتم كذلك بالنظـــافة التى هى من مظاهرهـــا • ولان اليهود فى عهــد بداوتهم الأولى كانوا فى أشــد الحاجة لان يتعلموا النظافة على

الاقل من الناحية الجسدية . أما من الناحية الروحية فكان ذلك أمرا فوق ادراكهم وفوق طاقتهم وبعيدا كل البعد عن فطرتهم الهمجية واستعدادهم البهيمى . ومن ثم حتمت الشريعة على اليهود غسل أجسادهم وثيابهم وكل مقتضياتهم فى كل وقت وكل مناسبة . فكان واجبا محتما على اليهودى أن يغسل جسمه وثيابه على الفور اذا مس أى شىء تعتبره الشريعة نجسا ، أو ارتكب أمرا تعتبره الشريعة رجسا ، أو تم شفاؤه من مرض من الامراض الدنسة كالبرص (اللاويين ١٤ : ٨ ، ١٥ : ٥ ، ١٧ : ١٥ ، العدد ١٩ : ٧ و ٨) . كما كان ذلك واجبا عليه بمجرد أن يعود من السفر أو السوق . وكان واجبا عليه أن يغسل يديه قبل الاكل وبعده (مرقس ٧ : ٣ و ٤) ، فاذا لم يفعل ذلك اعتبرته الشريعة نجسا . وكانت الشريعة تفرض على الكهنة أقسى فرائض النظافة والاغتسال قبل قيامهم بالطقوس الدينية، وقد خصصت لذلك مكانا خارج خيمة الاجتماع وخارج هيكل أورشليم يسمى المرحضة ، فكان يتحتم على الكهنة أن يغتسلوا فيها قبل دخول بيت الله (الخروج ٣٠ : ١٩ ــ ٢١) . وكان يتحتم على رئيس الكهنة أن يغتسل قبل تنصيبه ، وان يكرر الاغتسال فى يوم الكفارة قبل كل طقس يمارسه (اللاويين ٦ : ٨ ، ١٦ : ٤ و ٢٤) . وقد خصص التلمود معظم أبوابه لشرح أحكام الطهارة والاغتسال وما لهما فى الدين من خطر عظيم . وقد رأينا أن طائفة اليهود المتزمتين المعروفين بالفريسيين كانوا يفرضون على أتباعهم الاستمرار فى غسل أيديهم وأوانيهم قبل تناول الطعام حتى ينتهوا أثناء ذلك من تلاوة ست وعشرين صلاة خصصوها لهذا الغرض ، وكانوا يعتبرون ان اهمال ذلك يؤدى بالانسان الى الهلاك وحرمانه من الحياة الابدية ، فاذا لم يجد الانسان ماء لهذا الغرض فرضوا عليه أن يذهب ليبحث عنه الى مسافة أربعة أميال . ويا ليت عناية اليهود بنظافة أجسامهم من الخارج أدى الى العناية بنظافة

نفوسهم وأرواحهم من الداخل · ولكن هـــذا لم يحدث لهـم طوال تاريخهم حتى اندثار أمتهم ، وانما ظلوا كما قال عنهم السيد المسيح يشبهون « القبور المبيضة التى تبدو من الخارج جميلة ، فى حين انها من الداخل ممتلئة عظـــام أموات وكل نجاسـة » (متى ٢٣ : ٢٧) ·

٣ ـ الحياة المدنية

كان فى بلاد اليهود عدد كبير من المدن ، التى وجدوها حين أغاروا على أرض كنعان فاغتصبوها من أصحابها الاصليين · كما أنهم قاموا ببناء بعض المدن بأنفسهم بعد ذلك · وقد تدرب اليهود على بناء المدن حين كانوا فى مصر ، اذ جـاء فى ســفر الخروج « فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم · فبنوا لفرعون مدينتى مخازن : فيثوم ورعمسيس » (الخروج ١ : ١١) · ولكنهم مع ذلك لم يكونوا بنائين ماهرين ، لأن ملكهم سليمان حين بنى هيكل أورشليم اسـتعان بالبنائين الفينيقيين (الملوك الاول ٥ : ١٧ و ١٨) · وتحدثنا التوراة عن القصور الفخمة التى كان يقيم فيها ملوك اليهود ولا سيما قصر سليمان الذى بناه بجوار هيكل أورشليم ، وقـد استغرق بنـاؤه ثلاث عشرة سنة ، وكان يشتمل على عـدد كبير من الغرف والابهـاء والقاعات الزاخرة بالاعمدة ، والمبطنـة بخشب الارز المزدان بالزخارف الذهبية ، ولا سيما قاعة العرش التى كان يجلس فيها سليمان لتصريف شئون مملكته وللقضاء بين رعاياه (المـلوك الاول ٧ : ١ ـ ١٢) · وكان ملوك اليهود وأغنياؤهم يزينون جدران قصورهم وسقوفها بالصور والزخارف الملونة (ارميـــا ٢٢ : ١٤ ، حزقيال ٢٣ : ٤) ويضيئونها فى الليـــل بالمنائر المتعددة المسارج والمصابيح ·

وكانت المدن تزخر بالاسواق التى كانت تتجمع فيها المتاجر

على جوانب الشوارع أو الساحات المسقوفة أو غير المسقوفة ٠ وكانوا فضلا عن استخدام الأسواق والساحات فى البيع والشراء يستخدمونها فى عقـــد الاجتماعات واجراء المحاكمات ، وكان يجتمع فيها المرضى عسى أن يجدوا من يشفيهم ، والعاطلون عسى أن يجدوا من يستخدمهم ، كما كان يجتمع فيها الاطفال للهـو واللعب ، ويتخذها الغرباء للمبيت أثناء الليل ٠ وكانت الاسواق والساحات تكثر على الخصوص عند أبواب المدن وبجوار أسوارها وفى ميادينها العامة ٠

وكانت توجد بالمدن فنادق ليقيم فيها الغرباء والمسافرون ، كما كانت توجد الفنادق على جوانب الطرق التى يسلكها المسافرون ليبيتوا فيها أو يستريحوا من عناء السفر (التكوين ٤٢ : ٢٧ ، الخروج ٤ : ٢٤ ، لوقا ١٠ : ٣٤ و ٣٥) ٠

ولا شك فى أن الحياة فى المـدن كانت تختلف عن الحيـاة فى القرى والحقول والمراعى ٠ كما أنه لا شـــك فى أن اليهود الذين كانوا يسكنون المـدن ، قد تأثروا فى طباعهم وعاداتهم بطباع وعادات سكان المدن فى البلاد التى كانت تجـاورهم أو كانت تتسلط عليهم ، ولا سيما الاشوريون والبابليون والفرس واليونان والرومان ٠ كما أنهم تأثروا بهم فى أزيائهم وطراز مبانيهم ٠

٤ ـ طبقات المجتمع

عندما اغتصب اليهود أرض كنعان ووزعوها بين أسباطهم ، راعوا المساواة فيما بينهم ، وقد كفلت الشريعة اليهودية استمرار هـــذه المساواة ، اذ قضت بأن كل من باع أرضـــه يستردها فى سنة اليوبيل ، التى كان يحـــل موعدها كل خمسين سـنة (اللاويين ٢٥ : ١٣) ٠ ولكن اليهود بسبب ما جبلوا عليـه من الطمع والجشع وعبادة المـــال والغدر بالضعفاء لم يلبثوا ان

تنكروا لشريعتهم ، واعتدى كل منهم على حقوق الآخر ، فاختل الميزان ، وظهر بينهم الاغنياء والفقراء • ولم تفتأ الهوة تزداد اتساعا بين أولئك وهؤلاء حتى أصبحوا طبقتين متميزتين متعاديتين • وقد حدث ذلك على الخصوص فى عهد ملوك اليهود ولا سيما فى عهد سليمان ، الذى أدى به الاسراف والمغالاة فى مظاهر العظمة الى فرض الضرائب الباهظة التى كان يعجز الفقراء عن أدائها ، وكان يؤدى بهم أداؤها الى مزيد من الفقر • ولم يلبث عشرات الآلاف من العمال الذين استخدمهم سليمان فى تشييد الهيكل وبناء القصور الضخمة والعمل فى مشروعاته الصناعية والتجارية ، ان أصبحوا عاطلين بعد انتهاء هذه الاعمال ، فازداد بهم عدد المعدمين فى البلاد • وقد انتهز بعض أغنياء اليهود من أصحاب الضياع والتجار هذه الفرصة فاستغلوا فقر أولئك الفقراء أسوأ وأبشع استغلال ، اذ راحوا يقرضونهم المال بالربا الفاحش ، حتى اذا عجزوا عن سداد ديونهم عاملوهم فى قسوة لا تعرف الرحمة وباعوهم أو باعوا أبناءهم لسداد هذه الديون مهما كانت تافهة القيمة • حتى صرخ عاموس النبى قائلا « باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين » (عاموس ٢ : ٦) • ولم يكن الفقراء ولا سيما الارامل واليتامى يلقون على العموم من الاغنياء الذين كانت منهم الطبقة الحاكمة الا كل ظلم وعنت • ولذلك قال اشعياء النبى انهم « لا يقضون لليتيم ، ودعوى الارملة لا تصل اليهم » (اشعياء ١ : ٢٣) • وقال حزقيال النبى انهم « اضطهدوا اليتيم والارملة •• شعب الارض ظلموا ظلما وغصبوا غصبا واضطهدوا الفقير والمسكين وظلموا الفقير بغير حق » (حزقيال ٢٢ : ٧ و ٢٩) • وقال عاموس النبى « من أجل أنكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمح ، بنيتم بيوتا من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها ، وغرستم كروما شهية ولا تشربون خمرها •• أيها المضايقون البار الآخذون الرشوة الصادون البائسين عن

الباب » (عاموس ٥ : ١١ و ١٢) . وقال « ويل للمستريحين في صهيون والمطمئنين في جبل السامرة .. المضطجعون على أسرة من العاج .. والآكلون خرافا من الغنم .. الشاربون من كؤوس الخمر .. يقول رب الجنود اني أكره عظمة يعقوب وأبغض قصوره .. ها أنذا أقيم عليكم يا بيت اسرائيل يقول الرب اله الجنود أمة فيظنا يقتونكم من مدخل حماه الى وادي العربة » . (عاموس ٦ : ١ - ١٤)

وقد أدى إنتشار الفقر في المجتمع اليهودي الى انتشار آفة أخرى أشد بشاعة وخطرا وهي المرض ، اذ كان هذا المجتمع زاخرا على الدوام بمئات الألوف من المصابين بأمراض مختلفة ، من الرجال والنساء ، ومن الأطفال والشباب والشيوخ . وكانت أشد الامراض شيوعا بينهم الشلل والفالج والصرع ، وتصلب الاطراف والمفاصل ، والعمى والصمم والخرس ، والجنون ، والبرص والجرب ، والسيل والنزيف ، ومختلف أنواع الحميات والأوبئة . وكان المرضى يرقدون في الشوارع والساحات والأسواق ، عسى أن يجدوا من يرأف بهم ويشفيهم ، أو على الاقل يتصدق عليهم ، فلم يكونوا يجدون هذا ولا ذاك .

وكان ثمة في المجتمع اليهودي طبقة أخرى تفوق طبقة الفقراء في التعاسة والبؤس ، وهي طبقة العبيد ، اذ كان العبد عند اليهود كما كان عند غيرهم من الشعوب في تلك العصور يعتبر من أملاك سيده ، التي يملك حق التصرف فيها كيف يشاء ، كأنه مقعد من المقاعد أو دابة من الدواب . فضلا عن أخلاق اليهود الخبيثة الشرسة كانت تجعل حياة عبيدهم أسوأ من حياة العبيد لدى أي شعب آخر من الشعوب . وكان اليهود اذا هاجموا مدينة فاستسلمت لهم دون قتال ، يأخذون كل أهلها عبيدا ، كما أنهم كانوا يستعبدون أسرى الحروب والغرباء

النازلين عندهم من الشعوب الأخرى • وكانوا أحيانا يسخرون كل الاجانب المقيمين فى بلادهم تسخير العبيد • ومن ذلك ما فعله الملك سليمان حين أراد بناء هيكل أورشليم ، اذ جاء فى سفر أخبار الأيام « وعد سليمان جميع الرجال الاجنبيين الذين فى أرض اسرائيل •• فوجدوا مائة وثلاثة وخمسين ألفا وستمائة ، فجعل منهم سبعين ألف حمال وثمانين ألف قطاع على الجبل ، وثلاثة آلاف وستمائة وكلاء لتشغيل الشعب » (أخبار الايام الثانى ٢ : ١٧ و ١٨) • كما كان اليهود يشترون العبيد من تجار الرقيق ، وكان معدل ثمن العبد ثلاثين شاقلا من الفضة (الخروج ٢١ : ٣٢) ، أى ما يساوى نحو ثلاثة جنيهات ونصف • وكان اليهود يستعبدون كذلك أبناء جنسهم فى أحوال كثيرة : منها أن يعجز المدين عن سداد دينه فيستعبده دائنه (اللاويين ٢٥ : ٣٩) • وأن يعجز السارق عن رد ما سرق فيستعبده صاحب الشىء المسروق (الخروج ٢٢ : ١ و ٣) • وأن يفتقر الرجل فيبيع ابنته جارية • (الخروج ٢١ : ٧و١٧) وقد حددت الشريعة اليهودية مدة معينة تنتهى بانتهائها عبودية اليهود المستعبدين وهى مضى ست سنوات (الخروج ٢١ : ٢) ، أو حلول سنة اليوبيل (اللاويين ٢٥ : ٣٩ و ٤٠) • ولكن اليهود تغاضوا عن ذلك وأصبحوا يحتفظون احتفاظا دائما بعبيدهم الذين من جنسهم • وقد حدث ان حاصر البابليون أورشليم ، فأراد سراة المدينة أن يسترضوا الله لينقذهم ، ومن ثم أطلقوا سراح عبيدهم اليهود ، حتى اذا خيل اليهم أن الخطر قد زال عادوا فقبضوا على أولئك العبيد وأعادوهم الى عبوديتهم مرة أخرى (ارميا ٣٤ : ٨ ـ ١١) • وكان اليهود يسخرون العبيد فى أحقر الأعمال وأكثرها مشقة • وحين استولوا على مدينة جبعون التى كانت من أكبر مدن فلسطين ، جعلوا أهلها جميعا حطابين وسقاة يجلبون الحطب والماء لليهود (يشوع ٩ : ٢٧) • وكانوا يسخرون العبيد أيضا فى فلح

الأرض وطحن الحنطة وقطع الأحجار وحمل الاثقال وغسل أرجل سادتهم والاشتغال خدما فى بيوتهم . وهكذا كانت طبقة العبيد أتعس طبقات المجتمع اليهودى .

وكان ثمة فى المجتمع اليهودى فى عهد خضوع اليهود للرومان فئة يكرهها اليهود ويحتقرونها ، وهى فئة العشارين : أى جباة العشور ، وهى الضرائب . وقد عرفها اليهود بهذا الاسم لأن الشريعة كانت تفرض على كل يهودى أن يقدم العشر من محاصيله الزراعية والحيوانية ولا سيما الابقار والمواشى للاويين الذين خصصتهم الشريعة لخدمة الهيكل . ولكن الضرائب لم تقتصر على هذا العشر ، وانما كانت تتضمن نصف الشاقل الذى كان على كل يهودى أن يدفعه للهيكل ، فضلا عن أبكار الحيوانات وأبكار المحاصيل والضريبة على كل بكر فى العائلة ، وذبيحة الخطيئة وذبيحة الشكر والتقدمة لخبز الوجوه وغير ذلك من الضرائب الدينية التى لا عداد لها ، كما كانت تتضمن الضرائب الدينية التى كان اليهود يدفعونها للمستعمر الرومانى . وكان جباة الضرائب فى العادة من الرومان ، فكان اليهود يكرهونهم . لأن هذه الضرائب كانت فوق طاقتهم ، وكانت هى رمز عبوديتهم . كما أنهم كانوا يجبونها منهم بأشد الوسائل قسوة وعنفا ، وكانوا يأخذون منهم أكثر مما هو مقرر عليهم ، ثم يستولون على الزيادة لانفسهم ، لأنهم كانوا ينتهجون فى تحصيل الضرائب نظام التعهد والالتزام . وكانوا يستعينون فى عملهم هذا ببعض اليهود الذين كانوا أقسى وأعنف من الرومان على بنى جنسهم ، وأشد منهم شراهة وجشعا وطمعا فى الحصول لانفسهم على أقصى ما يستطيعون من مال . ولذلك كان الشعب اليهودى يكره أولئك العشارين اليهود أكثر من كراهيته للرومان . وقد أصبح لقب العشار عند اليهود مرادفا لكل ما هو مكروه ودنىء وشرير ، وقد اعتبروهم

فى حكم الزناة ، كما اعتبروهم كفارا وثنيين فكانوا لا يخالطونهم، وكانوا يمنعونهم من دخول الهيكل والمجامع الدينية ٠

٥ ـ مظاهر الحضارة

ظل اليهود منذ نشأتهم حتى اندثار أمتهم قوما بدائيين فى طباعهم وعاداتهم وفي أسلوب حياتهم ، فلم يخرجوا قط عن طور القبيلة البدوية التى لم تكتسب أى مظهر من مظاهر التقدم ، ولم تصل الى أى مرحلة من مراحل الحضارة ٠ ومن ثم لم يجيدوا صناعة من الصناعات ولم يتركوا للعالم أثرا من آثار الفكر أو الفن الا ما تركه أنبياؤهم من آيات الالهام الالهى التى تنحصر فى أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس ٠ فهذه وحدها هى التى كان لها أعمق الأثر فى حياة العالم ٠ أما فيما عداها فلم يكن لليهود أى قيمة من أى ناحية من النواحى ، ولم يكن لشعبهم الصغير الحقير الشأن أى مكانة أو وزن بين شعوب العالم فى أى عصر من العصور ٠

وقد اختلط اليهود فى عصورهم المختلفة بكثير من الشعوب القديمة العهد العريقة الحضارة التى بلغت شأوا عظيما من المدنية والرقى كالمصريين والاشوريين والفرس واليونان ، ولكنهم لم يقتبسوا من هذه الشعوب الا أحط ما اتصفت به من الصفات وأدنأ ما درجت عليه من تقاليد وعادات ٠ حتى لقد ترك اليهود الشيء الوحيد الذى كان يميزهم عن سائر الشعوب وهو عبادتهم لله ، وعبدوا ما كانت تعبده تلك الشعوب من أصنام ٠

وحتى بعد أن سكن اليهود المدن وجعلوا لأنفسهم ملوكا يجلسون على العروش ويلبسون التيجان ، وأصبح فيهم أغنياء ذوى ثروات وافرة ، ظلوا كما كانوا فى الأصل لا يخرجون

عن كونهم حفنة من رعـــاة الغنم والفلاحين والتجار والمرابين، تسيطر على مجتمعهم طائفة من الكهنة والفقهاء الذين اتخذوا من الدين سبيلا الى جمع المال والثراء ٠

ولعل من أبرز الدلائل على تخلف اليهود وبقائهم في حـالة البـداوة الأولى ، انهم حتى في عهـد الملوك ـ وهـو أرقى عهودهم ـ لم يظهر بينهم كثير من أصحاب الصناعات المتخصصين، وانما كانت كل عائلة تستوفى احتياجاتها الخاصة بنفسها ، فتبني بيوتها ، وتزرع حقولها ، وترعى ما شيتها ، وتطحن غـلالها ، وتخبز خبزها ، وتفتل غزلها ، وتنسج نسيجها ، وتحيك ثيابها ، وتصنع نعالها ٠ وكانت تفعل ذلك كله وغيره من الاحتياجات العائلية بطريقة بدائية خشنة ، لا جودة فيها ولا اتقان ٠

وقد كان اليهود منذ نشأتهم الأولى رعاة غنم ٠ فكانت هـذه هي مهنة آبائهم الاوائل إبراهيم واسحق ويعقوب ٠ وكانت هذه هي مهنة أبناء يعقوب وكل نسلهم حين جـاء بهم أخوهم يوسف الى مصر ومنحهم مساحة واسعة في أرض الدلتا ليرعوا فيهـا غنمهم ٠ ثم حين خرجوا من مصر واستولوا على أرض فلسطين ظلوا يرعون الغنم طيلـة بقائهم فيها ، وقـد كان داود أشهر ملوكهم راعيا لغنم أبيه ، مع أنه أصبح ملكا عليهم بعـد دخولهم فلسطين بأكثر من ستمائة عام ٠ وكان اليهود يرعون مع الغنم المعز والبقر والجمال والحمير ٠ وأما الخيل فلم يعرفها اليهـود الا متأخرين مع أنهم حـين كانوا في مصر شاهدوا المصريـين يستخدمونها (الخروج ١٥ : ١) ٠ وكان أول من ابتـدأ يقتنى الخيل هو الملك داود (صموئيل الثاني ٨ : ٤)

وقد كان الأباء الأوائل لليهود لا يزرعون الارض الا قليلا ، إذ كانوا مجرد رعـاة ٠ وحتى حين لجأوا الى مصر وظلوا تحت حكم المصريين لم يشتغلوا بالزراعة الاحين اشـتد سخط الفراعنة

عليهم ، فجعلوا يسخرونهم فى أعمال كثيرة ، منها الاعمال الزراعية ، اذ جاء فى سفر الخروج « فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل » (الخروج ١ : ١٣ و ١٤) • حتى اذا اغتصب اليهود أرض فلسطين واستقروا فيها ، أصبحوا يزرعون بعض الاراضى والبساتين ، وكانت أهم محاصيلهم القمح والشعير والفول والعدس والزيتون والعنب والرمان واللوز والنخيل • وكانوا يحرثون الارض بمحراث بدائي من الخشب تجره الثيران والبقر ، ويستخدمون فى دراس الحبوب نورجا بدائيا أيضا تجره الثيران والبقر كذلك ، بعد أن يضعوا المحصول على مسطحات مستوية من الارض يسمونها البيادر • ثم يقومون بتخزين الحبوب فى المنازل أو المغاور أو الآبار الجافة • ومما كانت تقضى به الشريعة اليهودية أنه لا يجوز الجمع بين ثور وحمار فى جر محراث أو نورج واحد ، ولا يجوز زرع نوعين من البذور فى حقل واحد ، ويجب الامتناع عن زرع الحقل سنة فى كل سبع سنين ، وكذلك فى سنة اليوبيل التى كانت تجىء كل خمسين سنة •

وقد اشتغل اليهود بالتجارة أيضا • وكانوا يجيدونها بالغريزة ، وفقا لما اتصفوا به من الخداع ولؤم الطباع • كما أنهم تعلموا بعض فنون التجارة من الفينيقيين الذين كانوا يجاورونهم • ولكنهم لم يبرعوا براعة الفينيقيين فى التجارة الخارجية لعجزهم عن صناعة السفن • وقد أخفقت مشروعات ملكهم سليمان ومن بعده ملكهم يهوشافاط حين أرادا الاتجار مع الأمم الأجنبية ، بالرغم من أنهما استخدما لصناعة السفن العمال الفينيقيين ، كما استخدما فى تسييرها البحارة الفينيقيين • وان كان اليهود أحيانا قد عملوا على استيراد البضائع والمصنوعات الأجنبية (عزرا ٣ : ٧ ، نحميا ١٣ : ٢٠ و ٢١) • كما عملوا

على تصدير بعض حاصلاتهم الى الامم الاخرى ، ولا سيما القمح والخمر والزيت وبعض الفواكه (الملوك الاول ٥ : ١١ ، حزقيال ٢٧ : ١٧) • وقد اشتهرت يافا ميناء أورشليم بتجارتها ، فكانت مركزا لحركة السفن المشتغلة بالتجارة ، وان كان بحارتها من غير اليهود (يونان ١ : ٣) • أما التجارة الداخلية فكانت شائعة بين اليهود وكان بعضهم يجنون من ورائها مكاسب وفيرة ، ولا سيما فى المواسم والأعياد ، حين كانوا يبيعون المواشى لمن يريدون تقديمها ذبائح فى الهيكل • كما كانوا يجنون مكاسب وفيرة من استبدال النقود الاجنبية بنقود يهودية لسداد الجزية المخصصة للهيكل حسب الشريعة • ولذلك كانت ساحة الهيكل على الخصوص زاخرة بموائد الصيارفة الذين كانوا يقومون بهذا الاستبدال ، والذين كانوا يشتغلون كذلك بعمليات الرهون والقروض بالربا الفاحش • وقد كانت الشريعة اليهودية تمنع اليهود من أخذ الربا من أبناء جنسهم وتبيح لهم ذلك مع الغرباء (الخروج ٢٢ : ٢٥ ، التثنية ٢٣ : ٢٠) • ولكن الصيارفة كانوا يأخذون الربا من اليهود ومن غير اليهود على السواء (نحميا ٥ : ١ ــ ١٣) • وكان من وسائلهم كذلك أن يقترضوا الاموال بربا زهيد ثم يقرضونها بربا فاحش ، فيربحون الفرق (حزقيال ٢٢ : ١٢) • وقد ظل اليهود أبرع وأبشع مرابين على مدى التاريخ حتى اليوم •

وكان من أهم ما يحترفه فقراء اليهود صيد السمك الذى يكثر فى فلسطين ولا سيما فى بحر الجليل • وكان كثير من الصيادين يأتون بما اصطادوه من السمك ليبيعوه فى أورشليم • وكانوا يدخلون المدينة من باب خاص اشتهر بباب السمك • والارجح أن هذا الباب كان يقع شمال أورشليم بالقرب من بركة السمك •• (أخبار الايام الثانى ٣٣ : ١٤) • وكان أهالى بعض المدن والقرى اليهودية يشتغل أغلبهم بصيد السمك ،

ومنها « بيت صيدا » التي يعني اسمها بالعبرية « بيت الصيد » .

وقد سبق ان ذكرنا ان اليهود لم يكونوا يجيدون صناعة البناء ، فكانوا يبنون بيوتهم بطريقة بدائية خشنة ، وكانوا يلجأون في بناء معابدهم وقصور ملوكهم وأغنيائهم الى غيرهم من أبناء الشعوب التي أتقنت هذه الصناعة كالفينيقيين ولا سيما الصيدونيين . ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن الصيدونيين هم الذين استقدمهم سليمان لبناء هيكل أورشليم وبناء قصره الملكي (الملوك الاول ٥ : ١ ـ ٦) .

ولم يبرع اليهود في أى صناعة على الاطلاق . فلم تكن لديهم غير صناعات بسيطة يزاولونها بطريقة ساذجة وبعيدة عن أى رقة أو اتقان . وقد كانت الحدادة من أول الصناعات التي حاول بعض اليهود احترافها . وكانوا يصنعون من الحديد على الخصوص آلات الزراعة والحرب وبعض الآواني . وكانوا يستخرجون الحديد من أرض فلسطين بمقادير قليلة (ملاخي ٣ : ٢ و ٣) . وقد أنشأوا مسابك للحديد في غور الأردن (الملوك الاول ٧ : ٤٦) . كما كان اليهود يستخرجون من أرض فلسطين النحاس . وقد أنشأوا له مسابك في غور الأردن أيضا . ولكن صناعته كانت تكلفهم كثيرا ، ومن ثم كان غالي الثمن (الخروج ٢٨ : ٢٩) . وكانوا لا يتقنون استخدام النحاس وان كانوا قد صنعوا منه بعض أدوات خيمة الاجتماع حين كانوا في سيناء (الخروج ٢٥ : ٣ ، ٢٦ : ١١) . ولكنهم حين أرادوا بناء هيكل أرشليم استقدموا بعض الفينيقيين البارعين في صناعة النحاس لصنع أعمدته وأدواته (الملوك الاول ٧ : ١٣ ـ ٤٧) .

وقد تعلم بعض اليهود حرفة صياغة المعادن حين كانوا في مصر ، ولا سيما الذهب والفضة والنحاس ، فلما أرادوا اقامة دار العبادة التي كانوا يسمونها خيمة الاجتماع في صحراء

سيناء ، قام رجلان يهوديان بصياغة ما يلزم لهـــذه الدار من آنية وأثاث وزخارف ذهبية وفضية ونحاسية (الخروج ٣١ : ١ ــ ١١) • كما أنهم تعلموا فى مصر صياغة تماثيل العجول الذهبية ، اذ جاء فى سفر الخروج « فقال لهم هارون أنزعــوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بهــا الى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا ، فقالوا هــذه آلهتك يا اسرائيـــل » (الخروج ٣٢ : ١ ــ ٤) • وقد ظل اليهود فى كل عهودهم يصوغون تماثيل العجول الذهبية ليعبدوها • ومثــال ذلك أنه جــاء فى سفر الملوك أن يربعام ملك اسرائيل « عمل عجلى ذهب وقال لهم هوذا آلهتك يا اسرائيل •• ووضع واحــدا فى بيت ايل وجعل الآخر فى دان » (الملوك الاول ١٢ : ٢٨ و ٢٩) • ولكن اليهود مع ذلك لم يجيدوا صياغة المعادن وانما كان عملهم فيها بدائيـا ساذجا ، حتى اذا أرادوا أن يزخرفوا هيكل أورشليم بأعمال الصــياغة المتقنة لجأوا فى ذلك الى الصياغ الفينيقيين من أهــل صور (أخبار الايام الثانى ٢ : ٣ ــ ٧) •

وكان بين اليهود نجارون يقومون باعمال النجارة البسيطة التي لا تتعــدى الاحتياجات المنزلية للفقراء • وأما الاغنيــاء فكانوا يستدعون النجارين من صــــور لصناعة ما يحتاجون اليه فى قصــورهم • وقد فعل ذلك الملــــك داود عنــدما بنى قصره (صموئيل الثانى ٥ : ١١) • كما فعل ذلك الملك سليمان عندما بنى هيكل أورشليم ، وكذلك عندما بنى قصره (الملوك الاول ٥ : ٦) •

أما الغزل والنسج والحياكة فكانت من الاعمال التى تتولاها كل أسرة لنفسها • وكانت تقــوم بهــا النساء عادة (الملوك الثانى ٢٣ : ٧ ، صموئيل الاول ٢ : ١٩ ، الأمثال ٣١ : ٢٢ و ٢٤) •

وكانت من الأمور التي تتفاخر اليهوديات باتقانها (الامثال ٣١ : ١٣ و ١٩) • وكن ينسجن الملابس غالبا من الصوف أو الكتان (اللاويين ١٣ : ٤٧) • أما ملابس الفقراء وأنسجة الخيام فكن يصنعنها من شعر المعز أو وبر الابل (الخروج ٢٦ : ٧ ، متى ٣ : ٤) •

وقد تعلم اليهود منذ أن كانوا في مصر صباغة الانسجة بألوان مختلفة (الخروج ٢٦ : ١ و ١٤ ، ٣٥ : ٥) • ولكنها لم تكن صباغة متقنة • وقد كانوا يستوردون من أهل صيدا أنسجة جميلة تخصصوا في صباغتها باللون الارجواني • وكانت النساء اليهوديات يغسلن الملابس البيضاء في بيوتهن (الخروج ١٩ : ١٠) • ولكن طائفة من اليهود كانوا يسمون بالقصارين تخصصوا في غسل الثياب وتبييضها بأن يدوسوها بأرجلهم ويدعكوها بالصابون والطباشير والنطرون (الامثال ٢٥ : ٢٠) والاشنان (ارميا ٢ : ٢٢) • واذ كانت تنبعث عن حوانيت القصارين روائح تعافها النفس بسبب المواد التي كانوا يستخدمونها في حرفتهم ، كانوا يتخذون حوانيتهم خارج المدن- وكان ثمة حقل يسمى حقل القصار بقرب بركة جيحون العليا (الملوك الثاني ١٨:١٧) • كما كان هناك موضع لهذه الحرفة عند « بركة روجل » التي تعني بالعبرية « بركة القصار » بالقرب من أورشليم (صموئيل الثاني ١٧ : ١٧) •

وقد تعلم اليهود دباغة الجلود ، فكانوا يزيلون الشعر من جلود الحيوانات باستخدام محلول الجير وغيره ، ثم يضعونها في محلول قشور بعض الأشجار ولا سيما البلوط حتى تتشبع بحامض عصير النبات فتصبح متينة طرية • وكان اليهود يستخدمون الجلود ثيابا لهم (العدد ٣١ : ٢٠) ، ونعالا (حزقيال ١٦ : ١٠) ، ومناطق يتحزمون بها (الملوك الثاني ١ : ٨) ، وزقاقا للخمر (متى ٩ : ١٧) وتروسا للقتال (صموئيل الثاني

١ : ٢١) وأغطية للخيام ، وقد صنعوا أغطية خيمة الاجتماع من « جلود كباش محمرة » و « جلود تخس » أى حيوان الدلفين البحرى أو عجل البحر (الخروج ٢٦ : ١٤) ٠

كما تعلم اليهود صناعة الاوانى الفخارية ٠ فكان الفخارى يعجن الطين بأرجله (اشعياء ٤١ : ٢٥) ٠ ثم يضعه فى دولاب أفقى يجلس وراءه ، ويديره برجله من أسفل ، فى حين يروح يشكل بيديه الطين الدائر فوقه أنواعا مختلفة من الاوانى (ارميا ١٨ : ٣ و ٤) ٠ وكان أحيانا يطلى هذه الاوانى بدهان خزفى ، ثم يضعها فى أتون خاص لتكتسب الصلابة المطلوبة ٠

وكان اليهود يخبزون خبزهم فى منازلهم ، فكانوا يطحنون الحنطة يوميا فى مطحنة تدار باليد ، ثم يخبزون الدقيق يوما بيوم ٠ وكان الخبز الذى يخبزونه على شكل أقراص مسطحة صغيرة الحجم ٠ وكان الاغنياء يصنعونه من القمح ٠ وأما الفقراء فكانوا يصنعونه من الشعير ٠ وكانوا يستخدمون فيه الخمير ، الا فى عيد الفصح فانهم كانوا يأكلونه فطيرا بغير خمير ، كما فعلوا يوم خروجهم من مصر (الخروج ١٢ : ٣٤)٠ وكانوا يخبزون الخبز فى التنور ، أو على صاج محمى (اللاويين ٢ : ٤ و ٥) أو على حجارة محماة بعد ازالة الرماد عنها (الملوك الاول ١٩ : ٦) ٠ وكانوا يسمون هذا النوع الاخير خبزملة ، ويصنعونه فى حالات الاستعجال ، ولذلك ينضج جانب منه ويبقى الجانب الآخر نيئا ٠ وكانت النساء هن اللاتى يخبزن الخبز (التكوين ١٨ : ٦ ، اللاويين ٢٦ : ٢٦ ، القضاة ٦ : ١٩) أما فى بيوت الاغنياء فكان العبيد هم الذين يقومون بهذا العمل ٠ وكان فى المدن الكبيرة خبازون يخبزون الخبز ويبيعونه (ارميا ٣٧ : ٢١) ٠ وكان الخبز من القرابين التى ينبغى

تقديمها الى الله في خيمة الاجتماع أو الهيكل بمواصفات خاصة (اللاويين ٢ : ١ ـ ١٥) ٠

ولما كانت أرض فلسطين زاخرة بأشجار الزيتون ، فقد تعلم اليهود استخراج الزيت منه ٠ وكانوا يعصرونه بعد جمع محصوله بالدوس عليه بأرجلهم (التثنية ٣٣ : ٢٤ ، ميخا ٦ : ١٥) ، أو بوضعه في آلات بسيطة التركيب تتولى عصره ٠ وكانت معاصر الزيت تتألف من حجرين كبيرين كحجري الرحى، يدير الاعلى منهما ثور أو حمار ٠ وكانوا يضعون الزيتون بينهما فينسحق ، ثم يضغطونه بعد ذلك حتى يسيل منه الزيت ٠ وكان الزيت من المنتجات الاساسية عند اليهود (العدد ١٨ : ١٢ ، التثنية ٧ : ١٣ ، نحميا ١٠ : ٣٩ : ١٣ : ٥) ٠ وكانوا يستعملونه في الطعام (أخبار الأيام الأول ١٢ : ٤٠ ، حزقيال ١٦ : ١٣) وفي معالجة الجراح (اشعياء ١ : ٦ ، مرقس ٦ : ٣، لوقا ١٠ : ٣٤) وفي دهن الاجسام والرؤوس بعد مزجه بالعطور كعلامة للفرح والابتهاج (المزمور ٢٣ : ٥) ٠ وكان اليهود يستخدمون الزيت في كثير من الطقوس الدينية ، فكانوا يقدمونه ضمن تقدماتهم لله ، أو يخلطون به هذه التقدمات أو يرشونه عليها (اللاويين ٢ : ١ ـ ٧) ٠ وكانوا يستخدمونه في مسح الملوك (صموئيل الاول ١٠ : ١ ، ١٦ : ١ و ١٣ ، الملوك الاول ١ : ٣٩ ، الملوك الثاني ٩ : ٣ و ٦) ، وفي مسح الكهنة ورؤساء الكهنة بعد تجهيزه بصورة خاصة ٠ وكذلك في مسح خيمة الاجتماع والتابوت والمائدة والمنارة والمرحضة وقاعدتها والمذبحين (الخروج ٣٠ : ٢٢ ـ ٣٣) ٠ ولذلك كانوا يسمونه زيتا مقدسا (المزمور ٨٩ : ٢٠) ٠

كما أن أرض فلسطين زاخرة بكروم العنب ٠ وقد كان العنب على الدوام من أهم منتجاتها ٠ وقد ورد في سفر العدد أنه حين كان اليهود في سيناء بعد خروجهم من مصر أرسلوا بعض

الجواسيس الى أرض فلسطين ، فكان مما جلبوه معهم حين عادوا للتدليل على ما فى الارض من خير وفير ، عنقود من العنب بلغ من ضخامته أنه احتاج الى رجلين لكى يحملاه (العدد ١٣ : ٢١ ـ ٢٥) ٠ ـ وكان اليهود يستخدمون معظم محصول العنب فى صناعة الخمر ، وكانوا ينحتون معصرة الخمر فى الصخر أو يبنونها من الحجر ، ويحفرون فيها حوضا متسعا ، ثم يحفرون تحته حوضا آخر فى نصف حجمه ٠ ثم يدوسون العنب بالاقدام فى الحوض الأعلى ، فيسيل عصيره الى الحوض الاسفل ، ثم يضعونه فى زقاق من الجلد أو أوعية من الفخار أو الخزف ، ويتركونه زمنا طويلا حتى يختمر ثم ينقلونه الى أوعية أخرى ويحفظونه فى الأقبية والكهوف حتى تزداد جودته مع مرور الزمن ٠ وقد ذكرت التوراة الخمر باعتبارها عطية عظمى من الله ، مع الحنطة والزيت ، اذ جاء فى سفر التثنية قول الله « فاذا سمعتم لوصاياى ٠٠ أعطى مطر أرضكم فى حينه المبكر والمتأخر ، فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك » (التثنية ١١ : ١٣ و ١٤) ٠ وكان اليهود يستخدمون الخمر فى الطقوس الدينية ، فكانوا يقدمون سكيبا منها مع المحرقة اليومية فى خيمة الاجتماع (الخروج ٢٩ : ٤٠) وعند تقديم الباكورات (اللاويين ٢٣ : ١٣) وعند تقديم بقية الذبائح (العدد ١٥ : ٥) ٠ وكانوا يشربون الخمر أثناء الاحتفال بعيد الفصح (متى ٢٦ : ٢٧) ٠ كما كانوا يقدمونها للضيوف اكراما لهم ، وكانوا يستخدمونها كعلاج لبعض الأمراض (تيموثاوس الأولى ٥ : ٢٣) ٠ وقد أفرط اليهود فى شرب الخمر وادمانها حتى صرخ الانبياء سخطا عليهم (اشعياء ٥ : ١١ و ٢٢ ، ٢٨ : ١ ـ ٧ ، ٥٦ : ١٢ ، هوشع ٤ : ١١) ٠ وقد حذرت الشريعة الكهنة من شرب الخمر عند دخولهم للخدمة فى خيمة الاجتماع (اللاويين ١٠ : ٩) ٠ كما أنها حذرت الذين ينذرون أنفسهم لخدمة الله من شرب الخمر طوال مدة نذرهم (العدد ٦ : ٣) ٠ وقد

عرف اليهود كذلك استخراج الخـــل من عصير العنب . كمـا أنهم كانوا يجففون العنب فيصنعون منه الزبيب . ونظرا لأهمية محصول العنب عند اليهود كانوا يحتفلون بقطافه احتفالا يفوق احتفالهم بحصاد القمح (اشعياء ١٦ : ٩ ، القضاة ٩ : ٢٧) .

وقد تعلم اليهود شيئا من الطب في مصر ، فكان بينهم أطباء ، بدليل ما جاء في الشريعة اليهودية من أن من ألحق اصابة بغيره فعليه أن ينفق على شفائه ، أى يدفع أجـرة تطبيبه (الخروج ٢١ : ١٩) . وقد وردت نصوص تشير الى الاطباء في عهـــد ملوك اليهود ، اذ جـــاء في سفر أخبار الايام أنه قد « مرض آســا (ملك يهوذا) .. وفي مرضه أيضــا لم يطلب الرب بل الاطباء » (أخبار الايام الثاني ١٦ : ١٢) . ويقول يوسيفوس أن الاطباء كانوا غالبا يستخدمون في العلاج الطلاسم والطقوس السحرية كما جرت العادة لــدى الشعوب المتخلفه . وكانوا أحيانا يستخدمون بعض أنواع العلاج البسيطة المعروفة لــدى الشعوب البدوية ، كاستعمال الزيت الخالص أو الممزوج بالخمر (اشعياء ١ : ٦ ، لوقا ١٠ : ٣٤ ، يعقوب ٥ : ١٤) والدهــون والمراهم وجذور النبات وأوراقه وثماره (الملوك الثاني ٢٠ : ٧ ، ارميــا ٨ : ٢٢ ، حزقيال ٤ : ١٢) وأصــناف العطـــارة المختلفة التي كان يصنعها ويبيعها العطارون (الخروج ٣٠ : ٢٥) . وكانوا يستخدمون العصائب (اشعياء ١ : ٧) . كمـا كانوا يستخدمون الخمر في علاج بعض الامراض ، اذ جـــاء في الرسالة الى تيموثاوس « استعمل خمرا قليلا من أجـل معدتك واسقامك الكثيرة » (تيموثاوس الأولى ٥ : ٢٣) . وقـد تعلم اليهود من المصريين فن تحنيط الموتى (التكوين ٥٠ : ٢) . وقد ورد في سفر أخبـــار الايام ما يفيد أنهم حاولوا تحنيط جثـة آســـا ملك يهوذا ، وان كنـا لا نعلم مقدار نجاحهم في ذلك اذ جـاء في ذلك السفر أن الاطبـاء « أضجعوه في سرير كان

مملوءا أطيابا وأصنافا عطرة حسب صناعة العطارة ، وأحرقوا له حريقة عظيمة جدا » (أخبار الايام الثانى ١٦ : ١٤) ٠

ولم يكن لدى اليهود فى معظم أطـــوار تاريخهم مـدارس منتظمة للتعليم ، وانما كان الآباء يعلمون الابناء صناعاتهم ، كما كانوا يعلمونهم المبــادىء الدينية (التكوين ١٨ : ١٩ ، التثنية ٦ : ٧) ٠ وكان من واجب الكهنة والكتبـة واللاويين تعليم الشعب مبادىء الشريعة اليهودية (اللاويين ١٠ : ١١ ، أخبار الأيام الثانى ١٧ : ٧ ـ ٩) ٠ كما كان الانبياء يعملون على تذكير اليهود بما نسوه من شريعتهم ٠ ويوبخونهم على مـا يرتكبون من شرور وآثام ٠ وكان بعض اليهود يعرفون القراءة والكتابة (القضاة ٨ : ١٤ ، اشعياء ١٠ : ١٩) ٠ وفى عهـد خضوع اليهود لليونان والرومان بدأوا ينشئون مدارس أولية يلحقونها بالمجامع الدينيـة لتعليم الاطفـــال القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ٠ وكانوا يتخـذون المعلمين من بين العبيـد والارقاء ٠ وكان بعض الذين ينهون تعليمهم فى المدارس الأولية يتفقهون فى علم الشريعة على أيـدى بعض الاساتذة الدينيين ، وكان من أشهر أولئك الاساتذة غمالائيل (الاعمال ٢٢ : ٣) ؛

وقد تعلم اليهود الكتابة من المصريين حين كانوا فى مصر ٠ اذ نجد أن زعيمهم الذى أخرجهم من مصر وهو موسى النبى كان يعرف الكتابة ، فقد جاء فى سفر الخروج « فقال الرب لموسى اكتب هـذا تذكارا فى الكتـــاب » (الخروج ١٧ : ١٤) ٠ وكانوا يحفرون ما يكتبون على ألواح من الحجر أو الخزف أو الخشب ، أو ينقرونه فى صفائح معدنية كالرصاص أو الحديد أو النحاس أو البرونز ، أو ينقشونه على أنسجة من الكتان أو رقائق من الجلد أو لفائف من البرديات المصرية ٠ وكانوا يستخدمون لذلك أقلاما من الحديد يضعون فى رؤوسها أحيانا قطعا من المـــاس (ارميا ١٧ : ١) ، أو أقـــلاما من القصب يهذبونهـا بمبراة

يصنعونها لهـــذا الغرض (ارميـــا ٣٦ : ٢٣) • أو فرشاة يرسمون بها الكلمات رسما • وكانوا يستخدمون لهـذه الغاية نوعا من الحبر يضعونه فى دواة يعلقها الكاتب فى حزامه • وكانوا يجعلون الرقائق الجلدية أو الانسجة الكتانية أو الأوراق البردية فى هيئة لفائف مختلفة الطـــول يسمونهـا الادراج ، ويلصقون فى كـل من طرفيها قضــيبا من الخشب بحيث يمكن للقارىء أن يفردها أو يطويها • ويشير اشعياء النبى الى ذلك حين يقول « وتلتف السماوات كدرج » (اشعياء ٣٤ : ٤) • وكانوا يضعون كل درج من هـذه الادراج فى غلاف من الجلد أو الخشب • وكان اليهود يكتبون لغتهم العبرية بحروف مأخوذة فى الاصل عن الحروف الفينيقية ، التى كانت بدورها مأخوذة فى الاصل عن الحروف المصرية القديمة •

ولم يترك اليهود تراثا من العلم أو الأدب أو الشعر الا أسفار العهد القديم التى كتبها أنبياؤهم بوحى من الله ، وقـد تضمنت فى أصلها العبرى أروع آيات التعبير نثرا أو شعرا • أمـا فيما عـــدا ذلك فلم يكتب اليهود كتابا واحدا يتضمن أى فرع من فروع العلم أو الادب أو الثقافة على العموم • لأنهم على الرغم من تراثهم الدينى كانوا شعبا بدويا بدائيا ، لم يتمتع فى أى عصر من العصور بأى صورة من صور المدنية أو الحضارة •

وكما لم يكن لليهود أى رصيد من العلم أو الأدب ، لـم يكن لهم كذلك أى رصيد من الفن فى أى ناحية من نواحيه • وقـــد منعتهم الشريعة من نحت الصور والتماثيل ، ولكنهم مع ذلك عبدوا الاصنام فى كل أطوار تاريخهم ، فكانوا ينحتون لها أرذأ أنواع التماثيل الغليظة الساذجة التى لا تناسق فيها ولا ذوق ولا جمال • وحتى النوع الوحيد من الفنون الذى تذكـر لنـــا التوراة أنهم زاولوه فى طقوسهم الدينية واحتفالاتهم الاجتماعية ، وهو الموسيقى ، كان فنـا بدائيا أيضا ، وكانت آلاته بدائية

أيضا ، وهى الصنوج والطبل والدف والطنبور والبوق والمزمار والعود والرباب » .

وقد كانت لدى اليهود فكرة عن تقسيم الزمن أخذوها عن قدماء المصريين قبل خروجهم من مصر . وكانت السنة اليهودية تتألف من اثنى عشر شهرا قمريا . وكان أول شهور السنة يقع لديهم فى موعد الشهر الذى نسميه اليوم ابريل أو نيسان . ولم يكونوا يطلقون على الشهور أسماء ماعدا هــذا الشهر الاول فكانوا يسمونه شهر « أبيب » (الخروج ١٢ : ٢ ، ٢٣ : ١٥) ، ثم يذكرون بعد ذلك الشهور بأرقامها فيقولون الشهر الثـانى ثم الشهر الثالث وهكذا . ثم فى عهـد الملوك أصبحوا يسمون الشهر الثانى « زيو » (الملوك الأول ٦ : ١) ، ويسمون الشهر السابع « ايثانيم » (الملوك الأول ٨ : ٢) ، ويســمون الشهر الثامن « بول » (الملوك الاول ٦ : ٣٨) . ثم لم يستكملوا أسماء باقى الشهور الا بعد عودتهم من السبى فأصبحت شهورهم الاثنا عشر هى بالترتيب : أبيب ــ زيو ــ سيوان ــ تموز ــ اب ــ أيلول ــ ايثانيم ــ بول ــ كسلو ــ طيبيت ــ شباط ــ أذار . كما أنهم بعد السبى استخدموا السنة الشمسية فى الشئون المدنية مع احتفاظهم بالسنة القمرية فى الشئون الدينية . وكان الشهر الاول فى الســـنة القمرية يقابل الشهر السابع فى الســـنة المدنية . ولمـــا كان مجموع الاثنى عشر شهرا القمرية هو ٣٥٤ يوما وست ساعات ، فقـد كانت تنقص ستة أيام عن مجموع أيام الاثنى عشر شهرا الشمسية . ولذلك أضاف اليهود الى شهورهم شهرا زائدا كل ثلاث سنوات سموه « فيادار » أو « آذار الثانى » ، وبذلك جعلوا سنتهم القمرية تعادل السنة الشمسية تقريبا . ولكنهم ظلوا مع ذلك محتفظين فى الشئون الدينية بالشـــهور القمرية . وكانوا يسمون اليوم الأول من كل من تلك الشـــهور الهلال ويعتبرونه عيدا دينيا . وكان الاسبوع اليهودى سبعة أيام

ولم يكونوا يجعلون لها أسـماء ، وانما يذكرونها بأرقامها ، فيقولونن اليوم الاول واليوم الثانى وهـكذا (متى ٢٨ : ١)٠ ما عدا اليوم السابع فكانوا يسمونه « السبت » (التكوين ٢ : ١ ــ ٣) وكانوا يعتبرونه يوما مقدسا ٠ وكانوا يسمون اليوم السابق عليه يوم الاستعداد (مرقس ١٥ : ٤٢) ٠ وكآنوا يقسمون النهار الى ثلاث فترات ، هى الصباح ، والظهر ، والمساء (الزمور ٥٥ : ١٧ ، دانيال ٦ : ١٠) ٠ ولم يبدأوا تقسيم الوقت الى ساعات الا بعد السبى ، فقسمواالنهار منذ شروق الشمس حتى غروبها الى اثنى عشر ساعة (متى ٢٠ : ١ ــ ١٢ ، يوحنا ١١ : ٩) ٠ وكانوا يسمون الساعة السادسة صباحا بتوفيتنا الحاضر بالساعة الثالثة ، ويسمون الساعة الثانية عشرة ظهرا بالسـاعة السادسة ويسمون السـاعة الثالثة بعد الظهر بالساعة التاسعة (متى ٢٧ : ٤٥) ٠ وأما الليل فقد قسموه ثلاثة أقسام ، كانوا يسمون كل قسم منها هزيعا ، فكان الهزيع الأول من غروب الشمس الى منتصف الليل ، والهزيع الثانى من منتصف النيل الى صياح الديك ، والهزيع الثالث من صياح الديك الى شروق الشمس (الخروج ١٤ : ٢٤ ، القضاة ٧ : ١٩ ، المرائى ٢ : ١٩) ٠ ثم فى عهد خضوعهم لليونان والرومان قسموه أربعة أقسام (مرقس ٦ : ٤٨ ، ١٢ : ٣٨) ٠ وحددوا ساعات الليل باثنى عشر ساعة (الأعمال ٢٣ : ٢٣) وساعات النهار باثنى عشر ساعة (يوحنا ١١ : ٩) ٠ فكان مجموع ساعات اليوم الكامل أربعا وعشرين ساعة ، كانوا يحسبونها من الغروب الى الغروب (التكوين ١ : ٥ ، الخروج ١٢ : ١٨ ، اللاويين ٢٣ : ٣٢) ٠ وكانوا يقيسون الساعات بآلة شمسية ذات درجات (الملوك الثانى ٢٠ : ١١) ٠ وقد ذكرت التوارة ثلاثة من فصول السنة هى الصيف والخريف والشتاء ٠ (المزمور ٧٤ : ١٧ ، ارميا ٣٦ : ٢٢ ، زكريا ١٤ : ٨ ، عاموس ٣ : ١٥) ٠

وكان اليهود يؤرخون بالأحداث الهامة التي وقعت لهم في مراحل تاريخهم المختلفة ، ولا سيما الخروج من مصر (الخروج ١٢ : ٤٠) وبناء الهيكل (الملـــوك الأول ٦ : ١) والسبى الى بابل (حزقيال ٣٣ : ٢١) ٠ وعهود ملوكهم (الملوك الثـــانى ٣ : ١) ٠ وكانوا يحسبون السنين بالنسبة للملوك لا منذ بداية عهد كل منهم ، وانما منذ نهاية عهده ٠

٦ ـ العلاقات والعادات الاجتماعية

كانت لليهود عادات خاصة في أفراحهم وأحزانهم وعلاقاتهم الاجتماعية ، يتميزون بها عن باقى الشعوب تارة ، ويقتبسونها عن غيرهم من الشعوب تارة أخرى ٠

فكانوا فى أفراحهم كثيرى الصخب ، يرقصون ويغنــون ويضربون الطبول والدفوف ، شأنهم فى ذلك شأن الشعوب البدائية ٠ وكان يشاركهم فى تلك المظاهر الصاخبة حتى ملوكهم ٠ ومن ذلك أن الملك داود حين نقل تابوت العهــد الى أورشليم تمنطق بحزام من كتان وراح يرقص بكل قوته أمام التابوت بين الهتاف وصوت البوق (صموئيل الثانى ٦ : ١٤ و ١٥ ، أخبار الأيام الأول ١٥ : ٢٩) ٠ وكان الرقص وضرب الدفوف شـــائعا بين اليهود تعبيرا عن فرحهم بالانتصار فى الحروب والنجـــاة من المخاطر ٠ ومن ذلك ما فعلته مريم أخت هارون وموسى النبى مع سائر نساء اليهود حين نجحوا فى الهروب من مطاردة المصريين لهم واجتيازهم البحر الأحمر الى سيناء ، اذ جاء فى ســـفر الخروج « فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص » (الخروج ١٥ : ٢٠) ٠ وجاء فى سفر القضاة أن يفتــاح قاضى اليهــود انتصر عــلى بنى عمون ٠٠ « ثم أتى يفتاح الى المصـــفاة الى بيته ، واذا يابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص » (القضاة ١١ : ٣٤) ٠

وجاء فى سفر صموئيل أن الملك شاول حارب الفلسطينيين وانتصر عليهم بفضل داود الذى أصبح ملكا بعده ٠٠ « وكان عند مجيئهم ٠٠ أن النساء خرجت من جميع مدن اسرائيل بالغناء والرقص للقاء شاول الملك بدفوف وبفرح وبمثلثات ، فأجابت النساء اللاعبات وقلن ضرب شاول ألوفه وداود ربواته » (صموئيل الأول ١٨ : ٦ و ٧) ٠ كما كان الرقص شائعا بين اليهود فى احتفالاتهم الدينية : اذ جاء فى سفر القضاة « ثم قالوا هوذا عيد الرب فى شيلوه ٠ ٠ وأوصوا بنى بنيامين قائلين امضوا واكمنوا وراء الكروم وانظروا فاذا خرجت بنات شيلوه ليدرن فى الرقص فأخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته » (القضاة ٢١ : ١٩ ــ ٢١) ٠ وحتى حين كان اليهود يعبدون الأصنام كانوا يرقصون أمام تماثيلها ، اذ جاء فى سفر الخروج أن اليهود انتهزوا فرصة غياب موسى وهم فى سيناء ٠٠ « وصنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل ٠٠ فانصرف موسى ونزل من الجبل ٠٠ وكان عندما اقترب الى المحلة أنه أبصر العجل والرقص » (الخروج ٣٢ : ١ ــ ٢٠) ٠ وجاء فى سفر الملوك أن اليهود كانوا فى عهد ملكهم آخاب يعبدون البعل ، وهو أحد الآلهة الوثنية ، وكانوا يرقصون حول المذابح التى يقيمونها له (الملوك الأول ١٨ : ١٧ ــ ٢٦) ٠ وقد تأثر اليهود فى طريقة رقصهم بالشعوب التى خالطوها ولا سيما الفرس واليونان والرومان ، فكانت الطريقة التى رقصت بها سالومى ابنة هيروديا أمام الملك هيرودس تدل على أقبح صور الخلاعة ، حتى لقد أدارت رأس الملك وهى ترقص عارية أمامه ، فوافق وهو فى نشوته على أن يذبح يوحنا المعمدان ويغطيها رأسه فى طبق ٠ مع أنه كان يعتبره نبيا (متى ٤ : ٦ ، مرقس٦ : ٢٢) ٠ وكأن من مظاهر أفراح اليهود ما يقيمونه من الولائم فى المناسبات المختلفة ، كميلاد طفل (التكوين ٤٠ : ٢٠) وفطامه

(التكوين ٢١ : ٨) والزواج (القضاة ١٤ : ١٠) والصلح بين الخصوم (التكوين ٢٦ : ٢٦) والفراق بين الأحباب (التكوين ٢٩ : ٢٢) وتكريم الضيوف (التكوين ١٨ : ٥ ـ ٨) وحصاد الحبوب (اشعياء ٩ : ٣) وقطاف الكروم (اشعياء ٢٦ : ١٠) ٠ وكانوا فى هذه الولائم يرقصون ويغنون ويأكلون ويشربون الخمر (اشعياء ٥ : ١٢) ٠ وكان من واجبات الضيافة فى هذه الولائم أن يقوم المضيف بتقبيل الضيف ، ودهن رأسه بالطيب ، وتقديم الماء اليه ليغسل قدميه (لوقا ٧ : ٤٤ ـ ٤٦) ٠ وتخصيص المقاعد الأمامية الممتازة على المائدة لكبار المدعوين (متى ٢٣ : ٢٦) ٠

وكما كان اليهود كثيرى الصخب فى أفراحهم ، كانوا كذلك كثيرى الصخب فى أحزانهم ٠ وكان أكثر ما يثير الحزن لديهم هو موت أحد أقربائهم ، لأن أكثرهم كانوا لا يؤمنون بالقيامة أو الحياة الأخرى بعد الموت ، فكانوا يعتبرون الموت هو نهاية الحياة ، والقبر المظلم الموحش هو الذى يستقر فيه الانسان بعد موته الى الأبد ٠ فاذا مات أحدهم كانوا يملأون الدنيا صراخا وولولة ، ويروحون يدقون صدورهم ويشقون ثيابهم ويغمرون أنفسهم بالرماد ويرتدون المسوح المصنوعة من نوع خشن غليظ من النسيج ٠ وكانت هذه هى علامات الحزن لديهم ٠ أما الميت فكان أقرباؤه يغمضون عينيه (التكوين ٤٦ : ٤) ويغسلون جثته (الأعمال ٩ : ٣٧) ويدهنونها بالأطياب (مرقس ١٦ : ١) ويلفونها بأكفان من كتان ويربطون الرأس بمنديل (يوحنا ٢٠ : ٧) ٠ وكانوا أحيانا يربطون كلا من أطرافه على حدة (يوحنا ١١ : ٤٤) ٠ ثم يدفنونه بعد ساعات قليلة من موته ، اذ تقضى الشريعة اليهودية بأن لمس الميت أو الاقتراب منه ينجس الانسان ٠ وعلى الرغم من أن اليهود عاشوا فى مصر أكثر من أربعة قرون قبل خروجهم منها لم يتعلموا

فن التحنيط ، فلم يكونوا يحنطون جثث موتاهم ، ما عدا يعقوب ويوسف فقد تم تحنيط جثتيهما في مصر على أيدى الأطبـــاء المصريين (التكوين ٥٠ : ٢ و ٢٦) . وكان اليهود يحملون جثة الميت الى القبر على نعش مكشوف (لوقا ٧ : ١٤) يحيط به أقاربه وأصحابه (صموئيل الثاني ٣ : ٣١ ، لوقا ٧ : ١٢) . ومعهم النادبات اللاتى يستأجرونهن ليندبنه (عاموس ٥ : ١٦ ، متى ٩ : ٢٣) . وكان اليهود أحيانا يحرقون جثث موتاهم . ومن ذلك أن أهل يابيش جلعاد أحرقوا جثث الملك شاول وأولاده ودفنوهم في يابيش (صموئيل الأول ٣١ : ١٢ و ١٣) . وقد أشار عاموس النبى الى عادة احراق جثث الموتى عند اليهود أثناء انتشار الوباء (عاموس ٦ : ١٠) . وكان اليهود يعتبرون عدم دفن جثة الميت عارا عظيما (صموئيل الأول ١٧ : ٤٤ ــ ٤٦) وكذلك اخراج عظامه من قبره بعد دفنه (ارميا ٨ : ١ و ٢) . وكانوا يحفرون القبر في بستان (يوحنا ١٩ : ٤١) أو حقل (التكوين ٢٣ : ١١) أو مغارة في جبل (الملوك الثاني ٢٣ : ١٦ و ١٧) أو ينحتونه في الصخور (اشعياء ٢٢ : ١٦ و ١٧) . وكانوا يدفنون الميت في قبر خاص به وحده ، كالقبر الذى دفنوا فيه جثة يوسف (يشــوع ٢٤ : ٣٢) أو يدفنون الميت في مقبرة عائلته كمقبرة مغـــارة المكفيلة التى دفنوا فيها جثــة ابراهيم واسحق ويعقوب (التكوين ٢٥ : ١٠ ، ٤٩ : ٣١ ، ٥٠ : ١٣) . أو يدفنون الميت في مقبرة عامة (الملوك الثاني ٢٣ : ٦ ، ارميا ٢٦ : ٢٣) . وكانت أحزان اليهود عــلى موتاهم تستمر أياما كثيرة يسمونها المناحة . فقد جاء في سفر العدد « بكى جميع بيت اسرائيل على هارون ثلاثين يوما »(العدد ٢٠ : ٢٩) . وجاء في سفر التثنية « فبكى بنــو اسرائيل موسى في عربات مــوآب ثلاثين يوما ، فكملت أيام بكاء مناحــــة موسى » (التثنية ٣٤ : ٧ ــ ٨) . وكان تمزيق الثياب وارتداء المسوح من أهم مظاهر الحزن على الميت ، اذ جاء في سفر التكوين أن أبناء يعقوب ذكروا

له أن وحشا قد قتل يوسف وأحضروا اليه قميصه ٠٠ « فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقويه وناح على ابنه أياما كثيرة ، فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى » (التكوين ٣٧ : ٣١ ــ ٣٥) ومزق الملك داود ثيابه كذلك واضطجع على الأرض حين سمع بمقتل ابنه ابشالوم (صموئيل الثانى ١٣ : ٣١) ٠ كما كان تمزيق الثياب من علامات حزن اليهود عند هزيمتهم فى الحرب ، اذ جاء فى سفر يشوع أن اليهود بقيادة يشوع بن نون هاجموا مدينة عاى ، فهزمهم أهل هذه المدينة « فمزق يشوع ثيابه » (يشوع ٧ : ٦) وكانوا يمزقون ثيابهم كذلك حين يهاجمهم عدو قوى يدركون أنه سيهزمهم ٠ ومثال ذلك أن الأشوريين اعتزموا مهاجمتهم فى عهد حزقيال ملك يهوذا « فلما سمع الملك حزقيال ذلك مزق ثيابه وتغطى بمسح » (الملوك الثانى ١٩ : ١) ٠ وكان من علامات حزن اليهود كذلك أنهم يهيلون التراب على رؤوسهم ، اذ جاء فى سفر يشوع أنه حين هزم أهل مدينة عاى اليهود حدث أن « شيوخ اسرائيل ٠٠ وضعوا ترابا على رؤوسهم » (يشوع ٧ : ٦) ٠ وكان السقوط على الوجه من علامات الحزن والجزع كذلك ٠ ومن ذلك أن اليهود حين كانوا فى سيناء أرسلوا بعض الجواسيس الى أرض فلسطين ليأتوهم بمعلومات عن أهلها ، فلما عاد الجواسيس ذكروا أن أهل تلك البلاد أقوياء ولا يمكن لليهود الاغارة عليهم ٠ وقد جاء فى سفر العدد « فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة ٠ وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى اسرائيل ٠٠ فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بنى اسرائيل » (العدد ١٤ : ١ ــ ٥) ٠

وقد ذكرت التوراة كثيرا من آداب السلوك التى على اليهود أن يلتزموها ، فجاء فى سفر اللاويين مثلا « تهابون كل انسان أمه وأباه ٠٠ ولا تغدروا أحدكم بصاحبه ٠٠ لا تغضب قريبك ٠٠

لا تشتم الأصم ، وقدام الأعمى لا تجعل معثرة ٠٠ لا تسع بالوشاية بين شعبك ٠٠ لا تبغض أخاك فى قلبك ٠٠ لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك ٠٠ من أمام الأشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ ٠٠ ولو نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه ٠ كالوطنى منكم يكون الغريب النازل عندكم » (اللاويين ١٩) ٠ وجاء فى سفر الأمثال : « اسمع يا ابنى تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك ، لأنهما اكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك ٠٠ لا تخاصم انسانا بدون سبب ، ان لم يكن قد صنع معك شرا ٠٠ الحكماء يرثون مجدا والحمقى يحملون هوانا ٠٠ تمسك بالأدب ٠٠ احفظه فانه هو حياتك ٠٠ لتنظر عيناك الى قدامك وأجفانك الى أمامك مستقيما ٠٠ لا تمل يمنة ولا يسرة ٠٠ الرجل اللئيم ، الرجل الأثيم يسعى باعوجاج الفم ٠ يغمز بعينيه ٠ يقول برجله ٠ يشير بأصابعه ٠ فى قلبه أكاذيب ٠ يخترع الشر فى كل حين ٠ يزرع خصومات ٠ لأجل ذلك بغتة تفاجئه بليته ٠ فى لحظة ينكسر ولا شفاء ٠٠ توبيخات الأدب طريق الحياة ، لحفظك من المرأة الشريرة ٠ من ملق لسان الأجنبية ٠ لا تشتهين جمالها بقلبك ولا تأخذك بهدبها ٠ لأنه بسبب امرأة زانية يفتقر المرء الى رغيف خبز ٠٠ أيأخذ انسان نارا فى حضنه ولا تحترق ثيابه ؟ ٠٠ ولا توبخ مستهزئا لئلا يبغضك ٠ وبخ حكيما فيحبك ٠٠ الابن الحكيم يسر أباه وابن الجاهل حزن أمه ٠٠ من يخفى البغضة فشفتاه كاذبتان ومشيع المذمة هو جاهل ٠ كثرة الكلام لا تخلو من معصية ٠ أما الضابط شفتيه فعاقل ٠٠ تأتى الكبرياء فيأتى الهوان ٠٠ المحتقر صاحبه هو ناقص الفهم ٠ أما ذو الفهم فيسكت ٠ الساعى بالوشاية يفشى السر والأمين الروح يكتم الأمر ٠٠ الرجل الرحيم يحسن الى نفسه والقاسى يكدر لحمه ٠٠ من يطلب الخير يلتمس الرضاء ومن يطلب الشر فالشر يأتيه ٠٠ من يتكل على غناه يسقط ٠٠ ورابح النفوس حكيم ٠٠ المرأة الفاضلة تاج لبعلها ٠ أما المخزية

فكنخر فى عظامه •• لانسان يشبع خيرا من ثمر فمه •• شفة الصدق تثبت الى الأبد ولسان الكذب انما هو الى طرفة عين •• الخصام انما يصير بالكبرياء ، ومع المتشاورين حكمة •• المساير الحكماء يصير حكيما ، ورفيق الجهال يضر •• من يمنع عصاه يمقت ابنه ومن أحبه يطلب له التأديب •• حكمة المرأة تبنى بيتها ، والحماقة تهدمه بيدها •• توجد طريق تظهر للانسان ستقيمه وعاقبتها طرق الموت •• الحكيم يخشى ويحيد عن الشر والجاهل يتصلف ويثق •• بطيء الغضب كثير الفهم •• الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط •• القليل مع مخافة الرب خير من كنز عظيم مع هم •• الرجل الغضوب يهيج الخصومة وبطيء الغضب يسكن الخصام •• مقاصد بغير مشورة تبطل ، وبكثرة المشيرين تقوم •• مخافة الرب أدب حكمة ، وقبل الكرامة التواضع •• مكرهة الرب كل متشامخ القلب •• الرجل اللئيم ينبش الشر وعلى شفتيه كالنار المتقدة • رجل الأكاذيب يطلق الخصومة والنمام يفرق الأصدقاء •• لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام •• تاج الشيوخ بنو البنين ، وفخر البنين آباؤهم •• من يجازى عن خير بشر لن يبرح الشر من بيته •• الابن الجاهل غم لأبيه ومرارة للتى ولدته •• المتراخى فى عمله هو أخو المسرف •• الموت والحياة فى يد اللسان •• شاهد الزور لا يبرأ والمتكلم بالأكاذيب لا ينجو •• الابن الجاهل مصيبة على أبيه ، ومخاصمات الزوجة كالوكف المتتابع •• البيت والثروة ميراث من الآباء ، أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب • النفس المتراخية تجوع •• من يرحم الفقير يقرض الرب ومن معروفه يجازيه •• المخرب أباه والطارد أمه هو ابن مخز ومخجل •• من يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضا يصرخ ولا يستجاب •• الصيت أفضل من الغنى العظيم ، والنعمة الصالحة أفضل من الفضة والذهب •• الغنى والفقير يتلاقيان • صانعهما كليهما الرب •• لا تسلب

الفقير لكونه فقيرا ولا تسحق المسكين في البــاب ، لأن الرب يقيم دعواهم ويسلب سالبي أنفسهم • لا تستصحب غضوبا ، ومع رجل ساخط لا تجيء لئلا تألف طرقه •• لا تأكل خبز ذي عـين شريرة ولا تشته أطايبه ، لأنه كمـا شـعر في نفســه هكذا هو يقــول لك كل واشرب وقلبــه ليس معك • اللقمـة التي أكلتها تتقيأها وتخسر كلماتك الحلوة • في أذني جاهـل لا تتكلم لأنه يحتقر حكمة كلامك • • لا تكن بين شريبي الخمر ، بين المتلفين أجسـادهم ، لأن السـكير والمسرف يفتقران • • لمن الويل ؟ • • لمن الكروب ؟ • • للذين يدمنون الخمر • • لا تنظر الى الخمر اذا أحمرت حين تظهر حبابها في الكأس وساغت مرقرقة • في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان •• لا تغـر من الأشرار ولا تحسد الأثمة • لانه لا يكون ثواب للأشرار •• جاوب الجاهل حسب حماقته لئلا يكون حكيما في عين نفسه •• ليمدحك الغريب لا فمك • الأجنبي لا شفتاك •• من يضـــل المستقيمين في طريق رديئة ففي حفرته يسقط هو •• من يعطي الفقير لا يحتاج ، ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة » (الأمثال ١ ــ ٣١) ــ ولكن اليهود كما سبق أن رأينا في فصول هـــذا الكتاب ، لم يكونوا في أي وقت مطيعين لأي وصية من هـــذه الوصايا ، أو عاملين بأي نصيحة من هذه النصائح ، وان كان فقهاؤهم ــ ولا سيما الفريسيون ــ استغلوا الآيات التي توصي اليهود باحترام شيوخهم ، فألزموهم بأن يخاطبوهم بألفاظ الاحترام والتبجيل ، قائلين لهم بالعبرية « ربي » أي « ســـيدي » ، أو « ربوني » أي « سيدي الكبير » (يوحنا ٢٠ : ١٦) •

أما التحية المعتادة حين كان يلتقي اليهود ، فهي أن يقــول كل منهم للآخر « سلام » • بمعنى « هل أنت بخير ؟ » أو بمعنى « أرجو أن تكون بخير » ، أو « أرجو لك الخير والطمأنينـــة والسلام » • واذ كان من عـادة اليهــود أن يطيلوا في تبــادل

عبارات التحية هذه طلب أليشع النبى من غلامه جيحزى ـ وكان قد أرسله فى مهمة عاجلة ـ ألا يطيل السلام على أحد وهو فى الطريق ، حتى لا يتأخر فى أداء مهمته (الملوك الثانى٤:٢٩) ٠

وكانت العادة عند اليهود أن يترك الرجال شعر رؤوسهم ينمو حتى يصل الى الكتفين ٠ وكان المنذورون يتركونه ينمو ولو تجاوز الكتفين ، حتى تنتهى مدة نذرهم التى قد تكون مدى الحياة (العدد ٦ : ٥) ٠ وكان بعض المنذورين يضفرون شعرهم حين يطول جدا ، فكان شمشون مثلا يضفر شعر رأسه سبع خصل (القضاة ١٦ : ١٣) ٠ وكان البعض من غير المنذورين أيضا يطيلون شعورهم جدا بقصد الزينة ، كما كان يفعل أبشالوم ابن الملك داود ، اذ جاء عنه فى سفر صموئيل « ولم يكن فى كل اسرائيل رجل جميل وممدوح جدا كأبشالوم ٠٠ وعند حلقه رأسه ، اذ كان يحلقه فى آخر كل سنة ، لأنه كان يثقل عليه فيحلقه ، كان يزن شعر رأسه مائتى شاقل » (صموئيل الثانى ١٤ : ٢٥ و ٢٦) ٠ وقد منعت الشريعة اليهود من أن يقص أحدهم شعره مستديرا أو يفسد عارضيه كما كان يفعل الوثنيون (اللاويين ١٩ : ٢٧) ٠ فلم تكن الشريعة تسمح بحلق الرأس الا للآبرص يوم تطهيره (اللاويين ١٤ : ٨) ٠ والنذير يوم انتهاء نذره (العدد ٦ : ١٨) ٠ والمرأة الأسيرة حين تتزوج يهوديا (التثنية ٢١ : ١٢) ٠ وكان جز الشعر كذلك من علامات الحزن والندم والتوبة عن الخطيئة (ارميا ٧ : ٢٩) ٠ وكان اليهود حين يحلقون أو يجزون شعر رؤوسهم يستخدمون لذلك موسى (اشعياء ٧ : ٢٠) أو سكينا (حزقيال ٥ : ١) أو مقصا (الملوك الثانى ١٢ : ١٣) ٠ وكان من علامات الفرح عند اليهود ولا سيما فى الأعياد والاحتفالات والولائم أن يدهنوا شعرهم بالزيوت العطرة (متى ٦ : ١٧) ٠ وكان من علامات الحزن أن يتركوا شعرهم بغير

دهان (متى ٦ : ١٧) . وكان من أهم مظاهر الزينة لدى النساء أن يضفرن شعورهن ويجعدنها ويرصعنها بالذهب والجواهر والأحجار الكريمة . وكن يبالغن فى ذلك حتى ندد الأنبياء والرسل بما يفعلن (تيموثاوس الأولى ٢ : ٩ ، بطرس الأولى ٣ : ٣) . وكانت العادة الشائعة لدى اليهود أن يطلق الرجال لحاهم ويعتنوا بها ، معتبرين أن اللحية المهيبة مظهر للاحترام والكرامة ، وان اهمالها دليل على الحقارة أو الجنون (صموئيل الأولى ٢١ : ١٣) . وقد أراد ملك العمونيين أن يلحق بمندوبى الملك داود اهانة عظمى فحلق لهم أنصاف لحاهم ، فلم يستطيعوا العودة الى أورشليم الا بعد أن نبتت لحية لكل منهم (صموئيل الثانى ١٠ : ١ ـ ٥) . غير أن اليهود كانوا يجزون لحاهم أو ينتفونها أو يهملون العناية بها كمظهر من مظاهر الحزن (اشعياء ١٥ : ٢ ، عزرا ٩ : ٣ ، صموئيل الثانى ١٩ : ٢٤) .

وكان اليهود شغوفين بالتبرج والتزين بالحلى والمجوهرات ، ولا سيما الأغنياء منهم . وكان الرجال لا يفترقون فى ذلك عن النساء ، فكانوا يتزينون مثلهن بالأساور ، يطوقون بها الساعد أو المرفق (حزقيال ١٦ : ١١) . وقد جاء فى سفر صموئيل أن الملك شاول كان يطوق ذراعه بسوار (صموئيل الثانى ١ : ١٠) . كما كان الرجال يتزينون كالنساء بالقلائد (الأمثال ١ : ٩) . وقد أشار اشعياء النبى الى بعض الحلى التى كانت اليهوديات يتبرجن بها ، اذ يقول « قال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن : ويخشخشن بأرجلهن .. ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة ، والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق .. والخواتم وخزائم الأنف والثياب المزخرفة .. والمرائى والقمصان والعمائم » (اشعياء ٣ : ١٦ ـ ٢٣) .

٧ ـ لغة اليهود

كان ابراهيم الجد الأول لليهود يتكلم باللغة التى كان يتكلم بها الكلدانيون حين كان يعيش فى احدى مدنهم ، وهى مدينة « أور » التى كانت تقع فى منتصف المسافة بين بغداد الحالية والخليج الفارسى ، وتسميها التوراة « أور الكلدانيين » (التكوين ١١ : ٣١) · وكانت لغة الكلدانيين هى اللغة الأكادية · وحين هاجر ابراهيم الى مدينة « حاران » احدى مدن الآراميين التى كانت تقع بين النهرين شمال شرقى دمشق ، أصبحت لغته هى لغة هذه البلاد وهى اللغة الآرامية · ثم حين انتقل ابراهيم الى أرض كنعان · كان أهلها يتكلمون باللغة العبرية ، فأصبح يتكلم بهذه اللغة · وكانت اللغات الأكادية والآرامية والعبرية كلها من اللغات السامية التى استعملتها الشعوب والقبائل التى ورد فى التوراة أنها انحدرت من نسل سام بن نوح (التكوين ١٠ : ٢١ ـ ٣١) · ومن هذه اللغات السامية كذلك اللغتان العربية والحبشية ·

وقد ظل اليهود منذ نزوح جدهم الأول ابراهيم الى أرض كنعان يتكلمون باللغة العبرية · وقد ظلوا يتكلمون بها طوال اقامتهم فى مصر ، وان كانوا ولا شك قد تعلموا فى هذه الفترة اللغة المصرية القديمة أيضا وتعاملوا بها مع المصريين ، ولعلهم تأثروا بكثير من تعبيراتها فى لغتهم الأصلية · حتى اذا خرجوا من مصر بزعامة موسى الى سيناء كانت اللغة العبرية هى السائدة بينهم ، وهى التى كتب بها موسى أسفاره الخمسة وما تضمنته من أصول الشريعة اليهودية · ثم ظل اليهود يتكلمون باللغة العبرية ويكتبون بها طوال عهد القضاة ، ثم طوال عهد الملوك الى أن أغار عليهم الأشوريون والبابليون وأجلوهم عن بلادهم · مشتتين اياهم فى مختلف الأراضى والبقاع · فعاشوا فى السبى

عيش العبيد • وكانت اللغة العبرية شديدة الشبه بلغات الشعوب والقبائل الأخرى التى كانت تقطن فيما بين أرض النهرين وساحل البحر الأبيض ولا سيما لغات الفينيقيين والآراميين والموآبيين • وقد أخذوا الحروف التى استخدموها فى كتابة لغتهم العبرية من الحروف التى كان يستخدمها الفينيقيون • وكتبوا باللغة العبرية معظم أسفارهم المقدسة •

وفى أثناء السبى بدأ اليهود يتكلمون باللغة السائدة فى البلاد التى كانوا مسبيين فيها ، وهى اللغة الآرامية التى كانت سائدة فى ذلك الحين فى معظم البلاد الخاضعة للآشوريين والبابليين ، ولا سيما فى العلاقات السياسية والمعاملات التجارية • ثم ظلت بعد ذلك هى اللغة الرسمية فى الامبراطورية الفارسية قرونا طويلة ، ومنها نشأت اللغة السريانية التى سادت فيما بعد فى سوريا وفيما بين النهرين • ولم يلبث اليهود أن نسوا أثناء السبى لغتهم العبرية تماما ، وأصبحت لغتهم التى يتخاطبون بها ويكتبون بها هى اللغة الآرامية • حتى اذا سمح لهم دارا ملك الفرس بالعودة الى فلسطين ظلت الآرامية هى لغتهم كذلك حتى مجىء السيد المسيح ، وحتى هلاك اليهود واندثار أمتهم بعد ذلك على يد الرومان • غير أنهم اذ كانت أسفارهم الدينية مكتوبة باللغة العبرية ، اعتبروها لغة مقدسة ، واحتفظوا بها فى أداء شعائرهم الدينية ، فكان كهنتهم يقرأون أثناء الصلاة فصولا من الأسفار باللغة العبرية ، ثم يترجمونها شفويا الى اللغة الآرامية لكى يفهم الشعب معناها • ثم لم يلبثوا أن ترجموا الأسفار الى الآرامية ترجمة مكتوبة ، وأصبحوا يقرأون فصولا منها بعد قراءة تلك الفصول باللغة العبرية • والمعروف أن عزرا الذى تزعم اليهود عقب عودتهم من السبى هو الذى ترجم أسفار موسى الخمسة ترجمة مكتوبة من اللغة العبرية الى اللغة الآرامية • كما أن السفر الذى كتبه عن تاريخ اليهود

بعد السبى وان كان قد كتبه بالعبرية فقد أورد فيه بعض الأجزاء بالآرامية • كما أن دانيال النبى كتب سفره فى الأصل بالآرامية •

على أنه فى العصر اليونانى ، حين سادت اللغة اليونانية فى معظم البلاد التى اشتملت عليها امبراطورية الاسكندر الأكبر ، كان اليهود القاطنون فى معظم أنحاء هذه البلاد يتكلمون باللغة اليونانية ، ومن ثم اضطر اليهود الذين كان عدد كبير منهم يقيم فى مصر الى ترجمة التوراة من اللغة العبرية الى اللغة اليونانية فى عهد بطليموس فيلادلفوس ، فى القرن الثالث قبل الميلاد ، على يد اثنين وسبعين من علماء اليهود ، وهى المسماة بالترجمة السبعينية • كما أن بعض اليهود فى فلسطين ذاتها كانوا يعرفون اللغة اليونانية ويتكلمون بها (يوحنا ١٢ : ٢٠ و ٢١ ، الأعمال ٢١ : ٣٧) • وقد كتب رسل السيد المسيح ـ الذين كانوا من يهود فلسطين ـ معظم أسفار العهد الجديد باللغة اليونانية •

الفصـــل الثانى

الحياة الاقتصادية عند اليهود

وقد اشتغل بعض اليهود بالزراعة ولا سيما حين استقروا
قبائل بدوية متخلفة • وقد ظل مجتمعهم قاصرا على جماعات من
رعاة الغنم والفلاحين والتجار والمرابين ، فكانت هذه الصناعات
هى الموارد المـالية لهم :

رأينا فى الفصل السابق أن اليهود ظلوا طوال تاريخهـ م

١ ـ الموارد المـالية لليهود

عصورهم ، نجد أن داود أعظم ملوكهم كان راعيـــا للغنم فى
صباه •

فقد كان اليهود منذ عهد جدهم الأول ابراهيم يرعون الغنم
مصدر ما كان يجمعه أغنيـاؤهم من ثروات • فحتى فى ازهى
والمـاشية ويعيشون على منتجاتها • فكانت هى أهم مقتنياتهم وهى
فى أرض فلسطين الخصبة التى لا تنقطع عنها ميـــاه الأمطـار
والأنهار والينابيع طوال السنة ، والتى لا تحتاج من ثم الى مجهود
كبير فى زراعتها • فكانوا يزرعون فى حقولها كثيرا من أنواع
المحاصيل ولا سيما القمح والشعير والفول والعدس • وكانوا
يغرسون فى بساتينها كثيرا من أنواع الأشجار ولا سيما الزيتون

والعنب والرمان واللوز والنخيل • فكانت الزراعة من اهم الموارد المالية لليهود •

وقد أجاد اليهود حرفة التجارة بحكم غريزتهم التى تنطوى على المكر والدهاء والقدرة على الخداع • والتى تنطوى فى نفس الوقت على الشهوة العارمة الى جمع المال بالحلال أو بغير الحلال غير أنهم لم يزاولوا التجارة فى الغالب الا كوسطاء ، اذ كانت قوافل التجارة القادمة من البلاد الأجنبية لا تفتأ تمر ببلادهم محملة بالبضائع من كل نوع ، ولا سيما بالأنسجة الفاخرة والملابس الزاهية والحلى البراقة التى كانت تستهوى نساء اليهود ، فكان التجار اليهود يتلقفون هذه القوافل ويشترون ما يروق لهم من بضائعها بأقل ما يمكن من الأسعار بعد كثير من المساومات التى برعوا فيها ، ثم يبيعون ما اشتروه لأبناء جنسهم بأغلى ما يمكن من الأسعار بعد كثير من المساومات كذلك، فكانوا يجنون من ذلك أرباحا طائلة • أما التجارة بغير طريق الوساطة فكانت محدودة جدا ، سواء بالنسبة للتجارة الداخلية أو التجارة الخارجية • فبالنسبة للتجارة الداخلية كان بعض اليهود يبيعون مواشيهم لأبناء جنسهم ولا سيما فى المواسم والأعياد لتقديمها ذبيحة فى الهيكل • كما كانوا يبيعون لهذا الغرض الحمام واليمام • وكان يحدث ذلك فى فناء الهيكل ذاته • وبالنسبة للتجارة الخارجية كان اليهود يبيعون بعض منتجاتهم للبلاد المجاورة لهم ولا سيما فينيقيا ، ويشترون بعض منتجات تلك البلاد (الملوك الأول ٥ : ١١ • حزقيال ٢٧ : ١٧ ، عزرا ٣ : ٧ ، نحميا ١٣ : ٢٠ و ٢١) • ولكنهم كانوا لا يزاولون التجارة البحرية بسبب عجزهم عن صناعة السفن • وقد حاول الملك سليمان اقتحام هذا الميدان فصنع عددا من السفن واستعار عددا آخر ، كما استعار بحارة هذه السفن من أحد ملوك الفينيقيين وهو حيرام ملك صيدا ، وراح يجلب بواسطتها مختلف

البضائع ولا سيما الذهب من البلاد الواقعة على شواطىء البحر الأبيض والبحر الأحمر والمحيط الهادى . اذ جاء فى سفر الملوك « وعمل الملك سليمان سفنا فى عصيون جابر (على خليج العقبة) التى بجانب ايلة (وهى ايلات الحالية) على شاطىء بحر سوف (وهو البحر الأحمر) فى أرض أدوم ، فأرسل حيرام فى السفن عبيده النواتى العارفين بالبحر مع عبيد سليمان ، فأتوا الى أوفير وأخذوا من هناك ذهبا أربعمائة وزنة وعشرين وزنة وأتوا بها الى الملك سليمان .. وكان للملك فى البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام . فكانت سفن ترشيش تأتى مرة فى كل ثلاث سنوات . أتت سفن ترشيش حاملة ذهبا وفضة وعاجا وقرودا وطواويس . فتعاظم الملك سليمان على كل ملوك الأرض فى الغنى » (الملوك الأول ٩ : ٢٦ ـ ٢٨ ، ١٠ : ٢٢ و ٢٣) . وقد كانت أوفير المذكورة فى هذه العبارة بلادا تقع على السواحل الجنوبية للبحر الأحمر ، والراجح أنها هى اليمن الحالية ، وقد كانت مشهورة بوفرة ما فيها من الذهب والحجارة الكريمة . أما ترشيش فكانت هى مدينة « ترتيسوس » بالقرب من جبل طارق على الساحل الجنوبى لأسبانيا ، وكانت غنية جدا بالمعادن ولا سيما الفضة (ارميا ١٠ : ٩) والحديد والقصدير (حزقيال ٢٧ : ١٢) . ونظرا لبعد هذه المدينة وما كان يتطلبه ذلك من استخدام سفن ضخمة للوصول اليها ، أصبحت كل السفن الضخمة تسمى سفن ترشيش . بيد أنه على الرغم من ضخامة هذه السفن كان كثيرا ما يحدث أن تحطمها الأعاصير فى الطريق فتغرق فى البحر . ولذلك سرعان ما توقف سليمان عن مزاولة التجارة البحرية بعد أن ظل بعض الوقت يجنى من ورائها أرباحا طائلة . وقد حاول يهوشافاط ملك يهوذا بالاشتراك مع أخزيا ملك اسرائيل أن يفعلا ما فعله سليمان . ولكنهما فشلا ، اذ جاء فى سفر أخبار الأيام « ثم بعد ذلك اتحد يهوشافاط ملك يهوذا مع أخزيا ملك اسرائيل .. فاتحد معه فى عمل سفن

تسير الى ترشيش ، فعملا السفن فى عصيون جابر • فتكسرت السفن ولم تستطع السير الى ترشيش » (أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٣٥ ـ ٣٧) • وقد اشتغل بعض اليهود بتجارة الرقيق ، وقد ذكرت التوراة بعض أسماء أولئك التجار وهم ياوان وتوبال ومنا شك قائلة انهم كانوا يتاجرون بنفوس الناس (حزقيال ٢٧ : ١٣) •

وقد اشتهر اليهود فى كل تاريخهم بممارسة الربا ، حتى كاد أن يصبح وقفا عليهم ومصدرا لثرواتهم فى كل زمان ومكان • وقد كانت الشريعة اليهودية تمنع اليهود من أخذ الربا من أبناء جنسهم وتبيح لهم ذلك مع الأجانب ، اذ جاء فى سفر التثنية « لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا ، للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا » (التثنية ٢٣ : ١٩ و ٢٠) • ولكنهم كانوا يأخذون الربا من اليهود ، بل كانوا أشد قسوة على اليهود منهم على غيرهم ، فكانوا يستولون على حقولهم وكرومهم رهنا نظير ديونهم التى أقرضوها لهم • وكانوا يقبضون على المدينين الذين لا يسددون قروضهم ويتخذونهم مع أبنائهم وبناتهم عبيدا ، اذ جاء فى سفر نحميا « وكان صراخ الشعب ونسائهم عظيما على اخوتهم اليهود •• وكان من يقول حقولنا وكرومنا وبيوتنا نحن راهنوها حتى نأخذ قمحا فى الجوع •• وكان من يقول قد استقرضنا فضة لخراج الملك على حقولنا وكرومنا • والآن لحمنا كلحم اخوتنا وبنونا كبنيهم وها نحن نخضع بنينا وبناتنا عبيدا ، ويوجد من بناتنا مستعبدات وليس شيء فى طاقة يدنا ، وحقولنا وكرومنا للآخرين • فغضبت جدا حين سمعت صراخهم •• وبكت العظماء والولاة وقلت لهم انكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه •• نحن اشترينا اخوتنا الذين بيعوا للأمم •• وأنتم أيضا تبيعون اخوتكم فيباعون لنا • فسكتوا ولم يجدوا جوابا • وقلت •• فلنترك هذا الربا • ردوا لهم

هذا اليوم حقولهم وكرومهم وبيوتهم والجزء من مائة الفضة والقمح والخمر والزيت الذى تأخذونه منهم ربا » (نحميا ٥ : ١ ـ ١١) • وكان للمرابين اليهود طريقة أخرى للربح يسمونها المرابحة ، فكانوا يقترضون الأموال نظير ربا زهيد ، ثم يقرضونها نظير ربا فاحش ، فيربحون الفرق (حزقيال ٢٢ : ١٢) •

وقد سبق أن رأينا أن اليهود لم يكن لديهم أى نوع من الصناعة يصلح لأن يكون موردا هاما من مواردهم المالية ، وانما كانت لديهم صناعات بدائية بسيطة يزاولها أفراد من الصناع الفقراء كالحدادين والصاغة والنجارين والنساجين والقصارين والدباغين والفخارين والخبازين وغيرهم • ولم يكن يزاول هذه الصناعات جماعات أو شركات تهدف الى الكسب على نطاق واسع : ولذلك لم يكن لها أثر كبير فى تنمية الموارد المالية لأصحابها أو لليهود على العموم •

٢ ـ العملات المتداولة بين اليهود

وقد ظل اليهود فترة طويلة من تاريخهم لا يستخدمون النقود فى التعامل ، وانما كان أساس التبادل بينهم هو وزنات من الفضة والذهب (اشعياء ٤٦ : ٦) • فلم يبدأ اليهود فى استخدام النقود المسكوكة الا بعد عودتهم من السبى • وقد استخدموا نقود الدول التى كانت تسيطر عليهم ، فاستخدموا أولا نقود الفرس ، ثم اليونان ، ثم الرومان • غير أنه فى نحو عام ١٤١ قبل الميلاد كان سمعان المكابى حاكما لليهود ، وقد استأذن الملك اليونانى أنطيوخوس السابع الذى كان يسيطر على اليهودية فى سك نقود باسمه • فلما أذن له فى ذلك سك نقودا من النحاس على أحد جانبيها صورة قسط المن الذى كان اليهود قد احتفظوا به فى تابوت العهد ، وعلى الجانب الآخر رسم يمثل غصنى لوز فيه ثلاث زهرات وهو يرمز الى عصا هارون

التى أفرخت • ثم سك حاكم آخر من المكابيين هو يوحنا هركانوس نقودا من النحاس على أحد جانبيها اكليل من أغصان الزيتون مكتوب في وسطه « رئيس الكهنة يوحانان وجماعة اليهود » ، وعلى الجانب الآخر رسم يونانى يمثل قرن الخصب المزدوج وفى وسطه رأس خشخاش • ثم سك هيرودس الكبير وخلفاؤه من بعده نقودا نحاسية تحتوى على نقوش وكتابات يونانية • ولكن النقود اليونانية ظلت مع ذلك متداولة بين اليهود الى جانب هذه النقود اليهودية • ثم فى عصر خضوع اليهود للرومان كانوا يتداولون النقود الرومانية الى جانب نقودهم • غير أن كهنتهم لم يكونوا يقبلون منهم الضريبة المقررة عليهم الا بالعملة اليهودية المسماة بالشاقل الفضى ، وهو يساوى نحو ستة قروش مصرية ، وكان على كل يهودى أن يقدم للهيكل نصف شاقل سنويا ، تكفيرا عن نفسه (الخروج ٣٠ : ١٤ و ١٥) • وكان من النقود الأجنبية التى يتداولها اليهود الدرهم المسكوك من الفضة (لوقا ١٥ : ٨) وكان فى عهد هيرودس يساوى نحو خمسة قروش مصرية • وكان منها « الاستار » المسكوك من الفضة (متى ١٧ : ٢٧) ، وكان يساوى نحو خمسة وعشرين قرشا مصريا • وكان منها « الوزنة » (متى ١٨ : ٢٤) وهى وحدة القياس الوثنية التى كان الاسكندر الأكبر قد جعلها سارية فى كل أنحاء امبراطوريته ، ولم تكن مسكوكة ، وانما كانت ذات قيمة حسابية ، وتتألف من ستين من الأجزاء التى كانت تسمى « أمناء » (لوقا ١٩ : ١٣ ـ ٢٥) • وكان « المنا » بدوره يتألف من مائة آلاف « درهم » • فكانت الوزنة كلها تساوى نحو ثلاثمائة جنيه مصرى • وكان من النقود الأجنبية أيضا فى عهد الرومان « الدينار » المسكوك من الفضة (متى ١٨ : ٢٨) وكان يساوى نحو ستة قروش مصرية ، وكان هو العملة التى ينبغى على اليهود أن يدفعوا بها الجزية لقيصر الرومان (متى ٢٢ : ١٩) • أما الدينار الرومانى المسكوك من الذهب فكان يساوى

خمسة وعشرين دينارا من الفضة ٠ وكان من النقود الرومانية كذلك « الفلس » المسكوك من النحاس الأحمر (متى ١٠ : ٢٩) وكان يساوى نحو ثلاثة مليمات مصرية ٠ وكان منها « الربع » (مرقس ١٢ : ٤٢) أى ربع « الفلس » ٠

٣ ـ المقاييس والمكاييل والموازين

جاء فى سفر اللاويين « لا ترتكبوا جورا فى القضاء ، لا فى القياس ولا فى الوزن ولا فى الكيـــل ٠٠ أنا الرب الهكم ٠٠ فتحفظون كل فرائضى وكل أحكامى » (اللاويين ١٩ : ٣٥ ـ ٣٧) وجــاء فى سفر التثنية « لا يكن لك فى كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة ٠ لا يكن لك فى بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة ؛ وزن صحيح وحق يكون لك ومكيال صـحيح وحق يكون لك » (التثنية ٢٥ : ١٣ ـ ١٥) ٠ والراجح أنه كانت توجد فى هيكل أورشليم نماذج للمقاييس والمكاييل والموازين التى كان على اليهود أن يلتزموا بها ٠ حتى اذا سبى البابليون اليهود بعد أن استولوا على أورشليم وهدموا الهيكل فى نحــو عــام ٥٨٨ قبل الميلاد اندثرت هـذه النماذج ، فلم يسع اليهود وهم فى السبى الا أن يستعملوا المقاييس والمكـاييل والموازين التى كانت تستخدمها الشعوب التى عاشوا بينها ٠ وفيما يـلى بيان ببعض ما عرفه اليهود فى معاملاتهم من المقاييس والمكاييل والموازين المختلفة قبل اندثار أمتهم :

أ ـ المقاييس

استخدم اليهود فى قياس الأطــوال مقاييس بعض أعضــاء الجسم ٠ فكان منها « الاصبع » (ارميا ٥٢ : ٢١) و « الكف » (الخروج ٢٢ : ٢٥) و « الشــــبر » (الخروج ٣٧ : ١٢) و « الذراع » (التثنية ٣ : ١١) و « القامة » (الاعمال ٢٧ : ٢٨) ٠ كما استخدموا فى قياس الاطوال « القصبة » (حزقيال

٤٢ : ١٦) وكانت تساوى نحو ستة أذرع • و « حبل القياس »
(زكريا ٢ : ١) وكان يساوى نحو ثلاث عشرة قصبة •
و « الغلوة » (لوقا ٢٤ : ١٣) وكانت مقياسا يونانيا للمسافات
يساوى نحو مائة وخمسين خطوة • و « الميل » (متى ٥ : ٤١)
وكان مقياسا رومانيا يساوى نحو ألف خطوة ، و « سفر السبت »
(الاعمال ١ : ١٢) وهو مسافة تقل قليلا عن الميل الرومانى •
وقد جرت تقاليد اليهود على أنه يجوز قطع هذه المسافة فى
يوم السبت دون أن يكون ذلك مخالفا لوصية الشريعة التى
تقول « لا يخرج أحد من مكانه فى اليوم السابع » (الخروج
١٦ : ٢٩) • و « مسيرة يوم » (العدد ١١ : ٣١) وكان يراد
بها مسافة تقديرية تبلغ فى المتوسط نحو عشرين ميلا •

ب ـ المكاييل :

وكان من مكاييل اليهود ما يسمونه « المكيال » (متى ٥ : ١٥)
وكان يساوى نحو ثمانية لترات ونصف • و « الثمنية »
(الرؤيا ٦ : ٦) وكانت تساوى نحو لترين • و «اللج »
(اللاويين ١٤ : ١٠) وكان يساوى نحو ثلث لتر • و « البث »
(الملوك الاول ٧ : ٢٦) ويسمى أيضا « الايفة » (الخروج
١٦ : ٣٦) ، وكان يساوى نحو ثلاثة وعشرين لترا •
و « الهين » (الخروج ٢٩ : ٤٠) وهو سدس « البث » أو
« الايفة » • و « الكر » أو « الحومر » (حزقيال ٤٥ : ١٤)
وكان يساوى عشرة « أبثاث » أو « ايفات » • و « المطر »
(يوحنا ٢ : ٦) وهو مكيال يونانى للسوائل كان يساوى نحو
تسعة وثلاثين لترا •

ج ـ الموازين :

وكان لليهود معايير يستخدمونها غالبا من الحجر ويحتفظون

بها فى أكياس ، وعند الوزن يضعونها فى احدى كفتى الميزان ، فيزنون بها المشتروات • كما كانوا قبل سك النقود يزنون بها كمية المعدن من الذهب أو الفضة المدفوعة ثمنا للشراء (ارميا ٣٢ : ١٠) • ومن ذلك أن الملك داود حين اشترى قطعة من الارض ليخصصها لبناء هيكل أورشليم ، دفع ثمنها « ذهبا وزنه ستمائة شاقل » (أخبار الايام الاول ٢١ : ٢٥) • وكان التجار اليهود يتلاعبون غالبا فى الميزان وفى المعايير التى يستخدمونها للوزن ، ولذلك تحدث هوشع النبى عن « موازين الغش » (هوشع ١٢ : ٧) وتحدث ميخا النبى عن « موازين الشر » و « كيس معايير الغش » (ميخا ٦ : ١١) • وكان من أهم الموازين التى يستخدمها اليهود :

(١) « الشاقل » ، وكان هو الوحدة الاساسية التى يجرى حساب كل المعايير والنقود بالنسبة اليها • وكان ثمة أنواع مختلفة من الشاقل ، فكان هناك « شاقل القدس » المخصص للوزن (اللاوين ٥ : ١٥) وكان يوازى نحو اثنى عشر جراما ، وربما كانت نسبته الى القدس راجعة الى أنه هو النموذج الصحيح لمعيار الشاقل الذى كان محفوظا فى القدس ، أى هيكل أورشليم • وكانوا أحيانا يقولون عنه « الشاقل » فقط (التكوين ٢٣ : ١٦) باعتباره هو المعيار الأساسى ، وان كان البعض يعتقدون أن قيمة الشاقل غير المنسوب الى القدس كانت نصف قيمة شاقل القدس • وكان هناك « شاقل الملك » (صموئيل الثانى ١٤ : ٢٦) وكان فى الغالب أكبر من شاقل القدس • وربما كانت نسبته الى الملك راجعة الى أنه يطابق نموذج الشاقل الخاص الذى كان يحتفظ به الملك • وكان هناك فى عهد المكابيين شاقل مسكوك فى شكل عملة ، وان كان منظورا فى قيمته الى وزنه ، وكان يسمى « شاقل الفضة » أو « شاقل الذهب » (المكابيين الاول ١٥ : ٦) وكانوا أحيانا يكتفون بأن يسموه

« الفضة » فيقال مثلا « ثلاثين من الفضة » (متى ٢٦ : ١٥) ٠

(٢) « البقع » وهو نصف الشاقل (التكوين ٢٤ : ٢٢ ، الخروج ٣٨ : ٢٦) ، وكان يزن نحو ستة جرامات ٠

(٣) « الجيرة » أى « القمحة » وهى جزء من عشرين من الشاقل (الخروج ٣٠ : ١٣) ، وكانت تزن نحو ثلاثة أخماس الجرام ٠

(٤) « المنا » (نحميا ٧ : ٧١) وكانوا يستعملونه لوزن الأشياء الثمينة كالذهب والفضة ، فمنا الذهب كان يساوى مائة شاقل (الملوك الاول ١٠ : ١٧ ، أخبار الايام الثانى ٩ : ١٦) ومنا الفضة كان يساوى ستين شاقلا (حزقيال ٤٥ : ١٢) وكانوا يستعملون « المنا » كذلك باعتباره عملة نقدية ٠

(٥) « الوزنة » (الخروج ٣٨ : ٢٥) وكانت تساوى ثلاثة آلاف شاقل ٠ وكانوا يستعملونها لوزن الأشياء الثمينة كذلك كالذهب والفضة (أخبار الايام الاول ٢٩ : ٧) فكانت وزنة الذهب تساوى ثلاثين « منا » ، وكانت وزنة الفضة تساوى خمسين « منا » ، لأن منا الذهب مائة شاقل ، فى حين أن منا الفضة ستون شاقلا ٠

الباب السادس

وعود الله لليهود وغضبه عليهم

الفصل الأول

وعود الله لليهود

لقد اختار الله ابراهيم الجد الاول لليهود ليجيء من نسله المسيح المنتظر • ولذلك كانت وعود الله لابراهيم والآباء الاوائل لليهود تشير الى هـــذا المعنى وتقوم على أساسه • حتى اذا تكاثر نســل أولئك الآباء وأصبحوا شعبا ، تمردوا على اللـــه وأغضبوه بشرورهم وآثامهم وعبادتهم الاصـــــنام والآلهـــة الوثنية ، فبدأ الله يقرن وعوده لهم بالوعيد والتهديد ، منذرا اياهم بأنهم ان لم يرجعوا عن شروروهم ويرتدعوا عن آثامهم ويمتنعوا عن التمرد على أحكامه ووصاياه ، وينقطعوا عن عبادة أى معبود ســـواه ، سيؤدبهم أشـــد التأديب ويعذبهم أشـــد التعذيب • فان لم يفلح معهم التأديب والتعـــذيب ، سيسترد وعوده لهم ، ويصب سخطه عليهم ، ويهلكهم آخر الأمر ويفنيهم ولكن اليهود بالرغم من ذلك تمــــادوا فى غيهم ، وأوغلوا فى فجورهم ، معاندين الله فى كل تصرفاتهم ، متمردين عليه فى كل أمورهم ، متعمدين خيانة عهـــده ، معتدين على أحـــكام شريعته ، عابدين العجول الذهبية والآلهة الوثنية من دونه • حتى اذا جاءهم المسيح الذى تنبأ به كل أنبيائهم ، وكان مجيئه هـــو هدف الله من وعوده لآبائهم ، أنكروه وأهانوه وعذبوه ونكلوا به ، ومن ثم حلت نقمة الله عليهم ، فنفذ وعيـــده وقضى على أمتهم •

وقد كان اليهود فى كل تاريخهم ـ على الرغم من تمردهم عليه وغضبه عليهم ـ يفاخرون بوعود الله لهم ، ويستمدون من هـذه الوعود ذلك الصلف والغرور الذى أصبح جزءا من طبيعتهم ، كما يستمدون منه تلك المطامع التى أصبحت تجرى فى دمائهم ، والتى لا تفتأ تدفع بهم لأن يمتلكوا العالم ويكونوا سادة الشعوب ، حتى بعد أن اندثرت أمتهم ودالت دولتهم •
ومن ثم فاننا ـ لكى نفهم عقلية اليهود على حقيقتها ـ نورد فى هـذا الفصل عبارات التوراة التى تتضمن وعود الله لليهود ، وهى التى يستقون منها مفاخرهم ومطامعهم • ثم نورد فى الفصل التالى عبارات التوراة التى تتضمن غضب الله على اليهود ونقمته عليهم ، وهى التى يتجاهلها اليهود ، ويسقطونها من حسابهم فى كل تصرفاتهم وتطلعاتهم •

فقد ورد فى سفر التكوين عن وعود الله لابراهيم الجد الأول لليهود « وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الارض التى أريك ، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركك ، ولاعنك ألعنه ، وتتبارك فيك جميع قبائل الارض •• فأخذ ابرام ساراى امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان •• وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الارض » (التكوين ١٢ : ١ ـ ٧) ـ « وقال الرب لابرام •• ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لأن جميع الارض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الابد • وأجعل نسلك كتراب الارض ، حتى اذا استطاع أحـد أن يعد تراب الارض فنسلك أيضا يعد • قم امش فى الارض طولها وعرضها لانى لك أعطيها » (التكوين ١٣ : ١٤ ـ ١٧) ـ « فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطى هـذه الارض

من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » (التكوين ١٥ : ١٨) « أنا الله القدير · سر أمامي وكن كاملا فأجعل عهدى بينى وبينك ، وأكثرك كثيرا جـدا ·· أما أنا فهوذا عهدى معك ، وتكون أبا لجمهور من الامم ، فلا يدعى اسمك بعد ابرام ، بل يكون اسمك ابراهيم ، لأنى أجعلك أبا لجمهور من الامم وأثمرك كثيرا جـدا وأجعلك أمما · وملوك منـك يخرجون · وأقيم عهـدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم ، عهـدا أبديا لاكون اليها لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعـان ملكا أبديا ، وأكون الههم » (التكوين ١٧ : ١ ـ ٨) ـ « أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطىء البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك فى نسلك جميع أمم الارض » (التكوين ٢٢ : ١٧ و ١٨) ·

ثم جـاء فى سفر التكوين عن وعود الله لاسحاق بن ابراهيم « وكان فى الارض جوع ·· فـذهب اسحق الى أبيمالك ملـك الفلسطينيين ·· وظهر له الرب وقال لا تنزل الى مصر · آسكن فى الارض التى أقول لك · تغرب فى هـذه الارض فأكون معك وأباركك ، لأنى لك ولنسـلك أعطى جميع هـذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمت لابراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطى نسلك جميع هـذه البلاد وتتبارك فى نسلك جميع أمم الارض ، من أجل أن ابراهيم سمع لقولى وحفظ مـا يحفظ لى ، أوامرى وفرائـضى وشرائعى » (التكـوين ٢٦ : ١ ـ ٥) ·

ثم جـاء فى سفر التكوين أيضا عن وعود الله ليعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، وهو الذى أصبح اسمه بعد ذلك اسرائيل ، واليه ينتسب بنو اسرائيل · « فخرج يعقوب من بئرسبع وذهب نحو حاران ، وصادف مكانا وبات هناك ·· ورأى حلما ، واذا

سلم منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء ، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها ، وهوذا الرب واقف عليها ، فقال أنا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحق · الارض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك · ويكون نسلك كتراب الارض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا · ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الارض » (التكوين ٢٨ : ١٠ ـ ١٤) ـ « وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدان آرام وباركه وقال له ·· لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك اسرائيل ·· أمة وجماعة أمم تكون منك ، وملوك سيخرجون من صلبك ، والارض التى أعطيت ابراهيم واسحق لك أعطيها ، ولنسلك من بعدك أعطى الارض » (التكوين ٣٥ : ٩ ـ ١٢) ·

ثم بعد خروج اليهود من مصر الى سيناء بزعامة موسى النبى جاء فى سفر الخروج ان الله قال لموسى « انى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم ·· فنزلت لانقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض جيدة واسعة ، الى أرض تفيض لبنا وعسلا ، الى مكان الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين » (الخروج ٣ : ٧ و ٨) ـ « وأما موسى فصعد الى الله فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى اسرائيل : أنتم رايتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم الى · فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى ، تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب · فان لى كل الارض ، وانتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » (الخروج ١٩ : ٣ ـ ٦) ـ « ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجىء بك الى المكان الذى أعددته ·· وأجعل تخومك من بحر سوف (البحر الاحمر) الى بحر فلسطين ، ومن البرية الى النهر ، فانى أدفع الى أيديكم سكان الارض فتطردهم من أمامك » (الخروج ٢٣ : ٢٠ و ٣١) ·

وجاء فى سفر اللاويين « فتحفظون جميع فرائضى وجميع أحكامى وتعملونها لكى لا تقذفكم الارض التى أنا آت بكم اليها لتسكنوا فيها · ولا تسلكون فى رسوم الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم ، لأنهم قد فعلوا كل هذا فكرهتهم ، وقلت لكم ترثون أنتم أرضهم وأنا أعطيتكم اياها لترثوها أرضا تفيض لبنا وعسلا · أنا الرب الهكم الذى ميزكم عن الشعوب » (اللاويين ٢٠ : ٢٢ ـ ٢٤) ·

وجاء فى سفر العدد « وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم انهم عابرون الاردن الى أرض كنعان ، فتطردون كل سكان الارض من أمامكم ·· تملكون الارض وتسكنون فيها ، لأنى قد أعطيتكم الارض لكى تملكوها · وتقتسمون الارض بالقرعة حسب عشائركم ·· وان لم تطردوا سكان الارض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها » (العدد ٣٣ : ٥٠ ـ ٥٥) · ـ « وكلم الرب موسى قائلا أوص بنى اسرائيل وقل لهم انكم داخلون الى أرض كنعان · هذه هى الارض التى تقع لكم نصيبا · أرض كنعان بتخومها · تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين الى جانب أدوم ، ويكون لكم تخم الجنوب من طرف بحر الملح الى الشرق ، ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقربيم ويعبر الى صين وتكون مخارجه من جنوب قادش برنيع ويخرج الى حصر أدار ويعبر الى عصمون ، ثم يدور التخم من عصمون الى وادى مصر ، وتكون مخارجه عند البحر · وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخما · هذا يكون لكم تخم الغرب · وهذا يكون لكم تخم الشمال ، من البحر الكبير ترسمون لكم الى جبل هور ، ومن جبل هور ترسمون الى مدخل حماة ، وتكون مخارج التخم الى صدد ، ثم يخرج التخم الى

(م ـ ٣٥ اليهودية)

زفرون وتكون مخارجه عند حصر عينان . هـــذا يكون لكم تخم الشمال . وترسمون لكم تخما الى الشرق من حصر عينان الى شفام ، وينحدر التخم من شفام الى ربلة شرقى عين ، ثم ينحدر التخم ويمس جانب بحـر كنارة الى الشرق ، ثم ينحدر التخم الى الاردن ، وتكون مخارجه عند بحر الملح . هـــذه تكون لـكم الارض بتخومها حواليها » (العدد ٣٤ : ١ ــ ٢) .

وجاء في سفر التثنية « هـــذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع اسرائيل في بحر الاردن ، فى البرية .. الرب الهنـــا كلمنا فى حوريب قائلا كفاكم قعود فى هـــذا الجبل ، تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الاموريين وكل مـــا يليـــه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانى ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات . قـــد جعلت أمامكم الارض . ادخلوا وتملكوا الارض التى أقسم الرب لآبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم » (التثنية ١ : ١ و ٦ ــ ٨) . وجـاء فى هـذا السفر « احترز واحفظ نفسك جـــدا لئلا تنسى الامور التى أبصرت عيناك .. فى اليوم الذى وقفت فيه أمـام الرب الهك فى حوريب .. لئلا تفسدوا وتعملوا لانفسكم تمثالا منحوتا .. ولئلا ترفع عينيك الى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم .. وتسجد لها وتعبدها .. وأنتم قـد أخذكم الرب وأخرجكم من كور الحديد من مصر لكى تكونوا له شعب ميراث » (التثنية ٤ : ٩ ــ ٢٠) ــ « لأنك شعب مقدس للرب الهك . وقـد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجـــه الارض » (التثنية ١٤ : ٢) ــ « وواعدك الرب اليوم أن تكون له شـــعبا خاصا كما قال لك ، وتحفظ جميع وصاياه ، وأن يجعلك شـــعبا مستعليا على جميع القبائل التى عملها فى الثناء والاسم والبهاء ، وأن تكون شعبا مقدســا للرب الهك كما قال » (التثنية ٢٦ : ١٨ و ١٩) ــ

« ان سمعت سمعا لصوت الرب الهك لتحرص ان تعمل بجميع وصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب الهك مستعليا على جميع قبائل الارض •• يقيمك الرب لنفسه شعبا مقدسا كما حلف لك اذا حفظت وصايا الرب الهك وسلكت فى طرقه » (التثنية ٢٨ : ١ و ٩) •

وجاء فى سفر يشوع « وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا موسى عبدى قد مات • فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التى أنا معطيها لهم ، لبنى اسرائيل • كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى • من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات • جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم ، لا يقف انسان فى وجهك كل أيام حياتك • كما كنت مع موسى أكون معك •• لانك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التى حلفت لآبائهم أن أعطيهم • انما كن متشددا •• لكى تتحفظ للعمل حسب كل الشريعة التى أمرك بها موسى عبدى • لا تمل عنها يمينا ولا شمالا لكى تفلح حيثما تذهب • لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك • بل تلهج فيه نهارا وليلا لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه • لانك حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح » (يشوع ١ : ١ ــ ٨) •

ويبدو من هذه النصوص كلها ومن غيرها مما جاء بمعناها فى التوراة أن وعود الله لليهود كانت دائما معلقة على شرط واضح صريح لا يمكن تنفيذ هذه الوعود الا باستيفائه، وهو ان يطيعوا الله ويعملوا بأحكامه ووصاياه ويدينوا له بالولاء الدائم فلا يعبدوا سواه ، والا انقلب وعده الى وعيد ، وتحولت نعمته الى نقمة • ويبدو هذا المعنى واضحا على الخصوص فى تلك العبارات التى وردت فى سفر اللاويين ، اذ

جـــاء فيه « لا تصنعوا لكم أوثانا ٠٠ ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له ٠٠ اذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها ، اعطى مطركم فى حينه وتعطى الارض غلتها وتعطى أشجار الحقل أثمارها ، ويلحق دراسكم بالقطاف ، ويلحق القطاف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع وتسكنون فى أرضكم آمنين ، وأجعل سلاما فى الارض فتنامـــون وليس من يزعجكم ٠ وأبيد الوحوش الرديئة من الارض ، ولا يعبر سيف فى أرضكم وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف ٠ يطرد خمســة منكم مائة ، ومائة منكم يطــردون ربوة ، ويســـقط أعداؤكم أمامكم بالسيف ، والتفت اليكم وأثمركم وأكثركم وأفى ميثاقى معكم ، فتأكلون العتيق المعتق وتخرجون العتيق من وجـه الجديد ٠ وأجعل مسكنى فى وسطكم ولا ترذلكم نفسى وأسير بينكم وأكون لكم الها وأنتم تكونون لى شعبا ٠ أنا الرب الهكم الذى أخرجكم من أرض مصر من كونكم لهم عبيدا وقطع قيود نيركم وسيركم قياما ٠ لكن ان لم تسمعوا لى ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، وان رفضتم فرائضى وكرهت أنفسكم أحكامى ، فما عملتم كل وصاياى بل نكثتم ميثاقى ، فانى أعمل هـــذه بكم : أسلط عليكم رعبـــا وسلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس ٠ وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم ٠ وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتســـلط عليكم مبغضوكم وتهربون وليس من يطردكم ٠ وان كنتم مع ذلك لا تسمعون لى أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم ، فأحطم فخار عزكم وأصير سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس ، فتفرغ باطـلا قوتكم ، وأرضكم لا تعطى غلتها وأشجار الارض لا تعطى ثمارها ٠ وان سلكتم معى بالخلاف ولم تشاءوا ان تسمعوا لى أزيد عليكم ضربات سبعة أضعاف حسب خطاياكم ٠ أطلق عليكم وحـوش البريـة فتعدمكم الاولاد وتقرض بهائمكم وتقللكم فتوحش طرقكم ٠ وان لم تتأدبوا منى بذلك ، بل سلكتم معى بالخلاف ، فانى أنا

أسلك معكم بالخلاف وأضربكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم · أجلب عليكم سيفا ينتقم نقمة الميثاق فتجمعون الى مدنكم وأرسل في وسطكم الوباء فتدفعون بيد العدو ، بكسرى لكم عصا الخبز تخبز عشر نساء خبزكم في تنور واحد ، ويردون خبزكم بالوزن فتأكلون ولا تشبعون · وان كنتم بذلك لا تسمعون لى بل سلكتم معى بالخلاف · فأنا أسلك معكم بالخلاف ساخطا وأؤدبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم ، فتأكلون لحم بنيكم · ولحم بناتكم تأكلون · وأخرب مرتفعاتكم واقطع شمساتكم وألقى جثثكم على جثث أصنامكم وترذلكم نفسى وأصير مدنكم خربة ومقادسكم موحشة ، ولا أشتم رائحة سروركم ، وأوحش الأرض فيستوحش منها أعداؤكم الساكنون فيها ، وأذريكم بين الامم وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ومدنكم تصير خربة · حينئذ تستوفى الارض سبوتها كل أيام وحشتها وأنتم فى أرض أعدائكم · حينئذ تسبت الارض وتستوفى سبوتها · كل أيام وحشتها تسبت ما لم تسبته من سبوتكم في سكنكم عليها · والباقون منكم ألقى الجبانة فى قلوبهم فى أراضى أعدائهم فيهزمهم صوت ورقة مندفعة ، فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس طارد ، ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارد · ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم : فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم ، والباقون منكم يفنون بذنوبهم فى أراضى أعدائهم ، وأيضا بذنوب آبائهم معهم يفنون ·· لأنهم قد أبوا أحكامى ، وكرهت أنفسهم فرائضى ·· هذه هى الفرائض والاحكام والشرائع التى وضعها الرب بينه وبين بنى اسرائيل فى جبل سيناء بيد موسى » (اللاويين ٢٦ : ١ ـ ٤٦) ·
كما جاء فى سفر التثنية « أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة : البركة اذا سمعتم لوصايا الرب الهكم التى أنا أوصيكم بها اليوم · واللعنة اذا لم تسمعوا لوصايا الرب الهكم وزغتم عن الطريق التى أنا أوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء آلهة أخرى » (التثنية ١١ :

٢٦ ــ ٢٨) . وجـــاء في هـــذا السفر أيضا « ان سمعت سمعا لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التى أنـــا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب الهك مستعليا على جميع قبائل الارض وتأتى عليك جميع هـــذه البركات وتدركك .. مباركا تكون في المدينة ومباركا تكون فى الحقل ، مباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك ، نتـــاج بقرك واناث غنمك . مباركة تكون سلتك ومعجنك . مباركا تكون في دخولك ومباركا تكون في خروجك . يجعل الرب أعداءك القائمين عليك منهزمين أمامك فى طريق واحـدة يخرجون عليك وفى سبع طرق يهربون أمامك . يأمر لك الرب بالبركة فى خزائنك وفى كل ما تمتد اليه يدك ويباركك فى الارض التى يعطيك الرب الهك . يقيمك الرب لنفسه شعبا مقدسا كما حلف لك اذا حفظت وصايا الهك وسلكت فى طرقه ، فيرى جميع شعوب الأرض ان اسم الرب قد سمي عليك ويخافون منك ، ويزيدك الرب خيرا فى ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك على الارض التى حلف الرب لآبائك أن يعطيك . يفتح لك الرب كنزه الصالح فى السماء ليعطى مطر أرضك فى حينـــه وليبارك كل عمل يدك فتقرض أممـــا كثيرة وأنت لا تقترض ، ويجعلك الرب رأسا لا ذنبا ، وتكون فى الارتفاع فقط ولا تكون فى الانحطاط اذا سمعت لوصـايا الرب الهك التى أنا أوصيك بها اليوم لتحفظ وتعمل ، ولا تزيغ عن جميع الكلمات التى أنا أوصيك بهـــا اليوم يمينا أو شمالا ، لــكى تذهب وراء آلهة أخرى لتعبدها . ولــكن ان لم تسـمع لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصـــاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هـــذه اللعنـات وتدركك . ملعونا تكون فى المدينة وملعونا تكون فى المدينـة وملعونا تكون في الحقل . وملعونة تكون سلتك ومعجنك . ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك نتاج بقـرك وانـبـاث غنمك . ملعونا تكون في دخولك وملعونا تكون فى خروجك .

يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد اليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعا من أجل سوء أفعالك اذ تركتني • يلصق بك الرب الوبأ حتى يبيدك عن الارض التي أنت داخل اليها لكي تمتلكها • يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك • وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاسا والارض التي تحتك حديدا ، ويجعل الرب مطر أرضك غبارا وترابا ينزل عليك من السماء حتى تهلك • ويجعلك الرب منهزما أمام أعدائك • في طريق واحدة تخرج عليهم وفي سبع طرق تهرب أمامهم وتكون قلقا في جميع ممالك الأرض ، وتكون جثتك طعاما لجميع طيور السماء ووحوش الارض وليس من يزعجها • يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء ، يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب ، فتتلمس في الظهر كما يتلمس الاعمى في الظلام ولا تنجح في طرقك بل لا تكون الا مظلوما مغصوبا كل الايام وليس مخلص • تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها • تبني بيتا ولا تسكن فيه • تغرس كرما ولا تستغله ، يذبح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه • يغتصب حمارك من أمام وجهك ولا يرجع اليك • تدفع غنمك الى أعدائك وليس لك مخلص • يسلم بنوك وبناتك لشعب آخر وعيناك تنظران اليهم طول النهار فتكلان وليس في يدك طائلة • ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه فلا تكون الا مظلوما ومسحوقا كل الايام • وتكون مجنونا من منظر عينيك الذي تنظر • يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أسفل قدمك الى قمة رأسك • يذهب بك الرب ويملكك الذي تقيمه عليك الى أمة لا تعرفها أنت ولا آباؤك • وتعبد هناك آلهة أخرى من خشب وحجر • وتكون دهشا ومثلا وهزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب اليهم • بذارا كثيرة تخرج

الى الحقل وقليـــلا تجمع • لان الجراد يأكله • كروما تغرس وتشتغل وخمرا لا تشرب ولا تجنى لان الدود يأكلها • يكون لك زيتون في جميع تخومك وبزيت لا تدهن لان زيتونك ينتثر بنين وبنات تلـــد ولا يكونون لك لانهم الى السبى يذهبون • جميع أشجارك وأثمار أرضك يتولاه الصرصر • الغريب الذى في وسطك يستعلى عليك متصاعدا وأنت تنحط متنازلا • هو يقرضك وأنت لا تقرضه • هو يكون رأســا وأنت تكون ذنبا ، وتأتي عليك جميع هـــذه اللعنات وتتبعك وتـــدركك حتى تهلك ، لانك لم تسمع لصـوت الرب الهـك لتحفظ وصـايا وفرائضـــه التى أوصاك بهـا ، فتكون فيك آية وأعجوبة وفى نسلك الى الأبد • من أجـــل انك لم تعبـد الرب الهك بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شيء • تستعبد لاعدائك الذين يرسلهم الرب عليك في جوع وعطش وعرى وعوز كل شيء • فيجعـل نير حديد على عنقك حتى يهلكك • يجلب الرب عليـك أمـة من بعيد من أقصاء الارض كمـا يطير النسر • أمـــة لا تفهم لسانها • أمـــة جافية الوجه لا تهاب الشيخ ولا تحن الى الولد ، فتأكل ثمرة بهائمك وثمرة أرضك حتى تهلك ، ولا تبقى لك قمحا ولا خمرا ولا زيتـا ولا نتـاج بقرك ولا اناث غنمك حتى تفنيك • وتحاصرك فى جميع أبوابك حتى تهبط أســـوارك الشامخة الحصينة التى أنت تثق بها فى كل أرضك • تحاصرك فى جميع أبوابك فى كل أرضـك التى يعطيك الرب الهك ، فتأكل ثمرة بطنك ، لحم بنيك وبناتك الذين أعطـــاك الرب الهك فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوك • الرجـل المتنعم فيك والمترفه جـــدا تبخل عينه على أخيه وامرأة حضنه وبقية أولاده الذين يبقيهم ، بأن يعطى أحدهم من لحم بنيـه الـذى يأكله لانه لم يبق له شيء فى الحصار والضـــيقة التى يضايقك بها عدوك فى جميع أبوابك • والمرأة المتنعمة فيـك والمترفهة التى لم تجرب أن تضع أســـفل قدمها على الارض

للتنعم والترفه تبخل عينها على رجـــل حضنها وعلى ابنهــا وبنتها ، بمشيمتها الخارجة من بين رجليها وبأولادها الـــذين تلدهم ، لأنها تأكلهم سرا فى عوز كل شىء فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوك فى أبوابك ، ان لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هـــذا الناموس المكتوبة فى هذا السفر لتهاب هـــذا الاسم الجليل المرهـوب الرب الهك • يجعـــل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة ، ضربات عظيمة راسخة وأمراضا ردية ثابتة ، ويرد عليك جميع أدواء مصر التى فزعت منها فتلتصق بك • أيضـــا كل مرض وكل ضربة لم تكتب فى سفر الناموس هـــذا يسلطه الرب عليك حتى تهلك • فتبقون نفرا قليـــلا عوض ما كنتم كنجوم السماء فى الكثرة ، لانك لا تسمع لصوت الرب الهـــك • وكما فرح الرب لـــكم ليحسن اليكم ويكثركم ، كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الارض التى أنت داخل اليها لتمتلكها ، ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض الى أقصائها • وتعبد هناك الهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر • وفى تلك الأمم لاتطمئن ولايكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلبا مرتجفا وكلال العينين وذبول النفس • وتكون حياتك معلقة قدامك • وترتقب ليلا ونهارا ولا تأمن على حياتك • فى الصباح تقول ياليته المساء ، وفى المساء تقول ياليته الصباح من ارتعاب قلبك ياليته المساء ، ومن منظر عينيك الذى تنظر • ويردك الرب الى مصر فى سفن فى الطريق التى قلت لك لا تعد تراها فتباعون هناك لأعدائك عبيدا واماء وليس من يشترى •• هذه هى كلمات العهد الذى أمر الرب موسى أن يقطعه مع بنى اسرائيل فى أرض موآب • فضلا عن العهد الذى قطعه معهم فى حوريب » (التثنية ٢٨ : ١ ــ ٦٨ ، ٢٩ : ١) • وجاء فى هذا السفر « قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر • بما أنى أوصيتك اليوم

أن تحب الرب الهك وتسلك فى طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكى تحيا وتنمو ويباركك الرب الهك ٠٠ فان انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها ، فأنى أنبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون ٠٠ قد جعلت قدامك الحياة والموت ، والبركة واللعنة » (التثنية ٣٠ : ١٥ ــ ١٩) ٠

وجاء فى سفر الملوك ان « الرب تراءى لسليمان ٠٠ وقال له ٠٠ ان كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى ، فرائضى التى جعلتها أمامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها فانى أقطع اسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتهم اياها ، والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ويكون اسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب ٠٠ وهذا البيت يكون عبرة ٠ كل من يمر عليه يتعجب ويصفر ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت ، فيقولون من أجل انهم تركوا الرب الههم الذى أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها ٠ لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر » (الملوك الأول ٩ : ٢ ــ ٩) ٠

فهل سلك اليهود فى فرائض الله وحفظوا وصاياه وعملوا بها ، لكى يطمعوا فى الوفاء بوعوده لهم ، ويستحقوا رضاه ونعمته وبركته ؟ أم كفروا به ، وخالفوا وصاياه ، وخانوا عهده ، فاستحقوا غضبه ونقمته ولعنته ؟ هذا ما سنراه فى الفصل التالى ٠

الفصـــل الثانى

غضب الله على اليهود

يكاد لا يخلو سفر من أسفار التوراة من عبـارات الغضب التى صبها الله على اليهود بسبب عبادتهم الأصنام ، وارتكابهم الشرور والآثام فى كل مراحل تاريخهم حتى مجىء المسـيح وخراب بلادهم ٠

فقد جاء فى سفر الخروج « وقال الرب لموسى رأيت هـذا الشعب ، واذا هو شعب صلب الرقبـة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم » (الخروج ٣٢ : ٩ و ١٠) ٠

وجاء فى سفر العدد « وقال الرب لموسى حتى متى يهيننى هذا الشعب ، وحتى متى لا تصدقوننى بجميع الآيات التى عملت فى وسطكم ؟ انى أضربهم بالوباء وأبيدهم » (العدد ١٤ : ١١ و ١٢) ــ « وكلم الرب موسى وهارون قائلا حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ قد سمعت تذمر بنى اسرائيـل على ٠ قل لهم حى أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتـم فى أذنى ٠ فى هذا القفر تسقط جثثكم ، جميع المعدودين منـكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا ، الذين تذمروا على ٠ لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكنكم فيهـا ٠٠ وأمـا أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمـة فانى سأدخلهم فيعرفون الأرض التى احتقرتموها ٠ فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر

وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر • كعدد الأيام التى تجسستم فيها الأرض أربعين يوما للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة ، فتعرفون ابتعادى • أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على • فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون » (١٤ : ٢٦ ـ ٣٥) •

وجاء فى سفر التثنية « أذكر لا تنس كيف أسخطت الرب الهك فى البرية • من اليوم الذى خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم الى هذا المكان كنتم تقاومون الرب • حتى فى حوريب أسخطتم الرب عليكم ليبيدكم » (التثنية ٩ : ٧ و ٨) • ـ « جيل أعوج ملتو • ألرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم ؟ أليس هو أباك ومقتنيك وهو عملك وأنشأك ؟ •• وسمنت وغلظت واكتسيت شحما ، فرفض الاله الذى عمله • وغبى عن صخرة خلاصه • أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس • ذبحوا لاوثان ليست الله •• فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته •• انهم جيل متقلب • أولاد لا أمانة فيهم •• أغاظونى بأباطيلهم •• بأمة غبية أغيظهم • انه قد اشتعلت نار بغضبى فتتقد الى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلتها وتحرق أسس الجبال • أجمع عليهم شرورا وأنفذ سهامى فيهم •• أرسل فيهم أنياب الوحوش •• من خارج السيف يثكل ، ومن داخل الخدور الرعبة •• أبددهم الى الزوايا وأبطل من الناس ذكرهم •• انهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم •• لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم •• ان يوم هلاكهم قريب » (التثنية ٣٢ : ٥ ـ ٣٥) •

وجاء فى سفر القضاة «وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عين الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين • تركوا الرب ولم

يعبدوه ، فحمي غضب الرب على اسرائيـــل وباعهم بيــده الفلسطينيين وبيد بنى عمون ٠٠ فصرخ بنو اسرائيل الى الرب قائلين أخطأنا اليك لأننا تركنا الهنا وعبدنا البعليم ٠٠ فقــال الرب لبنى اسرائيل : أليس من المصريين والأموريين وبنى عمون والفلسطينيين خلصتكم ، والصيدونيون والعمالقة والمعونيون قد ضايقوكم فصرختم الى فخلصتكم من أيديهم ، وأنتــم قــد تركتمونى وعبدتم آلهة أخرى ٠ لذلك لا أعود أخلصكم ٠ امضوا واصرخوا الى الآلهة التى اخترتموها لتخلصكم هى فى زمــان ضيقكم » (القضاة ١٠ : ٦ ـ ١٤) ٠

وجاء في سفر الملوك « وكان أن بنى اسرائيل اخطأوا الى الرب الههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعــون ملك مصر واتقوا آلهة أخــرى ، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل وملوك اسرائيل الذين أقاموهــم ٠ وعمل بنو اسرائيل سرا ضد الرب الههم أمــورا ليست بمستقيمة ، وبنوا لأنفسهم مرتفعات فى جميع مدنهــم من برج النواطير الى المدينة المحصنة ، وأقاموا لأنفسهم أنصابا وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء ، وأوقــدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهــم الرب من أمامهم ، وعملوا أمورا قبيحة لاغاظة الرب ، وعبدوا الأصنام التى قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر ، وأشهر الرب عــلى اسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلا ارجعوا من طرقكم الردية واحفظوا وصــاياى ، فرائضى حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى أرسلتها اليكم عن يد عبيدى الأنبياء ، فلم يسمعوا ٠ بل صلبوا أقفيتهم كأقفيــة آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم ٠ ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته التى شهد بها عليهم وســاروا وراء الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حــولهم الذين

أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم . وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين ، وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل ، وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار (أى احرقوهم ذبيحة للأصنام) وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لاغاظته ، فغضب الرب جدا على اسرائيل ونحاهم من أمامه . ولم يبق الا سبط يهوذا وحده . ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب الههم ، بل سلكوا فى فرائض اسرائيل التى عملوها . فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه ، لأنه شق اسرائيل عن بيت داود فملكوا يربعام بن نباط ، فأبعد يربعام اسرائيل من وراء الرب وجعلهم يخطئون خطية عظيمة . وسلك بنو اسرائيل فى جميع خطايا يربعام التى عمل ، لم يحيدوا عنها حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء . فسبى اسرائيل من أرضه الى أشور الى هذا اليوم » (الملوك الثانى ١٧ : ٧ ــ ٢٣) . كما جاء فى هذا السفر « كان منسى ابن اثنتى عشرة سنة حين ملك وملك خمسا وخمسين سنة فى أورشليم .. وعمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل ، وعاد فبنى المرتفعات التى أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعلى سارية كما عمل آخاب ملك اسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها . وبنى مذابح فى بيت الرب الذى قال الرب عنه فى أورشليم أضع اسمى ، وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب ، وعبر ابنه فى النار وعاف وتفاءل واستخدم جانا وتوابع وأكثر من عمل الشر فى عينى الرب لاغاظته ، ووضع تمثال السارية الذى عمل فى البيت الذى قال الرب عنه لداود وسليمان ابنه فى هذا البيت وفى أورشليم التى اخترت من جميع أسباط اسرائيل أضع اسمى الى الأبد . ولا أعود أزحزح رجل اسرائيل من الأرض التى أعطيت لآبائهم :

وذلك اذا حفظوا وعملوا حسب كل ما أوصيتهم به وكل الشريعة التى أمرهم بها عبدى موسى • فلم يسمعوا بل أضلهم منسى ليعملوا ما هو أقبح من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى اسرائيل • وتكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء قائلا من أجل أن منسى ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله ، وجعل أيضا يهوذا يخطىء بأصنامه • لذلك هكذا قال الرب اله اسرائيل : ها أنذا جالب شرا على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه • وأمد على أورشليم خيط السامرة ومطمار بيت آخاب ، وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن • يمسحه ويقلبه على وجهه • وأرفض بقية ميراثى وأدفعهم الى أيدى أعدائهم فيكونون غنيمة ونهبا لجميع أعدائهم • لأنهم عملوا الشر فى عينى وصاروا يغيظوننى من اليوم الذى فيه خرج آباؤهم من مصر الى هذا اليوم » (الملوك الثانى ٢١ : ١ ــ ١٥) •

وجاء فى سفر اشعياء النبى « يصير نور اسرائيل نارا ، وقدوسه لهيبا فيحرق ويأكل حسكه وشوكه فى يوم واحد ، ويفنى مجد وعره وبستانه ، النفس والجسد جميعا » (اشعياء ١٠ : ١٧ و ١٨) • « من دفع يعقوب الى السلب واسرائيل الى الناهبين ؟ أليس الرب الذى أخطأنا اليه ولم يشاؤوا أن يسلكوا فى طريقه ولم يسمعوا شريعته ، فسكب عليه حمو غضبه وشدة الحرب فأوقدته من كل ناحية » (اشعياء ٤٢ : ٢٤ و ٢٥) •

وجاء فى سفر ارميا النبى « هاأنذا أجلب عليكم من بعد يابيت اسرائيل يقول الرب • أمة قوية • أمة منذ القديم • أمة لا تعرف لسانها ولا تفهم ما تتكلم به ، جعبتهم كقبر مفتوح • كلهم جبابرة • فيأكلون حصادك وخبزك الذى يأكله بنوك وبناتك • يأكلون غنمك وبقرك • يأكلون جفنتك وتينك • يهلكون بالسيف مدنك الحصينة التى أنت متكل عليها » (ارميا

٥ : ١٥ ـ ١٧) ـ « هاهى أيام تأتى يقول الرب ٠٠ تصير جثث هـذا الشعب أكلا لطيور السماء ولوحوش الارض ٠٠ وأبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس ، لأن الأرض تصـير خرابا » (ارميا ٧ : ٣٢ ـ ٣٤) ـ « فى ذلك الزمان يقول الرب يخرجون عظام ملوك يهوذا وعظام رؤسائه وعظام الكهنة وعظام الانبياء وعظام سكان أورشليم من قبورهم ويبسطونها للشمس وللقمر ولكل جنود السماوات التى أحبوها والتى عبدوها والتى ساروا وراءها والتى استشاروها والتى سجدوا لها ٠ لا تجمع ولا تدفن، بل تكون دمنة على وجـه الأرض » (ارميا ٨ : ١ ـ ٢) ـ « وأجعل أورشليم رجما ومأوى بنات آوى ومـدن يهوذا خرابا بلاساكن » (ارميا ٩ : ١١) ـ « هاأنذا أطعم هـذا الشعب أفسنتينا وأسقيهم مـاء العلقـم وأبددهم فى أمم لم يعرفوهـا هم ولا آباؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم » (ارميـا ٩ : ١٥ و ١٦) ـ « ثم قال الرب لى وان وقف موسى وصموئيل أمـامى لا تكون نفسى نحو هـذا الشعب ٠ أطرحهم من أمامى فيخرجوا ٠ ويكون اذا قالوا لك الى أين نخرج أنك تقول لهـم هـكذا قال الرب : الذين للموت فالى الموت ، والذين للسيف فالى السيف ، والذين للجوع فالى الجوع ، والذين للسبى فالى السبى ، وأوكل عليهم أربعة أنواع يقول الرب ٠ السيف للقتل ٠ والكلاب للسحب ٠ وطيور السماء ووحوش الأرض للأكل والاهلاك ٠ « أذريهـم بمـذراة فى أبـواب الأرض ٠ أثكل وأبيـد شعبى » (ارميـا ١٥ : ٧) ـ « هاأنذا أرسـل الى جـرافين كثـيرين يقـول الرب فيصطادونهم ، ثم بعد ذلك أرسـل الى جزافين كثيرين يقول الرب فيصطادونهم ، ثم بعد ذلك أرسل الى كثيرين من القانصين فيقتنصونهم عن كل جبل وعن كل أكمة ومن شقوق الصخور ، لأن عينى على كل طرقهم ٠ لم تستتر عن وجهى ولم يختف اثمهم من أمام عينى ٠ وأعـاقب أولا اثمهم

وخطيتهم ضعفين لأنهم دنسوا أرضي وبجثث مكرهاتهم ورجاساتهم قد ملأوا ميراثي » (ارميا ١٦ : ١٦ ـ ١٨) ـ « لذلك هكذا قال رب الجنود .. أجعلهم دهشا وصفيرا وخربا أبدية .. وتصير كل هذه الأرض خرابا » (ارميا ٢٥ : ٨ ـ ١١). « لأن هذه المدينة (أورشليم) قد صارت لي لغضبي ولغيظي من اليوم الذى فيه بنوها الى هذا اليوم لانزعها من أمام وجهي من أجل كل شر بني اسرائيل وبني يهوذا الذى عملوه ليغيظوني به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم ، وقد حولوا لي القفا لا الوجه ، وقد علمتهم مبكرا ومعلما ، ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدبا ، بل وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعي باسمي لينجسوه ، وبنوا المرتفعات للبعل الذى فى وادى ابن هنوم ليجيزوا بنيهم وبناتهم فى النار لمولوك ، الأمر الذى لم أوصهم به ولا صعد على قلبي ليعملوا هذا الرجس ليجعلوا يهوذا يخطيء » (ارميا ٣٢ : ٣١ ـ ٣٥) ـ « وأدفع الناس الذين تعدوا عهدى ، الذين لم يقيموا كلام العهد الذى قطعوه أمامي . العجل الذى قطعوه الى اثنين وجازوا بين قطعتيه ، رؤساء يهوذا ورؤساء أورشليم الخصيان والكهنة وكل شعب الأرض الذين جازوا بين قطعتي العجل ، ادفعهم ليد أعدائهم وليد طالبي نفوسهم فتكون جثثهم أكلا لطيور السماء ووحوش الارض » (ارميا ٣٤ : ١٨ ـ ٢٠).

وجاء فى سفر حزقيال النبي « هكذا قال السيد الرب : من أجل أنكم ضججتم أكثر من الامم التى حواليكم ولم تسلكوا فى فرائضي ولم تعملوا حسب أحكامي ولا عملتم حسب أحكام الامم التى حواليكم ، لذلك هكذا قال السيد الرب ها انى انا أيضا عليك ، وسأجرى فى وسطك أحكاما أمام عيون الامم ، أفعل بك ما لم أفعل وما لن أفعل مثله بعد بسبب كل أرجاسك لاجل ذلك تأكل الآباء الأبناء فى وسطك والأبناء يأكلون آباءهم

فيك أحكاما وأذرى بقيتك كلها فى كل ريح » (حزقيال ٥ : ٧ ــ ١٠) ــ « يا جبال اسرائيل اسمعى كلمة السيد الرب • هكذا قال السيد الرب للجبال وللآكام ، للأودية وللأوطئة ، هاأنذا أنا جالب عليكم سيفا وأبيد مرتفعاتكم ، فتخرب مذابحكم وتتكسر شمساتكم وأطرح قتلاكم قدام أصنامكم ، وأضع جثث بنى اسرائيل قدام أصنامهم وأذرى عظامكم حول مذابحكم • فى كل مساكنكم تقفر المدن وتخرب المرتفعات لكى تقفر وتخرب مذابحكم وتتكسر وتزول أصنامكم وتقطع شمساتكم وتمحى أعمالكم ، وتسقط القتلى فى وسطكم فتعلمون أنى أنا الرب » (حزقيال ٦ : ٣ ــ ٧) ــ « هكذا قال السيد الرب ، أيتها المدينة (أورشليم) السافكة الدم فى وسطها ليأتى وقتها ، الصانعة أصناما لنفسها لتتنجس بها • قد أثمت بدمك الذى سفكت ونجست نفسك بأصنامك التى عملت وقربت أيامك وبلغت سنيك • فلذلك جعلتك عارا للامم وسخرة لجميع الاراضى ، القريبة اليك والبعيدة عنك ، يسخرون منك يانجسة الاسم يا كثيرة الشغب • هوذا رؤساء اسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لاجل سفك الدم » (حزقيال ٢٢ : ٣ ــ ٦) •

***

ان نبوءات أنبياء اليهود التى جاءت فى التوراة تدل كلها على أن الله اختار اليهود منذ البداية لغاية محددة هى أن يجىء منهم المسيح الذى كانوا ينتظرونه لخلاص البشر وانقاذهم من الخطيئة والهلاك • وبهذا المعنى كان اليهود هم الشعب المختار من الله لهذه الغاية بالذات • وقد وضع الله منذ البداية أمام اليهود طريق الخير وطريق الشر ، موضحا لهم ــ كما رأينا فيما سلف ــ أنهم اذا سلكوا طريق الخير وظلوا على ولائهم لله ، أسبغ عليهم نعمته وبركته وظلوا شعبا له • أما اذا سلكوا طريق الشر وعاندوا الله وكفروا به صب عليهم نقمته ولعنته

ولم يعودوا شعبا مختارا له ، وانما شعبا منبوذا منه • وعلى الرغم من أن الله ظــل يشمل اليهود برعايته وعنايته زمنــا طويلا ، وظل يغفر لهم آثامهم وجرائمهم التى ارتكبوها فى حقــه وفى حق تعاليمه ووصاياه عسى ان يجدئ معهم الغفران • كمــا ظــل يؤدبهم الحين بعد الحين بالنوائب والأرزاء عسى أن يجدى معهم التأديب ، فانهم تركوا طريق الخير وأبوا الا أن يسلكوا طريق الشر ، معاندين اللـــه ، رافضين شريعته ، عابدين الاوثان من دونه ، مرتكبين أبشع ما كانت الشعوب الوثنية ترتكبه من ألوان الوحشية والهمجية والعهارة والفجور • حتى اذا أرسل اللــه اليهم أنبياءه ينذرونهم ويحذرونهم من عواقب ما يقترفون من المعاصى والذنوب ، صموا آذانهم عن انداراتهم وتحذيراتهم • بل قاموا عليهم ونكلوا بهم وقتلوهم • وأخيرا جــاءهم المسيح الذى تنبأكل أنبيائهم بمجيئه فتآمروا عليه هو أيضا ونكلوا به • ففقدوا بذلك آخر فرصة لرضاء الله عنهم ، ومن ثم استحقوا غضبه ونقمته ولعنته ، ولم يعودوا الشعب الذى اختاره ورعاه، وانما الشعب الذى نبذه وقضى بهلاكه • فلم تمض بضع سنوات على تنكيلهم بالمسيح حتى أرســـل الله اليهم جيوش الرومان ، فراحت تدك بلادهم دكا ، وتشيع الخراب والدمار فى عاصمتهم أورشليم ، وهدمت هيكلهم الذى كان موضع زهوهم وفخارهم ، ثم أحرقته بالنار ، وأبادت الاغلبية العظمى من اليهود وساقت الباقين عبيدا أذلاء مشتتين فى كل أنحاء الارض ، تلاحقهم لعنة الله حيثما ذهبوا ، ويحــل بهم انتقامه أينما كانوا • وقـــد قضى الله باندثار أمتهم وزوال دولتهم الى الابد •

المراجع

(١) الكتاب المقدس .

(٢) قاموس الكتاب المقدس

(٣) التاريخ فى الكتاب . تاليف كاترين هنرى . ترجمة الأستاذ حب
سعيد .

(٤) فلسطين كما عرفها المسيح . تأليف الدكتور عزت زكى .

(٥) علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس . تاليف الدكتور جون الدر . ترجمة
الدكتور عزت زكى

(٦) أديان العالم الكبرى . تاليف وليم باتون . ترجمة الأستاذ حبيب سع .

(٧) تاريخ سوريا . تاليف يوسف الياس الدبس مطران حلب .

(٨) تاريخ الاسرائيليين . تاليف الاستاذ شاهين مكاريوس .

(٩) موسوعة تاريخ العالم . تاليف لانجر . ترجمة الأساتذة محمد مح
الصياد ، ومحمد مصطفى الأمير ، ومحمد سالم سالم ، وابراهيم نصحى
ومحمد عواد حسين ، وزكى على .

(١٠) موجز تاريخ العالم . تاليف هـ . ج . ويلز . ترجمة الأستاذ عبد العز
توفيق جاويد .

(١١) معالم تاريخ الانسانية . تاليف هـ . ج . ويلز . ترجمة الأستاذ
عبد العزيز توفيق جاويد .

(12) Encyclopaedia Britannica.
(13) International Encyclopaedia.
(14) The New International Encylopaedia.
(15) Encylopaedia of Religion and Ethics, by James Hastings.
(16) The West miniter Dictionary of the Bible.
(17) History of the People of Israel, by Renan.
(18) History of the Jews, by Graitz.
(19) History of the Jews, by A.L. sacha.
(20) History of The Second Jewish Common-Wealth, by S. Zeitlin.
(21) The Jews, by S. Zeitlin.
(22) Popular History of the Jews, by H. Greatz.
(23) Social and Religious History of the Jews, by S. W. Baron.
(24) The Legacy of Israel, by Bevan.
(25) History of Jewish Leterature, by M. Waxman.
(26) Egypt and Israel, by Sir W. F. Petrine.
(27) The Jewish in time of Jews, by Guignebert.
(28) A History Background of the Old Testament, by Kathrine Henry.
(29) Between the Old and new testaments, by R. Charles.
(30) A Literary Back ground of the Old Testament, by Kathrine Henry.
(31) An Exposition of the Old and new Testament, by Mathew Henry.
(32) Hours with the Bilble by C. Geikie.
(33) A Companion to the Bible by Von Ollman.
(34) The archeology of Palestine, by Allright.
(35) An outline of Biblical Theology, by Miller Burrows.
(36) The Reality of Reigion, by Henry Van Dyke.
(37) History of Religion, by allan menzies.
(38) History of Religion, by Rainach.
(39) History of Religion, by G. F. Moore.
(40) Eastern and Western Religions, by Sir Radha Krishnan.
(41) The Great Religions, by Clarke.
(42) Eastern and Western Religions, by Sir Redha Krishnan.

(43) Evolution of the Idea of God, by G. Allen.
(44) The mediterranian in the ancient World by J. H. Rose.
(45) The mediterranian in the ancient World, by R. J. Holland.
(46) The Geography of the mediterranian Region, its Relation to the ancient History, by E. C. Semple.
(47) The most ancient East, by Pittard.
(48) The most ancient East, by Childe.
(49) The antient Empire of the East, by Sayce.
(50) The monarchies of the Eastern World, by Rolinson.
(51) Five Great monarchies of the ancient Eastern World, by Rowlson.
(52) From The Stone age to christianity, by anchor.
(53) From Tribe to Empire, by maret and Daivy.
(54) The Civilization of Babelonia and Assuyria, by morris jastraw.
(55) The Civilization of Babylonia and Assyria, by Morris Jastraw.
(56) Ancient Persian and Iranian Civilization, by C. Hurat.
(57) Persia, by P. Sykes.
(58) The People of Asia, by Buxton.

فهـــرس

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

تصحيح الأخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١	١٤	وكان	وكان
٣٢	٣	لينة	ليثة
٣٢	٣	وكان ن	وكان
٣٢	٤	وغارص	وقارص
٣٢	١١	وثمنة	وتمنة
٣٢	١٣	بين أن	بيد أن
٣٢	١٤	أفلاك	امتلاك
٣٢	٢٢	وان	دان
٣٢	٢٦	لينة	ليثة
٣٥	١١	وأشيل	وأثبيل
٣٥	١٥	ورشيم	أورشليم
٣٧	١٣	ورصين	وصين
٣٧	٢١	شمر	شهر
٤٨	١٧	حبل	جبل
٥٧	٢	هم	أهم
٧٣	٢	بسبب	بسبب
٩٠	١٨	الوضع	الموضع
٩٢	١٦	قارب	قال
٩٢	٢١	مجلس	مجلسى
٩٤	٤	كلاهما	قلاهما
٩٥	١٣	أذعك	أدعك
١٠٧	١٠	بشالوم	أبشالوم
١٠٩	٥	صادوق نانان	صادوق و ناثان
١٠٩	١١	مختبأ	مختبئا
١١٢	٤	الوثنية كانوا	الوثنية الذين كانوا
١١٤	١٧	أرسل	أرسله
١١٤	٥	الونيين	الوثنيين
١١٦	١٤	للشر	للبشر
١٢٢	٢١	دانيا	دانيال

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٩	١	باقوت وأزرق	ياقوت أزرق
١٣٢	١١	الذبح	المذبح
١٣٤	٢٠	عن عادات	الى عادات
١٣٨	٢٧	البخور وراءه	البخور ودخل وراءه
١٤٠	٢	دىمراتهم	تذمراتهم
١٤٦	٢	اللاويين	للاويين
١٤٧	١٧	قربا	قربانا
١٤٨	١٣	خمسة	خمسه
١٥١	١٨	زبيحة	ذبيحة
١٥١	١٨	ظربانه	قربانه
١٥٤	٢٥	أغلب	أغلف
١٥٦	١١	والبسعين	والسبعين
١٦٦	٢٨	الاشنطة	الأشظة
١٦٧	١٥	اللواح	اللوح
١٨٠	٢٤	لينان	لبنان
١٨٧	٦	أمام	دم
١٨٩	٢١	لائم	لاثم
١٩٨	١٩	خمسة	خمسه
٢٠٠	٢١	منكرة	منكسرة
٢٠١	١٤	وعسلوا	ويغسلوا
٢١٠	١٧	نسمة	كل نسمة
٢٢٢	٢٤	خشية	خشبية
٢٣٠	١٧	خمسة	خمسه
٢٣١	١٠	ذرع	زرع
٢٣٣	١٧	ألفا	ألفى
٢٣٨	٢٥	خمسة	خمسه
٢٤٥	١١	ونيكول	وفيكول
٢٤٧	١٩	بينه تبكى	بيته شهرا تبكى
٢٥٤	٦	يهيمين	يهيمن
٢٦٥	٥	تسمية	تسميه
٢٦٥	١٣	تدلل	تذلل
٢٦٨	٢٦	الخروج	الخروف
٢٧٣	١٦	الرب	رب
٢٧٣	١٦	خرو	خروف

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٧٥	١٦	تعلموا	تعملوا
٢٧٦	١٤	الأعياة	الأعياد
٢٧٧	٩	وعشرات	وعشر
٢٨١	٧	تسمية	تسميه
٢٨٢	١٨	لى ا	الى
٣٠٨	١٣	بتدوين	لتدروين
٣٠٩	٢٠	شمعون	يشوع بن نون
٣١٠	٥	اللذين	الذين
٣١٣	٣	نذره	نذر
٣١٤	١٣	هؤءلا	هؤلاء
٣١٥	١٩	عيلهم	عليهم
٣١٦	١	ويعلمون	ويعملون
٣١٧	١	العدواة	العداوة
٣١٨	٢٤	شعب	لقب
٣٢٣	١٥	أبناؤهم	أنبياؤهم
٣٣٣	١٤	تعلموا	تعملوا
٣٣٥	٦	صرح	صرخ
٣٣٦	١٧	يزرعيلى	يزرعيل
٣٣٦	١٩	عوضة	عوضه
٣٣٦	٢٥	بليمال	بليعال
٣٤١	٢	فضرب	فضربه
٣٤١	٣	أرنوت	أرنون
٣٤٧	١٢	ليجعلوها	ليجعلوهما
٣٤٨	٩	أخوة	أخوه
٣٤٨	٢٠	قتل كل	قتل هيرودس كل
٣٤٩	٧	أحازين	أحاز بن
٣٥٠	١٤	قتلة	قتله
٣٥٩	١٢	أياه	أباه
٣٦٣	٢٤	فرأة	فرأى
٣٦٤	٢٢	غي	غير
٣٦٧	٥	ما هي	هاهى
٣٦٩	١	خصية	حصيه
٣٧٣	١٦	الجيل	الجبل
٣٧٥	١٢	واقلت	وقالت

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧٦	٢	بصرعة	صرعة
٣٨٨	٦	ق م	مع
٣٩٢	٨	شيوج	شيوخ
٣٩٩	٨	عمة	عمه
٣٩٩	٨	زوجتة	زوجته
٤٠١	٢٣	فممرت	فمررت
٤٠٢	٢٦	اللة	الليلة
٤١٦	١٠	وزيولون	وزبولون
٤١٧	٦	الأسياط	الأسباط
٤١٧	١٠	الأسياط	الأسياط
٤٢٦	٢٥	استخدم	استخدم فيه
٤٥١	٩	أسر عبيدهم	أسر أحد عبيدهم
٤٥١	١٧	فاخرب	فاضرب
٤٥٢	٨	سواربهم	سواريهم
٤٥٢	١٣	الهنونبة	الكهنوتية
٤٦٥	١٠	والحيوبين	والحويين
٤٦٩	٦	العرية	العربة
٤٦٩	٨	وذبحو	وذبحوا
٤٧٩	٢٠	ابته	ابنته
٤٨٠	١٦	السراوى	السرارى
٤٨٢	١٨	تقييم	تقيم
٤٨٤	١٤	الاحتفالات	فى الاحتفالات
٤٩٧	٢٣	عن أخلاق	عن أن أخلاق
٥١١	٢٥	لنك	لذلك
٥١٢	١٨	شعيا	شعبا
٥١٧	٢٢	ويلقونها	ويلفونها
٥١٩	٢	حفويه	حقويه
٥٢٠	٢٠	وابن	والابن
٥٢١	١	لانسان	الانسان
٥٢١	٧	ستقيمة	مستقيمة
٥٢٢	١١	لا تفر	لا تغر
٥٢٩	٢٧	بواستطها	بواسطتها
٥٣٣	٢٣	مائة آلاف	ستة آلاف
٥٤٢	٢	عليه وغضبه	على الله وغضبه
٥٥٠	٢٤	اللفنات	اللعنات
٥٥١	١٢	والخكة	والحكة

تصحيح أخطاء أخرى :

(١) فى صفحة ٩ يشطب السطر ٢٤ ويكتب مكانه : « مملكة اسرائيل » ، وبذلك أصبح رعايا مملكة يهوذا وحدها ٠

(٢) فى صفحة ٦٦ ينقل السطر قبل الأخير ليكون بعده ٠

(٣) فى صفحة ١٤٧ يشطب السطر ٤ ويكتب مكانه : وكذلك أضيف الى نصيب الكهنة قيمة الأشياء المنذورة ٠

(٤) فى صفحة ١٨٧ يشطب السطر ٧ ويكتب مكانه : المذبح ثم يسلخونها ويقومون بتقطيعها ثم يحرقون ما أمرت ٠

(٥) فى صفحة ٢٠٣ يشطب السطر ٢٠ وتسطب أول كلمة فى السطر ٢١ ٠

(٦) فى صفحة ٢٣٨ يشطب السطر ٤ ويكتب مكانه . (الخروج ٢١ : ٣٣ و ٣٤) واذا ضرب انسان انسانا آخر ٠

(٧) فى صفحة ٤٦٧ يشطب بعد كلمة « حربه » فى السطر ١٦ ويضاف : مع العمالقة « كنصيب النازل الى الحرب ٠

(٨) فى صفحة ٥١١ يوضع السطر الثانى قبل الأول ٠

(٩) فى صفحة ٥٢٨ حدث اختلاط فى السطور ويعاد ترتيبها مع عدم احتساب العناوين كالآتى : الخامس ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع ثم الثامن ثم العاشر ثم السادس ثم السابع ثم الأول ثم الحادى عشر ثم الثانى عشر ثم الثالث عشر ثم الرابع عشر ثم الخامس عشر ٠